خطب القرعاوي المنبرية

لصاحب الفضيلة

الشيخ عبد الله بن إبراهيم القرعاوي

الجزء الثاني

دار الطرفين

دار العليان

ⓒ عمر بن إبراهيم بن عبدالله التويجري، ١٤١٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القرعاوي، عبدالله بن إبراهيم بن عثمان
خطب القرعاوي المنبرية - بريدة
٣٨٤ ص، ١٧ × ٢٤سم
ردمك ٩-٠٤٧-٣٥-٩٩٦٠
١- الخطب الدينية ٢- الوعظ والإرشاد أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٩/١٦٠٠
رقم الإيداع: ١٩/١٦٠٠
ردمك: ٩-٠٤٧-٣٥-٩٩٦٠

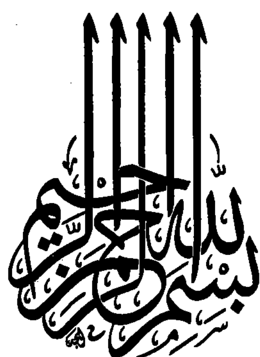
خصم خاص ٣٠٪ لفاعلي الخير
ص ب: ٣٠٨٨ بريدة

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ

دار الطرفين
الطائف - شارع خالد بن الوليد
هاتف ٧٣٢٩٥٧٢ - فاكس: ٧٤٦٣٦٨٨ - جوال ٠٥٥٧٠٤٨٠٨
ص ب: ٢٥٧٩

دار العليان
القصيم - بريدة
ت: ٠٦٣٢٣٠٢٤٧

خطب القرعاوي المنبرية


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسَّلام على أَشْرَف الأنْبِيَاء والمُرْسَلِيْن، نبينا محمَّد وعلى آله وأصْحَابه أجمعين.

وبعـــد..

فهذا بحَمْد الله وفَضْلِ الجزء الثَّاني من خُطَب شَيْخنا الشَّيْخ عبدالله بن إبراهيم بن عُثْمَان القَرْعَاوي إمام وخطيب جامع خادم الحرمين الشريفين «الجامع الكبير» ببريدة وفقه الله لكل خيرٍ وهدى.

وهذه الخطب تحتوي على بيان وتوضيح بعض ما يجب على المسلم ويحرم عليه، وفيها الترغيب في فعل الطاعات والحث عليها، والترهيب من ارتكاب المحرمات والحذر منها.

أسأل الله تعالى أن يَنْفَع بها إخواني المسلمين وأن يجعل عملي كله صالحًا ولوجه خالصًا ولا يجعل لأحد فيه شيئًا إنه على كل شيءٍ قدير، وبالإجابة جدير.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

جمع وترتيب تلميذ الشيخ
عمر بن إبراهيم بن عبدالله التويجري
القصيم - بريدة - ص ب: ٣٠٨٨

في التوحيد

الحُمْدُ للهِ عَالِمِ السِّرِّ وَالنَّجْوَىٰ والمُطَّلِع عَلَىٰ الضَّمَائِرِ وَكُلِّ مَا يَخفَىٰ. يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورِ. أَحْمَدُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَنْ وَعَدَ المُخْلِصِينَ الدَّرَجاتِ العُلىٰ، وحَذَّر المُشرِكينَ بِهِ نَاراً تَلظَّىٰ. وأَشْهَدُ أن لا إلـٰه إلاَّ الله وحْدَه لا شريكَ لَهُ، الرَّب العظيم الأعْلَىٰ.

وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُهُ ورسُولُهُ أَفضلُ المُخْلِصين لِربِّهِ في السِّرِّ والنَّجْوَىٰ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلِّم تسليماً كَثِيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وأَطِيعُوهُ وأخْلِصُوا له العِبادَةَ. ووَحِّدُوهُ واعلَمُوا أنَّ أفضلَ ما وَعظَ به الواعِظُون وذَكَّرَ به المُذكِّرُون معرفةُ اللهِ ـ تعالىٰ ـ بأنَّه ربُّ العالمين الرَّحمـٰنُ الرَّحيمُ المالكُ المُتصرِّفُ ذو الألوهِيَّةِ والعُبودِيَّةِ علىٰ خلْقِهِ أجمعين، وأنَّ جميعَ الكَونِ وكُلَّ ما فيه خلْقُهُ ومُلْكُهُ وعَبيدُه وتحتَ رُبوبِيَّتِهِ وتَصرُّفِهِ وقَهْرِهِ.

عباد الله: إذا عرفْتُم هـٰذا عرفْتُمْ أنَّه المُستحِقُّ للعِبَادَةِ دُونَ ما سِواهُ، عرفتُ أنَّك والأنسَ والجنَّ مَخْلُوقُون لِعبادَتِهِ، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾

والعِبادةُ مُنتَهَىٰ الذُّلِّ مع مُنتهىٰ المَحبَّةِ، فهي حقيقةٌ جامعةٌ لِما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاهُ مَن الأقوالِ والأعمالِ القلبيَّةِ والحِسِّيَّةِ البَدنيَّةِ

الظَّاهِرَةِ والباطنَةِ، فالعبادَةُ الظَّاهِرَةُ بالجوارحِ أثرُ العبادَةِ الباطنةِ في القلبِ مِن إخلاصِ الحُبِّ والذُّلِّ. فالصلاةُ ونحوُها مِن العِباداتِ الظَّاهِرَةِ لا تَصِحُّ إلاَّ مع هـٰذا الإخلاصِ الذي هو التَّوحيدُ وإفرادُ اللهِ بالألوهيَّةِ، فكَمَا يُشترطُ للصَّلاةِ طهارةُ الجسمِ مِن الحَدَثِ الأكبرِ والأصغرِ، كذٰلك يُشترطُ طهارةُ القلبِ مِن نَجَسِ الشِّرْكِ، فإذا صلَّىٰ العبدُ مع تَلَبُّسِهِ بالشِّرْكِ، بَطَلَتْ صلاتُهُ، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

عباد الله: التَّوحيدُ هو إفرادُ اللهِ بِجميعِ أنواعِ العِبادةِ دُونَ ما سواهُ، والبَراءَةُ مِن كلِّ ما اتَّخذَ الناسُ مِن الأندادِ والشُّركاءِ باسْمِ الأولياءِ والشُّفعاءِ، والقِيامُ بأركانِ الإسلامِ الخمسةِ.

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ومعنىٰ الإسلامِ هو الاستسلامُ القلبيُّ والظاهِريُّ للهِ بالتَّوحيدِ، والانقِيادُ له بالطاعةِ، والبراءةُ مِن الشِّركِ، وأركانهُ خمسةٌ:

الأولُ شهادةُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ، ومعنىٰ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ: لا معبودَ بحقٍّ في الوُجُودِ إلاَّ اللهُ، فلا إلـٰه: تنفي جميعَ ما يُعبدُ مِن دُونِ اللهِ، وإلاَّ اللهُ: تُثبتُ العِبادةَ للهِ وحدَهُ لا شريك له: ولها سبعةُ شُروطٍ:

الأولُ: العلمُ المُنافي للجَهلِ. الثاني: اليَقينُ المُنافي للشَّكِّ.

الثالث: الصِّدقُ المُنافي للكذِبِ. الرابع: الإخلاصُ المُنافي للشِّركِ. الخامس: القَبُولُ المُنافي للرَّدِّ. السادس: الانقيادُ المُنافي للتَّركِ. السابع: المَحبَّةُ المُنافيَةُ لضِدِّها. فالشرط الأول: أنْ يكونَ مَن شهدَ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ، عالماً بمعناها، عاملاً بمُقتضاها، نافياً لِما نَفَتْ، مُثبِتاً لِما أثبتتْ، وهي أشرفُ الذِّكرِ وأفضلُهُ لِمَن حقَّقَها، وقد صحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: «**ما مِن أحدٍ يشهدُ أنْ لا إلـٰه إلَّا اللهُ وأنَّ مُحمداً رسولُ اللهِ، صِدقاً مِن قلبِهِ، إلَّا حرَّمهُ اللهُ علىٰ النَّارِ**» وفي الحديثِ الآخَرِ: «**خالِصاً مِن قلبِهِ**». وروىٰ الإمامُ أحمدُ عَن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**شفاعتي لِمن قال: لا إلـٰه إلَّا اللهُ مُخلِصاً، يُصدِّقُ قلبُهُ لِسانَهُ ولسانُهُ قلبَهُ**». وأكثرُ أهلِ هـٰذا الزَّمانِ يقولُون لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ تقليداً وعادَةً، لا يعرفون معناها ولا يعملون بمُقْتَضاها، فلذٰلك فهـٰؤلاء يَهدِمُونها بالأقوالِ والأفعالِ الشِّركيَّةِ، وهم لا يَشعُرُون، وكذٰلك الشُّروطُ الباقيةُ يَجبُ معرفتُها والقيامُ بها ومعرفةُ أضْدَادِها لتجنبها حتَّىٰ تتحقَّقَ شهادةُ العَبْدِ ويَكمُلَ إسلامُهُ. ومعنىٰ شهادةِ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ، طاعتُهُ فيما أمرَ، وتَصديقُهُ فيما أخبرَ، واجتِنابُ ما عنه نَهىٰ وزَجَرَ، وأنْ لا يُعبدَ اللهُ إلاَّ بما شرَعَ، فهو عَبدٌ للهِ لا يُعبدُ ورسولٌ لا يَكْذِبُ، بَل يُطاعُ ويُتَّبعُ، شرَّفَهُ اللهُ بالعبوديَّةِ الخاصَّةِ والرِّسالَةِ العامَّةِ.

وأمَّا الرُّبوبيَّةُ والألُوهيَّةُ فهُما حقٌّ للهِ ـ سُبحانه ـ لا يَشْرَكُهُ فيهما

أحدٌ، لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نَبيٌّ مُرسلٌ، وأكثرُ الناسِ في البلادِ الإسلاميةِ فرَّطُوا في مُتابَعتِهِ وطاعتِهِ ﷺ، وتَركُوا شريعَتَهُ واتَّبعُوا الآراءَ والأهواءَ والبِدَعَ، وأَفْرَطُوا في دعوىٰ مَحبَّتِهِ قَوْلاً وعملاً، حتَّىٰ سألُوهُ الحوائِجَ واستغاثوا به ولجأُوا إليه وأقسَمُوا به، فهم يُحسبُون أنَّهم علىٰ شيءٍ، أَلاَ إنَّهم هم الخاسِرُون. وقد سَدَّ ﷺ طُرُقَ الشِّركِ وحَمَىٰ جَنابَ التوحيدِ، فقال ﷺ: **«لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصارىٰ عيسىَ بنَ مريمَ، إنَّما أنا عبدٌ، فقُولُوا: عبدُالله ورسولُه»** وقال: **«ما أحِبُّ أنْ تَرْفعُوني فوقَ منزِلَتي التي أنزلني اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ»** ولمَّا قِيلَ له: أنت سيِّدُنا. قال: **«السَّيِّدُ اللهُ»** ولمَّا قِيلَ له: ما شاءَ اللهُ وشِئْتَ قال: **«ما شاءَ اللهُ وحدَه. أجعلْتَني للهِ نِدًّا»** ولمَّا قال أصحابُهُ: قُومُوا بِنا نَستغيثُ برسُولِ اللهِ مِن هـٰذا المُنافقِ قال: **«إنَّه لا يُستغاثُ بي، وإنَّما يُستغاثُ باللهِ عزَّ وجلَّ»** ومِثلُ هـٰذا كثيرٌ، ولـٰكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَعقِلُون. ومَن يُضْلِلِ اللهُ، فما له مِن هادٍ.

فيا عباد الله: اللهَ اللهَ في إنقاذِ أنفسِكم مِن النارِ؛ فإنَّه لا نَجاةَ لكم فيها إلاَّ بالبَراءَةِ مِن الشِّرْكِ قَلِيلِهِ وكثيرِهِ مع التَّعَبُّدِ للهِ بِتوحيدِهِ وطاعتِهِ، ولا نَجاةَ مِن الشِّرْكِ إلاَّ بِتعلُّمِ التَّوحيدِ ومعرفتِهِ ومعرفةِ ما يُنافيهِ مِن الشِّركِ، واعلَمُوا أنَّ تَعَلُّمَهُ ليس بصعبٍ ولا شديدٍ، بل هو مُيسَّرٌ مَوجُودٌ في كُتُبِ أهلِ العِلمِ ومُصنَّفاتِهم، وأشهرُ مَن صنَّفَ في التَّوحيدِ وفي إيضاحِهِ وتبيينه شيخُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبدالوهَّاب

ـ أجزَلَ اللهُ له الأجرَ والثوابَ ـ. فمِنْ ذٰلك كتابُ التوحيدِ وشرحُهُ، وكشفُ الشُّبهاتِ والعقيدَةُ الواسِطيَّةُ لشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّة، وكذٰلك التَّدمريَّةُ والحَمَوِيَّةُ، وكذٰلك الكتبُ الجامعةُ. مِن ذٰلك مجموعةُ التوحيدِ، والجامعُ الفريدُ، ومعارجُ القَبولِ في شرحِ سُلَّمِ الوصولِ. أسألُ اللهَ لنا ولكم الإقبالَ علىٰ توحيدِهِ وطاعتِهِ، وعدمَ الغُرُور في الجهلِ والغَفْلَةِ والإهمالِ. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾.

في التوحيد وضده

الحمدُ للهِ الذي جعلَ التوحيدَ قاعدةَ الإسلامِ وأصْلَهُ ورأسَهُ. وأحمدُه ـ سُبحانه ـ علىٰ ما أنعمَ به علينا من النِّعَمِ العظيمةِ، ومن أَجَلِّها نِعْمَةُ الإسلاَمِ.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له المُتفرِّدُ بالكمالِ، والمُتقدِّسُ في كمالِه وأقوالِهِ وأفعالِهِ عن مُشابَهَةِ الأنامِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبْدُهُ ورسُولُهُ، أَكْملُ الخَلْقِ تَوحيداً، وأبرُّهم عَملاً، وأتقاهم للهِ ربِّ العالمين. اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وعلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ ومَنْ تَبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: فقد قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٨ـ١٩]. أيُّها الناسُ اعلمُوا أنَّ مِن أوجبِ الواجباتِ علىٰ العبدِ معرفَةً توحيدَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ وما يضادُّه مِن الشِّركِ. ذٰلك لأنَّ التَّوحيدَ هو القاعدةُ والأصلُ والأساسُ لدِينِ الإسلامِ الذي لا يَقبلُ اللهُ عملاً إلاَّ به، ويَغفرُ لِمَنْ أتىٰ به إن شاءَ ولا يَغْفِرُ لِمَنْ تَرَكَهُ. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. ولهـٰذا كانت كلمةُ الإخلاصِ أفضلَ

الكلام وأعظَمَهُ، فأعظمُ آيةٍ في القرآنِ آيةُ الكرسيِّ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ وقد قالَ ﷺ في الحديثِ الصحيحِ: «**من كانَ آخِرُ كلامِهِ من الدنيا لا إلـٰه إلَّا الله، دخَلَ الجَنةَ**» والتوحيدُ ثلاثةُ أصولٍ: توحيدُ الربوبية. وتوحيدُ الألوهيَّةِ، وتوحيدُ الأسماءِ والصِّفَاتِ.

والأصلُ الأولُ: توحيدُ الربوبيةِ ويُطلقُ عليه توحيدُ أفعالِ الربِّ ـ جلَّ وعلا ـ وهـٰذا الأصلُ من التوحيدِ لا يَكْفِي العَبْدَ في حُصولِ الإسلامِ، بدليلِ أنَّ المشركين علىٰ عهدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كانُوا مُقرِّين بهـٰذا التوحيدِ للهِ وحدَه، ولم يُدخلْهم في الإسْلَامِ كَمَا قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١]، ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ـ٨٥] والآياتُ في هـٰذا المعنىٰ كثيرةٌ جداً.

والأصلُ الثاني: توحيدُ الأُلُوهِيَّةِ، وهـٰذا التوحيدُ هو الذي وقعَ فيه النِّزاعُ بين الرُّسُلِ وبين مَنْ أُرْسِلُوا إليهم في قديمِ الدَّهرِ وحَدِيثِه، وهو أساسُ الأمرِ ورأسُهُ ودعوةُ الرُّسُلِ مِن أوَّلِهم إلىٰ آخرِهم محمدٍ ﷺ، وهو معنىٰ لاإلـٰه إلاَّ اللهُ، وهو الذي خُلقَ مِن أجْلِهِ جميعُ البَشَرِ والجَنةُ والنارُ، وأرسلَ لأجلِ معرِفَتِهِ، والعملِ به جميعُ الرُّسلِ، وهو توحيدُ اللهِ بأفعالِ العِبادِ، كالدُّعاءِ، والنَّذْرِ، والنَّحرِ، والرَّجاءِ،

والخَوفِ، والاستعانَةِ، والاستِغاثةِ، والتَّوَكُّلِ، والرَّغبةِ، والرَّهبةِ، والإنابةِ، وغيرِ ذٰلك. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وقال: ﴿۞وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٢٦] والآياتُ في هٰذا المعنىٰ كثيرةٌ، ولا خِلافَ أنَّ التَّوحيدَ لابُدَّ أنْ يكونَ بالقلبِ واللِّسانِ، والعملِ، فإنِ اختلَّ شيءٌ مِن هٰذا لم يَكنْ الرَّجلُ مُسلماً، وكذٰلك لابُدَّ مِن أَن يَكونَ التَّوحيدُ بالنَّفْيِ والإثباتِ، وإلاَّ فليسَ تَوْحيداً مُجدِياً. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] فدلَّت هٰذه الآيةُ علىٰ أنَّه لابُدَّ في الإسلامِ مِن النَّفيِ والإثباتِ، فَيُثبتُ العبادَةَ للهِ وحدَه، وينفِي عبادَةَ ما سِواه، وهٰذا هو التَّوحيدُ الذي تضمَّنتْهُ سورةُ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ وهو معنىٰ قولِهِ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ويدخلُ في الكُفرِ بالطَّاغُوتِ بُغْضُهُ وكَرَاهتُهُ وتكفيرُ أهلِهِ، وعدمُ الرِّضا بعبادتِهِ بِوَجْهٍ مِن الوُجُوهِ. فقد أجمعَ علماءُ الإسلامِ علىٰ أنَّ مَن شكَّ في

كُفرِ مَن كفرَ بالإسلامِ بعدما يتبيَّنُ له الدلَّيلُ، فهو كافرٌ. وقِوامُ التَّوحيدِ علىٰ شَيئين عَظِيمَين، هُما تَجريدُ الإخلاصِ للهِ وحدَه، وتجريدُ المُتابَعةِ للرسولِ ﷺ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]. وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وقال: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]. وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١] إلىٰ غيرِ ذٰلك مِن الآياتِ الدَّالَّةِ علىٰ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ وتَفرُّدِهِ بالعبادَةِ، والدِّينِ الخالصِ، وأنَّ ذٰلك لا يُقبل إلاَّ إذا كان علىٰ شريعَةِ رسولِ الإسلامِ، محمدٍ ﷺ.

وأمَّا الأصلُ الثالثُ: توحيدُ الذَّاتِ والأسماءِ والصِّفاتِ: وهو الإقرارُ بأنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّه الحيُّ القيُّومُ الذي لا تأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، السَّميعُ البصيرُ، القَويُّ العَزيزُ، اللَّطيفُ الخَبيرُ، مالِكُ المُلْكِ، ذُو الجلالِ والإكرام ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١]. وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] إلىٰ آخرِ ما جاءَ في القُرآنِ مِن

أسماءِ اللهِ الحُسنىٰ وصفاتِهِ العُليا. وفي الصحيحِ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ للهِ تسعةً وتسعينَ اسماً» وهٰذا التَّوحيدُ ـ أيضاً ـ لا يكفِي في حُصُولِ الإِسلامِ، بل لابُدَّ مع ذٰلك مِن الإتْيانِ بِلازمِهِ مِن تَوحيدِ للرُّبُوبيَّةِ والأُلُوهِيَّةِ.

هٰذه هي الأصولُ الثلاثةُ الجامِعةُ لأنواعِ التَّوحيدِ، والنَّافيةُ لأنواعِ الشِّرْكِ والتَّنْدِيدِ، قولاً وعملاً واعتقاداً، قد أفْصَحَ اللهُ عنها جدَّ الإفصاحِ، وعرَّفها كلَّ التَّعريفِ في القرآنِ الكريمِ وعلىٰ لِسانِ رسولِهِ الأمينِ، ليُعْرَفَ ويُعبدَ ويُوَحَّدَ ويُذكرَ بأسمائِهِ وصِفاتِهِ، ويَكونَ الدِّينُ كلُّهُ للهِ، والطَّاعَةُ كلُّها له، والعملُ كلُّه مِن أجلِه، والدَّعوةُ له، والخَوفُ منه، والتَّوكُّلُ عليه، أمَّا ما يُضادُّ التَّوحيدَ، فسيأتي إن شاء اللهُ تعالىٰ.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وأطيعُوهُ، وأنِيبوُا إليه وأسْلِمُوا له، واعلَمُوا أنَّ وراءَكُم جَنَّةً ونَاراً، وأنَّ أفضلَ أعمالِ أهلِ الجَنَّةِ توحيدُ اللهِ، فمَنْ أتىٰ به يومَ القيامةِ كاملاً فهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ برحْمَةِ اللهِ، وأنَّ أشْنعَ أعمالِ أهلِ النَّارِ الشِّركُ باللهِ، فمَنْ ماتَ علىٰ الشِّركِ فلو أتىٰ يومَ القيامةِ بأعمالٍ كثيرةٍ، مِن صلاةٍ وصِيامٍ وحَجٍّ وصَدَقَةٍ وإحسانٍ، فهو مِن أهلِ النَّارِ. قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لا يُشركُ به شيئاً، دخلَ الجَنَّةَ، ومَن لَقِيَ اللهَ يُشركُ به شيئاً، دخلَ النَّارَ**» [رواه مسلم] وذٰلك لأنَّ الشِّرك مُحْبطٌ للأعمالِ، مُفسدٌ للأحوالِ، وأهلُهُ أَسْفَهُ

وأَشَرُّ وأَضلُّ مَن علىٰ وجهِ الأرضِ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ لنبيِّه ﷺ وللنَّبيِّين كَافَّةً: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥ـ٦٦]. فرَحِمَ اللهُ امْرَءاً نَصح نَفسَهُ وحقَّقَ توحيدَ ربِّه بالقلبِ واللِّسانِ والعملِ قبلَ أنْ يَعَضَّ الظَّالمُ علىٰ يَدَيْهِ ويقولُ يا لَيْتَنِي اتَّخذْتُ مع الرسولِ سبيلاً.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ، نَحمدُه، ونَسْتعِينُه، ونَسْتَغْفِرُه، ونتوبُ إليه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هاديَ له.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلى اللهوسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: إنَّ ممَّا يُضادُّ التوحيدَ مِن الشِّركِ بالنِّسبَةِ لأنواعِ التوحيدِ ثلاثةَ أقسامٍ:

القِسمُ الأولُ: الشِّركُ في الرُّبوبيَّةِ، وهو نَوعانِ: أحدُهُما شِركُ التَّعطيلِ، وهو أقبحُ أنواعِ الشِّركِ، كَشِركِ فِرعونَ إذْ قالَ لقومِه: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾، وشِركُ الفلاسِفةِ الذين يُنكِرُون وُجودَ الخالِقِ ـ عزَّ وجلَّ ـ ويُسنِدُون الحَوادِثَ بأسرِهَا إلىٰ أسبابٍ يُسمُّونها بأسماءٍ مختلفةٍ، ومنهم الشُّيوعيَّةُ اليوم والملاحِدَةُ، كالمَجُوسِ والقَدريَّةِ

أشباهِهِم، ومُشرِكي الصَّابِئَةِ وعُبَّادِ الشمسِ والنارِ، وشِركُ المُعطِّلَةِ لأسماءِ الرَّبِّ وأوصافِه، مِن غُلاةِ الجَهْمِيَّةِ والقَرامِطَةِ وغيرِهم وغيرِهم. النوعُ الثَّاني: شِركُ مَن جَعلَ مع اللهِ إلـٰهاً آخرَ كَشِركِ اليَهُودِ الذين يَقولُون: عُزَيْرُ ابنُ اللهِ، وشِركُ النَّصارىٰ الذين يقولُون: اللهُ ثالِثُ ثلاثَةٍ، فجعلوا المسيحَ إلـٰهاً، وأمَّهُ إلـٰها، وما مِن إلـٰه إلاَّ إلهٌ واحدٌ، سُبحانه وتعالىٰ عمَّا يقولُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ الظَّالِمون عُلُوًّا كبيراً، ويَلتحِقُ بهـٰذا الشِّركُ الشَّنيعُ مِن وجهِ شِركِ غُلاةِ عُبَّادِ القُبُورِ الذين يَزعُمُون أنَّ أرواحَ الأولياءِ تَتَصرَّفُ بعد الموتِ فيَقْضُون الحاجاتِ ويُفَرِّجُون الكُرُباتِ ويَنصُرُون مَن دَعاهُم ويَحفظُون مَن الْتجأَ إليهم، وقد كذَبُوا واللهِ؛ فلا ناصِرَ ولا حافِظَ ولا ضارَّ ولا نافعَ إلاَّ اللهُ؛ فلا رافِعَ ولا خافِضَ ولا مُعْطِيَ ولا مانِعَ إلاَّ هو. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢]، وقال: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: ١٤]. وقد لعنَ رسولُ اللهِ ﷺ مَن اتَّخذَ قُبُورَ الأنبياءِ والصَّالِحِينَ مساجدَ يُصَلَّىٰ للهِ فيها، فكيفَ بِمَن اتَّخذَ القُبُورَ أوْثَاناً يَعبُدُها مِن دُونِ اللهِ. ففي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارىٰ اتَّخذُوا**

قُبُور أنبياءهم مَسَاجِد»، وفي الصَّحِيْحِ عَنْهُ: «إنَّ مِن شِرارِ النَّاسِ مَن تُدرِكُهم الساعَةُ وهُم أحياءٌ، والذين يَتَّخِذُون القُبُورَ مساجِدَ» وفي الصحيح ـ أيضاً ـ عنه ﷺ: «إنَّ مَن كان قَبْلَكُمْ كانُوا يتَّخِذُون القُبُورَ مساجدَ، ألا فلا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مساجدَ؛ فإنِّي أنهاكُم عن ذٰلك».

عباد الله: إن الله وملائكته يصلون على النبي... إلخ.

في الشركيات

الحمدُ للهِ، نَحمدُه، ونَستعِينُه، ونَستَغْفِرُه، ونتوبُ إليه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ. مَن يُطِعِ اللهَ ورسُولَهُ، فقدْ رَشَدَ، ومَن يَعْصِ اللهَ ورسولَه، فقد غَوَىٰ ولن يَضُرَّ إلاَّ نفسَهُ، ولنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: فقدْ قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾. فأخبرَ ـ سبحانه ـ أنَّه أكْمَلَ الدِّينَ وأتَمَّهُ علىٰ لسانِ رسولِهِ ﷺ وأمرَنَا بِلُزُومِ ما أُنزِلَ إلينا مِن ربِّنا، وتَرْكِ البِدَعِ والتَّفرُّقِ والاختلافِ، فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا

تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾. والرسُولُ ﷺ قدْ أخْبَرَ بأنَّ أُمَّتَهُ تَأخذُ مَأخَذَ القُرُون قَبْلَها شبراً بشبْر وذراعاً بذراعٍ، وثبتَ في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ أنَّه قال: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبْلَكُم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ، حتَّىٰ لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ**» قالوا: يا رسولَ اللهِ: اليهودُ والنَّصارىٰ؟ قال: «**فمن**». وأخبرَ في الحديثِ الآخرِ أنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ علىٰ ثلاثٍ وسبعِين فِرْقَةٍ، كلُّها في النارِ إلاَّ واحدةً. قالوا: مَن هي يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**مَن كان علىٰ مِثلِ ما أنا عليه اليومَ وأصحابِي**».

عباد الله: إذا عَرَفْتُم هٰذا فغيرُ خافٍ عليكم ما عَمَّتْ به البلوىٰ مِن حوادِثِ الأُمُورِ في غيرِ هٰذه البلادِ ـ والحمدُ للهِ ـ، التي أعْظَمُها الإِشراكُ باللهِ، والتَّوجُّهُ إلىٰ الموتَىٰ، وسؤالُهم النَّصْرَ علىٰ الأعداءِ، وقضاءَ الحاجاتِ، وتفريجَ الكُرُباتِ التي لا يقدِرُ عليها إلاَّ ربُّ الأرضِ والسمٰوات، وكذٰلك التَّقرُّبُ إليهم بالنُّذُورِ، وذَبحُ القُرْبانِ، والاستغاثةُ بهم في كَشفِ الشَّدائدِ وجَلْبِ الفوائِدِ، إلىٰ غيرِ ذٰلك مِن أنواعِ العِبادَةِ التي لا تَصْلُحُ إلاَّ للهِ، واعلموا ـ رحمكم اللهُ ـ أنَّ صَرْفَ شيءٍ مِن أنواعِ العِبادَةِ لِغيرِ اللهِ كَصَرْفِ جميعِها؛ لأنَّه ـ سبحانهُ ـ أغنىٰ الشُّركاءِ عَن الشِّركِ، ولا يقبلُ مِن العملِ إلاَّ ما كان خَالِصاً كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ

﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾، فأخبرَ ـ سبحانهُ ـ أنَّه لا يرضىٰ من الدِّين إلاَّ ما كانَ خالصاً لوجْهه، وأخبرَ أنَّ المُشركين يَدْعُونَ الملائكةَ والأنبياءَ والصَّالحين لِيُقَرِّبُوهم إلىٰ الله زُلْفَىٰ ويَشْفَعُوا لهم عَنده، وأخبرَ ـ سبحَانه ـ أنَّه لا يَهدي مَن هو كاذبٌ كَفَّارٌ، فكذَّبهم في هٰذه الدعوىٰ وكفَّرَهُم، فقالَ ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾. وقال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ فأخبرَ أنَّ مَن جعَلَ بينَهُ وبين الله وسائطَ يَسألُهُمُ الشَّفاعةَ فقد عبدَهم وأشْرَكَ بهم؛ وذٰلك أنَّ الشَّفاعةَ كلَّها لله، كما قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ﴾، فلا يشفعُ عنده أحدٌ إلاَّ بإذْنه، كما قالَ ـ تعالىٰ ـ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ وقال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ وَهُوَ سُبْحَانه لا يَرْضَىٰ إلاَّ التَّوحيد، كَمَا قَالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وقال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ﴾ فالشَّفاعةُ حقٌّ، ولا تُطلبُ في دارِ

الدنيا إلاَّ مِن اللهِ ـ تعالىٰ ـ كما قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن: ١٨]. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس: ١٠٦] فإذا كانَ الرسولُ ﷺ وهو سيِّدُ الشُّفعاءِ يومَ القيامَةِ، وصاحِبُ المَقَامِ المَحمُودِ، وآدمُ فَمَنْ دُونَهُ تحتَ لِوائِهِ: لا يَشْفعُ إلاَّ بإذْنِ اللهِ.. لا يشفعُ ابتِدَاءً، بلْ يأتي فَيَخِرُّ ساجِداً، فيحمَدُهُ بِمَحَامِدَ يُعلِّمُهُ إيَّاها، ثم يقالُ ارْفَعْ رأسَكْ، وقُلْ يُسمع، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، ثم يُحَدُّ له حَدٌّ فيدخُلُهم الجَنَّةَ. فكيف بغيرِه مِن الأنبياءِ؟!، بل فكيفَ بغيرِه مِن الأولياءِ والصَّالِحين؟!وأمَّا مايُفعلُ ـ أيضاً ـ في تلكَ البُلْدانِ عندَ القُبُورِ مِن سُؤالِ الأنبياءِ والأولياءِوالصَّالِحين الشَّفاعَةَ بعد موتِهم، وتَعظِيمِ قُبُورِهم بِبِناءِ القِبابِ عليها والسُّرُجِ والصَّلاةِ عندها واتِّخاذِها أعياداً، وجَعْلِ السَّدَنَةِ، والنَّذْرِ لها، فكلُّ ذٰلك مِن حوادِثِ الأمُورِ التي أخبرَ بوُقُوعِها النَّبيُّ ﷺ لِنَحْذَرَهَا، وحذَّرَ منها، كما في الحديثِ عنه ﷺ أنَّه قال: «**لا تقومُ الساعَةُ حتَّىٰ يَلْحقَ حيٌّ مِن أمَّتِي بالمُشرِكين، وحتَّىٰ تَعبُدَ فِئَامٌ مِن أمَّتِي الأوثانَ**»وهو ﷺ حَمَىٰ جَنابَ التوحيدِ أعظمَ حِمايةٍ، وسَدَّ كلَّ طريقٍ يُوصِلُ إلىٰ الشِّركِ، فنهَىٰ أنْ يُجَصَّصَ القَبرُ، وأنْ يُبنىٰ عليه، كماثبتَ في صحيحِ مسلمٍ، مِن حديثِ جابرٍ، وثبتَ عنه النَّهيُ أيضاً عَن الكِتابَةِ عليها، وأنَّه بعثَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ وأمرَهُ أنْ لا يَدَعَ قَبْراً مُشْرِفاً إلاَّ سوَّاهُ، ولا تمثالاً إلاَّ طَمَسَهُ.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ . . وأطِيعُوهُ في كُلِّ ما تأتُون وتَذَرُون، وكُونُوا مِن الذين يستَمِعُون القَوْلَ فيتَّبِعُون أحْسَنَهُ. واعلموا ـ رحمكم اللهُ ـ أنَّ المُعوَّلَ علىٰ الإخلاصِ، لا علىٰ كَثْرَةِ العملِ، قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [تبارك: ١] فأخْلِصُوا أعمالَكُم للهِ قولاً وفِعلاً وعَقِيدَةً. وأخْلِصُوا له الدُّعاءَ والخَوْفَ والرَّجاءَ، وأنِيبُوا إليه وتوكَّلُوا عليه في كُلِّ أُمُورِكم واستَعِينُوا به واستَعِيذُوا؛ فهو المُعِينُ والمُعِيذُ.، وهو الحَفِيظُ المَجِيدُ، وهو الوَلِيُّ الحميدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ، نَحمدُه، ونَسْتعِينُه، ونَسْتَغْفِرُه، ونتوبُ إليه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلى اللهوسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: أخْلِصُوا العِبادَةَ للهِ، وحَقِّقُوا توحيدَ اللهِ الذي دَعَتْ إليه رُسُلُ اللهِ، يُحَقِّقْ لكم ما وَعَدَكُمْ به مِن وَعْدِهِ الذي قَطَعَهُ علىٰ نفسِهِ تَفَضُّلاً مِنْه وإحْساناً. صحَّ عَن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال: «**حقُّ اللهِ علىٰ العبادِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشرِكُوا به شيئاً، وحَقُّ العِبادِ علىٰ اللهِ أنْ لا**

يُعذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئاً» إنَّ المُؤسِفَ المُؤلِمَ جِدًّا أنَّ غالِبَ الذين يُعظِّمُون المَقبُورِين مِن أولياءَ وصالِحِينَ يُصلُّونَ عند هٰذه القُبُورِ، ويقرَأُون في صلاتِهِم ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ ولٰكنَّهم ـ مع الأسَفِ ـ لم يَعْمَلُوا بِما يَقرَأُون؛ لأنَّهم لم يَفْهَمُوا ما يَتْلُون مِن كلام رَبِّ العالمين، ونُشِيرُ إلىٰ شيءٍ مِن معنىٰ هٰذين الآيتين لعلَّ اللهَ أَنْ ينفعَنا بذٰلك. قولُهُ ـ تعالىٰ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أشارَ في هٰذه الآيةِ الكريمَةِ إلىٰ تَحقِيقِ معنىٰ لا إلٰه إلاَّ اللهُ؛ لأنَّ معناها مُرَكَّبٌ مِن أمرَين: نفيٌ وإثباتٌ. فالنَّفيُ: خَلْعُ جميعِ المَعبُودَاتِ غير اللهِ ـ تعالىٰ ـ، في جميعِ أنواعِ العِباداتِ. والإثباتُ: إفرادُ ربِّ السَّمٰواتِ والأرضِ وحدَه بجميعِ أنواعِ العِباداتِ علىٰ الوجْهِ المَشْرُوعِ. وقولُهُ: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ أي لا نطلبُ العَوْنَ إلاَّ منك وحدَك؛ لأنَّ الأمرَ كلَّهُ بِيَدِكَ وحدَك لا يملِكُ أحدٌ منه معك مِثْقالَ ذَرَّةٍ. وإتيانُه بقَوْلِهِ ـ سبحانه ـ ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ بعد قولِهِ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ فيه إشارةٌ إلىٰ أنَّه لا ينبغي أَنْ يَتوَكَّلَ إلاَّ علىٰ مَنْ يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ؛ لأنَّ غيرَهُ ليس بيَدِهِ الأمرُ، وهٰذا المعنىٰ المُشارُ إليه هُنا جاءَ واضحاً في آياتٍ أُخَرَ. كَقَوْلِهِ: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ الآية. وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ ﴾.

عباد الله: إن الله وملائكته يصلون على النبي. . . إلخ.

في معنى بعض من صفات الله تعالى

الحمدُ للهِ الذي لَمْ يَتَّخِذْ ولداً، ولَمْ يَكُنْ له شريكٌ في المُلْكِ، ولَمَ يَكُنْ له وليٌّ مِنَ الذُّلِّ وما كانَ معه مِنْ إلهٍ. الذي لا إله إلاَّ هو ولا خالقَ غيره ولا ربَّ سواه، المُسَتَحِقُّ لِجميع أنواع العبادةِ، ولِذا قضىٰ أن لا نَعبدَ إلاَّ إيَّاهُ. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾.

أَحمدُه ـ سبحانه ـ وأَشكرُه وأَشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

أمَّا بعدُ :

أيها المسلمون: إنَّ نِعَمَ اللهِ قد شَمِلَتِ البادين منكم والحُضَّارِ، وإنَّ نِعَمَ اللهِ لا تُحْصَىٰ بِعَدٍ، ولا تُعَدُّ بِمقدارٍ، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤]. فَكَمْ أَسدَىٰ معروفاً، وكَمْ أعانَ مَلهُوفاً، وكَمْ ساقَ إنْعاماً وإفْضالاً، وكَمْ وآلَىٰ لِخَلْقِه مِن عطائِهِ وكرمِهِ تَوَالاً، فاشْكُرُوا آلاءَ اللهِ ـ تعالىٰ ـ.

عباد الله: ومِمَّا يُعِينُ علىٰ شُكرِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ وحمدِه معرفةُ معنىٰ ما له مِن الأسماءِ والصِّفاتِ؛ فإنَّ معرفَةَ ذلك زِيادةٌ في الإِيمانِ، وبصيرةٌ في الدِّينِ «**وللهِ ـ تعالىٰ ـ تسعةٌ وتسعون اسماً مَنْ أَحْصاهَا**

دخلَ الجنَّةَ» ألا وإنَّ إحْصاءهَا أَنْ يَعرفَ العبدُ لَفْظَها ومعناها، ويَتَعَبَّدَ اللهَ ـ تعالىٰ ـ بِما دَلَّتْ عليه وما تَقتضِيهُ. فَمِنْ أسمائِه ـ تعالىٰ ـ: (الرَّحمٰن الرَّحيم) فكُلُّ ما نحن فيه من نعمةٍ فهي مِن آثارِ رحمتِه ـ تعالىٰ ـ: مَعَاشُنا مِن آثارِ رحمتِه، وصِحَّتُنا مِن رحمتِه ـ تعالىٰ ـ وأمْوالُنا وأولادُنا مِن رحمتِه ـ تعالىٰ ـ. اللَّيلُ والنَّهارُ والمطرُ والنَّباتُ مِن رحمتِه ـ تعالىٰ ـ، الأمنُ والاطمئنانُ مِن رحمتِه ـ تعالىٰ ـ، إرسالُ الرُّسُلِ وإنْزالُ الكُتُبِ مِن رحمتِه ـ تعالىٰ ـ. قال اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: ٧١ـ٧٣] ومن أسمائِه ـ تعالىٰ ـ: (العليم) الذي أحاطَ علمُه بجميعِ المَعلُوماتِ مِن ماضٍ وآتٍ، وظاهرٍ وكامنٍ، ومُتَحَرِّكٍ وساكِنٍ، وجليلٍ وحقيرٍ، عَلِمَ بسابقِ عِلْمِه عَدَدَ أنفاسِ خَلْقِه وحَرَكَاتِهم وسَكَنَاتِهم وأَعْمَالِهم وأَرْزاقِهم وآجالِهم، ومَن هو مِنهم مِن أهلِ الجَنَّةِ، ومَن هو منهم مِن أهلِ النَّارِ في العَذَابِ المُهينِ ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] ما مِن جبلٍ إلاَّ ويَعلمُ ما

في وَعْرِه، ولا بحرٍ إلاَّ ويَدْرِي ويعلمُ ما في قَعْرِه ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [فاطر: ١١]. ومن أسمائِه ـ تعالىٰ ـ: **(السميع البصير)** يَسْمعُ كُلَّ شيءٍ، ويَرَىٰ كُلَّ شيءٍ. لا يَخفَىٰ عليه دَبيبُ النَّملةِ السَّوداءِ علىٰ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ في اللَّيلَةِ الظَّلْماءِ، يَخْلُقُكُمْ في بُطُونِ أُمَّهاتِكم خَلْقاً مِن بعدِ خَلْقٍ في ظُلُماتٍ ثلاثٍ، إنْ جَهَرْتَ بِقولِك سَمِعَه، وإنْ أسرَرتَ بِه لصاحِبك سَمِعَه، وإنْ أخفيْتَه في نفسِك، سَمِعَه، وأَبْلَغُ مِن ذٰلك أنَّه يَعلمُ ما تُوَسْوِسُ به نفسُك، وإنْ لمْ تَنطقْ به، وإنْ فعلتَ فِعلاً ظاهراً، رآكَ، وإنْ فعلْتَ فِعلاً باطِناً ـ ولو في جَوْفِ بيتٍ مُظْلمٍ ـ، رآكَ، وإنْ تحرَّكْتَ بجميعِ بَدَنِك، رآكَ، وإنْ حرَّكتَ عُضْواً من أعضائِك، رآكَ، وأبلغُ مِن ذٰلك أنَّه يَعلمُ خائِنَةَ الأعْيُنِ وما تُخفِي الصُّدورُ ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٨]. عن أبي موسىٰ قالَ: كُنَّا مع النَّبيِّ ﷺ في سفرٍ. فكُنَّا إذا عَلَوْنا كَبَّرْنا، فقالَ النبي ﷺ: «**أيها الناس أَرْبعُوا علىٰ أنفسِكم؛ فإنَّكم لا تَدْعُون أَصَمَّ ولا غائِباً، ولٰكِن تَدْعُون سميعاً بصيراً**» ثمَّ أتىٰ عليَّ وأنَا أقولُ في نفسي: لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله، فقال: «**يا عبدَالله ابنَ قيسٍ: قُلْ: لاحولَ ولاقُوَّةَ إلاَّ بالله؛ فإنَّها كَنْزٌ مِن كُنُوزِ الجَنَّةِ**» أو قَالَ: «**ألاَ أَدُلُّكَ على كلمة هي كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة**

إلَّا بالله» [رواه البخاري]. وقالتْ عائشةُ: الحمدُ للهِ الذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأصواتَ، لقدْ جاءتْ خَوْلَةُ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ تَشْكُو زَوجَها، فكانَ يَخْفىٰ عليَّ كلامُهما، فأنزلَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١] الآية. . . [رواه النسائيُّ].

اللهُمَّ أَعِنَّا علىٰ ذِكْرِك وشُكْرِك وحُسْنِ عبادتِك. أقولُ قَوْلي هٰذا. . . . إلخ.

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ الذي جعلَ في اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ تَبْصِرَةً لأُولِي الألبابِ وذِكْراً، وجعلَ هٰذه الدَّارَ مَجَازاً تُفْضِي بِمَنْ عليها إلىٰ الدَّار الأُخْرَىٰ، ويَسَّرَ مَنْ شاءَ مِن عبادِه لليُسرَىٰ وجَنَّبَه العُسْرَىٰ. أَحْمدُه علىٰ سَوابِغِ آلائِه التي لاأطيقُ لها عَدًّا. وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ واحداً أحداً وِتْراً. شهادةً تكونُ لِقائِلِها في المَعَادِ ذُخْراً. وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صَلَّىٰ اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: أُوصِيكُم بِتقوىٰ اللهِ؛ فَنِعْمَتِ الوَصِيَّةُ لِمَنْ حافظَ عليها، والموعظةُ البليغةُ لِمَنْ التفتَ بقلبِه إليها. فاتَّقُوااللهَ؛ فَمنْ اتَّقىٰ اللهَ فازَ بالكرامةِ حقًّا، وارغبُوا فيما عِندَه؛ فما عند اللهِ خيرٌ وأبقىٰ، وقُوا

أنفسَكم وأهليكم ناراً لا يَصْلاها إلاَّ الأشقىٰ، وتَقَرَّبُوا إليه؛ فإنَّه بكم رحيمٌ وَدُودٌ، وتزَوَّدُوا؛ فبين أَيْدِيكُم سفرٌ بعيدٌ، وعَقَبَةٌ كَؤُودٌ، وراقِبُوه؛ فإنَّه شهيدٌ عليكم في الإعلانِ والإسرارِ ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائكتَه يصلون على النبي. . . . إلخ.

في التشاؤم

الحمدُ للهِ نَحمدُه ونستعِينُه ونَستَغفِرُه ونَتوبُ إليه، ونَعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. من يَهْدِهِ اللهُ، فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ، فلا هاديَ له.

وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلى الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ـ.

أمَّا بعدُ:

فيا عباد الله: اتَّقُوا اللهَ حقَّ التَّقْوىٰ، ورَاقِبُوه في الجَهْرِ والنَّجوىٰ، واعلموا أنَّ اللهَ ـ سبحانه ـ عالمٌ بما يَجْري في هٰذا الكَوْنِ ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١] قدَّر الأشياءَ في الأَزَلِ، فلا يقعُ شيءٌ إلاَّ بتقديرِه وعِلْمِه؛ ما شاءَ، كانَ، وما لم يشأ، لمْ يَكُنْ. يقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]. ورَوىٰ التِّرمذيُّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**إنَّ أوَّلَ ما خلقَ اللهُ القلمُ، قالَ: اكْتُبْ. فجرىٰ في تلك السَّاعةِ بِمَا هو كائنٌ إلىٰ يوم القِيامةِ**».

عباد الله: إنَّ كثيراً من النَّاسِ ممَّن ضَعُفَتْ نُفوسُهم ونَقَصَ إيمانُهم يَتَشَاءمُونَ من بعضِ الشُّهورِ وبعضِ الأيَّامِ أو بعضِ الأَمْكِنَةِ أو الأشخاصِ أو بعضِ العاهاتِ والصِّفاتِ، ويَتطيَّرُون منها، وهٰذا عملٌ من أعمالِ

الجاهلِيَّة، مُخالِفٌ لِهَدْيِ خيرِ البريَّةِ، نَهىٰ رسولُ اللهِ ﷺ عنه. وأَمَرَ بالاتّكالِ علىٰ اللهِ ـ تعالىٰ ـ وحدَه، وعدمِ الالتِفاتِ إلىٰ غيرِه بخوفٍ أو رجاءٍ أو رَغبةٍ أو رَهبةٍ. وقديماً كانَ هٰذا التَّشاؤُمُ دَأْبَ الجاهليِّين وأعداءِ المُرسَلين، كما أخبرَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ عن قوم فِرعونَ في القرآنِ الكريمِ بقولِه: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ١٣١] والمَعنىٰ أنَّ آل فرعونَ إذا أصابَتْهُمُ الحسنةُ أَيِ الخِصْبُ والسَّعَةُ في الرِّزْقِ، والعافيةُ في الأبدانِ، قالوا: لنا هٰذه: أي نحنُ الجَدِيرُون والحَقِيقُون بذٰلك ونحنُ أهلُه. وإنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ: أي بلاءٌ وضِيقٌ وقَحْطٌ، يَطَّيْرُوا بموسىٰ ومَنْ معه فيقولون: هٰذا بسببِ موسىٰ وقومِه، أصابَنَا شُؤْمُهُمْ، كما يقولُه المُتَشائِمُ والمُتَطَيِّرُ لِمَنْ يَتَطَيَّرُ منه. ولٰكنَّ اللهَ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ردَّ عليهم هٰذا القَوْلَ وأَخْبَرَهم بحقيقةِ الحالِ فقالَ ـ سبحانه ـ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] أَيْ أنَّ الذي حصلَ عليهم إنَّما هو مِنْ عندِ اللهِ؛ بسببِ كُفْرِهم وتكذيبِهم للمُرسَلين، ولٰكنَّ أكثرَهم لا يعلمون، فهم جُهَّالٌ لا يعلمون ولا يَدْرُون، ولو فَهِموا وعَقَلوا عن اللهِ أمْرَه لَعَلِموا أنَّه ليس فيما جاءَ به موسىٰ إلاَّ الخيرُ والبركةُ والسَّعادةُ في الدُّنيا والآخرةِ.

أيها المسلمون: إنَّ الذين يتشاءمُون ويتطيَّرون بشيءٍ من هٰذه الأُمُورِ إنَّما يَدُلُّ ذٰلك علىٰ جهلِهم وقِلَّةِ عِلمِهم وفِقْهِهم في الدِّينِ، وقد شابهوا في

هٰذه الصِّفَةِ المَذْمُومةِ أولٰئكَ الذين ردَّ اللهُ عليهم ونفىٰ عنهم العلمَ. ولِهذا حذَّرنا ﷺ من الطِّيَرَةِ أشدَّ تحذيرٍ، وسمَّاها شِركاً كما في الحديثِ الذي رواهُ أبوداود وابنُ حِبَّان وابنُ ماجه والتِّرمذيُّ وصحَّحه عن عبدِالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**» وروىٰ الإمامُ أحمدُ في المُسندِ والطَّبرانيُّ عن عبدِالله بنِ عمرو ـ رضي الله عنهما ـ عن النَّبيِّ ﷺ: «**مَن ردَّته الطِّيَرَةُ عن حاجتِه، فقدْ أشركَ**» قالوا: فما كفَّارةُ ذٰلك؟. قال: «**أن تقولَ: اللهُمَّ لا خيرَ إلَّا خيرُك، ولا طَيْرَ إلَّا طَيْرُك، ولا إلٰه غيرُك**».

أيها المسلمون: إنَّ بعضاً من النَّاسِ يتشاءمون بهٰذا الشَّهر شهرِ صَفَر، وإنَّ هٰذا التَّشاؤُمَ يُعتبرُ من أعمالِ الجاهليَّةِ، فلا يليقُ بمسلمٍ أن يَتَّصِفَ بشيءٍ من صِفاتِهم المُخالِفةِ لِهَدْيِ الرَّسولِ ﷺ، وهذا الشَّهرُ هو كَغَيْرِهِ من الشُّهورِ، لا مَزِيَّةَ فيه مِن خيرٍ أو شرٍّ، وقد أبطلَ ﷺ عقيدةَ الجاهليَّةِ فيه، وحذَّر من ذٰلك، فقدْ روىٰ البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هُريرة ـ رضي اللهُ عنه ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**لا عَدْوَىٰ، ولا طِيَرَةَ، ولا هَامَةَ، ولا صفر**» ورُوِيَ عن بعضِ السَّلفِ أنَّ أهلَ الجاهليَّةِ كانوا يتشاءمُون بشهرِ صَفر، ويقولون إنَّه شهرٌ مَشْؤومٌ. فأبطلَ النبيُّ ﷺ ذٰلك ونَفَاهُ، وإنَّ كثيراً من الجُهَّالِ يَتَشاءمُون به، وربَّما أدَّت الحالُ ببعضِهم أن يَترُكَ السَّفَرَ فيه أو التَّزوُّجَ، تشاؤُماً وتَطَيُّراً. ولا شكَّ أنَّ هٰذا من أعمالِ الجاهليَّةِ، ومن الأعمالِ المُخالِفةِ لِهَدْيِ الرَّسولِ الكريمِ، والمُنافِيةِ

لكمالِ التوحيدِ، والقادِحةِ في إيمانِ المسلمِ. فلا يَليقُ بمن يُؤمنُ باللهِ وقضائِهِ وقدرِهِ أن يَلتفِتَ إلىٰ هٰذه الأوهامِ والخُرافاتِ، وكذٰلك التَّشاؤم ببعضِ الأيامِ كيومِ الأربعاءِ ـ مثلاً ـ أو التَّشاؤُم بأصحابِ بعضِ العاهاتِ البدنيَّةِ أو بعضِ الحيواناتِ. فعلىٰ المسلمِ أن يُحقِّقَ إيمانَه بربِّه، بالاعتمادِ عليه والتَّوكُّلِ في جميعِ أحوالِه علىٰ ربِّه الذي بيدِه كلُّ شيءٍ، ويعلمَ عِلمَ اليقينِ أنَّ ما أصابَه لَمْ يَكُنْ لِيُخطئَه، وما أخطأه لمْ يَكنْ لِيُصيبه، كما أمرَ ـ سبحانه ـ بذلك، حيثُ قال اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس: ١٠٧]. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢] أي أن ما يَفتحُه للناسِ من رحمتِه وإنْعامِه عليهم بجميع أنواعِ النِّعمِ لا يَقدرُ أحدٌ ـ كائناً من كانَ ـ أن يُمسِكَه عنهم. وما يُمسكُه عنهم من رحمتِه وإنْعامِه لا يَقدرُ أحدٌ ـ كائناً من كان ـ أن يُرسلَه إليهم. وهذا معلومٌ بالضَّرُورَةِ من الدِّينِ.

اللهمَّ افْتَحْ لِدُعائِنا بابَ القَبُولِ والإجابَةِ. اللهُمَّ طَهِّرْ قلوبَنا من النِّفاقِ، وأعمالَنا من الرِّياءِ، وألسنَتَنا من الكَذِبِ، وأعيُنَنا من الخِيانةِ، إنَّك تعلمُ خائنةَ الأعْيُنِ وما تُخفِي الصُّدور. ربَّنا اجْعَلْنا ممَّن توَكَّلَ عليك، فكَفَيْتَه، واسْتَهْدَاك، فهَدَيْتَه. . . إلخ.

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ الذي أرشدَ العقولَ إلىٰ توحيدِهِ وهَدَاهَا، وأوْضَحَ أدِلَّةَ وَحْدَانِيَّتِهِ وجَلاَّها، وأبْطلَ بِبَرَاهِينِ الحقِّ شُبَه الباطِلِ ومَحَاها، وثَبَّتَ كلمةَ الإيمانِ في قلوبِ ذوي الإيقانِ، بيقينِ الإيمانِ. كما أثبتَ الأرضَ بالجِبالِ وأرْسَاها. وأضلَّ عقولَ الكافرينَ وأعْمىٰ بصائِرَ المنافقين، فأدْبرَتْ عن الإيمانِ فَلَمْ تُجبْهُ إذْ دَعاها، وأضعفَ يقينَ المُدَّعِينَ، وأهْوىٰ نفوسَ العاصِين، فانْقادَتْ لأدْنىٰ شُبْهَةٍ أو شَهْوَةٍ دَعاها إليها هَوَاهَا. أَحمدُه ـ سبحانه ـ وأَشْكُرُه. وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلىٰ آله وصحبِه ـ.

أمَّا بعُد

فيأيها المسلمون: إنَّ الإسلامَ قد ارتفعَ بأهلِه عن أوْهامِ الجاهليَّةِ وأباطِيلِها، وطَهَّرَ نفوسَهم من رِجْسِ الوثِنِيَّةِ وأوَضَارِها، وابتعدَ بهم عن مجالاتِ التَّدَهْوُرِ والإسفافِ في كلِّ صُوَرِه وأشكالِه. وفي طَلِيعةِ ذٰلك مبدأُ الخُرافَةِ والتَّضلِيلِ: ذٰلك لأنَّه طَعْنَةٌ في صَمِيمِ العقيدةِ وانهيارٌ مؤلمٌ يَفِلُّ العزائِمَ ويَثلمُ العِزَّةَ ويَقضِي علىٰ العزماتِ. احتضَنه الجاهُلون حين كانوا يتعلَّقون بالخيالِ ويَستسلِمُون للوَهْمِ، ويَرْكَنُون إلى التَّقليدِ الأعمىٰ دُونَ تَبَصُّرٍ وهِدايةٍ، ومن غيرِ تَعَقُّلٍ ودِرايةٍ. فعابَ اللهُ عليهم ذلك في غير ما آيةٍ من كتابِهِ، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ

أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٠]. وكان فيما اعْتنقُوه كمبدأٍ للخُرافةِ يَحمِلُهم علىٰ التَّحَوُّلِ عن عزيمتِهم: التَّشاؤُمُ بأصواتِ الطُّيورِ، كنَعيقِ الغِربانِ والبُومِ، والتَّشاؤُمِ بالأيَّامِ، كيومِ الأربعاءِ، وبالشُّهورِ، كشهرِ صفر وشوَّال، وبالدُّهورِ، وبغيرِ ذٰلك ممَّا سوَّلتْ لهم بِهِ أنفسُهم، واتَّبعُوا فيه أهواءَهُم. فجاءَ الإسلامُ بإبطالِ ذٰلك كُلِّه، وهَدْمِ مبدئِه من أساسِه. جاءَ بتحريرِ العقولِ من التَّقليدِ الأعمىٰ، وتوجيهِها إلىٰ اللهِ، وبتفويضِ الأُمُورِ كلِّها خيرِها وشرِّها للهِ ربِّ الأربابِ خالقِ العِبادِ؛ فَكُلُّ العبادِ تحتَ تَصَرُّفِهِ وقَهْرِهِ، وكُلُّ المخلوقاتِ مُسَخَّرةٌ بأمرِه. هو النَّافعُ الضَّارُّ، كاشفُ الكُرُباتِ، مُزيلُ الشَّدائِدِ، المُتَحَبِّبُ إلىٰ عبادِه بالنِّعمِ، والمُمَحِّصُ لِذُنُوبِهم بالبلاءِ والشِّدَّةِ. قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] والتَّشاؤُمُ لا يغيِّرُ من القَدَرِ المكتوبِ شيئاً. قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة: ٥١] وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس: ١٠٧]. وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ في وَصِيَّتِهِ لابنِ عباسٍ: «**واعلمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعتْ علىٰ أن ينفعوكَ بشيءٍ**،

لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لكَ، ولو اجتمعوا علىٰ أن يَضرُّوك بشيءٍ، لم يَضرُّوك إلَّا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ عليك. رُفِعَتِ الأقلامُ، وجَفَّتِ الصُّحُفُ». فهٰذه الآياتُ مع الحديثِ تقطعُ جُذُورَ الوَهْمِ والتَّشاؤُمِ، وتقضي علىٰ التَّضليلِ والأباطِيلِ، وتُرشِدُ إلىٰ إخلاصِ القصدِ وصحَّةِ الاتِّجاهِ والتَّعلُّقِ بفاطِرِ السَّمٰواتِ والأرضِ؛ لا إلٰه غيرُه ولا ربَّ سواه.. إلخ.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبيّ... إلخ.

في التمائم والحروز

الحمدُ للهِ الذي له مَا في السَّمٰواتِ وما في الأَرْضِ. وله الحمدُ في الآخرةِ. وهو الحَكِيمُ الخَبِيرُ. أحمدُه ـ سبحانه ـ وهو للحمدِ أهلٌ. وأشكرُه وهو على كل شيءٍ قديرٌ. وأشهدُ أنْ لاإلٰه إلاَّ الله وحدَه لا شَرِيكَ له، ولا نِدَّ ولا نَدِيدَ ولا ظَهِيرَ. وأشهدُ أنَّ نبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلم وعلىٰ آله وصحبه ـ.

أمَّا بعدُ :

أيها الناس: يقول الله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس: ١٠٧].

عباد الله: النَّفعُ والضرُّ بيَدِ اللهِ، وليسَ في استطاعةِ أيِّ مَخلُوقٍ أن يمنعَ الضُرَّ إذاأرادَهُ اللهُ له؛ فالأمرُ كلُّهُ للهِ وبيدِهِ، إذاً فلا حاجةَ إلىٰ الالتجاءِ إلىٰ غيرِه في رفعِ ضُرٍّنزلَ أومَنْعِه قبل نُزولِهِ، ولا في إيصالِ الخيرِ أو استمرَارِهِ فالله هو المَدْعوُّ المُستعانُ، المرجُوُّ لكشفِ الشدائِدِ وإزالةِ المَكْروهاتِ

أيها المسلمون: الإنسانُ عُرَضْةٌ للأمراضِ والأسقامِ، وقد أُمرنا بالتَّداوي، والأخذِ بالأسبابِ المشرُوعةِ في إزالةِ المرضِ وتخفِيفِه، ونُهينا عن تعاطي الأسباب التي لم تُشرع، ولم يُؤذنْ لنا بالأخذِ بها، وهِي مع ذٰلك لا تَنفع، بل تضرُّ، فتعليقُ التَّمائِمِ والحُروزِ علىٰ الأولادِ والدَّوابِّ خوفاً

من العين تُصيبهم، أو المرض يَفتك بهم شركٌ باللهِ، واعتماد على غيرِه، والرسولُ ﷺ نَهانا عن ذٰلك كلِّه، وأخبرَ أنه لا يزيد مُتَّخِذَهُ إلاَّ شراً ومرضاً، وإنه اعتمادٌ علىٰ غيرِ الله في دفعِ الضرِّ أو جلبِ الخيرِ.

عباد الله: أيُّ فائدةٍ تحصلُ من خُيوطٍ تُربط، أو خَرَزٍ يُجمعُ، أو حَلْقة تُوضع في اليدِ والرِّجلِ، أو حُجبٍ، أو حروفٍ مقطَّعةٍ، لا خيرَ في ذٰلك ولا نفعَ يُرجىٰ، بل كلُّ ذٰلك شركٌ وضلالٌ وفسادٌ في الفِطَرِ والعُقولِ. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ، لمَّا رأىٰ رجلاً في يدِهِ حلْقةٌ من صُفْرٍ: «**ما هذا؟**» قال: من الوَاهِنةِ ـ مرضٌ معروفٌ عند العربِ ـ. قال ﷺ: «**انزَعْها؛ فإنَّها لا تزيدُكَ إلاَّ وَهَناً فإنَّك لو مُتَّ وهي عليك ما أَفْلحتَ أبداً**» ففي هذا الحديث أخبرَ النبيُّ ﷺ أن وضعَ الحَلْقَةِ والتَّعَلُّقِ عليها، لا ينفعُه، بل يزيدُه مَرضاً وضَعْفاً، وأنَّه لو ماتَ وهي عليه لن يَحْصُلَ له الفَوْزُ والفلاحُ. وصَحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ تَعلَّقَ تَمِيمَةً فلا أتَمَّ اللهُ له، ومَنْ تَعلَّقَ وَدَعَةً فلا ودعَ اللهُ له**» وفي روايةٍ: «**مَنْ تَعلَّق تميمةً فقد أَشْرَكَ**» فالنَّبيُّ ﷺ دعا علىٰ المُعَلِّقِ للتَّمائِمِ والحُرُوزِ المُعْتَمَدِ عليها في جَلْبِ نَفْعٍ، أو دفعِ ضرٍّ، أو أنها سببٌ لذٰلك، دعا عليه بأن لا يَتِمَّ له مقصُودُه، ولاَ يَبْلُغَ أُمْنِيَّتَه، وبأن لا يكونَ في دَعَةٍ وسُكُونٍ وراحةٍ، بل يكون في قلقٍ واضطرابٍ؛ لأنَّه اعتمدَ علىٰ غيرِ اللهِ، وخالفَ أمْرَ الرسولِ ﷺ. جاءَ جماعةٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ لِيُبَايِعُوه علىٰ الإسلام، فبايعَهم إلاَّ واحداً. فقالوا: يارسولَ اللهِ بايعْتَهُمْ إلاَّ هـٰذا؟ فقالَ: «**إنَّ عليه تَميمَةً**» فأدْخَلَ يدَه

فقطَعَهَا. فبايَعَهُ. وقالَ: «مَنْ تَعلَّق تَميمَةً فقدْ أشْرَكَ». ودخلَ حُذَيفةُ ـ رضي الله عنه ـ علىٰ مريضٍ يعودُهُ، فلَمَسَ عَضُدَهُ، فَإذَا فيه خَيْطٌ فقال: ما هـٰذا؟ فقالَ: شيءٌ رُقِيَ لِي فيه. فقطَعَهُ وقالَ: لو متَّ وهو عليك ما صَلَّيْتُ عليك. أنكر ـ رضي الله عنه ـ علىٰ مَنْ رَبَطَ خَيْطاً، مُعْتَقِداً أنَّه سببٌ، لا أنَّه ينفعُ ويَضُرُّ بنفسِهِ، فكيفَ بِمَنْ يَعتمِدُ علىٰ التمائمِ والطَّلاسمِ والحُرُوفِ المُقَطَّعَةِ.

فنحنُ يا عبادَ اللهِ مأمورُون بالاعتمادِ علىٰ اللهِ أولاً وقبلَ كلِّ شيءٍ، ثُم الأخذُ بالأسبابِ المشرُوعةِ، فَكُلُّ عملٍ وكُلُّ سببٍ لَمْ يُؤْذنْ لنا فيه يجبُ علينا تركُه، والابتعادُ عنه، كما يجبُ علينا أَنْ نُرَبِّيَ أولادَنا تربيةً صالحةً، وأَنْ نُبْعِدَهُمْ عن الأوْهامِ والخُرافاتِ والتعلُّقِ علىٰ غيرِ اللهِ، وأَنْ نُحافِظَ علىٰ فِطَرِهِم السَّليمةِ التي فُطِرُوا عليها؛ حتىٰ لا يَعتمِدُوا إلاَّ علىٰ اللهِ، ولا يَلْجَؤُا في الشَّدائدِ والمُلِمَّاتِ إلاَّ إلىٰ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، ولا يكون للدَّجَاجلَةِ والمُشَعْوِذِينَ عليه سبيلٌ، وأَنْ نَقْضِي علىٰ ما يُفسدُ عقائِدَنا وفِطَرَنَا، مِنَ الضَّلالاتِ والأَوْهامِ، وأمَّا التَّمائِمُ التي تُعَلَّقُ إِنْ كانتْ مِنْ غيرِ القُرآنِ أو أسماءِ اللهِ وصِفَاتِهِ، فَهِيَ شركٌ باللهِ، أمَّا إِذَا كانت مِنْ القُرآنِ فَهِيَ ممنوعةٌ ـ أيضاً ـ؛ لأنَّ النَّهيَ مِنَ النَّبيِّ ﷺ عن التَّمائِمِ عَامٌّ، ولا مُخَصِّصَ له، ولأنَّ منعَهَا سَدٌّ لِذَرِيعَةِ الشِّرْكِ وتعليق غيرِ القُرآنِ، ولأنَّ القُرآنَ إذا عُلِّقَ فلابُدَّ أنْ يُمْتَهَنَ عِنْدَ قضاءِ الحاجَةِ والاسْتِنْجاءِ وغيرِ ذلك، ولأنَّ القُرآنَ لم يُنَزَّلْ إلاَّ لِيَكُونَ هُدىً للنَّاسِ

وشِفَاءً لِمَا في الصُّدُورِ، ولم يُنَزَّلْ لِيُتَّخَذَ حُجباً وتَمائِمَ، ولا لِيَتَلاَعَبَ به المُتأكِّلُون به الذين يَشْتَرُون به ثَمَناً قَلِيلاً.

وروىٰ أحمدُ والترمذيُّ عنْ عبدِاللهِ بنِ عكيمٍ مرفوعاً: «**مَنْ تَعَلَّقَ شيئاً وُكِلَ إليه**» فَفِي هـٰذا الحديثِ إخبارٌ مِنَ الرسُولِ ﷺ بأَنَّ مَن ارتبطَ قلبُه باللهِ صَادِقاً، والْتَجأَ إليهِ مُخْلِصاً سَهَّلَ اللهُ له أمْرَهُ وحَفِظَهُ مِمَّا يُكْرَهُ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يحتسبُ، وَمَنْ عَلَّقَ قلبَهُ بِغَيْرِ اللهِ أو طَلَبَ مِنْ مَخْلُوقٍ شَيْئاً دُونَ اللهِ خَذَلَهُ اللهُ جزاءً لعَمَلِهِ، وبهـٰذا المَعنىٰ يقولُ عطاء الخُراسانيُّ: «لقيتُ وهْبَ بنَ مُنَبِّهٍ وهو يطوفُ بالبيتِ، فقلتُ: حَدِّثْني حَدِيثاً وأَوْجزْ. قال: نعم. أوحىٰ اللهُ ـ تبارك وتعالىٰ ـ إلىٰ داوُدَ: «**يا دَاودُ أَمَا وعِزَّتِي وعَظَمَتِي لا يَعْتَصِمُ بي عَبْدٌ مِن عِبادِي دُونَ خَلْقِي، أَعرفُ ذٰلك مِن نِيَّتِهِ فَتَكِيدُهُ السَّمـٰواتُ السَّبعُ ومَنْ فِيهِنَّ، والأرضُونَ السَّبْعُ ومَنْ فِيهِنَّ، إلاَّ جعلتُ له مِنْ بيْنِهِنَّ مَخْرجاً، وعِزَّتِي وعَظَمَتِي لا يَعتصمُ عبدٌ مِن عِبادي بمخلُوقٍ دُونِي أَعرِفُ ذٰلك مِن نِيَّتِهِ إلاَّ قطعتُ أسبابَ السَّماءِ مِن يَدِهِ، وأَسَخْتُ الأرضَ مِن تحتِ قَدَمَيْهِ، ثمَّ لا أُبَالِي بِأَيِّ أَوْدِيَتِها هَلَكَ**».

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وانْتَبِهُوا لِمَا ذُكِّرْتُم به واحْذَرُوا مِمَّا حُذِّرْتُم عنه، مِن هـٰذه الشِّركيَّاتِ ووَسائِلِها؛ فالشِّركُ الأكبرُ لا يغفرُه اللهُ ولا يقبلُ معه عملاً، وصاحِبُهُ مِن الخالِدِين في النَّارِ، أعَاذَنَا اللهُ وإيَّاكم مِن الشِّركِ أكبرِهِ وأصغَرِهِ، ورزقَنَا وإيَّاكُم التَّوْبَةَ النَّصُوحَ؛ إنَّه ـ سبحانه ـ يقبلُ التَّوْبَةَ ويَعْفُو عَن السَّيِّئاتِ ويعلمُ ما تفعلُونَ.

في تعظيم الأولياء والغلو فيهم

الحمدُ للهِ الذي هدىٰ العبادَ إلىٰ سواءِ السَّبيلِ. أحمدُه، قسَّمَ الخلْقَ بعدلِهِ وحكمتِهِ بين سعيدٍ سارَ علىٰ نَهْجِ الهُدىٰ، وشقيٍّ أفنىٰ العُمرَ في التضليلِ والعمىٰ، وهو يظنُّ أنه علىٰ صراطٍ مستقيمٍ.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له الربُّ العظيمُ الجليلُ. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسُولُه قامِعُ كلِّ مُبطلٍ ضَليلٍ. اللهم صل وسلم علىٰ عبدِك ورسُولِك محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه.

أما بعدُ:

أيها الناس: شرُّ البليَّة ضلالٌ بعد الهُدىٰ، وعمًىٰ بعد البصيرةِ، وغَيٌّ بعد الرَّشادِ. ولقد خلقَ اللهُ الخلقَ يمِيلون بفِطَرِهم إلىٰ التوحيدِ دِينِ الفِطْرَةِ، فانحازَ الشياطينُ بفريقٍ منهم وحَوَّلُوهم عَن الهدىٰ، وانحرَفُوا بهم عَن مَسْلَكِ الرَّشادِ. يقول رسولُ اللهِ ﷺ فيما يروِيه عَن ربِّه ـ عزَّ وجلَّ ـ: «**خلقتُ عبادي حُنفاءَ، فاجْتَالَتْهُم الشياطينُ**» أي حوَّلتهم عَن الحنيفيَّةِ دينِ اللهِ المستقيمِ، إلىٰ مسلكِ الغَيِّ والضَّلالِ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨] أي أضلَلْتُم كثيراً منهم بتزيينِ الباطلِ والضلاَلِ لهم.

وإنَّ مِن الباطلِ الذي زينه الشياطين وأوقعُوا فيه ذَوي العُقول الضعيفةِ مِن الأنسِ، هُو الغُلُوّ في الأولياءِ والصالحين، في قالَبِ مَحبَّتِهم والسيرِ علىٰ مِنْهاجِهم والتَّبرُّكِ بآثارِهم، إلىٰ غير ذٰلك ممَّا زيَّنهُ الشيطانُ لهم

فأصمَّهُم عَن الحقِّ وأعمىٰ أبصارَهم وأضلَّهم عَن سواءِ السبيلِ. أَلَمْ يعلمْ ذَوِي العُقولِ الضَّعيفةِ والعقائدِ الفاسدةِ أنَّ أفضَلَ أُولِي العَزْمِ مِن الرسلِ محمداً ﷺ خاتمَ الأنبياءِ وإمامَ المُتَّقين وسيِّدَ وَلَدِ آدمَ وإمامَ الأنبياءِ إذا اجتمعوُا وخطيبَهم إذا وفَدُوا وصاحبَ المَقامِ المَحمُودِ الذي يَغبطُه به الأوَّلون والأخِرون، وصاحبَ لواءِ الحمدِ، وصاحبَ الحَوْضِ المَورُودِ وشفيعَ الخلائِقِ يومَ القيامةِ، وصاحبَ الوَسيلةِ والفضيلةِ، الذي بعثه بأفضلِ كُتبِهِ وشرعَ له أفضلَ شرائِعِ دِينه وجعلَ أُمَّتَه خيرَ أُمَّةٍ أُخرجت للناسِ، وجمعَ له ولأمَّتِه مِن الفضائلِ والمحاسنِ، قال ﷺ: «**أنا أوَّلُ مَن تَنشقُّ عنه الأرضُ**». وقال ﷺ: «**آتي بابَ الجَنةِ فأستفتحُ، فيقولُ الخازنُ: منْ أنتَ؟ فأقولُ: أنا محمدٌ، فيقولُ: بك أُمرت أنْ لا أفتحَ لأحدٍ قبلك**».

عباد الله: إنِّي أسألُ الذين يُعظِّمون بعضاً مِن المِقبُورين بحُجَّةِ أنهم أولياءُ أو مِن أهلِ البيتِ، كأحمدَ البدويِّ، وكالحُسينِ، وزينبَ، والدُسوقيِّ وغيرِهم. كلُّ هؤلاء أعظمُ وأكرمُ علىٰ اللهِ مِن نبيِّنا محمدٍ ﷺ؟!!. كلاَّ، إنَّ محمداً ﷺ أشرفُ الأولينَ والآخِرين، وأيضاً هل الصحَابَةُ أفضلُ أمْ مَن بعدهم مِن القُرُونِ إلىٰ زمانِنا هٰذا؟! كلاَّ إنهم أفضلُ الأمةِ بعد نبيِّها، وأفضلُهم أبوبكر ومِن بعده عمرُ، فعلينا أنْ نَنْظُرَ ماذا عَمِلَ أبوبكر ـ رضي اللهُ عنه ـ مع النَّبيِّ ﷺ بعد موتِه. فقد حصلَ لأبي بكر مِن الكَرْبِ بعد موتِ النَّبيِّ ﷺ ارتدادُ العربِ عَن الإسلامِ، وقِسمٌ منعَ الزكاةَ، وقسمٌ تَبِعَ المُتَنبِّئين، فبقي أبوبكر بغَمٍّ وهمٍّ. فهلْ ذُكرَ أنَّ أبابكر

ذهبَ إلىٰ قبرِ النَّبيِّ ﷺ فسألَهُ تفريجَ كُرْبَتِهُ أو إزالَةَ شِدَّتِه أو استشارَه ماذا يصنعُ، أو تَمسَّحَ بقبرِهِ أو طافَ به رجاءَ بَرَكَتِه؟!، أم هل قد ذُكر أنه دعا اللهَ عند قبرِ النبيِّ ﷺ أنْ يُفرِّجَ كُرْبَتَهُ ويُزيلَ شِدَّتَهُ؟!. كلا، لم يحصلْ من ذٰلك شيءٌ، وكلٌّ يعترفُ بذٰلك، ولم يختلفْ في ذٰلك إثنان، وحاشا أنْ يكونَ مِن الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ ومن أفضلِ الأمةِ بعد أبي بكر؟ هو الخليفةُ الراشدُ الفاروقُ عمرُ بن الخطَّاب. ماذا فعل لمَّا قحطوا بعد موتِ النبيِّ ﷺ؟. الجوابُ: روىٰ البخاريُّ في صحيحِهِ مِن روايةِ أنسِ بنِ مالك ـ رضي اللهُ عنه ـ أن عمرَ بنَ الخطابِ ـ رضي الله عنه ـ كان إذا قَحَطُوا، استسْقَىٰ بالعبَّاس بنِ عبدالمُطَّلب ـ رضي الله عنه ـ وقال: اللَّهُمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّلُ إليك بنبيِّنا ﷺ فتسْقِينا، وإنَّا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا، فاسْقِنا. قُم يا عَبَّاس فادع اللهُ لَنَا، قال فيُسْقَوْنَ. لماذا عدَلَ عمرُ ـ رضي الله عنه ـ عن سيِّد الأولياءِ ﷺ إلىٰ العبَّاس؟ الجوابُ: لأن النبيَّ ﷺ قد ماتَ، والعباسُ حيٌّ حاضرٌ، فهٰذا سببُ عُدُولِه. ومِثلُ ذٰلك جائزٌ كما قال النبيُّ ﷺ لعمر: **«لا تَنْسَنا مِن دُعائِك»** سؤالٌ: هل استمرَّ الصحابةُ يَسْتَسْقُون بالعبَّاسِ ويتبرَّكون به حتَّىٰ بعد مَمَاتِه؟ الجوابُ: كلاَّ، بل لمَّا أرادَ أنْ يستسقِيَ مُعاويةُ عدلَ عَن العبَّاس؛ لأنه قد مات وغائبٌ أيضاً، إلىٰ يزيدَ بنِ الأسود، وأمرَهُ أن يدعُوَ اللهَ لهم. فهٰذا صنيعُ أبي بكر وعمر، وأمَّا غيرُهما مِن الصحابَةِ فهل يُذكرُ أن أحداً أتىٰ إلىٰ قبرِ النبيِّ ﷺ يدعُو؟! أم هل قد ذُكر عن أحدٍ من الصحابةِ أو

ممَّن سكَنُوا في الثُّغُورِ أنه شَدَّ رَحْلاً لزيارةِ قبرِ الرسولِ ﷺ؟ الجوابُ: لم يُذكرْ عن أحدٍ منهم ـ البتَّة ـ شيءٌ مِن ذٰلك.

فَيَا تُرىٰ أن الصحابةَ قصَّروا في حقِّ النَّبيِّ ﷺ، والبعضُ مِن الناسِ أحسنَ في حقِّ البدويِّ والدُّسوقيِّ وغيرهم مِن المَقبُورين في شتَّىٰ البلادِ؟!. يا سُبحان الله. الله أكبر.. بل الصحابةُ ـ رضوان الله عليهم ـ فَدَوْهُ بأنفسِهم وأولادِهم وأموالِهم ولٰكنَّهم لم يعملوا شيئاً من ذلك مما يعملُ عند أولٰئك الذين يُدَّعىٰ أنهم أولياء. محبة لنبيهم وإجلالاً وإعظاماً لأمره عليه الصلاة والسلام. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١] امتثلوا أمره ﷺ. روىٰ أبوداود بإسناد حسن رواتُه ثقاتٌ عن أبي هُريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعَلُوا بيُوتكم قُبُوراً، ولا تجعَلُوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ؛ فإن صَلاتكم تبلُغُنِي حيثُ كنتم»** وعن عليِّ بن الحُسين أنَّه رأىٰ رجلاً يَجيء إلىٰ فُرْجَةٍ كانت عندَ قبرِ النَّبيِّ ﷺ فيدخُل فيها فيدعو، فَنَهَاهُ. وقال: ألاَ أحدِّثكم حَدِيثاً سمعتُه من أبي، عن جَدِّي، عن رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: **«لا تتَّخِذُوا قَبْري عِيداً ولا بُيُوتكم قُبوراً فإنَّ تسلِيمَكم يبلُغُنِي أينَ كُنتم»** رواه في «المختارة». وفي «الصحيحين» عن أبي سعيدٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: **«لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، ومسجدي هٰذا، والمسجدِ الأقصىٰ»** وفي «الصحيحين» عن عائشةَ، أن أم سلَمَة ذكرتْ لرسُولِ الله ﷺ كنيسةً

رأتها بأرضِ الحبشة وما فيها من الصُّور فقالَ: «**أولـئكَ إذا ماتَ فيهم الرَّجلُ الصَّالحُ أو العبدُ الصَّالحُ بنوا علىٰ قَبْرِهِ مسجِداً وصوَّروا فيه تلك الصُّورَ أولـئكَ شِرارُ الخلقِ عندَ اللهِ**» ولمَّا فتحَ الصحابةُ تُستر وجدُوا سريراً عليه رجلٌ ميتٌ يقال إنه دانيالُ النبيُّ ـ عليه السلام ـ، فحفرَ الصحابةُ ـ رضوان الله عليهم ـ ثلاثةَ عشر قبراً بالنَّهارِ. فلمَّا كان الليلُ دفنُوه؛ تعميةً لـهذا القبرِ لئلاَّ يفْتتن به الناسُ. فاتَّقوا الله أيُّها المُسلِمون لعلَّكم تُفلحُون، أَسِّسُوا دِينكم علىٰ دليلٍ من كتابِ اللهِ أو سُنةِ رسولِهِ ﷺ أو مِن قياسٍ عليهما. احْذَرُوا الشركَ، صغيرَهُ وكبيرَهُ؛ فالشركُ الأكبرُ لا يغفِرُهُ اللهُ.

وإنَّا والحمدُ للهِ ربِّ العالمين علىٰ ما منَّ به علينا في هـٰذه المملكةِ بقادَةٍ يُحارِبُون هـٰذه الشِّركيَّاتِ ويَرفُضُونها. فنسألُ اللهَ أنْ يَمُنَّ علينا وعليهم بالثَّباتِ علىٰ الحقِّ والعملِ بهَدْيِ كتابِهِ المُبين. فالشركُ الأكبرُ ليس ككبائرِ الذُّنوب، الشركُ الأكبرُ لا يغفرهُ اللهُ، بل ولا ينفع معه عملٌ صالحٌ. قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ﴾ الآية. ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾.

أيها الناس: في «الصحيح» عن ابن عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ في قول الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]. قال: هـٰذه أسماءُ رجالٍ صالِحين من قومِ نُوحٍ، فلما هلَكُوا أوحىٰ الشيطانُ إلىٰ قَومِهم أن انصبُوا إلىٰ مَجالِسهم التي

كانوا يجلِسُون فيها أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم ففعلوا، ولم تُعبدْ حتَّىٰ إذا هلك أولـئك ونُسِيَ العلمُ عُبدت. وقال ابنُ القيِّم: قال غيرُ واحدٍ من السلفِ: لما ماتُوا عكَفُوا علىٰ قُبورِهم ثم صوَّروا تماثِيلَهم ثم طالَ عليهم الأمدُ فعبدُوهم. وإنَّ ممَّا حَدَثَ في هـٰذا الزمن ما يُذكر من تحنيطِ الحيواناتِ ونَصْبِها في المجالِسِ، وهـٰذا ممَّا لا يجوزُ فِعلُه ولا اتِّخاذُه. وذٰلك مُحرَّمٌ؛ لعدَّةِ أمورٍ: منها صرفُ المالِ بما لا فائدةَ فيه. ثانياً: أنَّه تعذيبُ الحيوانِ وقتلُه لغيرِ المقصودِ منه، وهو الأكلُ إنْ كانَ مما يُباح أكلُه، وإن كان غير مأكولٍ فهو تعذيبٌ له وهو محرَّمٌ. روىٰ أحمدُ والنسائيُّ والدارميُّ، عن عبدالله بن عَمرو أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**من قَتَلَ عُصفُوراً فما فَوقها بغير حقِّها، سأله اللهُ عن قَتْلِهِ**» قيل: يا رسولَ اللهِ: وما حقُّها؟ قال: «**أن يذبحَها فيأكُلَها ولا يَقطَعَ رأسَها فيرمي بها**». ثالثاً: أن تحنيطَ الحيوانات ونصبها في المجالسِ وسيلةٌ إلىٰ تحنيطِ غيرِها ممَّا يُتخذُ أصناماً ويُشرك به مع اللهِ، كما أن سَببَ حدوثَ الشركِ في قومِ نُوحٍ هو اتخاذ الصُّورِ فمازال الشيطانُ يتمادىٰ بهم حتَّىٰ اتخذُوا أصحابَها أصناماً وعبدُوهم من دُونِ اللهِ.

فيا عباد الله: إيَّاكم والبِدع والمحدثات في الدِّين؛ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

فيا عباد الله: كيف يليقُ بالمسلمين الذين وُلِدُوا في الإسلامِ أن تَفْشُوَ فيهم هـٰذه المُنكراتُ وتُذكر في مَجالِسهم ويُذكرون بها؟!.

في النهي عن شد الرحل لزيارة القبور

الحمدُ للهِ الذي هدىٰ أولياءَهُ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ، ووفَّقَهُم لِمُخالَفَةِ أصحابِ الجَحِيمِ، فضلاً منه ونعمةً، والله ذو الفضلِ العظيمِ. أحمدُهُ ـ سبحانه ـ علىٰ فضلِهِ العَمِيمِ، وأَشْكُرُهُ، وهو المُسْتَحِقُّ للحمدِ والشُّكرِ والتَّعْظيمِ.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له يَهْدِي مَن يشاءُ ويُضِلُّ مَن يشاءُ وهو العزيزُ الحكيمُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ وخَلِيلُهُ المُصْطَفىٰ الكريمُ الذي حذَّر أُمَّتَه مِن الشِّرْكِ ووسائِلِهِ، وأخبرَ أنَّ صاحِبَهُ مُخلَّدٌ في الجحيمِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَن تَبِعَهُمْ علىٰ الدِّينِ القَوِيمِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: إنَّ التَّوحيدَ قد وَهَىٰ جانِبُهُ وكَثُرَ مُجَانِبُهُ، ولم يَبْقَ مِن بعضِ الناسِ إلاَّ القَولُ باللِّسانِ، والأعمالُ تخالِفُهُ؛ وذٰلك بسببِ الجهلِ والإعْراضِ عَن دِينِ اللهِ بتَعَلُّمِهِ وتعليمِهِ والالتِفاتِ إلىٰ تَعَلُّمِ مصالحِ الدُّنيا فقط. فمِن ذٰلك الاجتماعُ عند القُبُورِ، واتِّخاذُها أعْياداً، وقَصْدُها بالسَّفَرِ، وشَدِّ الرحلِ إليها، فإنَّ مِمَّا يفعلُهُ البعضُ مِن النَّاسِ شَدُّ الرِّحالِ لِزيارَةِ قبرِ النَّبيِّ ﷺ واتِّخاذِهِ عِيداً يَعْتَادُون المَجِيءَ إليه والاجتماعَ عنده في كثيرٍ مِن الأوقاتِ، ولاسِيَّما في أيامِ الحَجِّ، حتَّىٰ إنَّ كثيراً مِن الجُهَّالِ

يَرَوْنَ أنَّه لا يَتِمُّ لأحدِهِم الحَجُّ إلاَّ بزيارَةِ القبرِ الشَّرِيفِ قبلَ الحَجِّ أو بعده، ويتعلَّقُون في ذٰلك بأحاديثَ مَكْذُوبَةٍ ويَعْدِلُون عَن النُّصُوصِ الثَّابتَةِ عن النَّبيِّ ﷺ في النَّهيِ عن اتِّخاذِ قبرِهِ عِيداً، كَمَا في سُنَنِ أبِي داودَ عَن أبِي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**لا تَجعَلُوا بيُوتكُمْ قُبُوراً، ولا تجعَلُوا قبري عِيداً، وصَلُّوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتكُمْ تَبْلُغُني حيثُ كُنْتُم**».

فأمَّا مَن أرادَ السَّفرَ إلىٰ المدينةِ للصَّلاَةِ في مسجدِ الرسولِ ﷺ فقدْ جاءَ عنه ﷺ التَّرْغيبُ في ذٰلك بقولِه: «**صلاةٌ في مسجدي هٰذا خيرٌ مِن ألفِ صلاةٍ فيما سواهُ، إلَّا المسجد الحَرام**» فزيارةُ المسجدِ النَّبَوِيِّ للصَّلاةِ فيه مستحبَّةٌ ومُرغَّبٌ فيها. هٰذا إذا كان القصدُ من الزِّيارَةِ وشَدِّ الرِّحالِ إلىٰ المدينةِ هو المسجدَ النبويَّ. أمَّا إذا كان إلىٰ القبرِ الشَّريفِ فلا يجوزُ قصدُه وحدَه بسفرٍ، ولا شدُّ الرّحلِ إليه؛ لأنَّه ـ عليه الصَّلاة والسَّلامُ ـ قد نهانَا عن ذٰلك، كما نهانَا أنْ نَتَّخِذَ قبرَهُ عِيداً. قال ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلىٰ ثلاثةِ مساجدَ: المسجدِ الحرامِ، ومسجدي هٰذا، والمسجدِ الأقصَىٰ**» وجاءَ عن عليِّ بن الحُسينِ ـ رضي الله عنه ـ أنَّه رأىٰ رجُلًا يجيءُ إلىٰ فُرْجَةٍ كانت عندَ قبرِ النَّبيِّ ﷺ فيدخُل فيها فيدعُو، فنهاه وقال: ألاَ أُحدِّثُكُمْ حديثاً عن أبِي، عن جَدِّي، عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال: «**لا تَتَّخِذُوا قبرِي عِيداً، ولا بيُوتَكم قُبُوراً، وصَلُّوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتكُمْ تبلُغُني حيثُ كنتُم**». ونهانا ﷺ بهٰذا الحديثِ أنْ نجعلَ قبرَه

عِيداً نعتادُهُ في وقتٍ مُعَيَّنٍ، وأخبرَ بأنَّ صلاةَ المُصَلِّي عليه وسلامَهُ يبلُغُه، ولو لم يَكُنِ المسلمُ عندَ قبرِهِ أو في المدينةِ، بقوله: «**فإنَّ صلاتكم تبلُغُني حيثُ كُنْتُم**».

فزيارةُ المسجِدِ النَّبَوِيِّ ليست واجِبَةً، وليست مِن لَوَازِمِ الحَجِّ، كما يَظُنُّهُ البعضُ مِن الناسِ، وقد شَاعَ بين العَوَامِّ مِن الناسِ أحاديثُ في زيارةِ قبرِ الرسولِ ﷺ حتَّىٰ ظَنُّوها أحاديثَ صحيحةً، فهم لذٰلك يَتَكَبَّدُون المَشَاقَّ في الزِّيارَةِ ويَظُنُّون أنَّ زيارةَ المدينةِ مِن تَمَامِ الحَجِّ.

فَمِنَ الأحاديثِ الشَّائِعَةِ المَكْذُوبَةِ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ: «مَنْ زَارَنِي بعدَ مَوْتِي فكأنَّما زارَنِي في حياتِي - منْ زارَ قبرِي وجبَتْ له شفاعَتِي - مَنْ حجَّ ولم يَزُرْنِي فقد جَفَانِي» وأمثالُها لم تَصِحَّ عن رسولِ اللهِ ولم تَثْبُتْ، وأهلُ العلمِ جَعَلُوها مِن المَوضُوعاتِ المُخْتَلَقَةِ، فَعَلَىٰ مَن أرادَ الزِّيارَةَ، أنْ يَنْوِيَ ويقصدَ المسجدَ النَّبويَّ بِزيارتِهِ، ثم يُصَلِّي فيه ما تَيَسَّرَ، ثم إنْ شاءَ سلَّم علىٰ النَّبيِّ ﷺ بأدبٍ واحترامٍ وعَدَمِ رفعِ صوتٍ؛ فإنَّ رفعَ الصَّوْتِ بالسَّلامِ والضَّجِيجَ ليس من الأدبِ المَطْلُوبِ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، ثم يسلِّمُ علىٰ صاحِبَيْهِ أبي بكرٍ وعمرَ - رضي الله عنهما - ثمَّ ينصرفُ ولا يستقبلُ القبرَ عندَ الدُّعاءِ. ومَن أَتَىٰ المدينةَ وصلَّىٰ في مسجدِ رسولِ اللهِ اسْتُحِبَّ أنْ يُصَلِّيَ في مسجدِ قُبَاء، ولا يُشرعُ تَتَبُّعُ المساجدِ التي هناك. رأىٰ عمرُ بنُ الخطَّاب أُناساً يَذهَبُون إلىٰ مكانٍ، فقال أينَ يَذهبُ هؤلاء؟ قالوا: إلىٰ مكانٍ صلَّىٰ فيه رسولُ اللهِ ﷺ. فقال

مُنْكراً عليهم: ومَكَانٍ صلَّىٰ فيه رسولُ اللهِ ﷺ وتُرِيدُون أنْ تتَّخِذُوا آثارَ أنبِيَائِكُمْ مساجدَ، إنَّما هلكَ من كان قبلكم بهـٰذا.

وقد نهىٰ وحذَّرَ ﷺ أشدَّ التَّحْذِيرِ عن التَّبَرُّكِ بآثارِ الأنبياءِ، وأنَّه ممَّا ضلَّ به السَّابِقُون عن دِينِ المُرْسَلِينَ، وقِصَّةُ قَطْعِ عُمرَ بنِ الخَطَّابِ شجرةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ مَشْهُورَةٌ، ولا يجوزُ للنِّساءِ زيارةُ القُبُورِ، لا قبر النَّبيِّ ﷺ ولا غيره.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتَمَسَّكُوا بِدِينكم واتَّبِعُوا هَدْيَ نَبِيِّكُمْ ﷺ ولا تُعْرِضُوا عنها فتهلَكُوا. أعوذُ باللهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨].

بدعةُ الاحتفالِ بالموالِدِ ومَوْلِدِ الرَّسُولِ ﷺ

الحمدُ لله الذي لمْ يَزَلْ بالنِّعَمِ مُنْعِماً، وبالمعروفِ معروفاً، وبالإحسانِ مُحْسِناً، وبالكرمِ مَوْصُوفاً. كلَّ يومٍ هو في شأنٍ، يَكْشِفُ كَرْباً، ويَغفرُ ذنباً، ويُغيثُ مَلْهوفاً، ويَجْبُرُ كَسيراً، ويُجيرُ خائِفاً، ويُرسِلُ بالآياتِ تَخْويفاً. أحمدُه وأستغفِرُه، وأسألُه السَّلامَةَ والعافِيَةَ مِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ وضلالةٍ، عملاً أو تأْييداً.

وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، خلقَه اللهُ صادِقاً أمِيناً شَرِيفاً كَرِيماً ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ـ.

أمَّا بعدْ . .

أيُّها المسلمون: اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وتَزَوَّدُوا؛ فإنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوىٰ.

معشرَ المسلمين: إنَّ اللهَ بعثَ رسولَه وخلِيلَه مُحمداً ﷺ رَحمةً للعالمين، ورسولاً إلى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ. أَرْسلَه بِكُلِّ علمٍ نافعٍ، علَّمَ به بعدَ الجَهالَةِ، وهَدَىٰ به من الضَّلالَةِ، وما بَقِي مِنْ أصُولِ الدِّينِ وفُرُوعِهِ شيءٌ إلاَّ بَيَّنَهُ، ولا قاعدةٌ مِنْ قواعِدِ الشَّريعةِ إلاَّ أَوْضَحَها. فالعِلمُ الصَّحِيحُ ما قامَ عليه الدَّلِيلُ، والنَّافِعُ من العُلُومِ والمَعَارِفِ ما جاءَ به الرَّسُولِ. شَرِيعَتُه الكامِلةُ هَيْمَنَتْ على جميعِ الشَّرائِعِ السَّابِقَةِ ونَسَخَتْها. وسُنَّتُه أَوْضَحَتْ أُمُورَ الدِّينِ والدُّنيا وبَيَّنَتْها. فهي الغَايَةُ في العَدْلِ والحُسْنِ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ

﴿ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

عباد الله: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمرَنا باتِّباعِ هَدْيِهِ وسُنَّتِهِ، وحذَّرنا مِنْ كُلِّ ما يُخالِفُ هَدْيَهُ وطَرِيقَتَه. فقالَ ﷺ: **«عليكم بِسُنَّتي وسنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشِدينِ المَهْدِيِّين مِنْ بَعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكُمْ ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّ كلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ»**.

عباد الله: إنَّه قدْ طَرَأَ على صفاءِ هذا الدِّينِ ووُضُوحِ أحكامِه في عُصُورِ انْحِطاطِ المسلمين كثيرٌ من البِدَعِ والمُحَدَثَاتِ التي زادتْ انحطاطَهُم انحطاطاً، وشغلتْهم عن العَوْدَةِ إلى العَقِيدَةِ الصافِيَةِ والتَّمَسُّكِ بها، والرُّجُوعِ إلى الحَقِّ، وذٰلك بِتَتَبُّعِ المظاهِرِ الفارِغَةِ والتَّقالِيدِ العَمْيَاءَ. التي سَنَّهَا من ضَلَّ وأَضَلَّ، فَحَادَتْ بِهِمْ عنْ طريقِ الحَقِّ، وسلكتْ بهم مسالِكَ الضَّلالِ، ولَبَّسَتْ على المسلمين في عَقِيدَتِهِمْ، وأخمدتْ فيهم جَذْوَةَ الإيمانِ وجَمالَ الاتِّباعِ، وامْتَصَّتْ طاقاتِهم المُتَعَدِّدَةِ المُتَّقِدَةِ قُوَّةً وحماساً، بِمظاهِرَ فارِغَةٍ وأعمالٍ خاوِيةٍ، فانتشرتْ بينهم أعمالُ الاحتفالاتِ المُبْتَدَعَةِ، فعادَ أكثرُ المسلمين بهٰذه الضَّلالات إلى مظاهِرِ الوَثَنِيَّةِ وتَقْدِيسِ الأشخاصِ. ومِنْ ذٰلك إقامةُ الاحتفالاتِ بالمَولِدِ مَوْلِدِ رسولِنا الكريمِ ﷺ، بِزَعْمِهِمْ أنَّ ذٰلك ممَّا يُحقِّقُ المُرادَ من حُبِّ رسولِ اللهِ ﷺ ومُوالاتِهِ، وقدْ غَفَلُوا أو تَغافَلُوا أنَّ محبَّةَ الرَّسولِ ﷺ إنَّما تكونُ باتِّباعِهِ وطاعتِه. أمَّا هٰذه الاحتفالاتُ الشَّائِعةُ في الموالِدِ، فهي غيرُ جائزةٍ، بلْ هي من البِدَعِ المُحْدَثَةِ في الدِّينِ؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ لم

يَفْعَلْها، ولا خُلفاؤُه الرَّاشِدُون، ولا غَيْرُهم من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، ولا التَّابِعون لهم بإحسانٍ في القُرُونِ المُفَضَّلَةِ، وهُم أعلمُ النَّاسِ بالسُّنَّةِ، وأكملُهم حبًّا لرسولِ اللهِ ﷺ ومُتابَعَةً لشرعِهِ ممَّن بَعْدَهُمْ.

وأوَّلُ مَنِ ابتدعَها ـ فيما يَظْهَرُ ـ هم الفَاطِمِيُّون، في القَرْنِ الرَّابِعِ الهجريِّ. وهم مَعْرُوفُون بالعقيدةِ الفاسِدةِ، وإظهارِ التَّشَيُّعِ لأهلِ البيتِ، والغُلُوُّ فيهم. وقد ثبتَ عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ أحْدثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ مِنْهُ، فهُو رَدٌّ**» أي مردودٌ عليه. وقالَ في حديثٍ آخرَ: «**عليكم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشِدين المَهْدِيِّين مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكُم ومُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فإنَّ كلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٍ**» فَفِي هٰذَيْنِ الحديثين تحذيرٌ شديدٌ من إحْداثِ البِدعِ والعملِ بها. وقد قالَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]. وقال ـ سبحانه ـ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]. وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وإحداثُ مِثْلِ هٰذه الموالِدِ يُفْهَمُ مِنْهُ أنَّ اللهَ ـ سبحانه ـ لم يُكْمِلِ الدِّينَ لهٰذه الأُمَّةِ، وأنَّ الرَّسولَ ﷺ لَمْ يُبَلِّغْ ما يَنْبَغِي للأُمَّة أنْ تعملَ به، حتَّىٰ جاءَ هؤلاءِ المُتأخِّرُون فأحْدَثُوا في شرعِ اللهِ ما لم يأذنْ به، زاعِمِينَ أنَّ ذٰلك ممَّا يُقَرِّبُ إلى اللهِ. وهٰذا ـ بلا رَيْبٍ ـ فيه خطرٌ عظيمٌ؛ لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ قدْ أَكْمَلَ لعبادِهِ الدِّينَ، وأتمَّ

عليهم النِّعْمَةَ، والرَّسولَ ﷺ قد بلَّغَ البلاغَ المُبينَ، ولَمْ يَتْرُكْ طريقاً يُوصِلُ إلى الجَنَّةِ ويُباعِدُ مِن النَّارِ إلاَّ بَيَّنه للأُمَّةِ، كما ثبتَ في الحديثِ الصَّحيحِ عن عبدِالله بنِ عمرٍو ـ رضي الله عنهما ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«ما بعثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إلاَّ كانَ حقًّا عليه أن يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خيرِ ما يَعْلَمُهُ لهم»** [رواه مسلم]. ومعلومٌ أنَّ نبيَّنا ﷺ هو أفضلُ الأنبياءِ وخاتمُهم وأكملُهم بلاغاً ونُصْحاً. فَلَوْ أنَّ الاحتفالَ بالموالِدِ من الدِّينِ الذي يرْضاهُ اللهُ ـ سبحانه ـ لَبَيَّنَهُ الرَّسولُ ﷺ للأُمَّةِ، أو فَعَلَه في حياتِه، أو فعلَه أصحابُه ـ رضي الله عنهم ـ. فلمَّا لَمْ يَقَعْ شيءٌ من ذٰلك، عُلِمَ أنَّه ليسَ مِنَ الإسلام في شيءٍ، بلْ هو من المُحدَثاتِ في الدِّينِ التي حذَّرَ الرَّسولُ ﷺ منها أُمَّتَه كما تقدَّم ذٰلك في الحَدِيثَين السَّابقين. وقدْ جاءَ في معناهما أحاديثُ أُخَرُ، مثلَ قوْلِه ﷺ في خُطْبَةِ الحاجةِ: **«أمَّا بعدُ.. فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكلَّ بِدْعَةٍ ضلالةٌ»** [رواه مسلم].

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ الذي شرحَ صُدُورَ ذَوِي الإيمانِ للهُدَىٰ. مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهتَدِ، ومَنْ يُضْلِلْ فلنْ تجدَ له وَلِيًّا مُرْشِداً. جابرُ الكَسيرِ، ومُسَهِّلُ

العَسِيرِ، ومُجيبُ النِّداءِ. أحاط علماً بجميعِ الكائناتِ، ما اختفىٰ منها وما بَدَا، لِيَعْلَمَ أَنْ قدْ أبلغُوا رسالاتِ ربِّهم، وأَحَاطَ بِما لديهم وأحْصَىٰ كلَّ شيءٍ عدداً. أَحمدُه ـ سبحانه ـ مُتَوَكِّلاً عليه مُعتمِداً، وأَشْكُرُه على نِعَمٍ لا أُحْصِي لها عدداً.

وأَشهدُ أن لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، خُصَّ بالمقامِ المحمودِ، واللِواءِ المعقودِ، وسمَّاهُ محمداً، وأنزلَ عليه: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ۝٦٧﴾ [الحج: ٦٧]. اللهمَّ صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك محمدٍ المُوحىٰ إليه ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢﴾ [الجن: ٢١، ٢٢] وعلى آلِه وصحبِه.

أمَّا بعد . .

أيها المسلمون: إنَّ قليلَ العملِ مع السُّنَّةِ خيرٌ مِنْ كثيرِه مع البِدْعَةِ. ومَنْ له أدنىٰ بَصِيرَةٍ ورغبةٍ في الحقِّ، وإنصافٍ في طَلَبِه، يَظهرُ له أنَّ الاحتفالَ بالموالِدِ ليس مِنْ دِينِ الإسلامِ، بلْ هو من البدعِ والمُحدَثاتِ التي أمرَ اللهُ ـ سبحانه ـ ورسولُه ﷺ بتركِها والحذرِ منها، ولا يَليقُ بالمسلمِ العاقلِ أنْ يَغْتَرَّ بكثرةِ مَنْ يَفعلُه مِنَ النَّاسِ في غالِبِ الأقطارِ؛ فإنَّ الحقَّ لا يُعرفُ بكثرةِ الفاعِلين، وإنَّما يُعرفُ بالأدِلَّةِ الشرْعيَّةِ، كما قالَ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] ثمَّ إنَّ غالِبَ هٰذه الاحتفالاتِ بالموالِدِ مع كَوْنِها بدعةً، لا

تَخْلُو مِنَ اشتمالِها على مُنكراتٍ أخرىٰ، وقدْ يَقعُ فيها ما هو أعظمُ من ذٰلك، وهو الشِّركُ الأكبرُ، وذٰلك بِالغُلُوِّ في رسولِ اللهِ ﷺ، كإنشادِ القصائِدِ، كقصيدةِ البُوصِيرِيِّ ونحوها المُسَمَّاة بالبُرْدَة، فإنَّ في أَلْفَاظِهَا مِنَ الشِّرْكِ الأكْبَرِ المُخْرِجِ من المِلَّة، أو غَيْرِه من الأولياءِ، بدُعائِه والاستعانةِ به، وطلبِ المددِ مِنْهُ، واعتقادِ أنَّه يَعلمُ الغَيْبَ، ونَحْوِ ذلك مِنْ الأمورِ الكُفْرِيَّةِ التي يَتعاطاها الكثيرُ مِنَ النَّاسِ حينَ احتفالِهِم بمولِدِ النبيِّ ﷺ وغيرِه ممَّن يُسَمُّونَهُمْ بالأولياءِ. وقد صَحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قالَ: «**إِيَّاكُمْ والغُلُوَّ في الدِّينِ؛ فإنَّما أَهْلَكَ مَنْ كانَ قبلَكُمْ الغُلُوُّ في الدِّينَ**». وقالَ ﷺ: «**لا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصارىٰ ابنَ مريمَ؛ إنَّما أنا عبدٌ، فَقُولُوا: عبدُ اللهِ ورسولُه**» [رواه البخاري]. ومن الغرائبِ أنَّ البعضَ مِنَ النَّاسِ يَنْشَطُ ويَجتهدُ في حُضُورِ هٰذه الاحتفالاتِ المُبْتَدَعَةِ، ويُدافِعُ عنها، ويَتخلَّفُ عمَّا أَوَجَبَ اللهُ عليه، مِنْ حُضُورِ الجُمَعِ والجماعاتِ، ولا يَرفَعُ لذٰلك رأساً، ولا يَرىٰ أنَّه أَتَىٰ مُنكراً عظيماً. ومن ذٰلك أنَّ بعضَهم يَظنُّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يَحضرُ المولِدَ، ولِهٰذا يَقُومُون له مُحَيِّينَ ومُرَحِّبينَ. وهٰذا مِنْ أعظَمِ الباطلِ، وأقبح الجهلِ؛ فإنَّ رسولَ اللهَ في قبرِه إلى يومِ القيامةِ، ورُوحُه في أعلىٰ عِلِّيينَ عِندَ ربِّه في دارِ الكَرَامَةِ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ. فَعَلَىٰ المُسلمِ أنْ يَحذرَ كلَّ الحَذَرِ ممَّا أَحدَثَه الجُهَّالُ وأشباهُهُم مِنَ البدعِ والخُرَافاتِ التي ما أنزلَ اللهُ بها من سُلْطانٍ.

واللهُ المُستعانُ.

عباد الله: أمَّا الصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ فَهِيَ من أفضلِ القُرُباتِ، ومن الأعمالِ الصَّالحاتِ، كما قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقالَ ﷺ: «**مَنْ صَلَّىٰ عليَّ واحدةً، صلَّىٰ اللهُ عليه بها عشراً**» وهي مشروعةٌ في جميعِ الأوقاتِ، ومُتَأَكَّدَةٌ في آخِرِ كلِّ صلاةٍ، بلْ واجبةٌ عندَ جمعٍ من أهلِ العلمِ في التَّشهُّدِ الأخيرِ، وسُنَّةٌ مؤكَّدةٌ في مواضِعَ كثيرةٍ. منها ما بعد الأذانِ، وعند ذِكْرِهِ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ وفي يومِ الجمعةِ ولَيْلَتِها كما دلَّتْ علىٰ ذٰلك أحاديثُ كثيرةٌ.

اللهمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِكَ ورسولِك محمدٍ، وارْضَ اللهُمَّ عَنِ الصَّحابةِ أجمعينَ، وعنِ التَّابعين، وتابِعيهم، ومن تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ، وعَنَّا معهم بِعَفْوِكَ وكرمِك وإحسانِك يا أرحمَ الرَّاحمين.. إلخ.

في بدع رجب والإسراء والمعراج

الحمدُ للهِ نَحمدُه ونَستعِينُه ونَستغْفِرُه ونَتوبُ إليه، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنا وسَيِّئاتِ أَعْمالِنا. مَن يَهْدِه اللهُ، فلاَ مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ، فلا هادِيَ لَهُ.

وَأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: إنَّ اللهَ بَعثَ رسولَه وخليلَه محمداً ﷺ رحمةً للعالَمين، وهُدًىٰ لِجميعِ الثَّقَلَيْنِ: أَرسلَه بكُلِّ عِلمٍ نافعٍ، علَّمَ به بَعْدَ الجَهَالَةِ، وهَدَىٰ به مِن الضَّلالَةِ وما بَقِيَ مِن أُصُولِ الدِّينِ وفُرُوعِهِ شيءٌ إلاَّ بَيَّنَه، وَلاَ قاعِدةٌ مِن قواعِدِ الشَّريعَةِ إلاَّ وَأَوْضَحَها. فَالْعِلمُ الصَّحيحُ ما قامَ عليه الدَّلِيلُ، والنَّافِعُ مِنَ العُلُومِ والمَعارِفِ والأعمالِ والأقْوالِ ما جاءَ به الرَّسولُ ﷺ، شَرِيعَتُه الكامِلَةُ هَيْمَنَتْ علىٰ جَمِيعِ الشَّرائِعِ السَّابقَةِ وتَمَمتها، وَسُنَّتُه أَوْضَحَتْ أُمُورَ وأَحْكام الدِّينِ والدُّنيا وبيَّنتْها، فَهِي الغَايَةُ في العَدْلِ والحُسْنِ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]. ولقدْ أمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ بِاتِّباعِ هَدْيِهِ وَسُنَّتِهِ، وَحذَّرَنا مِن كُلِّ ما يُخالفُ هَدْيَه وطَرِيقَه، فقالَ: «**عليكم بِسُنَّتي وسُنَّةَ الخُلفاءِ الرَّاشِدِين المَهْدِيِّين مِن بَعدي، عَضُّوا عليها بِالنَّواجِذِ وإيَّاكُمْ ومُحْدَثاتِ**

الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعةٌ».

معشر المسلمين: إنَّ البدعَ والمُحدثاتِ في الدِّينِ أصلُ كلّ بلاءٍ وفِتنَةٍ، وإنَّ الشَّيطانَ يحرصُ كلّ الحِرْصِ علىٰ صَدِّ النَّاسِ عَن الدِّينِ الصَّحِيحِ، فَإِنْ رأىٰ مِنهم عَدمَ رَغْبةٍ فِي الدِّين شَجَّعَهُم علىٰ ذٰلك وَزيَّنَ لهم المَعاصِي والشَّهَواتِ، وفتَحَ لهم أبوابَ الشُّبُهاتِ، وَإِنْ رأىٰ منهم مَحَبَّةً للدِّين أَدْخَلَ عليهم مِن البِدعِ والزِّياداتِ ما يُفسِدُه عليهم. والشَّريعةُ جاءت كاملةً لا تَحْتَمِلُ الزِّيادةَ والنُّقْصانَ؛ لِقَوْلِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فَلاَ مكانَ لِلبِدعَةِ فِي دِينِ اللهِ. قَال مالكٌ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ: «مَنِ ابْتَدعَ فِي الإِسلام بِدعةً يَرَاها حَسَنةً فقدْ زَعمَ أَنَّ مُحمداً ﷺ خانَ الرِّسالةَ؛ لأنَّ اللهَ يقولُ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فمَا لمْ يَكُنْ يومئذٍ دِيناً فلاَ يكونُ اليَوْمَ دِيناً».

عباد الله: كانَ المسلمون فِي هـٰذه البِلادِ في عافِيَةٍ منْ كثيرٍ مِمَّا وقَعَ فِيهِ النَّاسُ مِن البِدعِ، بِسببِ الدَّعْوةِ المُبارَكةِ دَعْوةِ الإِمامِ المُجدِّدِ شَيخِ الإِسلامِ محمدِ بْنِ عبدِالوهَّاب ـ رحمِهُ اللهُ تعالىٰ ـ، ولـٰكنْ لَمَّا تَسهلَّتْ وسائِلُ النَّقلِ، وَوفدَ إلىٰ بِلادِنا مَن نُشِّيءَ علىٰ البِدَعِ، لَزِمَ التَّنْبيهُ وَالتَّحذيرُ مِن ذٰلك، وَمِنْ هـٰذه البِدَعِ ما يُفعلُ في شهرِ رجب من العاداتِ الجَاهليّةِ والأمورِ البِدْعيَّةِ، وشهرُ رجب من الأشهر الحُرُم، ولـٰكن لم يَثبتْ عن النَّبيِّ ﷺ حديثٌ في تخصيصه بشيءٍ من العبادات، بل عامة الأحاديثِ المأثورةِ فيه عن النبيِّ ﷺ كلها مُتكَلَّمٌ فيها. وقد أحدثَ الناسُ

في هـٰذا الشهرِ عبادات لم يُشَرِّعْهَا اللهُ ولا رسولُه. من ذلك: تعظيم أول خميسٍ منه، وليلة أوَّل جُمعة منه، وتعظيم هذا اليومِ وتلك الليلة من رجب إنما حدثَ في الإسلامِ بعد المائة الرابعةِ، والحديثُ المرويُّ في ذلك كَذِبٌ باتفاقِ العُلماءِ.

وأما الصِّيامُ فلم يصح في فضلِ صوم رجب بِخُصوصِه شيءٌ عن النبيِّ ﷺ ولا عن أصحَابِهِ. ورُوِي عن عُمر ـ رضي الله عنه ـ أنَّه كان يضربُ أكفَّ الرِّجال في صوم رجب حتى يضعُوها في الطَّعام ويقولُ ما رجبُ، إن رجباً كان يُعظمه أهلُ الجاهليةِ فلما كان الإسلامُ تُرِكَ. وفي رواية: كُرِه أن يكونَ صيامُهُ سنة.

وأما العمرةُ فلم يثبت عن رسُولِ الله ﷺ أنه اعتمرَ في رجب، فلا فضلَ للعُمرةِ في رجب على العُمرةِ في غيرِه من الشهورِ كما يظنه بعضُ الناسِ.

ومِن البدعِ المُنكرَةِ التي تُفعل في هذا الشهر بدعةُ الاحتفال بذكرىٰ الإسراءِ والمعراج في الليلةِ السَّابعة والعِشرين منه.

عباد الله: إن المبتدِعَ مُعاندٌ للهِ مُشاقٌّ له؛ لأن اللهَ ـ تعالىٰ ـ حَدَّدَ الطُّرقَ المُوصلة إلىٰ الخيرِ وحصرَها، وهذا المبتدعُ يريدُ أن يزيدَ عليها أو ينقصَ منها فجعلَ نفسَهُ شريكاً للهِ في تشريعه، وكفىٰ بذلك ضلالاً وإثْماً مبيناً ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾ [الشورى: ٢١] والله أمر باتباع ما شرعه فأبى المبتدع ذلك واتبع هواه بغير هدى من

الله. قال الله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠].

عباد الله: إن البدعَ مع أنها حدثٌ في الدِّينِ، وتغيير للمِلَّة، فهي آصارٌ وأغلالٌ تضاعُ فيها أوقاتٌ وتنفق فيها أموالٌ وتتعب فيها أجسامٌ، وتبعد من الجنَّة وتقرِّب من النَّارِ، وتُوجب سخط اللهِ ومقتَه، ولٰكن أهل الغيِّ والضَّلال لا يفقهون وفي طُغيانهم يعمَهُون ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾ [الغاشية: ٢ـ٤].

اللهم زيِّنا بزينةِ الإيمان واجعلْنا هداةً مهتدين غير ضالِّين ولا مُضلِّين. اللهم اجعلْنَا ممن تَوَكَّل عليك فكفيتَهُ واستهداكَ فهديته ياربَّ العالمين. أقولُ قولي هٰذا. . .

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ الذي اهتدىٰ بهديه المُهتدُون، وبعدلِه ضلَّ الضَّالُّون، أحمدُه ـ سبحانه ـ، أرسلَ رسولَه بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ ليُظهرهُ علىٰ الدينَ كلِّه ولو كَرِهَ المشركون. وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه الصَّادق المأمون. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه.

أما بعد:

عباد الله .. ومِن البِدَع المُنكَرة التي تُفعل في هذا الشهر: بدعة الاحتفالِ

بذكرىٰ الإسراء والمعراج في الليلةِ السابعةِ والعشرين منه، يحتفلون في تلك الليلة ويخصصونها بأنواعِ من العباداتِ ما أنزلَ اللهُ بها من سُلطانٍ. وهـٰذا من البدعِ في الدِّين ومما لا يجوز فعلُه في المسلمين.

أما الإسراءُ والمعراجُ فهو معجزةٌ خالدةٌ لِرسُولِ الهُدىٰ ـ عليه الصلاة والسلام ـ، حيرت عقولَ أعداءِ الإسلام، وقَرَّتْ بها أعيُنُ المؤمنين، وازدادُوا بها إيماناً وتصديقاً للرسولِ ﷺ خيرِ الأنام، ولا ريبَ أن الإسراءَ والمعراجَ من آياتِ الله العظيمةِ الدَّالَّةِ علىٰ صِدْقِ رسولِهِ محمدٍ ﷺ وعلىٰ عِظَمِ منزلَتِهِ عندَ الله ـ عز وجل ـ. كما أنَّها من الدلائلِ علىٰ قُدرةِ اللهِ الباهِرَةِ وعلىٰ عُلُوِّه ـ سُبحانه ـ علىٰ جميع مَخلوقاتِهِ. قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] فَقَدْ رأىٰ من عظيمِ آياتِ الله الدالة علىٰ عظمةِ ملكوته ـ جلَّ جلاله ـ ثم عادَ في نفسِ الليلةِ، إنها لعبرةُ الدَّهرِ، يغصُّ بها الملحدون، كما غصَّ بها من قبل الجاحِدون المُعانِدون فباؤُا بالخَيبةِ والخُسرانِ.

فقد تواتر في الأحاديث عن رسُولِ الله ﷺ أنه عُرِجَ به إلى السمواتِ وفُتحت له أبوابُها حتَّىٰ جاوزَ السماءَ السابعة، فكَلَّمه ربُّه ـ سبحانه ـ بما أرادَ وفرضَ عليه الصلوات الخمس، وكان اللهُ فرَضَها أولاً خمسين صلاةٍ فلم يزل نبيُّنا محمدٌ ﷺ يراجعه ويسأله التخفيفَ حتَّىٰ جعلَها اللهُ خمساً. فهي خمسٌ في الفرض وخمسُون في الأجرِ؛ لأن الحسنة بعشرِ

أمثالِها، فللَّهِ الحمدُ والشكرُ علىٰ جَميعِ نِعَمِهِ الظاهِرَةِ والبَاطنةِ، ولكن البدعةُ والضَّلالةُ والمنكرُ والحرامُ؛ الاحتفالُ بهٰذه الليلةِ وتخصيصها بشيءٍ من العباداتِ مع أن الليلةَ التي حَصَلَ فيها الإِسراءُ والمعراجُ لم يأتِ في الأحاديثِ الصَّحيحةِ تعيينُها، وما وردَ في تعيينها فهو غيرُ ثابتٍ عن النبيِّ ﷺ عند أهلِ العلمِ بالحديثِ وللهِ الحكمةُ البالِغةُ في إِنْسَاء الناس لَهَا، ولا غَرْو فقد أُنْسِيَ نبيُّنا محمدٌ ﷺ ليلةَ القدر. وعَلَىٰ فَرْض لو قِيْلَ بوقوعِ الإِسراءِ والمعراج في ليلةِ سبعٍ وعشرين، فإنه لم يَجُزْ للمُسلمين أن يخصُّوها بشيءٍ من العبادات ولم يجزْ لهم أن يحتفِلُوا بها؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ وأصحابَه ـ رضي الله عنهم ـ لم يحتفِلُوا بها ولم يخصُّوها بشيءٍ، ولو كان الاحتفالُ بها أمراً مشروعاً لبيَّنه الرسولُ ﷺ للأمةِ، إمَّا بالقولِ أو بالفِعْلِ، ولو وقعَ شيءٌ من ذلك لعُرِفَ واشتهَرَ ولنقلَه الصَّحابةُ ـ رضي الله عنهم ـ إلينا؛ فقد نقلُوا عن نبيهم ﷺ كلَّ شيءٍ تحتاجه الأمةُ ولم يفرطوا في شيءٍ من الدِّين، بل هُمُ السابقُون إلىٰ كلِّ خيرٍ، فلو كان الاحتفالُ بهٰذه الليلةِ مشروعاً لكانوا أسبقَ الناسِ إليه. والنبيُّ ﷺ هو أنصحُ النَّاسِ للنَّاسِ وقد بلَّغَ الرسالةَ غايةَ البلاغِ وأدَّىٰ الأمانةَ. فلو كان تعظيمُ هٰذه الليلةِ والاحتفالُ بها من دينِ الإِسلامِ لِم يُغْفِلْه النبيُّ ﷺ ولَمْ يكتمْهُ فلما لم يقعْ شيءٌ من ذٰلك عُلِمَ أن الاحتفالَ بها وتعظيمها ليسَا من الإِسلامِ في شيءٍ وقد أكمَلَ اللهُ لهٰذه الأمة دِينَها وأتمَّ عليها النِّعمةَ الكُبرىٰ وأنكرَ علىٰ من شَرَعَ في الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ به. فَقَال الله ـ تعالىٰ ـ:

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٤٢].

فلا يجوزُ القولُ بِصحَّةِ هـٰذا المبدأ ـ مبدأ تشريع أعيادٍ جديدةٍ ـ وإحياءِ ذكرىٰ المُناسباتِ العظيمةِ في تاريخِ الإسلامِ؛ لأنه يَلْزم أن يتخذ من ليلةِ القدرِ المفضَّلة عيداً، ومن يوم الهجرةِ الذي غيَّر وجهَ التاريخ عيداً، ومن غَزْوَة بدرٍ الفاصلَةِ بين الكُفرِ والإيمانِ عيداً، ومن كلِّ المناسبات أعياداً يُحتفىٰ بها، تُضاف إلى الأعيادِ الإسلاميةِ، ولـٰكنَّ الشرعَ وضع حدًّا لذٰلك، حيث نصَّ علىٰ الأعيادِ المشروعةِ ولم يرخِّص في مُزاحمتها بأُخرىٰ، فقضىٰ على فوضىٰ الأعيادِ، واستقرَّ الوضعُ علىٰ عيدِ رمضان والأضحىٰ كما روىٰ أبوداود والنسائي بإسنادٍ صحيحٍ عن أنس بنِ مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ ـ ولهم يَومان يلعبُون فِيهما ـ فقال: «**ماهـٰذان اليَوْمَان؟**» قالُوا: كُنَّا نلعبُ فيهما في الجَاهِلِيَّةِ. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إن اللهَ قد أبدَلَكُم بهما خيراً مِنْهما: يومَ الأضحىٰ ويومَ الفِطْرِ**» قال أهلُ العلم ـ رحمهم الله ـ: ففي ذلك دليلٌ علىٰ النَّهي عنهما اعتِياضاً بيومَي الإسلامِ، ووقفتِ القُرونُ المُفَضَّلَةُ عند هـٰذا الحدِّ فلم تكُن تعمدُ إلى إحياءِ ذكرىٰ الحوادثِ الإسلامية علىٰ كَثْرَتِها، ولم تتخذْ من الأيامِ المفضلةِ أعياداً تحتفلُ بها، والخيرُ فيما ذهبُوا إليه والصَّوابُ فيما وقفُوا عند حَدِّهِ، والقدوةُ بهم فيهَا سلامةِ الدِّينِ، وحَسْبُ المرءِ أن يَسْلَمَ له دينُه في زمنٍ أخوفَ ما يخافُ الناسُ فيه على الدِّينِ. يقولُ عبدُالله بنُ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ: «مَنْ كان

مستنًّا فَلْيَسْتَنَّ بمن قد ماتَ؛ فإن الحيَّ لا تُؤْمنُ عليه الفتنةُ، أولئك أصحابُ محمدٍ كانوا أفضلَ هـٰذه الأمةِ وأبرَّها قلوباً وأعمقها علماً وأقلَّها تكلُّفاً. اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ ولإقامةِ دينِهِ، فاعرفُوا لهم فضلَهم واتَّبعُوهم على أثرهم، وتمسَّكُوا بما استطعتُم من أخلاقِهِم وسَيْرِهم؛ فإنهم كانوا على الهُدىٰ المُستقِيم.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي... إلخ.

الحب في الله والبغض في الله (١)

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، يُحبُّ المُتَّقين، ويرفعُ درجاتِ المُحْسِنين، أحمدُه ـ سبحانه ـ جعلَ الحُبَّ فيه آيةَ صِدْقِ إيمانِ المُؤمنين.

وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شَرِيكَ له إلٰهُ الأوَّلِين والآخِرِين وقَيُّومُ السمٰواتِ والأرَاضِين. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المُصطفىٰ الأمينُ، وخُلاصَةُ العِبادِ أجمعين ـ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ـ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: الأثَرُ الذي يجبُ أنْ يكونَ واضِحاً في أُخُوَّةِ الإِسلامِ، والطابعُ الذي يجبُ أنْ يَتَّسِمَ به المسلمون جميعاً، علىٰ اختلافِ ألوانِهم وجِنْسيَّاتِهم في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، ويجبُ أنْ يكونَ أساساً لِتَرَابُطِهم وقِيام وِحْدَتِهم هو الحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ، كما وَجَّهَ إلىٰ ذٰلك رسولُ الهُدىٰ ﷺ، وأوْضَحَ ثِمارَهُ، إذْ يقولُ: «**ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمانِ أَنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مِمَّا سُوَاهُما، وأنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلَّا للهِ، وأَنْ يَكْرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفْرِ بعد إذْ أَنْقَذَهُ اللهُ منه، كمَا يَكْرَهُ أنْ يُلْقىٰ في النَّارِ**».

عباد الله: إنَّ حَلَاوةَ الإِيمانِ ما يَحصلُ للمسلمِ مِن لَذَّةِ القلبِ ونَعِيمِهِ، ومُتْعَتِهِ وسُرُورِه وما يَنشأُ عَن ذٰلك مِن الثِّمارِ الطَّيِّبَةِ، كَالإِقْبالِ علىٰ

الطَّاعةِ، وتَحَمُّلِ المَتاعِبِ في سبيلِ أدائِها، والكَفِّ عن المعصِيَةِ، والصَّبرِ علىٰ مَرارَةِ فَطْمِ النفسِ عنها، فَهوَىٰ المُحِبِّ تَبَعٌ لِمَحْبُوبِه رِضىً وسخطاً، وإنَّ مِن أَوْضَحِ البرَاهِين علىٰ الحُبِّ الصَّادِقِ في اللهِ، أَنْ تُفْصِحَ عنه مُيُولُ المسلمِ ومَنَازِعُهُ، كما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**المسلمُ للمسلمِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بعضُه بعْضاً**» أيْ مُتَمَاسِكاً مُتَرَابِطاً، مُيُولُهُ وهَوَاهُ مع المُسلمين لا يَشذُّ عنهم بمبدأٍ لا يُقِرُّهُ الإسلامُ، ولا يَنْفَرِدُ بخُلُقٍ يَتَنَافىٰ مع أخلاقِ الإِسلامِ، ولا ينظمُ أو يقترحُ مَنْهَجاً أو يُخَطِّطُ تخطيطاً أو يستوردُ بِضاعَةً تتنافىٰ مع أَوْضاعِ الإِسلامِ وتعالِيمِ الإِسلامِ؛ لِيُعْطِيَ بذٰلك الصُّورَةَ الواضِحَةَ علىٰ تَمَاسُكِهِ وتَرَابُطِه، وحُبِّهِ الصَّادقِ للإِسلامِ وإخوانِه في الإِسلامِ.

ولقدْ ضربَ السَّلَفُ ـ رِضوانُ اللهِ عليهم ـ أَجْمَلَ وأَرْوَعَ الأمثالِ للحُبِّ في اللهِ، حتَّىٰ بلغَ درجةَ الإِيثارِ علىٰ النفسِ، وبِكُلِّ مُرْتَخَصٍ وغالٍ، فرسمُوا بذٰلك الطريقَ للسَّالِكِين، وامتدحَهُمُ اللهُ علىٰ حُسْنِ صَنِيعِهِمْ وإيثارِهِمْ، وتَفَانِيهم في الحُبِّ في اللهِ. فقالَ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. أيْ ولو كانَ بِهم فَاقَةٌ أو حاجَةٌ إلىٰ ما يَبْذُلُونَهُ لإِخْوانِهم في اللهِ. عَن ابنْ عُمَرَ ـ رضي اللهُ عنهما ـ قالَ: لقدْ رأَيْتُنا علىٰ عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ ما مِنَّا أحدٌ يرىٰ أنَّه أَحَقُّ بِدِينَارِهِ ودِرْهَمِهِ مِن أخيه

المسلمِ. فأينَ منهم محبَّةُ الناسِ بعضُهم لبعضٍ في هـٰذا الزَّمَنِ، إنَّها زَيْفٌ، تتكَشَّفُ عن رياءٍ وخِدَاعٍ، واحْتِيالٍ لِيُوْقعَ المسلمُ أخاه في الفَخِّ، ثمَّ لا يُبَالِي إلىٰ أي هُوَّةٍ سَحِيقَةٍ يتردَّىٰ إليها أو يَهْلَكَ فيها. يُوْهِمُ المسلمُ أخاه أنَّه المُخْلِصُ المُتَفَاني في وِدَادِهِ الذي يَسْعَىٰ لِصالِحِهِ. ويقفُ إلىٰ جَانِبِه، ويُحِبُّ له ما يحبُّ لنفسِهِ، وهو في واقِعِهِ المُنافِقُ الشِّرِّيرُ والعدوُّ اللَّدُودُ. ثم لا يلبثُ أنْ يَنْهَارَ بمجرَّدِ انْقِضاءِ الغَرَضِ. أو يَقومُ الحبُّ علىٰ الأهْوَاءِ، ويَنقَلِبُ لأتْفَهِ الأسبابِ حَرْباً عواناً لا هَوَادةَ فيها.

وهكذا كلُّ حُبٍّ لا يكونُ للهِ، يَغْدُو وَبَالاً علىٰ أَهْلِهِ، ولو طالَ أَمَدُهُ، واسْتَظَلَّ المُحِبُّونَ بِظِلِّهِ في العاجِلَةِ فإنَّ مَآلَهُ في الآخِرَةِ دارُ البَوَارِ، ومِصْداقُ ذٰلك قولُ ربِّ العِزَّةِ ـ سبحانه ـ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧] أي فإنَّ مَحَبَّةَ المُتَّقينَ يُؤْجَرُونَ عليها ويَتَفَيَّئُونَ ظِلالَها في جِنانِ الخُلْدِ، ورِضْوانِ اللهِ، الذي هو مَحَطُّ الآمالِ، وغَايَةُ الرَّجاءِ. فقدْ جاءَ في الحديثِ الصَّحِيحِ: «**سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّه**» وذكرَ منهم: «**رَجُلانِ تَحَابَّا في اللهِ اجتمعَا عليه وافْتَرَقَا عليه**». وجاءَ عن ابنِ عبَّاسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ: «مَنْ أحبَّ في اللهِ وأَبغضَ في اللهِ، ووَالَىٰ في اللهِ، وعادَىٰ في اللهِ، فإنَّما تُنالُ ولايَةُ اللهِ بذٰلك». أي إنَّما يُوالِي اللهُ عبدَه بالنَّصْرِ والتَّأييدِ والعَوْنِ، بهـٰذه المَحبَّةِ، ولن يَجِدَ عبدٌ طَعْمَ الإيمانِ، وإنْ كَثُرَتْ صلاتُهُ وصومُهُ حتَّىٰ يكونَ كذٰلك، وقد صارت عامَّةُ مُؤَاخَاةِ الناسِ علىٰ أمرِ الدُّنيا، وذٰلك لا يُجْدِ

علىٰ أَهْلِهِ شَيْئاً.

وكما يكونُ الحُبُّ في اللهِ يا عبادَ اللهِ يجبُ أنْ يكونَ البُغضُ كذٰلك، يجبُ أنْ يُبْغِضَ المسلمُ مَن حَادَّ اللهَ، وابتغَىٰ العِوَجَ في سبيلِ اللهِ، وعادَىٰ أولياءَ اللهِ. ومَنْ تَرَدَّىٰ في الرَّذِيلَةِ بعد نُصْحِهِ والإعْذَارِ منه، يجبُ أنْ لا يُجامِلَهُ بالسُّكوتِ علىٰ آثامِهِ؛ لِئَلَّا يَسْتَشْرِي الفسادُ وتَسْرِي به العَدْوَىٰ.

وإنَّ مِن مَظَاهِرِ الحُبِّ الصَّادِقِ في اللهِ أنْ يَحْمِلَ المَرْءُ أخاه علىٰ الصَّلاحِ والاسْتِقامَةِ؛ خَوْفاً عليه وشَفَقَةً به؛ عَملاً بقوله ﷺ: «**انْصُرْ أخاك ظالِماً أو مَظْلُوماً**». ونَصْرُهُ ظالماً أن يَأْخُذَ علىٰ يَدَيْهِ، سَوَاء كان ظالِماً لِنَفْسِهِ بارتكابِ المَعَاصي، أو ظالماً لِغَيْرِهِ بالتَّجَنِّي عليه.

عباد الله: ليس الدِّينُ أنْ تَعْبُدُوا اللهَ وأنتم عنْ سِرِّ العبادةِ غافِلُون. وليس من الطَّاعَةِ أنْ تُوَحِّدُوهُ بألسنَتِكم وأنتم بدِينِهِ مُتساهِلُون، ولأحكامِهِ مُهْمِلُون، وعن الوَعْدِ والوَعِيدِ ذاهِلُون، تُحَرِّمُون وتُحِلُّون ما شاءتْ لكم المصالحُ والأهواءُ، لا ما جاءَ به الكتابُ أو بيَّنَهُ الرسولُ، وليس من الإيمانِ أنْ تَظْهَرُوا بالخيرِ فيما تَقولُون، وتَسْتَتِرُونَ بالشَّرِّ فيما تَفْعَلُونَ، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية. رُبَّ مُصَلٍّ لا تَنْهاهُ صلاتُهُ عن الفَحْشاءِ والمُنكرِ، وصائمٍ ليس له مِن صِيامِهِ إلاَّ الجُوعُ، ورُبَّ قارىءٍ للقرآنِ والقرآنُ يَلْعَنُهُ، ومُتصدِّقٍ لا يُريدُ بِصَدَقَتِهِ إلاَّ الرِّياءَ والمَكْرَ. وإنَّما الدِّينُ أنْ تَعْبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإنْ لمْ تكُنْ تَرَاهُ

فإنه يَرَاكَ، والإيمانُ أنْ تُحِبَّ لأخيك ما تُحِبُّ لنفسِك ولا تَكْرَه نعمةَ اللهِ عليه، وصِدْقُ اليقينِ، وعلامَتُهُ التَّقْوَىٰ أنْ يَتْرُكَ المؤمنُ ما حُرِّمَ عليه وإن اشتاقَ إليه، وأفلحَ مَن راقَبَ اللهَ في سِرِّهِ وعلانِيَتِهِ وأصلحَ ظاهِرَهُ وباطِنَهُ.

في الحب والبغض في الله (٢)

الحمدُ للهِ الذي أوْدَعَ المَحَبَّةَ في قُلوبِ أوليائِهِ وحَمَاهَا وأذَاقَهُم لَذِيذَ خِدْمَتِهِ، فلم يلتفتوا إلىٰ سواها. أحمدُهُ ـ سُبحانه ـ علىٰ نِعَمٍ أعطاها وأسْدَاها. وأشكُرُه شُكراً يكون مَزِيداً لِنَمَاهَا.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، تعالىٰ ربًّا وإلـٰهاً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خيرُ البَرِيَّةِ وأزكاهَا، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: يقولُ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾

عبادَ الله: إنَّ بعضَ الناسِ يَسيرُ وراءَ هَوَاهُ في حُبِّ الناسِ وبُغْضِهم، ويُحَكِّمُ أغراضَهُ ومُيُولَهُ في الرِّضاءِ عنهم وكُرْهِهم. ولا يُوجِّهُ حُبَّهُ وبُغْضَهُ في وِجهَةِ الحقِّ والعقلِ والدِّينِ.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «مَن أحبَّ في اللهِ، وأبغضَ في اللهِ، ووالَىٰ في اللهِ، وعادَىٰ في اللهِ، فإنَّما تُنَالُ وَلاَيَةُ اللهِ بذٰلك. ولَن يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمانِ وإنْ كَثُرَتْ صلاتُهُ وصَومُهُ حتَّىٰ يكونَ كذٰلك، وقد صارتْ عامَّةُ مؤاخاةِ الناسِ علىٰ أمرِ الدنيا، وذٰلك لا يُجدِي علىٰ أهلِهِ شيئاً». قوله: «مَن أحبَّ في اللهِ» أي أحبَّ أهلَ الإيمانِ باللهِ وطاعتِهِ مِن أجلِ ذٰلك. «وأبغضَ في اللهِ»: أي أبغضَ مَن كفرَ باللهِ وأشركَ به

وفسقَ عن طاعتِهِ لأجلِ ما فعلُوه ممَّا يُسخِطُ اللهَ، وإنْ كان أقربَ الناسِ إليه. قوله: «ووالىٰ في اللهِ»: أي ممَّنْ أحبَّ اللهَ ـ تعالىٰ ـ أحبَّ فيه ووالىٰ أولياءَه وعادىٰ أهلَ معصيتِهِ وأبغَضَهُمْ، وجاهدَ أعداءَهُ ونصرَ أنصارَهُ. وكُلَّما قَوِيَتْ محبَّةُ العبدِ للهِ في قلبِهِ، قوِيَتْ هـٰذه الأعمالُ، وبكمالِها يَكملُ توحيدُ العبدِ، فمُقِلٌّ ومُستكثِرٌ ومَحرُومٌ.

وقال ﷺ: «**لا يَجِدُ العبدُ صريحَ الإيمانِ حتَّىٰ يُحبَّ للهِ ويُبغضَ للهِ**» فإذا أحبَّ للهِ وأبغضَ للهِ، فقد استحقَّ ولايةَ اللهِ، وفي حديثٍ آخرَ: «**أوثَقُ عُرىٰ الإيمانِ الحُبُّ في اللهِ والبُغضُ في اللهِ عزَّ وجلَّ**» لهَذَا وَضَع الإسْلَام مِيْزاناً للحبِ، وحَدَّ حُدوداً للرضَا والسَّخَط حتَّىٰ لا تَضيع الحُقُوْق، ولاَ تَفْنَى البِلَاد بينَ حُبٍّ أعمىٰ وبُغْضٍ عَقِيمٍ. تَدخَّلُ الإسلامُ في الحُبِّ والبُغضِ يَمنَعُ شَرَّهما ويُوقِظُ خَيرَهُما ويَجعُلها سِلاحَيْنِ مِن أسلِحَةِ الحَقِّ وإسعادِ الناسِ، فنهىٰ عن الحبِّ للدنيا والحبِّ لمصلحةٍ عاجلةٍ وغايةٍ سافلةٍ وعن حبِّ الأغراضِ والغاياتِ، فهـٰذا حبٌّ زائلٌ مُتقلِّبٌ ليس له ثَباتٌ أو قَرارٌ. أمَّا الحبُّ الذي يَرضاهُ الدِّينُ ويُقرُّهُ الإسلامُ فهو أنْ تُحِبَّ في اللهِ وتُبغضَ في اللهِ، تُحبُّ المؤمنين والصالِحين، وتُبغضُ الكافرين والمُفسِدين، تُحبُّ أولياءَ اللهِ، أنصارَ دِينِهِ، وتُبغضُ أعداءَ اللهِ الحائِدين عَن سَبيلِهِ، تُحِبُّ مَن أَحَبَّ اللهَ وأمرَكَ بِمعْرُوفٍ ونَهاكَ عنْ مُنكرٍ ولو خالفَكَ في أهوائِكَ، وتُبغِضُ مَن يُبغضُ أوامرَ اللهِ ورسولِهِ، ويَرتكِبُ ما حرَّم اللهُ ورسولُهُ، ولو وافقَكَ علىٰ

أغراضكَ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ وقال ﷺ: «**مَن أحبَّ للهِ وأبغضَ للهِ وأعطىٰ للهِ ومنعَ للهِ، فقدَ استكملَ الإيمانَ**» يَفتخِرُ بعضُ الناسِ أَنَّهُ لا يُبْغِضُ ولا يُبْغَضُ، ولا يَكْرَهُ ولا يُكْرَهُ مُطْلقاً ويَظُنُّ أنَّ هـٰذا كرمٌ في الأخلاقِ، بل هو عَدَمُ غِيرَةٍ علىٰ دِينِهِ وإيمانِهِ، فَمَنْ لا يَكْرَهُ إنساناً عاصِياً هَيهَاتَ أنْ يُحِبَّ عَبْداً مُطِيعاً، وإنْ كانَ التَّسامُحُ والصَّفْحُ والعَفْوُ عَمَّن ظلمك، مِن عَزْمِ الأمُورِ. فهـٰذا في حقِّ مَن أساءَ إليك لا مَن أساءَ لدِينك.

إنَّ كُنت تُحِبُّ مُؤمِناً بِسببِ إخلاصِهِ لدِينهِ فكيفَ لا تُبغِضُ مَن كانَ مُتهتِّكاً فاجِراً، تَعفُو عمَّن ظَلَمَك، ولـٰكن ما رأيُك فيمَن ظلَمَ نفسَهُ وعصَىٰ ربَّه، فخالَفَهُ؟ وما رأيُك في الزُّناةِ هاتِكِي الأعراضِ؟ ما رأيُك في مُدمِنِ الخُمرِ والمَيْسِرِ؟ ما رأيُك في أَكَلَةِ الرِّبا ومَن يَشهدُون الزُّورَ ويَغتَصِبُون الحُقُوقَ؟ ما رأيُك فيمن يُؤذِي العِبادَ ويَخُونُون الدِّينَ والبِلادَ؟ ما رأيُك في هـٰؤلاء؟ تُحِبُّهم فَتُعِينُهم علىٰ الظُّلمِ، أَمْ تُبْغضُهم وتحقِرهم، عسىٰ أنْ يَرْجِعُوا عن بَغْيِهم، لا مَفَرَّ أنْ يَكونَ لنا أعداءٌ نبغِضُهم في الله كما يكون لنا أصدقاءٌ نُحِبُّهم في اللهِ؛ فرسولُ اللهِ ﷺ يقول: «**أوثَقُ عُرَىٰ الإيمانِ الحُبُّ في اللهِ، والبُغضُ في اللهِ**» تَقَرَّبُوا إلىٰ اللهِ ببُغْضِ الظَّلَمَةِ والمُنافِقِين، كما تَتَقرَّبُون إليه بِحُبِّ الصالحين. اعبُدُوا اللهَ بِكُرْهِ الفَاسِقِين، أَشْعِرُوهم بَمَقْتِكُمْ لآثامِهِمِ وسَخَطِكم علىٰ إجرامِهِم، ولا تَتَسَامَحُوا فيما يَمَسُّ الدِّينَ، ولا تَصْفَحُوا عمَّن يُحارِبُ ربَّ

العالمين، ولو كان أقربَ الأهْلِينَ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾. أمرنا اللهُ ـ تعالىٰ ـ بقِتالِ أيِّ فِئَةٍ مِن المؤمنين تبْغي قِتالَ فِئَةٍ أُخرىٰ مُؤمِنَةٍ. قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ الآية.

تمشي المرأةُ مُتكشِّفَةً مُتبجِّحَةً بِخَلاعَةٍ تُغْري، فلا تَجِدُ ناقداً ولا كارِهاً، بل تُحِسُّ بإعجابِ الناسِ وافتِتانِهم بها، يُجاهِرُ العُصاةُ بالمعاصي، فلا يُصادِفُون رادِعاً يَرُدُّهم إلىٰ الحقِّ، كَثُرَ الفسادُ وعَمَّ البلاءُ، ولو كانت عندنا غيرَةٌ دِينيَّةٌ ونَخْوَةٌ إسلاميةٌ وبُغْضٌ للمُجرِمين لَقُطِعَ دابِرُ الشَّرِّ، ولٰكنَّ الناسَ لا يُحِبُّون إلاَّ لِغَرَضٍ، ولا يُبْغِضُون إلاَّ لمَرَضٍ في قُلُوبِهم.

عباد الله: لا نَجاةَ لكم إلاَّ بِحُبِّ اللهِ ورسولِهِ، وبِحُبِّ مَن يُحِبُّ اللهَ ورسولَه؛ فقد قال ﷺ: **«ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه، وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمانِ: أنْ يَكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأنْ يُحبَّ المرءَ، لا يُحِبُّهُ إلاَّ للهِ، وأنْ يَكرَهَ أنْ يَعودَ في الكُفرِ بعد إذ أنقَذَهُ اللهُ منه كما يَكْرَهُ أنْ يُقذَفَ في النَّارِ»**.

في عظم شأن الصلاة

الحمدُ للهِ الذي فرضَ الصَّلاةَ على العبادِ رحمةً بهم وإحساناً. وجعلَها صِلَةً بينهم وبينَهُ ليزدادُوا بذلك إيماناً. أَحْمَدُهُ ـ سُبحانه ـ، كَرَّرَها كلَّ يومٍ؛ حتى لا يَحْصُلَ الجفاءُ، ويسَّرها عليهم؛ حتى لا يَحْصُلَ التَّعَبُ والعناءَ، وأَجْزَلَ لهم ثوابَها، فكانتْ بِالفعلِ خَمْساً، وبالثَّوابِ خمسين، فَضْلاً منه ـ سبحانه ـ وامْتِنَاناً.

وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، خالِقُنا ومولانا. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُهُ أخشى الناسِ لربِّه سرًّا وإعلاناً. الذي جعل اللهُ قُرَّةَ عَيْنِه في الصلاةِ، فَنِعْمَ العملُ لِمَنْ أرادَ من ربِّه فضلاً ورِضْواناً. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبِعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

أمَّا بعدُ:

أيُّها المسلمون: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالى ـ وحافِظوا على الصَّلواتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى، وقُومُوا للهِ قَانِتين؛ فإنَّ المُحافظةَ على الصلواتِ من أكبرِ الأسبابِ لدُخولِ الجَنَّةِ، وإنَّ التَّهاوُنَ بها والتضييعَ لها من أكبرِ الأسبابِ المُوجبةِ لدخولِ النَّارِ.

عبادَ الله: إذا تدبَّرنا كتابَ اللهِ ـ تعالى ـ، وما فيه من الوَعْدِ والوَعِيدِ، وَجَدْنا أنَّ للمُحافظِ على الصلواتِ من الوَعْدِ أَجْزَلَهُ وأَكْرَمَهُ وأَتَمَّهُ وأَعَمَّهُ

للخَيْرِ والبَرَكَةِ، وأنَّ لِتَارِكِ الصلاةِ والمُتهاوِنِ بها من الوعيدِ أَشَدُّهُ وأَعْظَمُه وأَوْجَعُهُ وأَقْسَاهُ. فتارةَ نجدُ المُحافِظين على الصلاةِ هم الوارثون الذين يَرِثُون الفِرْدَوسِ هم فيها خالِدون، وتارةً في جَنَّاتٍ مُكْرَمُون، وتارةً أصحابُ الجَنَّةِ هُمْ فيها خالِدون. وأمَّا المُضَيِّعُون لِلصَّلواتِ والمُتهاوِنُون بها، فَنَجِدُ في كِتَابِ اللهِ ـ تعالى ـ أنَّهم في سَقَرٍ. وسَقَرٌ هذا مكانٌ فَظِيعٌ مِنَ النَّارِ، عَظِيمٌ هَوْلُهُ أَلِيمٌ عَذَابُهُ. وقد قصَّ اللهُ من خبرِ أهلِها قرآناً لينذر به وذكرىٰ للمتَّقين، فقال ـ تعالى ـ عن المُجرمين: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣) ﴾ [المدثر: ٤٢،٤٣]. وهنا يتبيَّن للبصيرِ الحقُّ، عندما بدأ المُجرِمون بالصَّلاةِ في إجابتِهم على سؤال: ما سلككُم في سَقَرَ؟ لعلمهم أن تركَ الصَّلاةِ وعدم الاهتمامِ بها هو الذي أوقعَهُم وأَرْدَاهم وسَلَكَهُم في سَقَرَ. وقد عظَّم الله أمرَ سقرَ، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ (٢٧) ﴾ [المدثر: ٢٧] فذكر فظاعَتَها، وقال: ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) ﴾ [المدثر: ٢٨،٢٩] أي حرَّاقة للجلْدِ. ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) ﴾ [المدثر: ٣٠] من مقدم الزَّبانيةِ عَظِيمي الخَلْقِ غَلِيظي الخُلق. كما أن لتاركِ الصلوات والمُتهاون بها كل أنواعِ الخَسَارِ والبَوَارِ والعَذَابِ المُضاعَفِ الشديد، وهو ما ذكره اللهُ ـ تعالىٰ ـ بقوله: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) ﴾ [مريم: ٥٩] وغيٌّ هذا ـ قيل إنه ـ وادٍ في جهنَّم بعيد القعر خبيث الطعمِ. وكذا لهم الويلُ الذي ذكرَهُ اللهُ بقولِهِ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤)

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝٥﴾ [الماعون: ٤، ٥] ومِن الناس مَنْ يُحافظ على الصلوات ويُبادر إلى الجُمَع والجماعات، ولكن يُوجد في بيته من بنين وبنات من يتهاون بالصَّلاةِ، وهو لا يُنكر عليهم ولا يأمرهم بأداءِ الصَّلاةِ، بل من هؤلاء من يَكْرَهُ تفقُّد أبنائه من إمامِ المسجد ومُؤذِّنه أو مِن غيرِهما، ومِنْهم مَنْ يغضبُ إذا رُفِعَ بأبنائه، ويُعادي إمامَ المسجد ومؤذِّنه من أجلِ ذلك. ومَنْ كان كذلكَ فإنَّه يُخشىٰ عليه من أن يتَّصِفَ بصفةِ مَنْ ذَكَرَهُ اللهُ ـ تعالى ـ بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩﴾ [محمد: ٩] لأنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المُنكرِ ممَّا أنزل اللهُ ـ تعالى ـ وممَّا أمرَ عبادَه به. فاتَّقُوا الله عبادَ اللهِ وأقِيمُوا فرائضَ اللهِ، ومن ذلك الصلاةُ، ولا يشغلنَّكُم عنها، أو يحملكم على التَّهاوُنِ بأدائِها في وقتِها أيُّ شاغلٍ مِن وظيفةٍ أو رياسةٍ، أو تجارةٍ أو احترافِ حرفةٍ، فضلاً عن اللَّهْوِ واللعبِ والتجمُّع لِمُشاهدة البَاطلِ وأهلِه وتَرْكِ فريضةِ ربِّ العالمين.

اتَّقُوا اللهَ أيُّها المسلمون، فإن الصَّلاة عمودُ دينكم، ولا دينَ لمن لا صلاةَ له، لا حظَّ في الإسلام لمن تركَ الصَّلاةَ، إقامةُ الصلاةِ إيمانٌ، وإضاعتُها كُفْرٌ ونِفاقٌ. اتَّقُوا اللهَ ربَّكم، واخشَوْا يوماً تُرجعون فيه إلى اللهِ، ثم توفَّىٰ كلُّ نفسٍ ما كسبتْ. كيف تُضيَّع الصلاةُ أيُّها المسلمون وهي الصِّلةُ بينكم وبين ربِّكم، إذا لم يكن بينكم وبين ربِّكم صلةٌ، فأين العُبُوديَّةُ، وأين المحبَّةُ والخُضوعُ والانقيادُ والاستسلامُ للهِ؟ بل أين

الدِّينُ والإِسلامُ؟ لقد خاب وخسر من ضيَّع الصلاة، وغُبِنَ، ويالَهُ مِنْ غُبْنٍ! إنه غُبْنٌ في الدِّين، ويا خسارة من كان غبنه في الدِّين.

أمة محمدٍ: لقد بلغَ من عنايةِ الإسلامِ بأمرِ الصَّلاة أنْ أمرَ بإقامتها في الحَضَرِ والسَّفَرِ وفي السِّلْمِ والحربِ، ولم يُرخِّص في تركِها للمريضِ، فقال ﷺ: «**صَلِّ قائماً. فإنْ لم تستطعْ، فقَاعِداً. فإنْ لم تستطعْ فعلىٰ جنبٍ**» وحضَّ الآباءَ علىٰ أمرِ أبنائهم بالصَّلاةِ منذ أن يبلُغُوا سبعَ سنين، فقال: «**مُرُوا أبناءَكم بالصَّلاةِ لِسَبْعٍ، واضربُوهم عليها لِعَشْرٍ**» ولم يرخِّص في تركها عند اشتدادِ الخوفِ في الحُروبِ، بل أمَرَ أن يُصلِّي الجيشُ إذا حانَ وقتُ الصَّلاةِ بإمامٍ واحدٍ، وإذا لم يستطيعوا ذلك صلَّوا رِجَالاً أو رُكْبَاناً، مستقبلي القبلةِ أو غير مُستقبليها، يُومِؤُن إيماءً بقدرِ الطاقة، وفي ذلك كله ما يُوجب الاهتمام بالصَّلاةِ وعدم التفريطِ فيها.

أمة محمدٍ: اتَّقوا الله في وصيَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ في آخرِ حياتِه، بل وهو في سَكَرَاتِ الموتِ ﷺ، إذ يقول: «**الصَّلاةَ الصَّلاةَ. وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكم**» حَتَّىٰ جَعَل نبي الله ﷺ يُلَجْلِجُها في صدرِه، وما يُفيض بها لسانه. وعن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: كان آخرُ كلامِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**الصَّلاةَ الصَّلاةَ.. اتَّقُوا اللهَ فيما ملكتْ أَيْمَانُكُم**» [رواهما أحمد وغيره بسند جيد]

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩]. أقول قولي هذا... إلخ.

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ العليِّ الكريمِ الوهَّابِ. والحمدُ للهِ الذي يُعطِي مِنْ فَضْلِه مَنْ يشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ. أحمدُه ـ سُبحانه ـ جعلَ في اختلافِ الليلِ والنهارِ آياتٍ لأُولِي الألبابِ، وجعلَ الشَّمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وقدَّره منازِلَ لِتَعْلَمُوا عددَ السِّنِينَ والحسابِ. وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريكَ له الرَّحيمُ التَّوَّابُ، سبحانه لا إلٰه إلا هو عليه توكَّلتُ وإليه متاب، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أمَّا بعد، أيُّها المسلمون. . قد أجْمعَ المسلمون على مشروعيَّةِ صلاةِ الجَمَاعَةِ، وأنها من أفضلِ الطَّاعاتِ. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «وُجُوبُها على الأعْيانِ هو إجماعُ الصَّحابةِ وأئِمَّةِ السَّلَفِ، وهو الذي يدلُّ عليه الكتابُ والسنةُ». وقال: «من أصرَّ على تَرْكِ الجماعةِ فَهُوَ آثمٌ مُخالفٌ للكتابِ والسنةِ وما كان عليه سلفُ الأمَّةِ». وقال ابن عباس عن رجلٍ يُصلِّي بالليلِ، ولا يَحْضُرُ صلاةَ الجماعةِ، فقال: «هو في النَّارِ». وقال الشافعيُّ: «أمَّا الجماعةُ فلا رُخْصَةَ فيها، إلاَّ مِن عُذْرٍ». وقال ابنُ القيِّم ـ رحمه الله تعالى ـ: « من تأمَّل السنةَ تَبيَّن له أنَّ فِعْلَ الصلاةِ في المساجدِ فرضُ عينٍ». وفي الحديث المتَّفَقِ عليه: «**أثْقَلُ الصلاةِ على المُنافقين صلاةُ العشاءِ والفجرِ، ولو يعلمون ما فيهما لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً. ولقد هَمَمْتُ أن آمُرَ**

بالصلاةِ، فَتُقامُ، ثم آمُر رجلاً، فيصلِّي بالناسِ، ثم أنطلقُ معي برجَالٍ معهم حِزَمٌ من حطبٍ إلى قومٍ لا يشهدُون الصلاةَ، فأُحرِّق عليهم بيُوتَهم بالنارِ». وفي رواية لأحمد: «لَوْلَا ما في البيُوتِ من النِّساءِ والذُّرِّيَّة». فبيَّن في هذه الرواية أنه إنما مَنَعَهُ من تحريقِ المتخلِّفين عن الجماعةِ من في البيُوتِ من النساءِ والذَّرَارِي الذين لا تجب عليهم الجماعة. قال الحافظُ: «هذا الحديثُ ظاهرٌ في كونها فرضَ عينٍ؛ لأنها لو كانت سُنةً، لم يُهدِّد تاركَها بالتحريقِ، ولو كانت فرضَ كِفايةٍ، لكانت قائمةً بالرسولِ ﷺ ومَنْ معه، وكَوْنُ الشَّيءِ واجباً لا يُنافي كَوْنَهُ فضيلةً. وفي صحيح مسلم أنَّ رجلاً أعمى قال: يارسولَ الله ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجدِ. فسأله أن يرخِّص له أن يصلِّي في بيته، فرخَّص له. فلمَّا ولَّىٰ دعاه فقال: «هل تسمع النِّداءَ؟» قال: نعم. قال: «فَأَجِبْ». قال شيخُ الإسلام: «وهذا نصٌّ في إيجابِ الجماعةِ». وفي السُّننِ عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ سَمعَ النداءَ ثم لم يُجِبْ من غيرِ عُذْرٍ، فلا صلاةَ له» وقال ﷺ: «لا صلاةَ لفَرْدٍ خلفَ الصفِّ». قال ابن القيِّم ـ رحمه الله تعالى ـ: «فكيفَ بِمن كان فرداً في الجماعةِ والصُّفوفِ!؟». أي الذي يُصلِّي في بيته.

عباد الله: يتعيَّن على المُسلمين أن يَتفقَّد بعضُهُم بعضاً لحُضُورِ صلاةِ الجماعةِ، خُصُوصاً صلاة الفجرُ؛ فإنها قد تَثْقُلُ على بعضِ الناسِ في مِثْلِ هذا الوقتِ، فيحتاج إلى مُناصَحَةِ إخوانِه وإعانَتِهم إيَّاه على نفسِه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وأمَّا إمامُ المسجدِ ومؤذِّنُه فإنَّه يتأكَّدُ في حقِّهما ذلك التَّعيُّنُ؛ كَيْفَ وقد رُزِقُوا من بيتِ المالِ ليتفرَّغُوا لِوعظِ المأمُومِين وإرشادِهم وللإبلاغِ بمن لا ينفعُ فيه الوعظُ والتذكيرُ ممن لا يشهدُ الجماعةَ، والرفع به؛ لحديث أُبَيِّ بن كعبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: صلَّى بنا رسولُ اللهُ ﷺ يوماً الصُّبحِ، فقال: «**أشاهدٌ فلانٌ؟**» قالوا: لا. قال: «**أشاهدٌ فلانٌ؟**» قالوا: لا. فقال ﷺ: «**إن هاتَيْنِ الصلاتَيْنِ أثقلُ الصلواتِ على المُنافقين، ولو يعلمون ما فيهما لأَتَوْهُمَا، وَلَوْ حَبْواً على الرُّكَبِ**» الحديث [رواه أحمد، وأبوداود، وابن خزيمة وابن حِبَّانَ في صحيحيهما، والحاكم]. فاتَّقوا اللهَ يا أئِمَّةَ المساجدِ، وقُومُوا بما تحمَّلْتُم من الأمانَةِ، وراقِبُوا اللهَ ـ عز وجل ـ، وتفقَّدُوا جماعةَ مساجدِكم بأنفسِكم، فإنها سنَّة نبيِّكم ﷺ كما في الحديث الصحيح، ولَفْظُ البُخاري: «**لقد هممتُ أن آمُرَ المؤذِّن، فيُقيم، ثم آمرَ رجلاً يَؤُمُّ الناسَ، ثم آخُذ شُعَلاً من نارٍ، فأُحَرِّق على من لا يَخرجُ إلى الصلاةِ بعدُ**» ولحديث مالكٍ عن عمرَ بنِ الخطابِ ـ رضي الله عنه ـ أنه فقد سليمانَ بن أبي حَثْمة في صلاةِ الصُّبحِ، فمرَّ عمرُ ـ رضي الله عنه ـ على أمِّه، فقال لها: لَمْ أَرَ سليمانَ في الصبح. فقالت له: إنه باتَ يُصلِّي فغلبتْهُ عَيناهُ. قال عُمرُ ـ رضي الله عنه ـ: لأنْ أشهدُ صلاةَ الصبحِ في جماعةٍ أحبُّ إليَّ من أن أقومَ ليلةً.

فانظروا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ تعالىٰ ـ إلى الخَلِيفةِ الراشدِ ـ رضي الله عنه ـ يتفقَّدُ أهلَ الخيرِ والصَّلاحِ في زمنِ القُرُونِ المُفضَّلةِ. أفلا نتأسَّىٰ برسولِ

اللهِ وصحابتِهِ؟ كيف ونحن في وقتٍ كَثُرَ فيه التَّخلُّفُ عن صلاةِ الفجرِ؟ فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهَ، وتعاوَنُوا على البِرِّ والتَّقوىٰ وأَخْلِصُوا عملَكم للهِ ـ تعالى ـ بإعانةِ إخوانِكم على أنفسِهم وارغبُوا في دعاءِ النَّبيِّ ﷺ إذْ يقولُ: «الإِمامُ ضامِنٌ والمؤذِّنُ مُؤتَمَنٌ. اللهمَّ أرشدِ الأئمةَ واغفرْ للمؤذِّنين» [رواه أبوداود، والترمذي، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما، إلا أنهما قالا: فأرشدَ اللهُ الأئمَّةَ وغفرَ للمؤذِّنين] وفي أخرى قال رسولُ اللهِ ﷺ: «المُؤذِّنون أُمَناءُ، والأئمةُ ضُمناءُ. اللهم اغفرْ للمؤذِّنين، وسَدِّدِ الأئمةَ» ثلاث مرَّات. [رواه أحمد]

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

عباد الله: إن اللهَ وملائكتَه يُصَلُّون علىٰ النَّبيِّ... إلخ.

في فضل الصوم ومفطراته

الحمدُ للهِ الذي اخْتَصَّ شهرَ رمضانَ بفضيلةِ الصِّيامِ، وأنْزَلَ فيه الكِتابَ. والحمدُ للهِ الذي جعلَ الصِّيامَ جُنَّةً مِنَ العَذَابِ، وفَضَّلَه علىٰ سَائِرِ الأعمالِ، فهُو يَجْزِي به بِغَيْرِ حِسَابٍ. نَحْمَدُه ـ جل وعلا ـ ولا نُحْصِي ثَنَاءً عليه، حَمْدَ مَنْ إليه أنابَ.

وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبارك عليه وعلىٰ آلِه وصحبه ـ.

أما بعد:

أيها المسلمون: إنَّ الجزاءَ علىٰ الصَّوْمِ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ، وَحَسْبُ الصَّائِمِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ أَجْرَه وَجَزَاءَه فَوْقَ كُلِّ جَزَاءٍ. ذٰلك لأنَّ اللهَ ـ تعالىٰ ـ اخْتَصَّ هـٰذه العِبادةَ لِنَفْسِه وشَرَّفَها بِنِسْبَتِها إليه، ووَعَدَ عليها الجزاءَ الأوفَىٰ دُونَ حَصْرٍ أو تَقْيِيدٍ، كَمَا في الصَّحِيحِ عن النَّبيِّ ﷺ: «**كُلُّ عملِ ابنِ آدمَ يُضَاعَفُ: الحسنةُ بِعَشْرِ أمثالِها إلىٰ سَبْعمائةِ ضِعْفٍ. قال اللهُ ـ عز وجل ـ: إلَّا الصَّومَ فإنَّه لي، وأنا أَجْزِي به. يَدَعُ شَهْوَتَه وطعامَه مِن أَجْلِي. للصَّائِمِ فَرْحتانِ: فَرْحَةٌ عند فِطْرِهِ وفَرْحَةٌ عند لِقاءِ رَبِّهِ. ولَخلُوف فِيهِ أَطْيَبُ عند اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ**» [رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم].

فَيَا له مِنْ جزاءٍ عظيمٍ ادَّخَرَهُ اللهُ للصائِمين. وحَرَمَ مِنْهُ أقوامٍ زَلَّتْ بِهِمْ الأقدامُ، اتَّبَعُوا الهَوَىٰ والشيطانَ، واجْتَرَؤُوا علىٰ المَعْصِيَةِ والفِطْرِ في

رمضانَ دُونَ ما عُذْرٍ مُبيحٍ، فَبَاؤُوا بالخَيْبَةِ والخُسْرَانِ، يومَ يَجْزِي اللهُ الصائمينَ إحْساناً بإحسانٍ.

عباد الله: ذَكَرَ البُخارِيُّ في صَحِيحِه عن أبي هريرة تَعْلِيقاً غيرَ مَجْزُومٍ عن النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ أفطرَ يوماً مِنْ رمضان مِن غَيْرِ عُذْرٍ ولا مَرَضٍ لم يَقْضِهِ صومُ الدَّهْرِ، وإِنْ صَامَه**» وعن أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**بيْنَا أنا نائمٌ أَتَانِي رجُلان فأَخَذا بضَبْعيَّ، فَأَتَيَا بي جَبَلاً وعراً فقالا: اصْعَدْ. فقلتُ: إنِّي لا أُطيقه. فقالا: إنا سنسَهِّلُه لك. فَصَعَدْتُ، حتىٰ إذا كنتُ في سواءِ الجَبَلِ إذا بأصواتٍ شديدةٍ، قلت: ما هـٰذه الأصواتُ؟ قالوا: هذا عُوَاءُ أهلِ النارِ، ثم انْطُلِقَ بي، فإذا أنا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ بِعَرَاقِيبِهم مُشَقَّقَةٌ أَشْدَاقُهم، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُم دَماً. قال: قلتُ: مَن هؤلاء؟ قالا: الَّذين يُفْطِرُون قبلَ تَحِلَّةِ صومِهِم**» الحديث [رواه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهما] وقوله (قبل تحلَّة صومهم) معناه يفطرون قبلَ وقتِ الإفطارِ.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واحفظوا صومَكم، واجْتَنِبُوا مايُبطِلُه ويفسده مِن المُفْطِرَات، وهي:

١ـ الرِّدَّةُ عن الإسلام. قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] نسألُ اللهَ السلامةَ والعافِيَةَ وحُسْنَ الخَاتِمَةِ.

٢ـ الأكلُ والشُّربُ عَمْداً. ومنه شُرْبُ الدُّخَانِ، مع أنَّه مُحرَّمٌ في غير الصيامِ. قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ

﴿مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. إلاَّ إذا أكلَ الصائمُ أو شرِبَ ناسياً، فإنه لا يُفسدُ صومَه؛ لِقولِ الرسولِ ﷺ: «**من نَسِيَ وهو صائِمٌ فأَكَلَ أو شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَه؛ فإنَّما أطْعَمَه اللهُ وسَقَاهُ**» [متفق عليه].

٣ـ الجِمَاعُ في نهارِ رمضانَ: وهو وَطْءُ الرجلِ زوجتَه عَمْداً. وهو مِن الفواحِشِ الكِبارِ المُهْلِكاتِ، يُوجبُ الكَفَّارَةَ المُغَلَّظَةَ، وهي على التَّرتيبِ، عِتْقُ رقبةٍ مؤمنةٍ عن اليومِ الواحدِ من رمضانَ، فإنْ لم يَجدْ فَصِيامُ شهرين مُتَتَابِعَيْنِ، فإنْ لم يستطعْ فإطعامُ سِتِّين مِسْكيناً.

والمرأةُ المَوْطُوءَةُ إنْ كانتْ ذَاكِرَةً مُطَاوِعَةً فَعَلَيْهَا ما على الرَّجُلِ الوَاطِىءِ مِنَ الكفَّارَةِ والقَضَاءُ والإثْمُ؛ لأنَّ الأصلَ تَسَاوِيهِما في الأحكامِ؛ لِمَا في الصحيحين مِن حديثِ أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاءَ رجلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقال: هَلَكْتُ. قال: «**وما أَهْلَكَكَ؟**» قال: وَقَعْتُ علىٰ امْرَأَتِي في رمضانَ. قال: «**هل تَجِدُ رَقَبَةً؟**» قال: لا. قال: «**فهل تستطيعُ أنْ تصومَ شهرَين متتابِعَين؟**» قال: لا. قال: «**فهل تَجِدُ ما تُطْعِمُ سِتِّين مِسْكِيناً؟**» قال: لا... الحديث.

٤ـ مِن المُفْطِراتِ: إنْزَالُ المَنِيِّ بِاخْتِيَارِه، بِمُبَاشَرَةٍ بما دُونَ الفَرْجِ، كاللَّمْسِ والقُبْلَةِ، أو الاِسْتِمْنَاءِ. ومَنْ فعلَ ذلك فعليه القَضَاءُ مع الإثْمِ، ولا كَفَّارَةَ فيه، وإنَّما فيه التَّوْبَةُ، وهي الإقْلاعُ، والعَزْمُ أنْ لا يَعُودَ، والنَّدَمُ علىٰ ما مَضَىٰ.

٥ـ خروجُ دَمِ الحَيْضِ والنِّفَاسِ، وهٰذا يَجِبُ الفِطْرُ فيه ويَحْرُمُ الصَّومُ، وعليها القضاءُ؛ لحديثِ: «**أليس إذا حاضتْ لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ**».
وإذا طَهُرَتِ الحائضُ والنُّفَساءُ، أو قَدِمَ المسافرُ في أثناء النهارِ، لَزِمَهُمُ الإمساكُ والقَضاءُ لذلك اليوم لأنهم لم يصوموه، ولٰكن يُمْسِكُوا لِحُرْمَةِ الوقتِ، ولزوال المُبيحِ للفِطْرِ.

٦ـ القَيْءُ، إذا أخرجَه متعمداً؛ لِما رَوىٰ أصحابُ السُّننِ عن النبيِّ ﷺ: «**مَن اسْتَقَاءَ عَمْداً فَلْيَقْضِ. . .**»

٧ـ إخراجُ الدَّمِ الكثيرِ عَمْداً، بالحِجَامَةِ أو الفَصْدِ أو السَّحْبِ، بِجامعِ أن كلَّ هٰذا إخراجٌ للدمِ من البَدَنِ، وإخراجُه يُسببُ الإِنْهاكَ والضعفَ للصائمِ كما في الحَيْضِ. قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: «وقد بَيَّنَّا أنَّ الفِطْرَ بالحِجامَةِ على وَفْقِ الأصولِ والقِياسِ، وأنه مِن جِنْسِ الفِطْرِ بِدَمِ الحيضِ، والاستقاءَةِ والاستِمْناءِ، وإذا كان كذٰلك، فَبِأَيِّ وجهٍ أرادَ الصائمُ إخراجَ الدمِ ـ بِفَصْدٍ أو شَرْطٍ أو رُعافٍ ـ أفطرَ، كما أنه بِأَيِّ وجهٍ أخرج القيءَ أفطرَ، فتلك طرقٌ لإخراجِ القيءِ، وهٰذه طرقٌ لإخراجِ الدم، والمعنىٰ الموجودُ في الحجامةِ موجودٌ في الفَصْدِ ونحوه، ويَدُلُّ عليه كلامُ العلماءِ قاطبةً». انتهىٰ.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واغْتَنِمُوا فُرَصَ هٰذا الشهرِ في الطاعةِ؛ إذْ قامت لها السُّوقُ، وابْذُلُوا الجهدَ في في مُصابرةَ النفوسِ وقَسْرِها علىٰ الصبرِ، وتَحَمُّلِ ذٰلك رغبةً في أجرِ الصابِرين، إنَّما يُوفَّىٰ الصابرون أجرَهم بِغَيْرِ

حساب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤] ربَّنا تَقبَّل منَّا إنك أنت السميعُ العليمُ، وتُبْ علينا إنك أنت التَّوَّابُ الرَّحيمُ. أقولُ قَولي هـٰذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولِسائِرِ المسلمين مِن كُلِّ ذَنْبٍ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ الحليمِ الكريمِ، يُعْطي الجَزيلَ ويَتجاوزُ عن الذنْبِ العظيمِ. أحمدُه ـ سبحانه ـ؛ وَعَدَ الصائمين بالفضْلِ السابغِ والخيرِ العَميمِ. وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلمَ وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعين ـ.

أما بعد:

أيها المسلمون: إنَّ فَريضةَ اللهِ الصيامَ لا تَسْقُطُ بِحالٍ، إلاَّ لأهلِ الأعذارِ المشروعةِ، مِن مريضٍ يَتَضَرَّرُ بالصومِ، أو مسافرٍ مُباشرٍ للسفَرِ، أو حائضٍ ونُفَساءَ، أو حاملٍ أو مُرْضعٍ، كلُّ أولـٰئك يُباحُ لهم الفطرُ مع القضاءِ. أمَّا الرجلُ المُسِنُّ الذي لا يَقْوىٰ علىٰ الصيامِ، ومثلُه المرأةُ في وَضْعِهِ، والمريضُ الذي لا يُرْجىٰ بُرْؤُهُ، فعن هـٰؤلاء يَسقطُ الصومُ،

ويَكْفِيهِمْ أن يُطْعِموا عن كلِّ يومٍ مسكيناً.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وعَظِّمُوا الشهرَ المباركَ رمضانَ بالصيامِ والقيامِ والتَّنافُسِ في صالحِ الأعمالِ. فقد صحَّ في الحديثِ عن رسولِ اللهِ ﷺ: **«مَن صامَ رمضانَ إيماناً واحتِساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِه، ومَن قام رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تَقدَّمَ مِن ذَنْبِه»**.

عباد الله: اجْتَهِدوا وأَكْثِرُوا من دُعاءِ ربِّكم وسُؤالِه؛ فَلِهـٰذا اليومِ فضلٌ علىٰ سائِرِ الأيام. كما لِرمضانَ علىٰ سائِرِ الشُّهورِ. وساعةُ الإِجابةِ في يومِكم هذا كَالَيْلَةِ القدْرِ في رمضان.

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصَلُّون علىٰ النَّبيِّ... إلخ.

في فضل العشر الأواخر وخصائصها

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الصيامَ جُنَّةً من النارِ، والحمدُ لله الذي فَضَّلَ شهرَ رمضانَ بِما خَصَّهُ مِن الخصائِصِ والآثارِ. وخَصَّ فيه هـٰذه الأُمَّةَ بِلَيْلَةِ القَدْرِ التي مَن قامَها إيماناً واحتِساباً غُفِرَ له ما تَقدَّمَ مِن الأَوْزَارِ. نَحمدُه ـ سبحانه ـ علىٰ هـٰذه المِنَنِ العظيمةِ المِقْدَارِ.

وأشهدُ أن لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له العزيزُ الغَفَّارُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

أما بعد :

أيها المسلمون: أَمَا رأيْتُم تَصَرُّمَ الليلِ والنهارِ. وشاهدْتُم ما يَصنعُ مُرُورُهما بِهـٰذه الأعمارِ. أَمَا عايَنْتُم مِن مواعِظِهِما ما فيه مُزْدَجَرٌ لأُولِي الأبصارِ وتَبيَّن لكم سرعةُ مُرورِهما ومَسِيرِهما بِكُمْ عن هـٰذه الدارِ. فالغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ، والبدارَ البدارَ، قبل هُجومِ ما لا يُدفعُ ونزولِ ما لا يُنْجِي منه فِرَارٌ. أَلَسْتُمْ علىٰ سفرٍ، فتَزَوَّدُوا قبلَ أن يُقالَ: الرَّحيلُ الرحيلُ، وأنتم بلا زادٍ. أَلَسْتُم علىٰ يَقِينٍ مِن النقلةِ عن فَسِيحِ الأرضِ إلىٰ مَضَايِقِ الأَلْحَادِ، فَمَهِّدُوا لأنفسِكم في بُيُوتٍ ليس لها سوىٰ التَّقوىٰ مِن مِهَادٍ، واسْتَعِدُّوا لِمَعَادِكم؛ فالحَازِمِ مَن لم يُقَصِّرْ في الأُهْبَةِ والاستِعْدَادِ، واعلَمُوا أنكم في شهرٍ الفائزُ مَن جاءَ فيه بِعملٍ مبرُورٍ.

عباد الله: إنَّ ليالي العشرُ الأخيرِ مِن شهرِ رمضانَ هِي أفضلُ ليالي العامِ

كلِّه؛ لِما خُصَّتْ به مِن المَزَايَا العظيمةِ، والفضائِلِ الجَسِيمةِ التي أهمُّها ليلةُ القَدْرِ. فَمِنْ خصائِصِها:

أولاً: أنَّ النَّبيَّ ﷺ يَجْتَهِدُ فيها بالعملِ الصالحِ أكثرَ مِن غيرِها. والاجتهادُ فيها لا يَخْتَصُّ بعبادةٍ خاصةٍ، بل يَشملُ الاجتهادَ في جميعِ أنواعِ العبادةِ مِن صلاةٍ وتلاوةٍ وذِكْرٍ وصَدَقَةٍ وغيرِها مِنْ أعمالِ البِرِّ.

ثانياً: كان ﷺ يُوقِظُ فيها أهلَه للصلاةِ والذِّكْرِ حِرْصاً علىٰ اغْتِنامِ هٰذه المواسِمِ المُبارَكَاتِ. فإنها غَنِيمَةٌ لا ينبغي للمؤمنِ العاقلِ أنْ يُفوِّتَها ويُهْمِلَها، فتَذْهَبَ عليه سُدىٰ.

ثالثاً: كان يَعْتَكِفُ في هٰذه العَشْرِ لِيَتَمَتَّعَ بِهٰذه الخلوةِ بِذِكْرِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ ويَسْعَدَ بِلَذِيذِ مُنَاجَاتِه ويَبْتَعِدَ عن كلِّ ما يُشْغِلُهُ ويَقْطَعُهُ عن الخلوةِ بِرَبِّه ـ تعالىٰ ـ.

ومعنىٰ الاعتِكافِ: هو قَطْعُ العَلائِقِ عن الخلائِقِ، ومُناجاةِ الخالِقِ، فَيَجِبُ علىٰ المُعْتَكِفِ مُلازمَةُ مُعْتَكَفِه، ولا يَخْرُجُ منه إلا لِما لابُدَّ له مِنه مِن مَأْكَلٍ ومَشْرَبٍ وطَهارَةٍ ونحوِ ذٰلك. فإنْ خَرَجَ بَطَلَ اعْتِكافُه، ولا يَعودُ المُعْتَكفُ مَرِيضاً ولا يَشهدُ جنازةً ولا يَزورُ قريباً، ولا يَخرجُ لأيِّ قُرْبَةٍ لا تَتَعَيَّنُ وتَجِبُ عليه. والاعتكافُ: المقامُ في المسجدِ مِن شخصٍ مَخصُوصٍ، علىٰ صفةٍ مخصوصةٍ؛ لِطاعَةِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ. وهو سُنَّةٌ وقُرْبَةٌ بالكِتابِ والسُّنَّةِ والإِجماعِ. قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ

وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٥]. واستفاضَتِ السُّنَّةُ النبويَّةُ في فِعْلِه ﷺ والترْغيبِ فيه وإقْرارِه. وأجمعَ العلماءُ علىٰ مشروعيَّتِه. قال الإمامُ أحمدُ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ: «لا أعلمُ عن أحدٍ مِن أهلِ العلمِ خِلافاً أنه مَسْنُونٌ. وقد اتَّفَقَ أهلُ العلمِ علىٰ أنه مَسْنُونٌ كُلَّ وَقْتٍ، ولـٰكنَّه في رمضانَ وفي عَشْرِه الأخيرِ أكثر». والمقصودُ مِن الاعتكافِ ورُوْحِهِ هو عُكُوفُ القلبِ علىٰ اللهِ ـ تعالىٰ ـ وجَمْعِيَّتُهِ عليه، والخلوةُ والانقطاعُ مِن الانشغالِ بالخَلْقِ، والانشغالُ به وحدَه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، فَيَصِيرُ ذِكْرُهُ وحُبُّهُ والإقبالُ عليه في محلِّ عُمُوم القلبِ وخَطَرَاتِهِ، فيستولِي عليه بَدَلَها ويصيرُ الهَمُّ به كلُّه، والخَطَرَاتُ كلّها بِذِكْرِه، والفِكْرةُ في تحصيلِ مَرَاضِيهِ، فيصيرُ أُنْسُهُ باللهِ بَدَلاً مِن أُنْسِه بالخلْقِ، ويُعِدُّهُ لأنْسِهِ به يومَ الوَحْشَةِ في القُبُورِ حين لا أَنِيسَ له سوىٰ عملِه الصالحِ.

عباد الله: اخْشَوْا يوماً تُرْجَعُون فيه إلىٰ اللهِ للجزاءِ ومُناقشةِ الحِسابِ، واحْذَرُوا بَطْشَتَهُ الكُبرىٰ في يومِ يَخْضَعُ له فيه عالِي الرِّقابِ. ويومٍ يستوي فيه الأغنياءُ والفقراءُ، وتَتَنَاكَرُ فيه المعارفُ والأنسابُ، فَشَمِّرُوا ـ رحمكم الله ـ قَبْلَ أنْ تَصِيرُوا أسارىٰ المَنُونِ. وقبلَ أنْ تَسْلُكُوا سبيلَ من سَلَفَ من القُرُونِ، قبل أن تجرى لِفِرَاقِكم من العُيُونِ عُيونٌ، قبلَ أنْ تَسْتَبْدِلُوا عن فَسِيح ظُهُورِ الأرضِ مضايِقَ البُطُونِ، ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [ص: ٦٧، ٦٨]. إنَّما الدُّنيا مراحِلُ إلىٰ منازِلِ

الآخرةِ، فالعزيمةَ العزيمةَ في شهرِ العَفْوِ والغُفْرَانِ، والغنيمةَ الغنيمةَ في شهرِ الرحمةِ والرِّضْوَانِ، شهرٍ ما أنابَ إلىٰ اللهِ فيه مُنِيبٌ إلاَّ مَنَّ عليه بالقَبُولِ. فبَادِرُوا قبلَ أنْ ينقضي عنكم شهرُ رمضانَ ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ [القدر: ١ـ٥] جعلني اللهُ وإيَّاكم مِن الفائزين الآمِنين، وأَجَارَني وإيَّاكم مِن العذابِ الأليم، وثبَّتَنِي وإيَّاكم علىٰ الصِّراطِ المستقيمِ. أقولُ قولي هـٰذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائِرِ المسلمين من كلِّ ذَنْبٍ، فاستغفروه وتُوبُوا إليه؛ إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ القرآنَ وخلقَ الإنسانَ وعَلَّمَهُ البيانَ، فسبحانه مِنْ إلـٰهٍ عظيمٍ استوىٰ علىٰ العَرْشِ وزَيَّنَ السماءَ بالكواكِبِ، وجعلها رُجُوماً لِكُلِّ شيطانٍ. أحمدُه ـ سبحانه ـ وأشكرُه وأستعِينُه وأستهدِيه، وماخابَ مَن استهْدَىٰ مولاه واستعانَ. وأشهدُ أن لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

أما بعد:

عباد الله: أُوصِيكُم ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فاتَّقُوه يا أُولِي الألبابِ، وخَافُوه ولا تَقْنَطُوا مِن رحمةِ اللهِ؛ فإنَّه غافِرُ الذَّنْبِ وقَابِلُ التَّوْبِ شديدُ العقابِ.

عباد الله: وأمَّا الرابعُ مِن خصائِصِ العَشْرِ الأواخِرِ فهو ما يُرْجَىٰ مِنْ كَوْنِ ليلةِ القَدْرِ فيها ـ أي في العَشْرِ المُبارَكاتِ ـ، ولِذا كان ليلُها أفضلَ ليالي العامِ، فالْتَمِسُوها في لياليها، واحْرِصُوا واجْتَهِدُوا؛ عسىٰ أن تُوَفَّقُوا لها؛ فإنَّها ليلةٌ مُبارَكةٌ، وهي ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ٣]. والقَدْرُ له مَعْنيَان: أحدهما: القَدْرُ مَعْنَاهُ الشَّرَفُ. الثاني: التقديرُ والقضاءُ. وكِلاَ المَعْنيَيْنِ حاصِلانِ في ليلةِ القَدْرِ. فهي جليلةُ القَدْرِ. قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ١-٣]. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]. وهي ليلةٌ تُقَدَّرُ فيها الأشياءُ وتُقْضَىٰ فيها الأمورُ التي سَتكُونُ في السَّنَةُ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ [الدخان: ٤، ٥]. فَفِيها يُفْصَلُ مِن اللَّوْحِ المحفوظِ إلىٰ الكَتَبَةِ كُلُّ ما هو كائِنٌ مِن أمرِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ في تِلْكَ السنَةِ، مِنَ الأرزاقِ والآجَالِ والخيرِ والشَّرِّ، وغيرِ ذٰلك مِن كلِّ أمرٍ حكيمٍ أَحْكَمَهُ اللهُ وأَتْقَنَهُ. فهي ليلةٌعظيمةٌ شريفةٌ جليلةٌ عندَ اللهِ ـ تعالىٰ ـ، لها مَزَايَا عظيمةٌ، وهي:

أولاً: يُنزِّلُ اللهُ ـ تعالىٰ ـ فيها الملائكةَ مِن السماءِ إلىٰ الأرضِ، فيَنزِلُون ومعهم الخيرُ والبَرَكةُ والرحمةُ والأمانُ، ويَتَقَدَّمُهُمُ الرُّوحُ الأمينُ جبريلُ ـ عليه السلام ـ.

ثانياً: ابتدأ في هٰذه الليلةِ الشريفةِ نُزُولُ القرآنِ الذي هو أعظمُ مِنَّةٍ ورحمةٍ علىٰ المسلمين.

ثالثاً: يَحِلُّ فيها السلامُ والأمانُ، مِن أوَّلِ تِلْكَ الليلةِ المُباركةِ حتىٰ الصباحِ. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ٥].

رابعاً: تُقدَّرُ فيها الأمورُ للعامِ القابِلِ، فتفصل تلك الأمورُ مِن الآجالِ والأرزاقِ وغيرِ ذٰلك، تفصل من اللَّوحِ المحفوظِ وتَتَلَقَّاها الملائكةُ الكَتَبَةُ لِيَجْرِيَ تنفيذها بأمرِ الله ـ تعالىٰ ـ. قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٤].

خامساً: العبادةُ فيها خيرٌ من عبادةِ ألفِ شهرٍ فيما سواها مِن الأوقاتِ. قال الله ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ٣].

سادساً: جاءَ في الصحيحين أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَن قامَ ليلةَ القَدْرِ إيماناً واحتِساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِه**».

سابعاً: الدُّعاءُ فيها مِن مواطِنِ استجابَةِ الدُّعاءِ؛ لِحديثِ عائشةَ أنَّها قالت: قُلتُ: يارسولَ اللهِ: أَرَأَيْتَ إن عَلِمْتُ ـ أي ليلة القدْرِ ـ ما أَقُولُ فيها؟ قال: قُولِي: «**اللَّهُمَّ إنَّك عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ، فَاعْفُ عَنِّي**» فهي ليلةٌ يُستجابُ فيها الدُّعاءُ، ويُسمعُ فيها النِّداءُ، وتُقَالُ فيها العَثَرَاتُ. فالمَحْرُومُ مَن حُرِمَ خيرَها، فاجتهدوا في العَشْرِ بصالحِ العملِ قبلَ ما لا يُدْفَعُ إذا نزلَ. أمَا آنَ لأهلِ الغَفْلَةِ أنْ يَتَّعِظُوا بِزَوَاجِرِ الكلامِ. أمَا آنَ لأهلِ العَجْزِ أنْ يَنْهَضُوا للعملِ لدارِ السلامِ. أمَا آنَ لأهلِ الكَسَلِ أنْ يَغْتَنِمُوا هٰذه الليالِيَ والأيامَ.

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصَلُّون علىٰ النَّبيِّ... إلخ.

في وجوب الزكاة وعقوبة مانعها

الحمدُ للهِ واسعِ الفضْلِ والإحْسانِ مُضاعِفِ الحسناتِ لِذَوِي الإيمانِ والإحسانِ، فَسُبحانَه مِن إلـهٍ عظيمٍ قامَ بتَدبيرِ الخلائِقِ وَلاَ يُلْهِيهِ شأنٌ عن شأنٍ، إنَّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً قَالَ لهُ كُنْ فكانَ. أَحمدُه ـ سبحانه ـ فرضَ الزَّكاةَ علىٰ عِبادِه طُهْرَةً لهم وعُبُودِيَّةً وإحساناً.

وَأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له عالِمُ الظَّواهِرِ وما انْطوىٰ له عليه الجَنانُ. وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

أمَّا بعدُ:

عباد الله: الزَّكاةُ فريضةُ المالِ، أَوْجَبَها اللهُ علىٰ مَن ملَكَ نِصاباً مِن الأمْوالِ، ولُه المِنَّةُ ـ سبحانه ـ في ذٰلك عليهم؛ حيثُ وهبَهُمُ الكثيرَ، وفرضَ عليهم إخراجَ القَلِيلِ مِن المالِ الَّذي اسْتَخْلَفَهُمْ فيه، وجعلهم أُمَنَاءَ عليه يُنَفِّذُون فيه أمْرَه، ويَتسابَقون في دَفْعِ ذُلِّ الحاجَةِ والانكسارِ عن خَلْقِه. قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧].

عباد الله: الزَّكاةُ معناها في اللُّغةِ النَّمَاءُ والزِّيادةُ، وسُمِّيَ المُخْرَجُ زكاةً لأنَّه يَزِيدُ المُخْرَجَ مِنْه، ويُنَمِّيهُ. قال ابن قُتَيْبَةَ: سُمِّيَتْ بذٰلك لأنَّها تُثمر المالَ وتُنَمِّيه؛ فلفظُ الزَّكاةُ في اللُّغَةِ يَدُلُّ علىٰ النُّموِّ، فيقالُ زكَىٰ، إذَا

نَمَا، فَسُمِّيتْ زكاةً لِلْمعنَىٰ اللُّغَوِيِّ. وسُمِّيَتْ صَدَقةً لأنَّها دليلُ لِصِحَّةِ إيمانِ مُؤَدِّيها وَتَصْدِيقِه. وَأَمَّا في الشَّرعِ فَالزَّكاةُ حَقٌّ واجبٌ في مالٍ خاصٍّ لِطائِفةٍ مَخْصُوصَةٍ في وقتٍ مخصوصٍ.

وفُرِضَتْ الزَّكاةُ في أوَّلِ الإسلامِ علىٰ التَّدريجِ أوَّلاً الوُجُوبُ علىٰ الإطلاقِ بلاَ تحديدٍ ولا تفصيلٍ وإنَّما أُمِرَ بالإعطاءِ والإطعامِ والإحسانِ، وهـٰذا قبلَ الهجرةِ مِن مكَّة. قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ في السُّورِ المكِّيَّة: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٩]. وقال في فُصِّلَت: ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٧]. وقالَ في المُدَّثِّر: ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٤٤]. ثانياً: في السَّنةِ الثانيةِ من الهِجْرةِ بُيِّنتْ أحكامُ الزكاةِ التفصيليَّةِ علىٰ أنواعِ الأموالِ المُزَكَّاةِ وقَدْرُ النِّصَابِ وقَدْرُ المُخْرَجِ مِنه. ثالثاً في السنة التاسعة من الهِجْرةِ لمَّا دخلَ الناسُ في دِينِ اللهِ أفْوَاجاً بَعثَ النبيُّ ﷺ السُّعَاةَ والجُباةَ إلىٰ الأطرافِ لِجَبايَتِها.

عباد الله: تجبُ الزكاةُ في خمسةِ أشياء من المالِ.. هي سائمةُ بَهِيمَةِ الأنعامِ، والخارجُ من الأرضِ، والعسلُ، والأثمانُ، وعروضُ التِّجارةِ.

وشُرِعَتِ الزكاةُ طُهْرَةً للمالِ، وطُهْرَةً للنَّفْسِ، وعبوديَّةً للرَّبِّ ـ جلَّ وعَلا ـ، وإحْساناً إلىٰ الخَلْقِ. والزكاةُ أحدُ أركانِ الإسلامِ ومبانِيهِ العِظامِ، كما تظاهَرَتْ دلائِلُ الكتابِ والسُّنَّةِ وأجمعَ المسلمون علىٰ أنَّها ركنٌ من أركانِ الإسلامِ. ومُسْتَنَدُ الإجماعِ نُصُوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ، مَن جَحَدَ وُجُوبَها كَفَرَ، وَمَنْ مَنَعَها بُخْلاً فَسَقَ وأَثِمْ، وقد قاتَلَ الصَّحابةُ

مَانِعِي الزَّكاةِ واسْتَحَلُّوا دِماءَهم وأموالهم؛ لأنَّهم مَنَعوا فَرِيضةً من فَرَائِضِ الإسلامِ. والزكاةُ مِن محاسِنِ الإسلامِ الذي جاءَ بالمُساواةِ والتَّراحُمِ، والتَّعاطُفِ والتَّعاوُنِ، جعلها اللهُ طُهْرَةً لِصاحبها مِن رَذِيلَةِ البُخْلِ وتنمِيةً حسِّيَّةً ومعنويَّةً، ومُساواةً بين خَلْقِه، وإِعانةً من الأغنياءِ لإخوانِهم الفُقراءِ، وجمعاً للكَلِمَةِ حينما يَجُودُ الأغنياءُ علىٰ الفقراءِ بنَصِيبٍ مِن أموالِهم وَبِمِثْلِ هـٰذه الفريضةِ الكريمةِ الرشيدةِ يُعْلَمُ أنَّ دِينَ الإسلامِ دينُ التَّكافُلِ الاجتماعِيِّ يَكْفُلُ للفقِيرِ العاجِزِ عن العَيْشِ، مع أنَّه أعطىٰ الغنِيَّ حُرِّيَّةَ التَّمَلُّكِ مُقابِلَ كَدِّهِ وسَعْيِهِ، وفَرَضَ عليه الزَّكاةَ، مُواسَاةً لإخوانِه المُحْتاجينَ، فهو الدِّينُ الوَسَطُ بين الشُّيُوعِيَّةِ الحارِمَةِ، والرأسمالِيَّةِ المُحْتكِرَةِ الشَّاحَةِ. وقد حذَّر اللهُ ـ تبارك وتعالىٰ ـ مِن مَنْعِ الزكاةِ وتوعَّدَ عليها بالعقوبَةِ العاجِلَةِ والآجِلَةِ. فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

أقولُ قولي هـٰذا. . . الخ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً كما أمر، وأَشْكُرُه وَقَدْ تَأَذَّنَ بالزِّيَادَةِ لِمَنْ شَكَرَ. وأشهدُ أن لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبِه ـ.

أمَّا بعدُ:

عباد الله: إنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا بعث مُعاذاً إلىٰ اليمن قال له وفيه: «**إنَّ اللهَ قَدِ افترَضَ عليهم صَدَقَةً في أموالِهِمْ تُؤخَذُ من أغنيائِهم فَتُرَدُّ في فقرائِهم**» [متفق عليه واللفظ للبخاري]. فقولُه: «**صدقةً في أموالِهم**» يدُلُّ علىٰ أنَّ الزَّكاةَ تَجِبُ في المالِ، وهـٰذا مَأْخَذُ وجوبِها في أموالِ غيرِ المُكَلَّفِينَ مِن الصِّغارِ والمجانينِ، مع ما وردَ في الحديثِ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**مَن وَلِيَ يتيماً له مالٌ فَلْيَتَّجِرْ له ولا يَتْرُكْهُ حتَّىٰ تَأْكُلَهُ الصدَّقةُ**» [رواه الترمذي وله شاهدٌ مُرْسَلٌ عند الشافعي] «**ابتغوا في أموالِ اليَتَامَىٰ لا تَسْتَهْلِكها الصَّدقةُ**» أمَّا الجنينُ فلا تجبُ الزكاةُ في المالِ المَنْسُوبِ إليه؛ لأنَّه لا مالَ له مادامَ حَمْلاً، ولِلزَّكاةِ تَعَلُّقٌ بالذِّمَّةِ، فلو تَلِفَتْ بعد وجوبِها لم تَسْقُطْ، وكذا لو ماتَ من وَجَبَتْ عليه زكاةٌ لم تسقطْ، وتُخْرَجُ مِن تَرِكَتِه، وأمَّا بَقِيَّةُ أحكامِ الزَّكاةِ فسنذكُرُها ـ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ ـ.

عباد الله: لو قامَ المسلمون بهـٰذا الواجبِ الدِّينيِّ في فقراءِ بلدِهم، وهـٰذا التَّكافُل المشروعِ المحمودِ في المحتاجين مِن أقارِبِهم وذَوِيهِمْ، لَحَصَلَ الخيرُ للكافِلِ والمكفولِ، وإذا لم يكنْ مِن بعضِ المسلمين

رِعَايَةٌ لِفقراءِ بَلَدِهِم، وتحسينٌ لِوَضْعِهِمْ، وَشَحَّ بِزكاةِ مالِه ودَفَعَهَا إلىٰ فقراءَ غيرَ فُقُرَائِهِ، وبِما وراءَ الزكاةِ مِن أَوْجُهِ البِرِّ والإِحسانِ والعطفِ والعَوْنِ علىٰ نَوَائِبِ الزَّمَانِ، فَلْيَكُنْ منهم تَأَدُّبٌ بِآدابِ الإِسلام، فلا إساءةَ للفقيرِ، ولا إذلالَ ولا امتهانَ ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ [البقرة: ٢٦٣]. ذَكَرَ ابنُ القَيِّمِ عن عبدِالملك المَيْمُونِيِّ قال: قُلْتُ للإِمام أحمدَ ـ رحمه الله ـ: وتُخْرَجُ صدقةُ قَوْمٍ مِن بلدٍ إلىٰ بلدٍ؟ قال: لا، إلاَّ أَن يَكونَ فيها فضلٌ عنهم (أي زِيادَةٌ). قُلْتُ: كيف يكونُ عن فَضْلٍ؟ قال: يُعْطِيهِم ما يَكْفِيهم، ويُخْرِجُ الفَضْلَ عنهم؛ لأنَّ الَّذي كان يَجِيءُ المدينةَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ وأبي بكر وعُمرَ إنَّما كانَ مِن فَضْلٍ عنهم (أي زِيادَة).

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائِكتَه . . . إلخ.

في الأموال التي تجب منها الزكاة

الحمدُ للهِ الَّذي جعلَ الأموالَ عَوْناً لِلمؤمِنِ علىٰ أُمُورِ دِينِه ودُنْيَاهُ، فسبحانه مِنْ إِلـٰهٍ أعطىٰ الكثيرَ كَرَماً منه وإحساناً، وفَرَضَ الزَّكاةَ علىٰ عِبادِهِ، ابتلاءً وامْتِحاناً، ولُطْفاً بِالمؤمنين وامْتِنَاناً. أحمدُه ـ سبحانه ـ علىٰ جَزِيلِ بِرِّهِ وإِحْسَانِهِ، وأَشْكُرُه علىٰ سَوَابِغِ كَرَمِهِ وامْتِنَانِهِ.

وأشهدُ أن لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آلِه وصَحْبِه ـ.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وأَدُّوا زكاةَ أموالِكم؛ فإنَّ تقوىٰ الله ـ تعالىٰ ـ وِقَايَةٌ مِن عذابِه.

عباد الله: تَجِبُ الزَّكاةُ في خمسةِ أشياء مِنَ المالِ ـ كَمَا تَقدَّم ذِكْرُهُ في الخطبة الماضية ـ:

فالأول: الخارجُ من الأرض من الحُبُوبِ والثِّمارِ في كُلِّ مَكِيلٍ مُدَّخَرٍ من الحَبِّ كَالْقَمْحِ والشَّعيرِ والذُّرَةِ ونحوِ ذٰلك. ومِن الثِّمارِ، كالتَّمْرِ والزَّبِيبِ ونَحْوِه؛ لِقَوْلِهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧] ولقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] ولقوله ﷺ: «**فيما سَقَتِ السماءُ أو كان عَثَرِيًّا الْعُشْرُ وفيما سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ**» [رواه البخاري].

فيجبُ علىٰ مَن له زرعٌ أو ثَمرٌ يَبْلُغُ نِصاباً أَن يُخْرِجَ زكاتَه. والنِّصابُ ثلاثمائة صَاعٍ. وعلىٰ المُزارِعينَ أَنْ ينتبِهوا لأمورٍ:

الأمرُ الأوَّلُ: أَنْ يَسْتَحْضِرُوا النِّيَّةَ في زكاةِ الحُبُوبِ الَّتي يأخُذُها أهلُ الصَّوامع وأَنْ يقصِدُوا بها وجهَ اللهِ ـ تعالىٰ ـ؛ لأنَّ الزَّكاةَ لا تُجْزِىءُ إلا بِنِيَّتِها، فلو دَفَعَها بِغَيْرِ نِيَّةِ الزَّكاةِ المَفْرُوضَةِ لَمَا أَجْزَأَتْهُ.

الأمرُ الثاني: أنَّ مِن المُزارِعين مَن يَدَّخِرُ مِن زَرْعِهِ حَبًّا لِلْبَذْرِ في المستقبلِ ولا يُخرجُ منه الزكاةَ، فعليهم أَنْ يُخْرِجُوا منه الزكاةَ، ولا يتساهَلُوا في ذٰلك، فإنَّ فَرِيضَةَ الزكاةِ ركنٌ مِن أركانِ الإِسلام.

الأمرُ الثالثُ: مِن المُزارِعين مَنْ لم يَبِعْ حُبُوبَ زَرْعِهِ، وتبقىٰ عِنده في صَوْمَعَتِهِ، سنتين أو ثلاثَ سِنين وهي عنده، فالزكاةُ فيه في أوَّلِ مَرَّةٍ، كزكاةِ الحُبُوبِ، ثم تكونُ في السَّنَةِ الثانيةِ كزكاةِ عُرُوضِ التِّجارةِ.

الأمر الرابع: أنَّ الزَّكاةَ علىٰ زارِعِ الأرضِ سَواء كانَ مالِكاً أو مُسْتَأْجِراً. أمَّا البَطِّيخُ كالجِحِّ ونحوه والخَضْرَاوَاتُ والبُقُولُ كالطَّماطِمِ والبطاطِسِ والخَسِّ والجَزَرِ، ونحوها والفَوَاكِهُ كالتُّفَّاحِ والبُرْتقَالِ واللَّيْمُونِ ونحوه، فلا زكاةَ فيها، وإنَّما إذا باعَهَا صاحبُها يَضُمُّ قِيمَتَهَا إلىٰ ما عنده من المالِ ويُزَكِّيها كزكاةِ عُرُوضِ التجارةِ، إذا حَالَ علىٰ مالِهِ الذي يُزَكِّيهِ حَوْلُهُ.

الثاني: مِنَ الأموالِ التي تَجِبُ فيها الزكاةُ: الأَثْمَانُ، كالذَّهَبِ والفِضَّةِ أو ما يَقُومُ مقامَهُمامِن الأوراقِ النَّقْدِيَّةِ؛ لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ

أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ [التوبة: ٣٤] وفي صحيحِ مسلمٍ عنْ أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ما مِن صاحبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي منها حَقَّها إلَّا إذا كانَ يومُ القِيامَةِ صُفِّحَتْ له صَفَائِحُ مِن نارٍ، فَأُحْمِيَ عليها في نارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بها جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وظَهْرُهُ، كُلَّما بَرَدَتْ أُعِيدَتْ له، في يومٍ كانَ مِقْدَارُه خمسين ألف سنةٍ، حتَّىٰ يُقْضَىٰ بين العِبادِ**» والمُرادُ بِحَقِّها الزكاةُ؛ لِمَاجاءَ في روايةٍ أخرىٰ: «**ما مِن صاحبِ كَنْزٍ لا يُؤَدِّي زكاتَه**..».

فَيَجِبُ علىٰ مَن عِنده نُقُودٌ بَلَغَتْ نِصاباً وحَالَ عليها الْحَوْلُ أَنْ يُؤَدِّيَ زكاتَها رُبْعَ العُشْرِ؛ لِحديثِ: «**وفي الرِّقَةِ رُبْعُ العُشْر**» [متفق عليه] سواء كانتْ عِنده أوْ في البنك، وسواء أَعَدَّها لِبناءِ بيتٍ أو شراءِ أرضٍ أو سيَّارةٍ، أو لِزواجٍ ونحوه، كلُّ ذٰلك لا يُسْقِطُ وُجُوبَ الزكاةِ في النُّقُودِ المُودَعَةِ، بَلْ تَجِبُ الزكاةُ فيها بَعْدَ مُضِيِّ حَوْلٍ مِن تَمَامِ النِّصَابِ، سواء كانَ في شهرِ شعبانَ أو في شهرِ صَفَر، حتَّىٰ ولو كان صاحِبُها مِن الفُقَرَاءِ الَّذين يَأْخُذُون الزكاةَ؛ فإنَّه يَجِبُ عليه أَنْ يدفعَ الزكاةَ، ولو جازَ له أن يَأْخُذَ الزكاةَ.

وأمَّا حُلِيُّ النِّساءِ مِنَ الذَّهبِ والفِضَّةِ المُتَّخَذِ لِلُّبْسِ وَالعَارِيَةُ فلا زكَاةَ فيه، مادامَ أنَّه حُلِيٌّ مُباحٌ، أمَّاالمُحَرَّمُ فَتَجِبُ فيه الزكاةُ. والمُحَرَّمُ هو مازادَ علىٰ العَادَةِ مِن تجميع الذهَبِ والفِضةِ وتكْديسِهمَا بِصُورَةٍ خارِجَةٍ عن العادةِ والمَأْلُوفِ. والحَامِلُ علىٰ ذٰلك قد يكونُ واحداً من هٰذه الأُمُورِ: ١ـ الفَخْرُ والخُيَلاءُ. ٢ـ السَّرفُ والتَّبذِيرُ في النَّفَقَاتِ. ٣ـ الفِرَارُ

والهربُ مِن الزكاةِ. فإذا كان لهٰذه الأمورِ فإنَّه تَجِبُ فيه الزكاةُ.

أمَّا الحُلِيُّ الذي بِقَدْرِ الحَاجَةِ ـ والنَّاسُ يختلفون في ذٰلك بينَ غَنِيّ وفقيرٍ، فهٰذا حُلِيٌّ مُباحُ الاتِّخَاذِ والاستعمالِ، وهو مِن أموالِ القُنْيةِ المَقْطُوعَةِ عَنِ النَّمَاءِ فلا زكاةَ فيه. واللهُ ـ تعالىٰ ـ أعلم.

وَنِصَابُ الذَّهَبِ عِشرون دِيناراً، وتُسَاوِي خمسةَ وثمانين غِراماً، وتُعَادِلُ أحدَ عَشَرَ جُنَيْهاً سُعُودِيًّا وثلاثة أَسْبَاعِ الجُنَيه، وفيه رُبْعُ الْعُشْرِ.

والفِضَّة: خمسةُ أُوَاق، وتُسَاوي خمسَمائة وخمسةً وتسعين غِراماً، تُعادِلُ سِتَّةً وخمسين رِيالاً عَرَبِيًّا سُعُودِيًّا (ريال الفضة القديم المعرُوفُ)

الأوراقُ النَّقْدِيَّة: ما يعادلُ قِيمَةَ أَحَدَ النِّصابَيْنِ الذهبِ أو الفضَّةِ، وفيها رُبْعُ العُشْرِ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ نَحْمده ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه ـ.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: أما الثالث: مِنَ الأَمْوَالِ الَّتي تَجِبُ فيها الزكاةُ فهو: عُرُوضُ التِّجارَةِ، وَهِيَ كُلُّ ما أُعِدَّ للتَّكَسُّبِ والتِّجارَةِ مِن عَقَارٍ وحيوانٍ وطعامٍ وشَرَابٍ وسَيَّاراتٍ وغيرِها مِن أصنافِ المالِ، فَيُقَوِّمُها صاحبُها بِما

تُساوي عند رأسِ الْحَوْلِ. ويُخرجُ رُبْعَ عُشْرِ قِيمَتِها، سواء كانت قيمتُها بِقَدْرِ ثَمَنِها الذي اشتراها به أَمْ أقلَّ أم أكثرَ، ويجبُ علىٰ أصحابِ المَحَلَّاتِ التِّجارِيَّةِ، كأهْلِ الكماليَّاتِ والسَّيَّاراتِ وقِطَعِ الغِيَارِ، أن يُحْصُوا ما في مَحَلَّاتِهِم مِن البضائِعِ إحصاءً دقيقاً شاملاً للصَّغيرِ والكبيرِ، ويُخْرِجوا زكاتَهَا.

وهَلْ يمنعُ الدَّينُ وُجُوبَ الزكاةِ؟ الذي أفتىٰ به شيخُ الإسلامِ مُحمدُ بنُ عبدالوهَّاب هـٰذا نَصُّه: «التِّجارةُ إن كانَ صاحِبُها أَوْفَىٰ قبلَ الحَوْلِ فلا زكاةَ عليه، وإنْ كانَ مَا أَوْفَىٰ فعليه الزكاةُ ولو كان مَدْيُوناً. وقالَ ابنُه عبدُالله بنُ محمدٍ ـ رحمهما اللهُ تعالىٰ ـ: الدَّينُ لا يمنعُ وجوبَ الزكاةِ عندنا، لا في الأموالِ الظاهِرَةِ ولا الباطِنَةِ.

عباد الله: وأمَّا العَقَارُ فهو على أنواعٍ: الأوَّلُ: العقارُ المُعَدُّ للسكنىٰ هو من أموالِ القُنْيَةِ، فلا تَجِبُ فيه الزكاةُ إطْلاقاً، لا في رَقَبَتِهِ ولا في قَدْرِ أُجْرَتِهِ. الثاني: العَقَارُ من أراضي وبيوتٍ وأَسْهُمٍ وغيرها المُعَدُّ للتِّجارَةِ. هو من عُرُوضِ التجارةِ تَجِبُ الزكاةُ في رَقَبَتِهِ، وتُقَدَّرُ قِيمَتُهُ عند مُضِيِّ الحَوْلِ عليه. ثالثاً: العَقَارُ المُعَدُّ للإيجارِ تَجِبُ الزكاةُ في أُجْرَتِهِ فقط دُون رَقَبَتِهِ. وأمَّا الوَقْفُ إذا كان في أعمالِ البرِّ فلا تَجِبُ فيه الزكاةُ، وإذا كان علىٰ مُعَيَّنٍ، وبَلَغَ نِصاباً وَجَبَتْ فيه الزكاةُ.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي. . . إلخ.

في الصدقة ومواساة الفقراء في أيام الشتاء

الحمدُ للهِ الذي لَم يَزَلْ بالنِّعَمِ مُنعِماً وبالمعروفِ معروفاً، وبالإحسانِ مُحسناً، وبالكَرَم مَوصُوفاً، كُلَّ يومٍ هو في شأنٍ، يَكشفُ كَرْباً، ويَغفرُ ذَنْباً، ويُغيثُ مَلْهُوفاً، ويَجْبُر كَسِيراً، ويُجِيرُ خائِفاً، وُيرسِلُ بالآياتِ تخويفاً، فسُبحانَ مَن قَسَم عطاياه بين عبادِه، فلا مُعْطِيَ لِما مَنَعَ، ولا مَانِعَ لِنَعَمٍ أَوْلاهَا. عزَّ ربًّا، وجلَّ مَلِكاً، وتعالىٰ إلٰهاً. أَحمدُه ـ سبحانه ـ علىٰ نِعَمٍ لا تَتَنَاهىٰ، وأَشكرُه شُكرَ مَن عَرَفَ نِعَمَه فَرَعَاها.

وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةَ منْ عرفَ مَعْناها، وعملَ ظاهراً وباطناً بِمُقْتَضَاها. وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ عليه وعلىٰ آلٰهِ وأصحابِه خيرِ الأُمَّةِ وأزْكاها وأتْقاها، الذين عَضُّوا علىٰ سُنَّتِه بالنَّواجِذِ وتَمَسَّكُوا بِعُرَاها.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: فأُوصِيكُم ونفسِي بتقوىٰ اللهِ العزيزِ الحميدِ، فاتَّقُوه حقَّ تُقاتِه، واحْذَرُوا بَطْشَه الشَّديدَ، واعْلَمُوا أنَّه قدْ أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، فلازِمُوا أدبَ العَبيدِ.

عباد الله: بَذْلُ المُنفِقِين، وإحسانُ المُحسِنين وسيلةٌ مِن وسائِلِ رِضىٰ ربِّ العالمين، وسببٌ لتحقيقِ وعدِ الرَّبِّ الكريمِ بالخُلْفِ علىٰ المُنفِقين ومَحَبَّتِه للمُحسِنين. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ

وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥] ولقدْ ذَكَرَ اللهُ المُتَّقين في كتابه بكريمِ صِفاتِهم، وجليلِ فِعالِهم، وأَوْضَحَ عظيمَ جزائِهم، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الذاريات: ١٥، ١٦] وأنزلَ ـ سبحانه ـ الإنفاقَ في سبيلِه مَنْزِلَةَ القَرْضِ الذي لا يَتخلَّفُ أداؤُه؛ ترغيباً فيه وطَلَباً لِمُضاعَفَةِ أَجْرِه، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [الحديد: ١١] وحَثَّ ـ سبحانه ـ علىٰ الإنفاقِ؛ حيثُ جعلَ الأمرَ به قَريناً للأمرِ بالإيمانِ باللهِ ورسولِه، وأضافَ إلىٰ ذٰلك الوعدَ الكريمَ بالأجرِ الكبيرِ فقال: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [الحديد: ٧] بلْ لقدْ ذَهَبَ الإسلامُ إلىٰ أبعدَ مِن الأمرِ بالإنفاقِ، فَحَثَّ علىٰ التَّكاتُفِ بين عُمُوم أفرادِ المسلمين، وعلىٰ التَّعاوُنِ علىٰ إعانةِ الفقراءِ والمُحتاجين، وذٰلك في قَوْلِ رسولِ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كانَ له فَضْلُ زادٍ فَلْيَعُدْ به علىٰ مَن لا زادَ له، ومَن كانَ له فضلُ ظهرٍ، فَلْيَعُدْ به علىٰ مَن لا ظهرَ له**» قال أبوسعيدٍ ـ رضي الله عنه ـ: وذكرَ مِنْ أصنافِ المالِ ما ذَكَرَه، حتَّىٰ رأينا أنَّه لا حقَّ لأحدٍ منَّا في فضلٍ. [رواه مسلم].

عباد الله: صدقةُ التَّطَوُّع مُستحبَّةٌ كُلَّ وقتٍ ـ إجماعاً ـ؛ لِقَوْلِه ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٥] ورَوىٰ التِّرمِذيُّ عن أنسٍ

ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الصَّدقةَ لَتُطْفِىءُ غضبَ الرَّبِّ، وتَدفعُ مِيتَةَ السُّوءِ**» وإخفاءُ صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ أفضلُ؛ لِما في الصحيحين عن النبيِّ ﷺ قال: «**سبعةٌ يُظلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه**». وذَكَرَ منهم «**رجلاً تصدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأخفاها؛ حَتَّىٰ لا تعلمَ شِمالُه ما تُنْفِقُ يمينُه**».

والصَّدقةُ في الصِّحَّةِ أفضلُ منها في غيرِها؛ لِقَوْلِه ﷺ: «**تَصدَّقْ وأنتَ صحيحٌ شحيحٌ**» وفي رمضانَ أفضلُ منها في غَيْرِه؛ لِما في الصحيحين عنِ ابنِ عباسٍ، «**أنَّ النَّبيَّ ﷺ أجودُ الناس، وكانَ أجودَ ما يكونُ في رمضانَ**».

وهي في وقتِ الحاجةِ أفضلُ منها في غيرِها؛ لِقولِه ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ [البلد: ١٤] والصَّدقةُ علىٰ ذي الرَّحِمِ أفضلُ مِن غَيْرُه مع تساوي الحاجةِ؛ لأنَّها صدقةٌ وصِلَةُ رَحِمٍ؛ لِقَوْلِه ﷺ: «**الصَّدقةُ علىٰ ذي الرَّحِمِ اثنتان: صدقةٌ وصِلَةٌ**».

وإنَّ الشِّتاءَ يا عبادَ اللهِ قدْ مدَّ أَوْراقَه، والشِّتاءَ يُرهِقُ الكاسِبَ، ويَفتنُ الكاسِدَ؛ فالكاسِبُ تتضاعفُ عليه النَّفقةُ في الشِّتاءِ، فكيفَ بالكاسِدِ المُعْدِمِ، وما أَكْثَرَ المُعَدَمِين في ثِيابِ المُتَعَفِّفِين!، إنَّهم كما وَصَفَهم رسولُ الهُدىٰ ﷺ بقولِه: «**ليس المِسْكِينُ بهٰذا الطَّوَّافِ الذي تَرُدُّه التَّمرةُ والتَّمرتانُ، واللُّقْمَةُ واللُّقمتان، ولٰكنَّ المِسكينَ الذي لا يَجِدُ غِنًىٰ يُغنيه، ولا يُفْطَنُ له فيُتَصَدَّقُ عليه، ولا يَسْأَلُ النَّاسَ شيئاً**» كما قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] أي يَحْسَبُ

الجاهِلُ بِحالِهم أنَّهم أغنياءُ؛ لِتَعَفُّفِهم وعَدَمِ سُؤَالِهم.

ومِن هٰذا الصِّنفِ: الأرملةُ التي تَضُمُّ أيتاماً لا عائِلَ لهم، ولا تَستطيعُ الكسبَ فتُنفِقُ عليهم. ومِنهم الشَّيخُ الكبيرُ وَهَنَ منه العَظْمُ، وليس لديه مالٌ يَستعينُ به في هِرَمِه، أو وَلَدٌ بَارٌّ يُسْعِفُه في شَيْخُوخَتِه. ومنهم العاطِلُ الذي كَسَدَتْ صِناعَتُه. والعاجِزُ الذي أقْعَدَتْه عن الكسبِ زمانَتُه. وصاحِبُ المَورِدِ الضَّئِيلِ الذي لا يَقومُ مَورِدُه بِسَدِّ نَفَقَاتِ من يَعُولُ. كُلُّ أولٰئك يا عبادَ اللهِ ومن علىٰ شاكِلَتِهم في حاجةٍ إلىٰ التَّخْفِيفِ مِن متاعِبِهم، ومَدِّ يَدِ العَوْنِ إليهم علىٰ الدَّوام. وفي هٰذا الشِّتاءِ خَاصَّةً، إمَّا يداً بيدٍ كَصدقة السِّرِّ، لا تَعلمُ شِمالُ المُنْفِقِ ما أنفقتْه يمينُه، أو عن طريقِ الأيدي التي تُوصِلُ الخيرَ إلىٰ المُعدَمِين والكاسِدِين الذين في بلدكم ودارِكم مِن فقرائِكم دون منٍّ على فقير أو أذى في المواساة والإحسان.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُم اللهُ، واذْكُرُوا في هٰذا الشِّتاءِ إخواناً لكم في اللهِ في بلدِكم ودارِكم، وفقراءَكم، عَضَّهُم الفقرُ، وأَثْقَلَتْ كَوَاهِلَهم النَّفَقَاتُ، واسُوهُم بالقليلِ من أموالِكم، ولا يَحْقِرَنَّ أحدُكم مُن المعروفِ شَيْئاً، أَسْعِفُوهم بِالعَيْشِ الرَّخِيِّ والثَّوبِ الرَّضِيِّ، وكُونُوا لهم عَوْناً في الشِّدَّةِ وعَضُداً في المحنةِ؛ **«فاللهُ في عَوْنِ العبدِ ما كان العبدُ في عَوْنِ أخيه»**.

اللهُمَّ أَعِنَّا علىٰ ذِكْرِك وشُكْرِك وحُسْنِ عِبادتِك. أقولُ قَوْلِي هٰذا... الخ.

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً كما أمرَ، وأَشكُرُه وقدْ تَأَذَّنَ بالزِّيادَةِ لِمَنْ شَكرَ. وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إرغاماً لِمَنْ جحدَ به وكَفرَ. وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدَه ورسولَه سَيِّدُ البشرُ الشَّافِعُ المُشَفَّعُ في المَحْشَرِ ـ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه السَّادَةِ الغُرَرِ، ما اتَّصلتْ عَيْنٌ بِنَظَرٍ وأُذُنٌ بخبرٍ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً ـ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وأطِيعُوه واعلمُوا أنَّ طاعَتَه أَقْوَمُ وأقوىٰ، وتزوَّدُوا فإنَّ خيرَ الزَّادِ التَّقوىٰ.

أيها المسلم: إن كانَ ربُّك قدْ منَّ عليك بفضلٍ مِنَ المالِ، فواس به المُحتاجِين، وابْدَأْ بالأقْرَبِين؛ فإنَّهم أَوْلَىٰ بِمعرُوفِك، وأَحَقُّ بِمُواساتِك، وجِيرانُك الذين يَسكُنون بِجانِبِك أو في شارِعِك، أَوْلَىٰ مِمَّن بَعُدَتْ دِيارِهم، أنفِقْ ممَّا رزقكَ اللهُ، أَنْفِقْ من مالٍ أنت تارِكُه قائِماً، ومُودِعه راحِلاً، مُودِعُه يومَ يُوْدِعُك الأقرباءُ والإخوانُ إلى قبرِك، وإذ ذاك يَتقاسمُه الورثةُ يتمتَّعون به ويَنتفِعُون ويُحصِّلُون به ما يَشتَهُون، ولَمْ تُحصِّلْ به ـ إن كنت لم تُؤَدِّ زكاتَه ـ إلاَّ عذاباً تُقَاسِي آلامَه وناراً تَصْلَىٰ سعيرَها.

سأَلَ رسولُ اللهِ ﷺ ـ مَرَّةً ـ أصحابَه فقالَ: «**أيُّكُم مالُ وارِثه أَحبُّ إليه مِن مالِه؟**» قالوا: يارسولَ اللهِ: ما منَّا أحد إلاَّ مالُه أَحَبُّ إليه. قال:

«**فإنَّ مالَه ما قَدَّمَ، ومالُ وارِثه ما أَخَّرَ**» [رواه البخاري] وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ امرئٍ في ظِلِّ صدقتِه حتَّىٰ يُفصَلَ بين النَّاسِ**» [رواه ابن حبان والحاكم].

عباد الله: احْرِصُوا علىٰ مُساعَدَةِ المسَاكِين المُتعفِّفين، مَن كان منكم غنيًّا فمن مالِه، ومن كان ليس له مالٌ زائدٌ عن حاجتِه، فلْيَحُثَّ الأغنياءَ ولْيَذْكُرْ لهم الفقراءَ، فإنْ لم يَجِدْهم أو لم يَكُنْ، فبكلمةٍ طيِّبةٍ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإسراء: ٢٨].

عبادَ الله: إنَّ اللهَ وملائكتَه... إلخ.

فضل العشر ويوم عرفة

الحمدُ للهِ الذي بيَّنَ الطريقَ وأوضحَ المَحَجَّةَ، وأرسلَ رُسَلَهُ مُبشِّرينَ ومُنْذِرينَ؛ لِئَلَّا يكونَ علىٰ اللهِ الحُجَّةُ. وجعلَ لكلِّ شهرٍ خُصُوصِيَّةً تَخُصُّهُ، وخَصَّ بِوُقُوعِ الحَجِّ ذا الحِجَّةِ، وحَطَّ الذُّنُوب والأوزار عمَّن قَصَدَ فيه البيتَ الحرامَ، وأخلصَ للهِ حَجَّهُ، وعَظَّمَ الأجرَ لِمنْ أظهَرَ فيه التَّكبيرَ وعجَّهُ، فسُبحانه وبِحَمدِهِ، كَمْ أَوْلىٰ مِن نِعْمَةٍ وكَشفَ مِن كُرْبَةٍ. وأشكُرُه، وشُكرُهُ يزيدُ مِن فَضْلِهِ.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ الذي كساهُ مِن حُلَلِ النُّبوَّةِ والرِّسالَةِ مَهَابَةً وبَهْجَةً. صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: اغتَنِمُوا فُرص أيَّامِكم فإنَّها سَريعَةُ الذّهابِ، واعمَلُوا في أعمارِكم التي تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ، واعلَمُوا أنَّ مَنْ مَضَتْ ساعةُ عُمرِهِ بلا عملٍ صالحٍ، فهو مَغْبُونٌ. أَلَا وإنَّكم في أيَّامٍ أقسَمَ اللهُ بِلياليِها في الكتابِ. وأيَّامٍ عظَّمَ اللهُ شأنَها لأولِي الألبَابِ.

معشر المسلمين: إنَّ اللهَ ـ تعالىٰ ـ فَاوَتَ بين الأيَّام واللَّيالِي، والشُّهُورِ والأوقاتِ، في الفَضْلِ؛ فيومٌ أفضلُ مِن يومٍ، وليلَةٌ أفضلُ مِن أخرىٰ، وشهرٌ أفضلُ مِن شهرٍ، وساعةٌ تَفْضُلُ ساعاتٍ. فمِن الأيَّامِ التي فَضَّلَها

اللهُ ـ تعالىٰ ـ علىٰ غيرِها هـٰذه الأيَّامُ أيَّامُ عشرِ ذِي الحِجَّةِ، وأفضَلُها يومُ عرفةَ ويومُ النَّحْرِ. فإنَّ المسلمين يَجْتَمِعُون فيها علىٰ عِبادةِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ وفي مَشْعَرٍ من مَشَاعِرِ اللهِ، يُتِمُّون النُّسُكَ ويَقْضُون التَّفَثَ. ويومُ عرفةَ له فضائِلُ مُتعدِّدَةٌ، منها أنَّهُ يومُ إتمامِ الدِّينِ وإكمالِ النِّعْمَةِ علىٰ المُسلمين. قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ ومنها أنَّه عِيدٌ لأهلِ الإسلامِ مع يومِ النَّحْرِ وأيَّامِ التَّشْرِيقِ. لِمَا روىٰ عُقبةُ مَرفُوعاً: «**يومُ عرفةَ ويومُ النَّحْرِ وأيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنا أهلَ الإسلامِ**». رَوَاهُ الخَمْسَةُ إلاَّ ابنَ ماجَةَ. ومنها أنَّه مَوْقِفٌ عظيمٌ تُسكبُ فيه العبَرَاتُ، وتُقالُ فيه العَثَرَاتُ. ويُرْجَىٰ فيه استجابةُ الدَّعواتِ، وهو أعظمُ مجامعِ الدنيا، فَمِنْ نادم علىٰ تَساهُلِهِ بِحُقُوقِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ وفَرَائِضِهِ، ومِن بَاكٍ علىٰ تَوْبَةٍ عَقَدَهَا ثُم نَقَضَهَا، ومِن خائِفٍ سَطْوَةَ المَلِكِ الدَّيَّانِ، ومِن راجٍ بَسْطَةَ الكرمِ مِن المَنَّانِ، فإذا فَرَّغَ الحاجُّ المُسلمُ قلبَهُ وطَهَّرَهُ، وطَهَّرَ جوارِحَهُ، واجتمعتْ الهِمَمُ، وتساعدت القُلُوبُ في هـٰذا المَجْمَعِ العظيمِ، وقَوِيَ الرَّجاءُ وعَظُمَ الجَمْعُ، كانَ ذٰلك مِن أسبابِ القَبُولِ، فإنَّ تلك مِن الأسبابِ التي جعلَهَا اللهُ مُقتضِيَةً لِحُصولِ الخيرِ ونُزولِ الرَّحْمَةِ، ومِن آدابِ الدُّعاءِ أنْ يَرْفَعَ يديه. قال ابنُ عبَّاسٍ: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ بعرفاتٍ، يَدعُو، ويداه إلىٰ صدْرِهِ كاستطعامِ المِسكينِ. رواه أبوداودَ. ولْيَحْذَرِ الحاجُّ مِن الاختِيالِ والتَّعاظُمِ في هـٰذا المَوقفِ وغيرِه؛ فإنَّه مِن موانعِ الإجابَةِ؛ لأنَّ اللهَ لا

يحبُّ كلَّ مُختالٍ فَخُورٍ. كما رُوي ذٰلك في الحديثِ، ومنها: أنَّه يُسَنُّ صومُ يوم عرفةَ لِغَيْرِ حاجٍّ بها؛ لحديثِ «**صِيامُ يومِ عرفةَ أحتسِبُ علىٰ اللهِ أنْ يُكفِّرَ السَّنةَ التي قَبْلَهُ والسَّنَةَ التي بعدَهُ**». رواه مسلم. أمَّا الحاجُّ فإنَّه لا يُستحبُّ له أن يصومَ يومَ عرفةَ بعرفةَ، بلْ يُكرهُ؛ لِنهيِهِ ﷺ عَن صومِ يومِ عرفةَ بعرفَةَ. رواه أبوداود وصححه الحاكم.

ومنها أنَّ الدُّعاءَ في يومِ عرفةَ أفضلُ مِن غيرِه؛ لحديثِ «**خيرُ الدُّعاءِ دِعاءُ يومِ عرفةَ، وخيرُ ما قُلتُ أنا والنَّبيُّون مِن قبلي لا إلٰه إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ**». رواه مالك في الموطأ والترمذي.

ومن فضائِلِهِ. قولُهُ ﷺ: «**ما مِن يومٍ أكثرَ مِن أن يُعتِقَ اللهُ فيه عَبيداً مِن النارِ، مِن يومِ عرفةَ، وإنَّه ليدْنُو يتجلَّىٰ ثم يُباهِي بهمُ الملائكةَ، فيقولُ: وما أرادَ هٰؤلاء**» رواه مسلم. وزاد رُزَين: «**واشهَدُوا يا ملائِكَتِي أنِّي قد غفرتُ لهم**». ومنها أنَّه ما رُؤيَ الشيطانُ يوماً هو فيه أصغرُ ولا أدْحَرُ ولا أحقرُ ولا أغْيَظُ، منه يومَ عرفةَ، وما ذاك إلاَّ لِما رأىٰ مِن تنزُّلِ الرَّحمةِ وتَجَاوُزِ اللهِ عَن الذُّنوبِ العِظامِ. إلاَّ ما أُرِيَ يومَ بدرٍ؛ فإنَّه قد رأىٰ جبريلَ يَزَعُ الملائكةَ، وقد رُوِيَ في ذٰلك حديثٌ رواهُ مالكٌ في المُوَطَّأ، وهو مرسلٌ، ووصلَهُ الحاكمُ في المستدرك. ومنها التَّكبيرُ مِن فَجْرِ يوم عرفةَ إلىٰ آخرِ أيامِ التَّشْريقِ. عُقَيْبَ الصَّلَواتِ المَكتُوباتِ، ومنه المُطْلَقُ الذي لا يَتحدَّدُ بزمنٍ، بل يبتدىءُ مِن يوم العيدِ وينتهي بانتهاءِ أيَّامِ التَّشريقِ.

لقولِهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ ﴾ والمُخاطَبُ بهٰذا الذكر الحاجُّ وغيرُ الحاجِّ. وفي الحديثِ المَرفُوعِ: «**أيَّامُ التَّشريقِ أيَّامُ أكْلٍ وشُرْبٍ**» وفي رواية: «**وذِكْرٍ للهِ عز وجل**. رواه مسلمٌ. قال البخاريُّ: وكان ابنُ عمرَ يُكَبِّرُ بِمِنىٰ تلكَ الأيَّام، وخَلْفَ الصَّلَوَاتِ، وعلىٰ فِراشِهِ، وفي فُسطاطِهِ ومَجْلِسِهِ ومَمْشاهُ تلك الأيام جميعاً.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتُوبُوا إليه، واذكُرُوه واستغفِرُوهُ كثيراً، وكَبِّرُوا في هٰذه الأيَّامِ المَعلُوماتِ، وصُونُوا أعيادَكُم عَن كلِّ ما لا يَجوزُ، احْفظُوها ـ رحمكم اللهُ ـ عَن كلِّ ما يُردِيكُمْ، واعمُرُوا أيَّامَها بالذِّكْرِ والحَمْدِ والشُّكْرِ؛ لِتَفُوزُوا في الدنيا والآخرَةِ. جعلنا اللهُ وإيَّاكُم مِمَّن إذا ذُكِّرَ تَذَكَّرَ وأنابَ، وإذا دُعيَ إلىٰ طاعةِ اللهِ سمعَ وأجابَ. ﴿ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

في الأضحية

الحمدُ للهِ الذي اهتدَىٰ بهدْيِهِ المُهتَدُون. أحمدُه - سُبحانه - لا يُسألُ عمَّا يفعلُ، وهم يُسألُون، وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه الصادِقُ المَأمُونُ. صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: أُوصيكُم ونفسي بتقوىٰ اللهِ - تعالىٰ - فإنَّه قد فازَ مَن اتَّقاه.

عباد الله: إنَّ الأُضْحِيَةَ سُنَّةٌ مُؤكدَّةٌ علىٰ كلِّ مَن قَدَرَ عليها مِن المُسلمين، المُقيمِين والمُسافرين، مِن الحُجَّاجِ والمُعتمِرين؛ وذٰلك لقولِه - تعالىٰ -: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾، ولقَولِ الرسُولِ ﷺ: **«مَن ذَبح قَبلَ الصَّلاةِ فليُعِدْ»** متفق عليه، وقولِ أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ - رضي الله عنه -: كان الرجُلُ في عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ يُضحِّي بالشَّاةِ عنه وعن أهلِ بَيتِهِ. ولا يَعني هـٰذا أنَّه لا يُزادُ علىٰ شاةٍ، وإنَّما هـٰذا هو المُتأكَّدُ، وهو الذي لا ينبغي أَن يُتركَ، وأمَّا مَن رَغبَ في الزِّيادَةِ وهو غنيٌّ مستطيعٌ وأرادَ أَن يَخُصَّ والديه أو غيرهما بأُضْحِيَةٍ أو أكثرَ، سواءً كان حيًّا أو ميِّتاً، فله ذٰلك؛ لأنَّه عملٌ صالحٌ وعبادةٌ للهِ - تعالىٰ - مِن أجَلِّ العِباداتِ.

عباد الله: ويَشهدُ لِمَا لِسُنِّيَّةِ الأُضحيةِ مِن الفَضلِ العظيمِ قَولُ الرسُولِ ﷺ: **«ما عملَ آدميٌّ مِن عملٍ يومَ النَّحْرِ، أحبَّ إلىٰ اللهِ مِن إهْرَاقِ الدِّماءَ،**

إنَّها لَتأتي يومَ القيامةِ بقُرُونِها وأظلافِها وأشعارِها، وإنَّ الدَّمَ لَيقعُ مِن اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ بمكانٍ قبلَ أَنْ يقعَ في الأرضِ، فَطِيبُوا بها نفساً» رواه التِّرمذيُّ. وقولُهُ ﷺ وقد قالُوا له ما هٰذه الأَضَاحِي. قال: «سُنَّةُ أبيكم إبراهيمَ» قالوا: وما لنا منها قال: «بكل شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ» قالوا: فالصُّوفُ؟ قال: «بكلِّ شعرةٍ مِن الصُّوفِ حسنةٌ» رواه ابن ماجة والترمذي.

ومن الحِكمِ في مَشروعِيَّةِ الأُضحيةِ ـ واللهُ تعالىٰ أعلمُ ـ التَّقرُّبُ إلىٰ اللهِ ـ تعالىٰ ـ بها. إذْ قال ـ سُبحانه ـ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ والنُّسُكُ هنا هو الذَّبحُ تقرُّباً إلىٰ اللهِ ـ تعالىٰ ـ. الثانية: إحياءًا لِسُنَّةِ الخَليلِ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ إذْ أوحىٰ اللهُ إليه أَنْ يذبحَ ولدَهُ إسماعيلَ، ثُمَّ فَداهُ بِكَبْشٍ، فَذَبَحَهُ بدلاً عنه. كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾. الثالثة: التَّوسِعةُ علىٰ العِيالِ يومَ العِيدِ. والبَذْلُ والإِحسانُ إلىٰ الفُقراءِ والمساكين. كما قال ـ سُبحانه ـ: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ الرابعة: من الحِكمِ شُكْرُ اللهِ ـ تعالىٰ ـ علىٰ ما سخَّر لنا مِن بَهِيمَةِ الأنعام، قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾.

عباد الله: الذَّبحُ إزهاقُ الرُّوحِ بإرَاقَةِ الدَّمِ علىٰ وجهٍ مخصُوصٍ، ويَقعُ علىٰ وُجُوهٍ. الأولُ: أَنْ يَقعَ عِبادةً للهِ ـ تعالىٰ ـ. وذٰلك بأَنْ يَقصدَ الذَّابحُ بِنَحْرِهِ تعظيمَ المَذْبوحِ له وهو اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ، والتَّذلُّلَ له والتَّقرُّبَ

إليه، وذلك بذَبحِ القَرَابين للهِ ـ تعالىٰ ـ، مِن الضَّحايا والهَدايا وغيرها، عن حيٍّ أو عن ميِّتٍ مِن المُسلمين، فهـٰذا الذَّبحُ عبادةٌ للهِ ـ تعالىٰ ـ مِن أفضلِ العِباداتِ وأفضلِ القُرُباتِ إلىٰ اللهِ ـ تعالىٰ ـ؛ لقولِهِ ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ أي ذَبحي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي ما أَحْيا عليه مِن العَمَلِ الصَّالِحِ وما أموْتُ عليه ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ فجمْعُهُ ـ تعالىٰ ـ بين هاتَين العِبادَتين أي الصَّلاة والذبح. ممَّا يدلُّ علىٰ فَضلِ الذَّبحِ للهِ ـ تعالىٰ ـ وأنَّه مِن أفضلِ العِباداتِ، وأَفضلُ القُرُباتِ للهِ ـ تعالىٰ ـ كمَا جمعَ بينهما في الآيَةِ الثانيةِ بقَولِهِ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ أي أخلِصْ لِربِّكَ الصلاَةَ، ونحرِ البُدْنَ ونحوها علىٰ اسْمِهِ وحدَه ـ جلَّ وعلا ـ. فالصلاةُ أفضلُ العِباداتِ البَدنِيَّةِ، والذَّبْحُ أفضلُ العِباداتِ المَاليَّةِ سواء أهدىٰ الثَّوابَ لِحيٍّ أو ميِتٍ. وإنَّما كان الذَّبحُ أفضلَها؛ لأنَّه يَجتمعُ فيه أمران: الأولُ أنَّه طاعةٌ للهِ ـ تعالىٰ ـ. والثاني: أنَّه بَذلَ مَالَهُ، وطابَتْ به نفسُهُ. والبَذْلُ مُشتركٌ في جِنسِ المالِ، كالصَّدقَةِ بالدَّراهِمِ عَن حيٍّ أو ميتٍ. لـٰكن زادَ الذَّبحُ علىٰ غيرِه في الفَضْلِ؛ لِما يَجتمعُ للذَّابحِ للهِ ـ تعالىٰ ـ عندَ النَّحْرِ إذا قارَنَهُ الإِيمانُ والإِخلاصُ مِن قُوَّةِ اليقينِ وحُسنِ الظَّنِّ باللهِ ما يكونُ به أفضل مِن جِنسِ الصَّدقةِ. فلِذا كانت الأُضحِيَةُ عن الميتِ أفضلَ مِن الصَّدَقةِ بثَمَنِها، كما قال شيخُ الإِسلامِ ابنُ تيميةَ وابنُ القَيِّمِ وغيرُهما: (التَّضحِيةُ عن الميتِ أفضلُ مِن الصَّدقةِ بثَمَنِها). ولا يُعتبرُ الإِكثارُ مِن الذَّبحِ للهِ مِن الإِسْرافِ،

سواء كان الذَّبح للهِ في وقتِ الأُضحيةِ أو في غيره مِن أيَّامِ السَّنَةِ؛ لأنَّ الذَّبحَ وإراقَةَ الدَّم عبادةٌ مُشتمِلةٌ علىٰ تعظيمِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ وإظهارِ شعائرِ دينِهِ، كما ثبتَ ذٰلك بالكتابِ والسُّنَّةِ، ولا يكون أُضحيةً إلاَّ ما ذُبحَ يومَ النَّحرِ وأيَّامَ التَّشريقِ، وما ذُبحَ في غيرِ هـٰذا وقُصدَ به التَّقرُّبَ إلىٰ اللهِ فهو عبادةٌ، ولا يُسمَّىٰ أُضحيةً.

ولِذا كان ﷺ كثيرَ النَّحرِ، كثيرَ الصلاةِ، وفي الصحيح عن عائشةَ قالت: ما غِرْتُ علىٰ أَحَدٍ مِن نساءِ النَّبيِّ ﷺ ما غِرْتُ علىٰ خَدِيجَةَ، وما رأيتُها. ولـٰكن كان النَّبيُّ ﷺ يُكثرُ ذِكْرَها، وربَّما ذبحَ الشَّاةَ ثُم يُقطِّعُها أعضاءً ثم يَبعثُها في صدائِقِ خديجةَ، وربَّما قُلتُ له: كأنْ لم يَكُنْ في الدنيا امرأةٌ إلاَّ خديجةُ! فيقول إنَّها كانتْ وكانتْ، وكان لي منها وَلَدٌ.
وقال ابنُ القيِّم ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «الذَّبحُ في موضِعِهِ أفضلُ مِن الصَّدقَةِ بثمنِهِ، ولو زادَ مِن الهَدَايا والأَضَاحي؛ فإنَّ نفسَ الذَّبحِ وإراقَةِ الدَّمِ مَقصُودٌ؛ فإنَّه عبادةٌ مقرونةٌ بالصلاةِ، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ ﴾ وقال: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ ففي كُلِّ مِلَّةٍ صلاةٌ ونَسيكَةٌ لا يقومُ غيرُهما مَقامَهُما. ولهـٰذا لو تصدَّقَ عَن دَمِ المُتعةِ والقِرانِ بأضعافِ أضعافِ القِيمَةِ، لم يَقُمْ مَقامَهُ، وكذٰلك الأُضحية» انتهىٰ كلامهُ رحمه الله.

فلِلمُسلمِ أَنْ يُضحِّي عَن أبيه وعَن أُمِّهِ أو عن غيرِهما مِن المُسلمين والمُسْلِمات سواء الأحياءُ والأمواتُ، ويَخُصُّ مَن يَشاءُ منهم بأُضحِيَةٍ،

والدليل على ذلك هو أنَّ النَّبيَّ ﷺ خصَّص أهل التوحيد من أمَّته بأُضحية، وليسَ في الحديث أنَّه خصَّص بها الأحياء دونَ الأمْوَات، بل هو مُطْلق يدلُّ بمفْهُومه على جواز التَّضْحية عن الغَيْر من الأحْيَاء أوْ الأمْوَات. كَمَا في حَدِيث عَائشة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُضَحي اشْتَرَىٰ كَبْشَيْن عَظِيْمَيْن سَمِيْنَينِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْن مَوْجوأين، فَذَبَحَ أَحَدهما عن أمّته ممَّن شَهِدَ لَهُ بالتَّوحيد وشَهِدَ لَهُ بالبَلَاغ. والآخر عن محمَّد ﷺ وآل محمَّد. رَوَاهُ الإمام أَحْمَد. فَهَـٰذَا مِمَّا يدلُّ دلالة واضِحَة على مَشْرُوْعية التَّضحية عن الغَيْر وتَخْصِيصه بِهَا.

وأمَّا كَوْن النَّبيّ ﷺ مَا ضَحَّىٰ عن عَمِّه حَمْزة ولا عَنْ غيره فهذا لاَ يَدلُّ على عَدَم مَشْروعية التَّضحية عن الغَيْر:

أوَّلاً: لأنَّه قد شُرِعَتْ التَّضحية عَن الغَيْرِ في الحَدِيْث المُتقدم. ثانِياً: أَنَّ هُنَاكَ كَثِيْراً مِنَ الأعْمَالِ لَمْ يَفْعَلها النَّبيّ ﷺ عن عَمّه كالصَدَقَة والحَجّ والعُمرة والوَقْف وغَيْر ذٰلِك، فَلَوْكَانَ هَـٰذَادَلِيْلاً لعَدم التَّضْحِيَة عن الغير، مَعَ وجُود الدَّلِيْل لمُنِع مِنْ كَثِيْرٍ مِنْ أَعْمَالِ البرِّ والإحْسَانِ. ولكن لَيْسَ هـٰذَا بدَلِيْل عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ؛ لأنَّه قَدْ دَلَّ دَلِيْلٌ على المَشْرُوعية المُطْلَقة، ولأنَّ التَّضْحية عن الغَيْرِ نوعٌ مِنَ الصَّدَقة تَصِحُّ عَن المَيِّتِ، كما دلَّت علىٰ ذٰلك النُّصُوصُ. والميِّتُ المُسلمُ بحاجةٍ شديدةٍ إلىٰ إهداءِ الثَّوابِ مِن الأحياءِ، وَإِهْدَاء الثَّواب مِنَ المُسْلِم إِلَىٰ الأحْيَاءِ والأموَاتِ سَوَاءٌ كَانَ بِأُضْحِية أَوْ بحجٍّ أوْ بعُمْرة أَوْ بصَدقةٍ بِمَالٍ أَوْ إِطْعَام طَعَام في شَهْرِ رَمَضَان

أَوْ غَيْره كُلُّ ذٰلك جَائِزٌ ويُثَابُ عَلَيْه المُهدي والمُهْدَىٰ لَهُ مِنَ الأَحْيَاء أَوْ الأمْوَات عِنْد أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة. ولَمْ يُخَالف في ذٰلِك إلاَّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ.

كَمَا قَرَّره ابن تَيْمية ـ رحمَه اللهُ تَعَالَىٰ ـ حيثُ قَالَ ـ رَحِمَه اللهُ تَعَالَىٰ ـ: «أَئِمَّة الإِسْلام متفِقُون على انْتِفَاع المَيِّت بدعاء الخَلْقِ لَهُ، وبِمَا يُعْمَلُ عَنْهُ مِنَ البِرِّ، وهَـٰذَا مِمَّا يُعْلَمُ بالاضْطرار مِن دِين الإِسْلَام، وقدْ دَلَّ عَلَيْهِ الكِتَاب والسُّنَّة والإجمَاع، فَمَنْ خَالَف ذٰلِكَ كَانَ مِنْ أَهْلِ البِدَع».

وقَالَ ابنُ القَيِّم ـ رَحِمَه اللهُ تَعَالَىٰ ـ: «مَنْ صَامَ أَوْ صَلَّىٰ أَوْ تَصَدَّق وجَعَلَ ثَوَابه لغَيْره مِنَ الأَمْوَاتِ والأَحْيَاءِ، جَازَ ويَصِلُ ثَوابها إِلَيْهم عند أَهْل السُّنَّة والجَمَاعَة».

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ـ: «المَيِّتُ يَصِلُ إِلَيْهِ كلُّ شَيْءٍ مِنَ الخَيْرِ للنصوصِ الوَارِدةُ فِيْه، ذكره المجد وغَيْرُهُ».

وقَالَ الشيخ محمَّدُ بن إِبْرَاهيم ـ رحمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ـ: «الَّذي عَلَيْهِ الجُمْهُور والمُحَقِّقُون، وصُول الثَّوَاب إلى المَيِّت... والنُّصوص دالةٌ على أن الحيَّ يَنْفَعُ المَيِّت لا العَكْس».

وقَالَ في الرَّوْض المُرْبِع: «فأيّ قُرْبَة منْ دُعَاءٍ واسْتِغْفَار وصَلَاةٍ وصَوْمٍ وحَجٍّ وقراءة وغير ذٰلِكَ، فَعَلَهَا مُسْلِمٌ وجَعَلَ ثَوَابها لميِّتٍ مُسْلِمٍ أَو حَيٍّ نفعه ذٰلِكَ».

وأمَّا إذا أوصىٰ الميِّتُ بأُضحيَةٍ أو أَضَاحِي في ثُلُثِ مَالِهِ. فإنَّه يَجبُ علىٰ الوَصِيِّ تنفيذُ ذٰلك، ولا يَجوزُ له التَّصدُّقُ بثمنِ الأُضحيَةِ؛ لأنَّه خِلافُ السُّنةِ، وتَغييرٌ للوصيَّةِ المَشرُوعةِ.

وأمَّا أحكامُ الأُضحيةِ والهَديِ، فالأولُ السِّنُّ، فلا يُجزِىءُ مِن الإبلِ إلاَّ ما تمَّ له خمسُ سِنين، ومِن البَقرِ إلاَّ ما تمَّ له سنتان، ومِن المَعْزِ سَنةٌ، ومِن الضَّأنِ سِتَّةُ أشهرٍ.

الثاني: سلامَتُها مِن العُيُوبِ؛ لِحديثِ: «**أربعٌ لا تَجوزُ في الأَضَاحِي: العَورَاءُ البيِّنُ عورُها، ـ فإذَا لَمْ تكُن بيِّنة العوَر، بِأَنْ كَانَت عَيْنُهَا قَائِمةً لَمْ تَنْخفس إلاَّ أَنَّها لا تُبْصر بِهَا أَجْزأَت، وكَذَا إِنْ كَانَ عَلَيْهَا بياض وهي قَائِمةٌ لَمْ تَذْهَب اجزأَت ـ، والمريضَةُ البيِّنُ مرضُها، والعرجَاءُ البيِّنُ ظلعُها والعَجْفاء التي تُنقي**». وروى أبوداودَ والنَّسائيُّ عن عُبيدِ بنِ فَيرُوز ـ رحمه الله ـ قال: سألْنَا البراءَ عمَّا لا يَجوزُ في الأضاحِي، فقال: قامَ فِينا رسولُ اللهِ ﷺ ـ وأصابِعِي أَقْصَرُ مِن أصابِعِهِ، وأنامِلِي أَقصرُ مِن أنامِلِهِ ـ، فقال: «**أربعٌ ـ وأشار بأربع أصابِعِهِ ـ لا تَجوزُ في الأضاحي: العَوْرَاءُ البيِّنُ عَورُها، والمَريضُة البيِّنُ مرضُها، والعَرْجَاءُ البيِّن ظلعُها، والعجفاء التي لا تُنقي**». قال: قُلتُ: فإنِّي أَكرَهُ في السِّنِّ نقصاً. قال: «**ما كرهتَ فَدَعْهُ ولا تُحرِّمْهُ علىٰ أحدٍ**».

وقد يَكونُ في البَهيمَةِ عُيُوبٌ لا تَمنعُ الإجزاءَ، ولٰكن تُوجِبُ الكَراهَةَ، فتكونُ السَّليمةُ أولَىٰ.

وأمَّا وقتُ ذبحِ الأُضحيةِ فهو بعد صلاةِ العِيد، فلا تُجزِيءُ قَبْلَهُ، وأمَّا الوَكالَةُ في ذَبحِها فجائِزَةٌ، إلاَّ أنَّه يُستحبُّ أنْ يُباشرَ المُسلمُ أضْحيته بنفسِهِ، وكذٰلك المرأةُ. فقد كان أبوموسىٰ يَأمرُ بناتَهُ أنْ يُضحِّينَ بأيديهِنَّ، وإنْ أنابَ المُضحِّي غيرَه في ذبْحِها، جازَ ذٰلك بِلا حَرَجٍ.

ويُستحبُّ أنْ يُوجِّهَ الأُضحيةَ عند الذَّبحِ إلىَّ القِبلةِ ويقُوْل: إنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي للَّذِي فَطَرَ السَّمـٰوَات والأَرْض حَنِيْفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِيْن. إنَّ صَلاَتِي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي لله ربّ العالمين لاَ شَرِيْكَ لَه وبذٰلِكَ أُمرتُ وأَنَا مِنَ المُسْلِمِيْن.

وإذا باشَرَ الذَّبحَ، وَجَبَ أنْ يَقولَ: بسمِ اللهِ، وسُنَّ له أنْ يَزِيدَ: واللهُ أكبرُ، اللَّهُمَّ هـٰذا منك ولَكَ.

وشُروطُ الذَّبحِ أربعةٌ: الأولُ: كَوْنُ الذَّابحِ عاقلاً مُميِّزاً قَاصِداً للذَّكاةِ، فيحِلُّ ذبحُ الأنثىٰ والعبدِ والجُنُبِ والكِتابيِّ، إلاَّ المُرْتَدَّ والمَجُوسِيِّ والوثنيَّ والدُّرْزِيِّ والنُّصَيْرِيِّ والرَّافِضِيِّ، فهـٰؤلاء لا يَحِلُّ ذبحُهُمْ.

الثاني: الآلَةُ: فَيحِلُّ الذَّبْحُ بكلِّ مُحدَّدٍ، مِن حَجَرٍ وقصبٍ، إلاَّ السِّنَّ والظُّفْرَ.

الشرط الثالث: قَطعُ الحُلقُومِ والمَريءِ والوَدْجَيْن.

الرابع: قولُ بسمِ اللهِ. والسُّنَّةُ أنْ يَأكُلَ مِن أُضحيتهِ ثُلُثَها، ويُهدِي ثُلُثَها، ويَتصدَّقُ بِثُلُثٍ.

معشرِ المسْلمينِ: اتَّقُوا اللهَ - تعالىٰ - وعَظِّمُوا شعائِرَهُ، وانْتَقُوا ضحاياكُم واستسْمِنُوها، وتحرَّوْا بِصدقاتِكم منها فُقرَاءكم، وبهداياكم مِن ضحاياكم أرحامَكُمْ وجِيرَانكم ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾.

في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمدُ للهِ مُعِزِّ مَنْ أطاعَهُ واتَّقَاهُ، ومُذِلِّ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ وعَصَاهُ، النَّاصِرِ لِمَنْ يَنْصُرُهُ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ وأوليائه، الذين يَغْضَبُون لِغَضَبِهِ ويَرْضَوْنَ لِرِضَاهُ، ولا تَأْخُذُهُمْ في ربِّهم لَوْمَةُ لائمٍ، ولا يَخْشَوْنَ أحداً سواه، فَيُحِبُّون لِحُبِّه ويُبغِضُون لِبُغْضِهِ، ويُوالون أولياءَهُ، ويُعادُون أعداءَهُ، ويُجاهِدون أهلَ معاصِيهِ بأنْفُسِهم وأموالِهم وألسنتِهم، طاعةً للهِ.

وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وراقِبُوه؛ فإنَّ تَقْوَاهُ وِقَايَةٌ لَكُمْ مِنْ عذابِه، واحْذَرُوا المَعَاصِي والتَّهَاوُنَ بِالصَّلاةِ؛ فإنَّها مُوجِبَاتٌ لِغَضَبِ الرَّبِّ وأَلِيمِ عِقَابِهِ.

عباد الله: إنَّ مَنْ أعظمِ الواجِباتِ الدِّينيَّةِ بعدَ الإيمانِ باللهِ ـ تعالىٰ ـ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عَنِ المنكرِ؛ إذْ ذَكَرَهُ اللهُ ـ تعالىٰ ـ في كِتابِهِ العَزِيزِ مقروناً بالإيمانِ به ـ عزَّ وجلَّ ـ فقالَ ـ تعالىٰ ـ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وأمرَ به ـ عزَّ وجلَّ ـ في قولِهِ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ

﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

يا أمة محمد: إنَّ الدَّعوةَ إلىٰ الخيرِ، والأمرَ بالمعروفِ، والنَّهيَ عَنِ المنكرِ مِنْ واجباتِ أُمَّتِكُمْ، بلْ مِنْ مُستلزماتِ الحياةِ. وإنَّ الأمَّةَ أو القريَةَ التي لا يُوجدُ فيها الآمرُ بالمعروفِ والنَّاهي عن المُنكرِ تَعُمُّها الفَوْضَىٰ، ويَسُودُها الجَهْلُ، ويَحِلُّ بها الخرابُ والفسادُ، ويَبْغِي بعضُها علىٰ بعضٍ، ولايزالُ المسلمون، بَلِ الأمَّةُ كلُّها بخيرٍ مادامَ هناك من يفعلُ الخيرَ ويَدُلُّ عليه، ويَبْذُلُ المعروفَ، ويَستأصلُ الفسادَ ولا يَسكتُ عنه. وقد بيَّنَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ في سُورةِ العَصْرِ ـ وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ ـ منفعةَ ذٰلك للقائمين به خاصَّةً، وللمسلِمين الذين يَعيشُون فيه عامَّةً، حيثُ أَقْسَمَ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في هٰذه السُّورةِ العظيمةِ أنَّ كُلَّ إنسانٍ في خَسَارَةٍ وهلاكٍ، بقوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ١-٣] بما أمرَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ بالإيمانِ به ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ٣] وهٰذا يَشملُ جميعَ أنواعِ الطَّاعاتِ كُلِّها، الظَّاهرةِ والباطنةِ، كما يَشملُ الكَفَّ عن جميعِ السَّيِّئاتِ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ٣] والحَقُّ كلمةٌ قامتْ بها السَّمٰواتُ والأرضُ، فتوحيدُ اللهِ بالعبادةِ حَقٌّ، وقراءةُ القرآنِ والعملُ به حَقٌّ، والإيمانُ بالرسولِ ﷺ واتِّباعُهُ حَقٌّ، والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عَنِ المُنكرِ حَقٌّ.

عباد الله: ولمَّا كانَ الحَقُّ مُرًّا علىٰ بعضِ النُّفُوسِ لا تُسِيغُهُ بِسُهُولةٍ، أمرَنا

اللهُ ـ تعالىٰ ـ بالتَّواصِي بالحقِّ، وهو الدَّعْوةُ إلىٰ الخيرِ والعملُ به، والأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عَنِ المُنكرِ، أمرَنَا اللهُ ـ تعالىٰ ـ بالتَّواصي بالحقِّ. فَكُلُّ مُسلمٍ يَنصحُ أخاه أنْ يَقومَ بالحقِّ، ويُحافِظَ علىٰ معالِمِهِ وطُرُقِهِ وحُدُودِهِ، إذا عَلِمَ عن شخصٍ أنَّه يَتهاونُ بالصَّلاةِ أو يَمنعُ الزَّكاةَ أو يَمدحُ العُصَاةَ، وَجَبَ عليه أنْ يُوصِيهِ بالحَقِّ أي بالمُحافظةِ علىٰ الصَّلواتِ وبأداء الزَّكاةِ وبِعَدَم تمجيدِ العُصَاةِ ونَحْوِ ذٰلك. وكما تَجِبُ عليك وصيَّةُ غيرِك بالحقِّ، فإنَّه يَجِبُ علىٰ الغيرِ نحوَك كذٰلك. فإنَّ الغَيْرَ قَدْ يَرىٰ مِنْ عُيُوبك ما لا تَرَاهُ، فَيُبَصِّرك بعُيُوبك، ويَهْدِيك سواءَ السَّبيلَ. وقوله: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [العصر: ٣] علىٰ طاعةِ اللهِ، لِيوصي كلٌّ مِنَّا أخاه بالصَّبرِ علىٰ المكارِهِ التي تَنْتَابُهُ في سَبيلِ الدَّعوةِ إلىٰ الحَقِّ والأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ؛ لِيَصْبِرَ ويصابِرَ. وإذا سُبَّ وأُوْذِيَ، فَلْيُقابِلْ ذٰلك بالثَّباتِ. وإذا ثَقُلَ علىٰ نفسِه القيامُ بالواجبِ، فَلْيُوَطِّنْ نفسَه عليه؛ حتَّىٰ يَخِفَّ ويَسْهُلَ. وإذا كادَ له أعداؤُه وأرادوا الوَقِيعةَ به، فَلْيَسْتَعِنْ بعُدَّة الصَّبرِ ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ۝١٢٠ ﴾ [آل عمران: ١٢٠] وإنْ ثارَ ثائِرُ الشَّهوةِ في نفسِه وأرَادَ تَعَدِّي حُدُودَ اللهِ وتَخَطِّي محارِمِ اللهِ، فلا تُلِنْ له القيادةَ، بلْ قِفْ موقفَ المؤمنِ المُحْتَسِبِ حتَّىٰ تَهبطَ نارُ الشَّهوةِ ويَبْرُدَ حَرُّها. وإنِ اتَّقَدَتْ جَمْرَةُ الغضبِ في صَدْرِكَ، وأرادتْ أنْ تَدفعَك إلىٰ الانتقامِ والأخذِ بالثَّأرِ، فَأَطْفِئْها بالحِلْمِ، وتَذَكَّرْ العاقِبةَ؛ فإنَّ الذِّكْرَىٰ مُسَكِّنَةٌ،

فإنَّ الصَّبرَ باللهِ نِعْمَ المُعْتَصَمِ لِمَنْ تَوَالتْ عليه الكوارِثُ وَحَلَّتْ به النَّوائِبُ.

وقَدْ تَضَمَّنَ كتابُ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ وسُنَّةُ رسولِه ﷺ مِنَ التَّرغيبِ في الدَّعوةِ إلىٰ الخيرِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنَّهيِ عَنِ المنكرِ، والحَثِّ علىٰ القِيامِ به، وبيانِ ما يَتَرَتَّبُ عليه مِنَ الأجرِ والثَّوابِ ما يُحَرِّكُ القُلُوبَ الوَاعِيةَ والنُّفُوسَ المُؤمِنةَ إلى المُسابقةِ إلىٰ الخَيْراتِ ويُنهضُ هِممَ مَنْ كانَ له قلبٌ أو أَلْقَىٰ السَّمعَ وهو شهيدٌ، وليس الخيرُ كلُّه في الإِسلامِ بأنْ يكونَ المسلمُ صالحاً في نفسِه مُجْتَنِباً الإِضرارَ بالغَيْرِ، لا يهمُّه إلاَّ إصلاحُ نفسِه فقط، بل الاستقامةُ في الإِسلامِ أَنْ يَنتقلَ سَعْيُ المرءِ ـ أيضاً ـ إلى إصلاحِ الآخرين وإرشادِهم إلى مصالِحِهم الدِّينيَّة والدُّنيويَّة؛ لِمَا رُوِيَ عن جابرٍ ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: **«أَوْحَىٰ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ إلىٰ جبريلَ ـ عليه السلام ـ أَنِ اقْلِبْ مدينةَ كذا وكذا بأهلِها. قال: يارَبِّ إنَّ فيهم عبدَكَ فلاناً لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ. قالَ: فقالَ: اقْلِبْها عليه وعليهم؛ فإنَّ وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ فيَّ ساعةٍ قَطّ»** [رواه البيهقيُّ في شُعَبِ الإيمانِ].

يا أمة محمد: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وراقِبُوه؛ فإنَّ كُلَّ مسلمٍ في الأمَّة مكلفٌ تكليفاً شخصيًّا بتغييرِ المُنكرِ. يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ رأىٰ منكم مُنكراً، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإنْ لم يستطعْ فبلسانِه، فإنْ لَمْ يستطعْ فبقلبِه، وذٰلك أضعفُ الإِيمانِ»** اتَّقُوا اللهَ، واحْذَرُوا عِقابَ اللهِ؛ فقدْ رُوِيَ في شرحِ السُّنَّةِ عن رسولِ اللهِ ﷺ: **«إنَّ اللهَ ـ تعالىٰ ـ لا يُعَذِّبُ العامَّةَ بعملِ**

الخاصَّةِ حتَّىٰ يرَوُا المنكرَ بينَ ظَهْرَانِيهِم وهُمْ قَادِرون علىٰ أنْ يُنكِرُوه فلا يُنكِروا، فإذا فَعلُوا ذٰلك عذَّبَ اللهُ العامَّةَ والخاصَّةَ». وروىٰ التِّرمذيُّ عن حُذَيْفَةَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «والذي نفسِي بيدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمعروفِ ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المنكرِ، أو لَيُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يبعثَ عليكم عذاباً مِنْ عنده، ثمَّ لَتَدْعُنَّ ولا يُسْتَجَابُ لكم». وعن عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لمَّا وَقَعَت بنو إسرائيلَ في المَعَاصِي نَهَتْهُمْ علماؤهُم، فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالِسِهم وآكَلُوهُم وشارَبُوهم، فضربَ اللهُ قُلُوبَ بعضِهم ببعضٍ فَلَعَنَهُم علىٰ لسانِ داودَ وعيسىٰ بنِ مريمَ؛ ذٰلك بِما عَصَوْا وكانُوا يعتدُون» قالَ: فجلسَ رسولُ اللهِ ﷺ وكانَ مُتَّكِئاً فَقالَ: «لا والذي نفسِي بيدِه، حتَّىٰ تَأْطُرُوهُم علىٰ الحقِّ أَطْراً»[رواه التِّرمذيُّ وأبوداود] في روايتِه قالَ: «كلاَّ واللهِ لَتَأْمُرَنَّ بالمعروفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المنكرِ، ولَتَأْخُذُنَّ علىٰ يَدَي الظَّالِمِ، ولَتَأْطُرُنَّه علىٰ الحقِّ أَطْراً، ولَتَقْصُرُنَّه على الحقِّ قَصْراً، أو لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بقلوبِ بعضِكم علىٰ بعضٍ، ثمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كما لَعَنَهم».

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأْمُرُوا بالمعروفِ، وانْهَوْا عَنِ المنكرِ كما أمركم؛ لِتُفلحوا وتَسْعَدُوا في الدُّنيا والآخرةِ، ولِيَنْتَصِرَ الدِّينُ، وتَسْلَمَ الأُمَّةُ، واللهُ لا يُضِيعُ أجرَ المُصلِحين.

أقولُ قَوْلي هٰذا، واسألُ اللهَ ـ تعالىٰ ـ أنْ يجعلني وإيَّاكم ممَّن دعا إلىٰ اللهِ وعَمِلَ صالحاً وقالَ إنَّني مِنَ المسلمين، وأنْ يغفرَ لي ولكم ولسائِرِ

المسلمين، من كُلِّ ذَنْبٍ، فاسْتغفرُوه وتُوبُوا إليه؛ إنَّه هو الغَفُورُ الرَّحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ المنتقمِ ممَّن خالَفَه، المُهلِكِ مَنْ آسَفَهُ، المُتَوَحِّدِ في قَهْرِهِ والمنفردِ بعزِّ أمرِهِ. أَحمدُه حمدَ شاكرٍ لِمَا أَوْلاهُ. وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةَ يقينٍ لا شكَّ فيه. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُهُ ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ـ.

أما بعد:

أيها المسلمون: إنَّ المُجاهرةَ بالمعاصي، وعدمَ الإنكارِ علىٰ العُصاةِ إثمٌ عظيمٌ وحَوبٌ كبيرٌ. ولقدْ ذَمَّ اللهُ الأمَمَ في العُصورِ الخَوالِي، ممَّن جاهرَ اللهَ بالعِصْيانِ وأَمِنَ مَكْرَ المَلِكِ الدَّيَّانِ، فأخذَهم بالعذابِ علىٰ غِرَّةٍ وهم في غَيِّهم يَعْمَهُون.

إنَّ هَلاكَ بني إسرائيلَ كانَ سببُه المعصيةَ والاعتداءَ علىٰ محارمِ اللهِ، فلمَّا لَمْ يَتَنَاهَوْا عن المنكرِ وفَشَتْ فيهم المعاصي، لعنَهم اللهُ علىٰ لسانِ داودَ وعيسىَ بن مريم ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة].

وعن عِكْرِمَةَ قالَ: جئْتُ ابنَ عباسٍ يوماً وهو يَبْكِي، وإذا المصحفُ في حِجْرِه، فَأَعْظَمْتُ أنْ أَدْنُوَ منه، ثمَّ لَمْ أقوىٰ علىٰ ذٰلك حتَّىٰ تقدَّمْتُ فجلستُ فقلْتُ: ما يبكيك يا ابنَ عباسٍ ـ جعلني اللهُ فداك ـ؟ قالَ: فقالَ: هؤلاءِ الوَرَقَاتُ. قالَ: وإذا هو في سُورةِ الأعرافِ أي عندَ قولِه

ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦] قال ابنُ عباسٍ: تَعْرِفُ أَيْلَةَ؟. قُلتُ: نعم. قال: فإنَّه كانَ بها حيٌّ مِنَ اليهودِ سِيقَتِ الحِيتانُ إليهم يومَ السَّبتِ، ثمَّ غاصَتْ فلا يَقدِرُون عليها حتَّىٰ يَغُوصوا بعد كدٍّ ومُؤنَةٍ شديدةٍ، وكانت تأتيهم يومَ سبْتهم شُرَّعاً بيضاءَ سِماناً، كأنَّها الماخضُ تَنْتَطِعُ ظُهورُها لِبُطونِها بأفنيتِهم، فكانوا كذٰلك بُرْهَةً من الدَّهْرِ، ثمَّ إنَّ الشَّيطانَ أوحىٰ إليهم فقالَ: إنَّما نُهِيتُم عن أكلِها يومَ السَّبتِ، فَخُذُوها فيه وكُلُوها في غيره من الأيَّام. فقالت ذٰلك طائفةٌ منهم، وقالت طائفةٌ: بلْ نُهُيتم عن أَكْلِها وأَخْذِها وصَيْدِها يومَ السَّبتِ. فكانوا كذٰلك حتَّىٰ جاءتِ الجمعةُ المقبِلةُ، فَغَدَت طائفةٌ بأنفسِها وأبنائِها ونسائها، واعتزلَت طائفةٌ ذات اليمين وتَنَحَّتْ، واعتزلَت طائفةٌ ذات اليسار وسكتَت. وقال الأيْمَنُون: وَيْلَكُمْ.. ننهاكُم أنْ تتعرَّضوا لعقوبةِ الله. وقال الأيْسَرُون: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [الأعراف: ١٦٤] قال الأيْمَنُون: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

[الأعراف: ١٦٤] أي يَنتَهُون: إن ينتهوا، فهو أَحَبُّ إلينا أن لا يُصابُوا ولا يُهْلَكُوا، وإنْ لمْ ينتَهوا فَمَعْذِرَةً إلىٰ ربِّكم. فَمَضَوْا علىٰ الخِطيئةِ. وقال الأيْمَنُون: فَعَلْتُمْ يا أعداء الله؟، والله لَنَأْتِيَنَّكُمْ اللَّيلةَ في مدينتِكم، والله ما نراكُم تُصبِحُون حتَّىٰ يُصَبِّحَكُمُ اللهُ بِخَسْفٍ أو قَذْفٍ أو بَعْضِ ما عنده من العذاب. فلمَّا أصبحوا ضَربُوا عليهم البابَ ونادَوْا، فَلَمْ يُجابُوا، فَوَضَعُوا سُلَّماً وأَعْلَوْا سُورَ المدينةِ رجلاً، فالتفَتَ إليهم فقال: أي عبادَ اللهِ: قردةٌ واللهِ تعادىٰ لها أذنابٌ. قال: ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفتِ القُرُودُ أنسابَها مِنَ الإِنْسِ، ولا تعرف الإنْسُ أنسابَها مِنَ القِرَدَةِ، فجعلَتِ القرودُ يأتيها نَسيبُها مِنَ الإنْسِ، فَتَشُمُّ ثِيابَه وتَبْكِي، فيقولُ: أَلَمْ نَنْهَكُمْ عن كذا؟، فتقولُ بِرأْسِها، أي نعم، ثمَّ قرأَ ابنُ عباس: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ [الأعراف: ١٦٥] قالَ: فأرَىٰ الذينَ قدْ نَهَوْا قدْ نَجَوْا، ولا أَرىٰ الآخرِين ذُكِرُوا، ونحنُ نَرىٰ أشياءَ نُنكرُها، ولا نقولُ فيها. . الحديث.

فاتَّقُوا اللهَ أيُّها المسلمون، واحذَرُوا من غَضَبِ اللهِ كما خافَ ابن عباسَ ـ رضي الله عنه ـ وهو في القُرُونِ المُفضَّلةِ. فما لنا لا نَخافُ ونحن في زمنٍ كَثُرَتْ فيه المُنكراتُ وفَشَتْ، وجاهرَ بها أصحابُها، وأُعْلِنَتْ. ما بالُ الآباء الذين في بُيُوتِهم مَنْ يتَهاوَنُ بالصلاةِ، مِنْ بَنِينَ وبناتٍ، لا يخافُون مِنْ عقابِ اللهِ وعذابه، وما بالُ أئمَّةِ المساجدِ السَّاكِتين عن المُتَخَلِّفين عَنِ الصلاةِ لا يُحَذِّرُون مِنْ غضبِ اللهِ ونُزُولِ

عذابِه؟ وما بالُ الذين يَسْتقْدُمون الكفَّارَ إلىٰ بِلادنا ـ سواءً كان لمؤسَّساتِهم أو لِخدمتِهم في البيوتِ ونحوِ ذلك ـ ما بالُهم لا يَنْتَهون قبلَ أنْ يَحِلَّ بهم من غضبِ اللهِ وعقوبتِه ما لا يستطيعون رَدَّهُ. ولا هُمْ يُنصَرُون.

ألا فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأْمُرُوا بالمعروفِ، وانْهَوْا عن المُنكرِ.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي. . . إلخ.

في هجرة النبي وحكم الهجرة

الحمدُ للهِ الذي شَرَعَ الهجرةَ من بلادِ الكُفرِ إلى بلادِ الإسلامِ لِحمايةِ الدين ودَرْءِ الفسادِ. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: ٢٠٧]. والحمدُ للهِ الذي نصرَ عبْدَهُ وأعزَّ جُندَه وهزمَ الأحزابَ وحْدَهُ وهو اللطيفُ بالعبادِ. أحمدُه سُبحانه، من تمسَّكَ بكتابه، أيَّده وحَمَاهُ مِنَ الأضدادِ، ومن عضَّ بِنَوَاجِذِهِ على سُنَّةِ نبيِّه، نَصَرَهُ وإن قلَّتِ الأعوانُ والأجْنادُ.

وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحْدَه لا شريكَ له في العِبادةِ والخَلْقِ وتَدْبيرِ أُمُورِ العِبادِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرْسَلَهُ حينَ مَلأَ الشِّركُ أَفْئِدَةَ أكثرِ العبادِ، وأقطارَ البلادِ. فوَضَّحَ مَنَارَ الدينِ بِحُسنِ البيانِ وصِدْقِ الجلادِ. وما مضى حتَّى تَركَ أمَّتَهُ على البَيْضاءِ، لَيْلُها كَنهارِها، لَيْسَ فيها لَبْسٌ ولاشُبْهَةٌ ولا ترداد. صلَّى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أمَّا بعدُ :

عبادَ الله: كان الناسُ قبلَ بعثةِ النبيِّ ﷺ على جانبٍ عظيمٍ من الضَّلالِ، يعبُدُون الشَّجرَ والحَجَرَ والأَصْنامَ والأنْصابَ والرِّجالَ، ويتَّبعونَ كُلَّ ناعقٍ، من كاذبٍ وكاهنٍ وساحرٍ ودجَّالٍ. يعيشون بالنَّهْبِ والسَّلْبِ والهَتْكِ والفَتْكِ والقتالِ. فبعثَ اللهُ فيهِمْ رسولاً منهم يَتْلُو عليهم آياتِهِ ويُزَكِّيهِمْ ويُعَلِّمُهمْ التَّوحيدَ ومكارِمَ الأفعالِ، ويَرفعُهُم من حضيضِ

الجَهَالَةِ والخُمُولِ وسُوءِ الحالِ إلى ذروةِ المَجْدِ وأَعْلَىٰ الشَّرفِ والكَمَالِ

فَقَامَ رسولُ اللهِ ﷺ بَشِيراً ونَذِيراً ودَاعِياً إلى تَوْحيدِ اللهِ بإذْنِهِ وسِرَاجاً مُنِيراً، وبَشَّرَ المُؤمِنين بِأَنَّ لهم مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً، وأَنْذَرَ الكَافرينَ وهو لا يَجِدُ من دُونِ اللهِ وَلِيًّا ولا نَصِيراً، ورَفَع صَوْتَه بالتوحيدِ، وحذَّرَ مِنَ الشِّرْكِ ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٧] فآذَاه قَوْمُه المُشْرِكون، وقالوا ساحرٌ أو مجنونٌ، أو شاعرٌ نَتَرَبَّصُ به رَيْبَ المَنُونَ. فقالَ اللهُ ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٧-١٢٨] وآذَى المُشركون أصحابَه حتَّى فَتَنُوا بعضهَم، وثَبَتَ على الحَقِّ آخرون، فَصَارُوا بِدِينِهم يفرُّون وإلى اللهِ يُهاجِرون حتَّى جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُمْ في المَدِينةِ المُنَوَّرَةِ، وظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَلَوْ كَرِهُ الكافرون.

عبادَ الله: إنَّكم اليومَ تَسْتَقْبِلُون عاماً هِجْرِيًّا جَدِيداً يُذَكِّرُكُم بهجرةِ المُصطفى ﷺ. فَلَقَدْ هَاجَرَ ﷺ إلى اللهِ، وفي سبيلِ اللهِ، وهجرَ بلدَه وعشِيرتَه لمَّا رأى استكبارَ قُرَيشٍ وإباءَهُم عن قَبُولِ الحَقِّ وصَدِّهِم عن سبيلِ اللهِ، ومحاولتَهم إطفاءَ نُورِ اللهِ ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢]. فعندما اشتدَّ أذاهُم له وحاولُوا أن يُوقِعوا به أشدَّ ما يجدُون من النِّكَايَةِ، إمَّا الطَّردُ والإبعادُ، وإمَّا الحَبْسُ

والاضْطِهادُ أو القَتْلُ والإِعْدامُ. ورأى أَشَدُّهُم كُفْراً وأعظمهُم شرًّا أنَّ القتلَ هو الذي يشفِي عَلِيلَهُم، ويُرْوِي غَلِيلَهم، وأيّده على ذلك الشيطانُ وأعوانُه. فَعِنْدَ ذلك أَمَرَ اللهُ نبيَّه بالهجرةِ؛ ليحقِّقَ له نصْرَه، ولِتكُونَ لِمَنْ بعده أُسْوَة وعِبْرَة، وأنزلَ اللهُ في ذلك: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠] فهاجَرَ ﷺ إلى المدينةِ ومعه رفيقُه في الغارِ أفضلُ هذه الأُمَّةِ بعدَ نبيِّها، وأقواها إيماناً، وأشدُّها ثباتاً صاحبُه أبوبكرٍ الصدِّيقُ ـ رضي الله عنه ـ، وقد اشتدَّ خوفُه، لا على نفسِه، ولكنْ شَفَقَةً على الرسولِ الكريمِ، وهو ﷺ مُطْمَئِنُّ الحالِ هاديءُ البالِ، يُهَدِّيءُ رَوْعَ أبي بكرٍ ويُذكِّرُه بِمَعِيَّةِ اللهِ الخَاصَّةِ وعِنَايَتِه بِهِما، قائلاً: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠] وفي ربيع الأوّل وصلَ النبيُّ ﷺ إلى المدينةِ، وتَبِعَهُ الناسُ مُؤمنين ومُهاجرين ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠٠] وهُناك ظَهَرَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ وانتصرَ المُسلمون. فلمَّا اطمأنَّ ﷺ بالمدينةِ، وأَذِنَ اللهُ له بالجهادِ والقتالِ وأَمَرَه به، امتثلَ لأمْرِ ربِّهِ، وجاهدَ أعداءَ اللهِ، فتتابعَ له النَّصرُ والظَّفَرُ. ومن أعظمِ ذلك يومُ بدرٍ يوم الفُرقان يوم التقى الجمعان ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] ثم توالتْ الانتصاراتُ، وتتابعتْ حتَّى دخلَ ﷺ مَكَّةَ فَاتِحاً ظافِراً مُنتصراً، يُؤَمِّنُ أهلَها على أنفسِهم، ويَصفحُ عنهم، ويقومُ على بابِ الكعبةِ المُشَرَّفةِ خطيباً، قائلاً: «**لا إله إلَّا الله وحْدَه لا شريكَ له، صَدَقَ وعْدَه ونَصَرَ عبدَه وهزمَ الأحزابَ وحْدَه**» ثم قال: **يا مَعْشَرَ قُريشٍ: ما تظنُّون أنِّي فاعلٌ بِكُمْ؟**» قالوا: خيراً، أخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كريمٍ. فيقول ﷺ: «**اذهبوا فأنتم الطُّلقاء**».

ويُنادي بلالٌ ـ رضي الله عنه ـ بأَعْلَى صَوْتِه بتكبيرِ اللهِ وشهادةِ أن لا إله إلاَّ الله، وشهادةِ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ، فَوْقَ رُؤوسِ صناديدِ قُريشٍ، يدعُو إلى عبادةِ اللهِ ـ تعالى ـ وتوحيدِه. ولقدْ كانَ قبْلَ الهِجْرةِ يُعَذَّبُ على إيمانِه، وتُوضَعُ الصَّخرةُ العظيمةُ على صدرِه في شِدَّةِ الرَّمْضاءِ وحرارةِ الشمسِ؛ لِيرجعَ عن دِينِه، فلا يزيدُه ذلك إلاَّ ثباتاً على إيمانِه وتوحيدِه لربِّه.

عباد الله: تدبَّروا ـ رَحِمَكم اللهُ ـ عاقِبَةَ الصَّبرِ على طاعةِ اللهِ والجهادِ والهجرةِ في سبيلِ اللهِ، وكيفَ كانتْ عاقبةُ المُجاهدين المُهاجرين الصَّابرين، ولا تَغْتَرُّوا بزَهْرَةِ الحياةِ الدُّنيا ﴿ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [التوبة: ٣٨] ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠]

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ الذي أرسَلَ محمداً بالحقِّ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذْنِه وسِراجاً مُنيراً، فأشرقتِ الأرضُ بِنُورِ رسالتِه برًّا وبحراً، وكان ربُّك مُحسِناً قديراً، وأَدْبرَ ظلامُ الشِّرْكِ مُتبَّراً تَتْبِيراً.

أحمده سبحانه؛ إذ هدانا للإسلام كرماً منه وإحساناً، ولم يَزَلْ ـ سبحانه ـ بالإحسانِ جديراً. وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحْدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أمَّا بعد:

معشرَ المسلمين: ومن قَدَرَ على الهجرةِ من بلادِ الشِّرْكِ والكُفرِ إلى بلادِ الإسلامِ ولم يُهاجرْ، فهو مُتَعَرِّضٌ لهذا الوعيدِ الشديدِ الذي ذَكَرَه اللهُ ـ تعالى ـ بقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٧ـ٩٩]. قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيرِه عند ذِكْرِ هذه الآيةِ: «وهذه الآيةُ عامَّةٌ في كلِّ من أقامَ بَيْنَ ظَهْرَانِيِّ المشركين وهو قادرٌ على الهجرةِ، وليس مُتمكِّناً من إقامةِ الدينِ، فهو ظالمٌ لنفسِه مرتكبٌ حراماً، بالإجماعِ وبِنَصِّ هذه الآيةِ» انتهى.

عباد الله: وهذا الوعيدُ الشديدُ توعَّدَ به من هو ساكنٌ في مكةَ قبل الفتحِ بين أظهُرِ المشركين مَشَحَّةً بأهلِه ومالِه. فما الظنُّ بمن هو مقيمٌ بين أظهُرِ المسلمين وفي بلادِ التوحيدِ، ثم يسافرُ إلى بلادِ الكُفرِ والإلحادِ لأجْلِ الفُرْجةِ والنُّزْهَةِ أوْ مِنْ أَجْل تَشْجيعِ الباطلِ وأهلِه. لا شكَّ أنَّه أَوْلَىٰ بهذا الوعيدِ ممَّن أقامَ في بلدِه بلدِ الشِّركِ ولم يُهاجرْ؛ لأنَّ من سافرَ من أجلِ تشجيعِ الباطِلِ، سَفرُهُ حرامٌ، وما سافرَ إليه حرامٌ. فهو قد ارتكبَ مُحَرَّمَيْنِ، فلا شكَّ ولا رَيْبَ أنَّه أَوْلَىٰ بهذا الوعيدِ من غَيْرِهِ. ومِنَ الوعيدِ الذي تَوَعَّدَ به من يُقِيمُ بَيْنَ أظهُرِ المُشركين ولم يُهاجِرْ، ـ ومِنْ بَابِ أَوْلَىٰ مَنْ كان في بلادِ المُسلمين والتوحيدِ، ثمَّ يُسافرُ إلى بلادِ الكُفرِ والإلحادِ وَلَوْ يوماً واحداً ـ قَوْلُهُ ﷺ: «**أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يُقيم بينَ أَظْهُرِ المُشركين**» [رواه أبوداود] وقوله ﷺ: «**من جَامَعَ المُشْرِكَ وسكنَ معه، فإنَّه مِثْلُه**» [رواه أبوداود]. وقوله ﷺ: «**لا يقبل الله من مُشْرِكٍ بعدما أسلمَ عملاً، أو يُفارِقُ المشركين إلى المسلمين**» [رواه النسائي وغيره].

معشر المسلمين: إنَّ خَطَرَ السَّفَرِ إلى بلادِ الكُفارِ عظيمٌ، وضَرَرُه جَسِيمٌ، وإنَّ من سافَرَ إلى تِلْكَ البلادِ من غير ضرورةٍ حريٌّ أن يُعاقبَ وأن يُصابَ في دِينه، والدِّينُ رأسُ المالِ. وماذا بَعْدَ ذهاب الدِّينِ؟! فاتَّقُوا اللهَ ـ تعالى ـ أيُّها المُسلمون، واشكُرُوه على ما أَعْطَاكُمْ من النِّعَمِ التي أَجَلُّها نِعمةُ الإسلامِ. فلا تُعَرِّضُوا هذه النِّعمةَ للزَّوالِ. حافِظوا على دِينكم الذي هو عِصْمَةُ أمرِكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا

تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة المائدة: ٨] ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

عباد الله: إنَّ الله وملائكته يُصَلُّونَ على النبي... إلخ.

في قصة موسى مع فرعون

الحمدُ للهِ الوَلِيِّ، فلا وَلِيَّ من دُونِهِ ولا وَاقٍ، الغَنِيِّ فلا تَنْفَدُ خزائِنهُ على كَثْرَةِ الإنْفاقِ، يَحْلُمُ على مَنْ عَصَى، ويَنْتَقِمُ بما لا يُحْصَى، ولا يُكَلِّفُ ما لا يُطاقُ. أَحْمَدُهُ وَحْدَهُ وَلَهُ الحمدُ وَحْدَهُ على الاستحقاقِ.

وأشْهَدُ أنَّ لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، شَهَادَةَ من ذَاقَ طعمَ الإيمانِ، فَوَجَدَهُ حُلْوُ المذاقِ. وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُهُ ورسولُه، أَرْسَلَهُ بالهُدى ودِينِ الحَقِّ، ففتح به قُلوباً غُلْفاً وَأَعْيُناً عُمْياً وآذاناً صُمَّا لَيْسَ للحقِّ قَبْلَهُ إليها استطراقٌ. اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعدُ :

أيُّها الناس: إنَّكم في شهرٍ حرامٍ مُحَرَّمٍ ومَطْلعِ عامٍ جديدٍ، في بِدايةِ مرحلةٍ من مراحلِ العُمرِ، فالمُؤمنُ يَغتبطُ بذلك؛ إِذْ أَمَدَّ اللهُ له في الأجلِ، فهو يسألُ اللهَ بصدقٍ أن يكونَ عملُه في العامِ الجديدِ خَيْراً من مَاضِيهِ؛ لِيبذُلَ جهده ويَحْرِصَ كلَّ الحِرصَ على العملِ بالباقياتِ الصَّالحاتِ ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦]

عبادَ الله: خيرُ العبادِ مَنْ طَالَ عُمرُهُ وحَسُنَ عملُه، وَعَكْسُهُ بِعكْسِهِ؛ فالإمدادُ في الأجلِ فرصةٌ لاستصلاحِ أغلاطِ الماضي، وللتَّحوُّلِ إلى مناهجِ ووسائِلِ المغفرةِ والرِّضْوانِ. قال اللهُ ـ عز وجل ـ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ

﴿لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ۝٨٢﴾ [طه: ٨٢].

معشرَ المسلمين: وإنَّ خيرَ بدايةٍ للمسلمِ في عامِهِ الجديدِ، ومِنْ أفضلِ ما يعملُه في الشَّهرِ الحرامِ مُحَرَّمٍ، أن يَشتغِلَ بصومِه؛ فالصَّومُ مِن أفضلِ الأعمالِ الصَّالِحةِ؛ لِما في الصَّحيحين عن رسولِ الله ﷺ: «**كلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ لَهُ، الحسنةَ بعَشْرِ أمثالِها إلى سَبْعِمَائةِ ضِعْفٍ، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: إلاَّ الصَّومَ؛ فإنَّه لي، وأنا أَجْزِي به؛ إنَّه تَرَكَ شهْوتَه وطعامَه وشرابَه مِن أَجْلِي**». فإذا وقعَ الصَّومُ في شهرٍ حرامٍ، اقْترنَ الفضلُ بالفضلِ، فضلُ الصَّومِ وفضلُ الزَّمانِ، ممَّا يكونُ للمسلمِ به أكرمَ جزاءٍ، وذلك فضلُ اللهِ يُؤتِيهِ من يَشاءُ. روى مسلمٌ في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضلُ الصِّيامِ بَعْدَ رمضانَ شهرُ اللهِ المُحَرَّمِ**» وسُمِّي المُحَرَّمَ لِكَوْنِهِ شهْراً مُحَرَّماً، تصريحاً بِفَضْلِهِ وتأكيداً لتحرِيمِه. لأنَّ العَربَ كانت تَتقَلَّبُ فيه، فَتُحِلّه عاماً وتحَرِّمه عاماً

عبادَ الله: وإن صَرَفَتِ العبادَ الشواغلُ، وَقَعَدَتْ بهم الأعذارُ عن بُلُوغِ الفَضلِ وصومْ شهرِ المُحَرَّم، أو بعضِه، فلْتَرْتَفِعِ الهِمَمُ لصومِ أفضلِ يومٍ فيه، وهو يومُ عاشُوراءَ، اليومُ العاشِرِ منه، يومٌ نُصِرَ الحقُّ فيه على الباطِلِ، فصِيامُه شكرٌ لله تعالى على ذلك النَّصرِ، فَمَنْ صامَهُ، فقدْ شارَكَ في الشُّكرِ، واغْتَنَمَ الأجْرَ. فلقد نجَّىٰ اللهُ رسولَهُ موسى ـ عليه السَّلام ـ ومَنْ معه على الحقِّ والهُدى، وأغْرقَ فِرعونَ ومنْ تابعَهُ على الباطِلِ والرَّدى، فكانَ ذلكَ عِبْرَةً لِمَنْ يُفْسِدُ في الأرضِ بعد إصلاحِها،

ويَصُدُّ عن سبيلِ اللهِ والهُدى. فلا تَغْتَرُّوا بإمْهالِ اللهِ - عز وجل - لِمَنْ تَجبَّرَ وعَتى؛ قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٩٧﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]. فاللهُ - سُبحانَهُ وتعالى - ناصِرٌ من أخْلصَ لله، وفي عَمَلِهِ تابعَ، ويظهَرُ ذلك في تَدَبُّرِ قَصَصِ الأنبياءِ والمُرسلين ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. فالله ناصرٌ للحق ومذلٌّ للباطلِ، وباطِشٌ بالمُتكبِّرِ، ونعمتُهُ على المُؤمنين إلى قِيامِ السَّاعةُ. فلقد أرسلَ اللهُ موسى ﷺ وعلى نبيِّنا وإخوانِهما مِنَ النَّبيِّين والمُرسلين، أرسلَهُ إلى فرعونَ بالآياتِ والسُّلطانِ المُبينِ، إلى فِرعونَ الذي تكبَّرَ على المَلأ، وقال: أنا ربُّكُمُ الأعلى، فَجَاءَهُ موسى بالآياتِ البيِّناتِ، ودعاهُ إلى توحيدِ ربِّ الأرضِ والسمواتِ. فقال فرعونُ مُنكراً وجاحِداً: وما ربُّ العالمين؟! فَأَنْكَرَ ربَّنا الربَّ العظيمَ الذي قامتْ بأمرِهِ السَّمواتُ والأرضُ، وكانِ له آيةٌ في كلِّ شيءٍ من المخلُوقاتِ. فأجابَهُ موسى: هو ربُّ السَّمواتِ والأرضِ وما بينهما إن كُنتم مُوقِنين؛ فَفِي السَّمواتِ والأرضِ وما بينهما من الآياتِ ما يُوجِبُ الإيقانَ للمُوقِنين. فقالَ فِرعونُ لِمَنْ حولَهُ ساخِراً ومُسْتَهزِءاً بِموسى: ألاَ تستمِعون. فذكَّره موسى بِأَصْلِهِ وأنَّهُ مَخْلُوقٌ من العَدَمِ، وصَائرٌ إلى العَدَمِ كَمَا عُدِمَ آباؤُه الأوَّلون. فقال: هو ربُّكم وربُّ آباءِكُم الأوَّلين. وحِينَئِذٍ بُهتَ فِرعونُ، فادَّعى دَعْوَى المُكابِرِ المَغْبُونِ، فقال: إنَّ رسولَكم الذي أُرسلَ إليكم

لَمجنونٌ. فَطَعَنَ بالرَّسولِ والمُرْسِلِ، فَرَدَّ عليه مُوسى ذلك وبَيَّنَ له أنَّ الجُنونَ إنَّما هو إنكارُ الخالقِ العظيمِ ربِّ المشرِقِ والمغرِبِ وما بينهما إنْ كُنْتُم تَعْقِلُون. فلمَّا عَجزَ فرعونُ عن ردِّ الحقِّ، لَجأَ إلى ما يَلْجأُ إليه العاجِزون المُتكبِّرون، من الإرهابِ، فَتوَعَّدَ مُوسى بالاعتقالِ والسَّجنِ، وخَابَ فقال: لَئِنِ اتَّخذْتَ إلٰهاً غَيْرِي لأجْعَلَنَّكَ من المَسجُونين، ولم يَقُلْ لأسْجُنَنَّكَ؛ لِيَزيدَ في إرهابِ موسى وأنّ لديه من القوّة والسُّلطان والنُّفوذ ما مكَّنه من سجنِ الناسِ، ومازال موسىٰ يأتي بالآياتِ كالشَّمس، وفرعونُ يحاولُ بكلِّ مجهوداته ودعَاياته أن يقضِي عليها بالردِّ والطَّمس، حتى قالَ لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥١-٥٦].

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله العليِّ الكبيرِ المتفرِّدِ بالخَلْقِ والتَّقدير والتَّدبير، أحمده سُبحانه أعزَّ أولياءَه بنصرِهِ وأذلَّ أعداءَه فرعونَ وقومَه. فَنِعْمَ المولىٰ ونِعْمَ النَّصير، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شَريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه

البَشِيرُ النَّذيرُ والسِّراجُ المُنِيرُ صلَّىٰ الله وسلَّم وبارِكَ عليه، وعلى آله وأصحابه، والتَّابِعِينَ لهم بإحسان إلى يوم المآب والمصير.

أما بعد؛

أيها المسلمون: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالى ـ، واذكُروا أيَّامَ الله؛ لَعَلَّكُمْ تتذكَّرون، اذكروا أيامَ الله بنصرِ أوليائه؛ لعلَّكُم تشكُرون، واذكُروا أيَّام الله بِخُذْلاَنِ أعدائِهِ؛ لعلَّكم تتَّقُون وتَحْذَرُون.

عبادَ الله: كان من قِصَّة إِغْرَاقِ الله ـ تعالى ـ لفرعونَ وقومِهِ، أنَّ الله ـ تعالى ـ أَوْحَى إلى موسىٰ أن يَسْرِيَ بقومِهِ لَيْلاً من مِصْرَ. فَاهْتَمَّ لذلك فرعونُ اهتماماً عظيماً، فأرْسَلَ في جَمِيعِ مدائِنِ مِصْرَ أن يُحْشَرَ النَّاسُ للوصولِ إليه ـ لأمرٍ يُرِيدُهُ اللهُ ـ فجمعَ فرعونُ قومَهُ، وخرجَ في إِثْرِ موسىٰ مُتَّجهينَ إلى جِهَةِ البحرِ الأحمرِ ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الشعراء: ٦١] البحرُ مِنْ أمامِنا، فَإِنْ خُضْنَاهُ غرِقْنا، وفرعونُ وقومُهُ خَلْفَنا، فَإِنْ وَقَفْنَا، أَدْرَكُونا. فقال موسى: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء: ٦٢]. فلمَّا بلغَ البحرَ، أمرَه اللهُ أنْ يضرِبَهُ بِعصاهُ، فضربَه، فَانْفَلَقَ إلى اثْنَيْ عَشَرَ طريقاً، وصارَ الماءُ السيَّالُ ـ بإذن الله تعالى ـ بَيْنَ هذه الطُرُقِ كَأَطْوَادِ الجبالِ. فلمَّا تكامل موسىٰ وقومُهُ خارجينَ. وتكاملَ فرعونُ بجنودِهِ داخلينَ، أمرَ اللهُ البحرَ أنْ يَعُودَ إلى حالتِهِ. فانْطَبَقَ على فرعونَ وجنودِهِ، فكانوا مِنَ المُغْرَقِينَ. فَانْظُرُوا ـ رَحِمكم اللهُ ـ إلى ما في هذه القِصَّةِ من العِبَرِ والآياتِ، كيفَ كانَ

فرعونُ يَقْتُلُ أبناءَ بني إسرائيل خَوْفاً من موسىٰ فتربَّى موسىٰ في بيتِهِ تَحْت حِجْرِ امرأتِهِ، وكيفَ قابلَ موسىٰ هذا الجبَّارَ العَنِيدَ مُصَرِّحاً، مُعلناً بالحقِّ، هاتفاً به: أَلاَ إِنَّ ربَّكُمْ هو اللهُ ربُّ العالمين. فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنْهُ. وكيف صَارَ الماءُ السيَّالُ شيئاً جامداً بِقُدرةِ الله ـ تعالى ـ وكانَ الطَّرِيقُ يَبَساً لا وَحْلَ فيه في الحَالِ. وكيف أهلَكَ اللهُ هذا الجبَّارَ العنيدَ بِمِثْلِ ما كانَ يفتخرُ بهِ فقدْ كانَ يفتخرُ بالأنهارِ الَّتي تجرِي من تحته، فَأُهْلِكَ بالماءِ.

عباد الله: إنَّ ظُهورَ آياتِ اللهِ في مخلوقاتِهِ نعمةٌ كُبْرَى يستحقُّ عليها الحمدَ والشُّكْرَ، خُصُوصاً إذا كانتْ في نَصْرِ أولياءِ اللهِ وحِزْبِهِ، وَدَحْرِ أولياءِ الشَّيطانِ وحِزْبِهِ. ولِذٰلِكَ لَمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ وَجَدَ اليهودَ يصُومون اليومَ العاشِرَ مِنْ هذا الشَّهرِ، ويقولون: إِنَّه يومٌ نجَّى اللهُ فيه موسىٰ وقومَهُ، وأَهْلَكَ فيه فرعونَ وقومَهُ، فصامَهُ موسىٰ شُكْراً، فقالَ ﷺ: «**فَنَحْنُ أحقُّ بموسىٰ مِنكم**» فَصَامَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بصيامِهِ. وسُئِلَ النبيُّ ﷺ عن صيامِهِ، فقالَ: «**يُكَفِّر السنةَ الماضِيَةَ**» رواه مسلمٌ. ويُستحبُّ صيامُ التاسعِ مع العاشِرِ؛ مخالفةً لليهودِ؛ لِحديثِ ابنِ عبَّاسٍ ـ رضي الله تعالى عنه ـ قالَ: صامَ رسولُ اللهِ ﷺ يومَ عاشُوراءَ، وأمرَ بصيامِهِ. قالوا: يارسولَ اللهِ: إنَّه يومٌ يُعَظِّمُهُ اليهودُ والنَّصارَى. ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**فإذَا كانَ العامُ القابِلُ ـ إن شاء الله ـ صُمْتُ اليومَ التَّاسِعَ**» فَلَمْ يَأْتِ العامُ المُقبلُ حتَّى تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ.

عبادَ الله: ولم يَثبُتْ في هذا الشهرِ، ولا في يومِ عاشوراءَ مِنْهُ شيءٌ مِنْ فضائلِ الأعمالِ، إلاَّ الصيام. وأمَّا ما يُروى فيهِ من ذِكْرِ الصَّلواتِ، أو القِراءاتِ، أو الأدْعِيَةِ الخاصَّةِ به، فَلَمْ يَصِحَّ مِنْ ذلك شيءٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ. وكذٰلِكَ ما وَرَدَ من استحبابِ التَّوسعَةِ على الأولادِ والأهْلِ فيه، لم يَصِحَّ من ذلك شيءٌ عن رسولِ اللهِ ﷺ. وبهذا يكونُ فِعْلُ ذلك مِنَ البدعِ في الدِّينِ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي. . . إلخ.

في التحذير من مخالفة السلف الصالح

الحمدُ للهِ الذي أعزَّنا بالإسلامِ. أحمدُه ـ سبحانه ـ، وهو صاحبُ الفضلِ والإنعامِ.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ونسألُه ـ جلَّ وعلاَ ـ أنْ يجعلَها هيَ آخرَ كلامِنَا والخِتَام. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه هُداةِ الأنَامِ ونُجُومِ الظَّلامِ، وسَلِّمْ تسليماً.

أمَّا بعدُ :

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ، واعلمُوا أنَّ غالبَ الناسِ في هـٰذا الزمانِ كلَّ يومٍ في انحِطاطٍ ونقْصٍ في الدِّينِ، إلاَّ مَنْ مَنَّ اللهُ عليه بالبَصِيرَةِ والتوفِيقِ، فهو علىٰ نُورٍ مِن ربِّه، فويلٌ للقاسِيَةِ قُلُوبهم عَنْ ذِكرِ اللهِ، أُولـٰئك في ضلالٍ مبينٍ، إنَّنا في زمانٍ غَلَبَتْ علينا المُداهَنَةُ والتَّمَلُّقِ والكذب. فلو راجعْنَا حالَ السلَفِ المؤمنين حَقًّا ونَظَرْنا حالَنَا اليومَ لَتَعَجَّبَ أهلُ العُقُولِ السلِيمَةِ مِن الفَرْقِ البيِّنِ.

عباد الله: كانَ هـٰذا المالُ بأيدِيهم بكثرَةٍ، ومع ذٰلك لا يَدُورُ عليه الحَوْلُ؛ لأنَّهم جعلوا نصبَ أعيُنِهم قولَه ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ [المنافقون: ١٠] مُطْمَئِنِّينَ إلىٰ قولِه ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

[سبأ: ٣٩]. كانوا إذا وصلَ إليهم المالُ يُصيبهُم قلقٌ حتَّىٰ يتصدَّقُوا به، وكانُوا إذا عَرَضَ لهم أَحَدٌ وأبْدَىٰ لهم احتِيَاجَهُ يَرَوْنَ غفلَتَهُمْ عنه مِن النَّقَائِصِ والعُيُوبِ الفَاحِشَاتِ. أين هـٰذا وأينَ حالُنا اليومَ؟!! وقد بَخِلْنا بِحَقِّ المالِ الزَّكاةِ، وهي حقُّ الفُقراءِ والمَسَاكِينِ. كان السلفُ الصالحُ إذا فاتَتْهُمْ تكبيرَةُ الإحرامِ مع الإمامِ رُبَّما غُشِيَ عليهم مِن ألمِ هـٰذا المُصابِ العظيمِ، وكانوا يُعَزُّون مَن فاتَتْهُ تكبيرةُ الإحرامِ، ومِن بابِ أَوْلَىٰ وأَحْرَىٰ مَن فاتَتْهُ الجماعةُ. أين هـٰذا مِن حالِ مُجتمَعِنَا اليومَ، الذي ترىٰ الكثيرَ منهم يُجافِي بابَهُ ويَقْعُدُ في بيتِهِ يشربُ شيئاً مِن المُباحَاتِ، أو ـ عِياذاً باللهِ ـ يشربُ الدُّخانَ أباالخبائِثِ، والناسُ يُصَلُّونَ، أو في مجلِسِ غِيبَةٍ ونَمِيمَةٍ أو عند آلاتِ اللَّهْوِ والغِناءِ والمزامِيرِ. وكثيرٌ مِن الذينَ يُصَلُّون مع الجماعةِ تَجِدُهُمْ يَحْرِصُونَ علىٰ الإتيانِ إذا ظَنُّوا أنَّها أُقِيمتْ الصلاةُ، ويَقْصِدُون النَّقَّارين الذين لا يَطْمَئِنُّون في صلاتِهِم. فهـٰذا يَدُلُّ علىٰ أنَّهم لا يَفْهَمُونَ الصلاةَ ولا القصْدَ منها. ولو فَهِمُوهَا تماماً لصارتْ قُرَّةَ أعيُنِهم، ولاسْتَرَاحُوا بها، واستعانُوا بها علىٰ الدِّين والدُّنيا، وكانوا ـ أي السَّلف ـ ممَّن يَحِنُّ إلىٰ بيتِ اللهِ الحرامِ يَحُجُّونَهُ كُلَّ عامٍ، ولذٰلك تعدُّ لأحدِهم أربعين حجَّةً وأزيْدَ. أين هـٰذا مِمَّن في زمانِنَا يسافِرُون إلىٰ بلادِ الكَفَرَةِ بِلادِ الحُرِّيَّةِ، مُحكِّمَةِ القوانِينِ، أعداءِ الإسلامِ وأهلِهِ ومع ذلك يُبَعْثِرُونَ الأمْوَالَ العظيمَةَ التي سيُنَاقَشُونَ عنها داخِلَةً وخارِجَةً. فهـٰؤلاء ضدّ ما عليه آباؤُهم، مِن هُجْرَانِ مَنْ جاءَ مِن

بلادِ الكُفرِ، إلاَّ مَن جاءَ مُهَاجِراً. قال ﷺ: «**أنا بَرِيءٌ مِن مسلم بينَ أظهُرِ المشركين**» وقال: «**مَنْ جَامَعَ المُشرِكين، وسَكَنَ معهم فإِنَّهُ مِثْلُهُمْ**».
وكان السلفُ يَشْتَاقُون إلىٰ الصِّيام، يَصُومُون سِتَّة أيامٍ مِن شوَّالٍ، وبعضُهُم يصومُ ثلاثةَ أيامٍ مِن كُلِّ شهرٍ، ويومَ الاثنينِ والخميسِ، وبعضُهم يصومُ كَصِيامِ داودَ ـ عليه السلامُ ـ: يصومُ يوْماً ويفطِرُ يوماً. أمَّا نحنُ فياليْتَهُ يَسْلَمُ لنا رمضانُ مِن المُفْسِدَاتِ والمُنَقِّصَاتِ، وهَيْهَاتَ.
كانَ السلفُ إذا سَمِعُوا المَوْعِظَةَ، أو مَرُّوا بِحَدَّادٍ يُوْقِدُ ناراً صُعِقُوا، ورُبَّما مَكَثُوا بِلا وعيٍ أيَّاماً. وقد ذُكِرَ أنَّ أُناساً قَتَلَتْهُم المواعِظُ. أمَّا نحنُ فَتُتْلَىٰ علينا الآياتُ مِن كتابِ اللهِ، ولا كأنَّها مرَّتْ، قُلُوبُنا مِن الانْهِماكِ بالدُّنيا والغَفْلَةِ أصبحتْ لا تُؤَثِّرُ فيها المواعِظُ. كانوا يتعاوَنُون علىٰ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنكَرِ، ويَكونون يداً واحِدَةً ويأخُذُون علىٰ يَدِ السَّفِيهِ. أمَّا نحنُ فَنُثَبِّطُ ونقولُ لِمَنْ يُرِيدُ المُساعِدَ ما أنْتَ بِمُلْزَمٍ بذٰلك يجيءُ غيرُكَ. كانوا ينصحون أهلَ المعاصِي ويَهْجُرُونَهُمْ إذا أَصَرُّوا علىٰ المعاصِي، ولو كانوا مِمَّنْ لهم منزِلَةٌ ومكانةٌ، وكانوا لا تَأْخُذُهُمْ في اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ، وهِمَمُهُمْ عالِيَةٌ وأنفسُهُم رفيعةٌ لا يَخْشَوْنَ إلاَّ اللهَ، لا يَتَمَلَّقُون ولا يُدَاهِنُونَ ولا يَخْضَعُونَ إلاَّ للهِ. هٰذا الذي كانَ مِن سَلَفِنَا الصالِحِ نَحْوَ أهلِ المعاصِي والمُنكَرَاتِ. أمَّا نحنُ فَنتْرُكُهم ونقولُ ذُنُوبُهُمْ علىٰ جُنُوبِهِمْ، ورُبَّما جالَسْنَاهُمْ ووَاكَلْنَاهُمْ وعَظَّمْنَاهُمَ، كما تسمعُ الكثيرَ يقولُونَ للمُجاهِرِ بالمعاصِي، كشارِبِ الدُّخانِ وحالِقِ

اللِّحْيَةِ ومُسْتَعْمِلِ آلاتِ اللَّهْوِ: يا مُعَلِّمَ يا أستاذُ، والواجبُ هَجْرُهُ بعد نُصْحِهِ؛ لِيَرْتَدِعَ، فإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعُون. أعوذُ باللهِ مِن الشَّيْطانِ الرَّجيمِ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦ـ١٧].

في فضل العلم والعلماء

الحمدُ للهِ بَدَّدَ بنُورِ العلمِ ظُلُماتِ الجهلِ الحَالِكَةِ. أحمدُه ـ سبحانه ـ جعلَ العلمَ طَرِيقاً إلىٰ العِزَّةِ والسَّعادَةِ. وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، رسولُ الهُدىٰ وبَحْرُ العلومِ الزَّاخِرَة. اللَّهُمَّ صلِّ وسَلِّم عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه.

أمَّا بعد:

عباد الله: أَشرفُ ما تَنَافَسَ فيه المُتنافِسُون، وأفضلُ ما بُذِلَتْ فيه الجُهُودُ طلبُ العلمِ النَّافِعِ؛ فهو الرُّوحُ يَمُدُّ الجسدَ بالغِذَاءِ، وهو النُّورُ يُبَدِّدُ ظُلُماتِ الجهلِ والهَوَىٰ، ويَهْدِي إلىٰ طريقِ الهُدىٰ. كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. وقال ـ تعالىٰ ـ في الإِشَادَةِ بالعلماءِ وتفضيلِهم علىٰ مَنْ سواهم ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الدُّنيا مَلْعُونَةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلَّا ذِكْرُ اللهِ وما والَاه وعالمٌ ومُتَعَلِّمٌ**» [رواه الترمذي بإسنادٍ حسن].

عباد الله: طَلَبُ العلمِ فريضةٌ كَتبَها اللهُ علىٰ المسلمين والمسلماتِ، وأمرَ بالعلمِ قبلَ العملِ، فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] ومنْ لا علمَ عنده ولا عملَ، فلا دِينَ له ولا عقلَ له، فهو غيرُ مَعْدُودٍ مِنَ الناسِ إذا عاشَ، وغيرُ مَفْقُودٍ

فيهم إذا ماتَ ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: ١١] ويَضَعُ الجهلُ أهلَه؛ فإنَّه وإنْ أعجبتْكَ مِن الجاهلِ صُورَتَه وثِيَابَه، فاللهُ لا ينظرُ إلىٰ الصُّوَرِ والأجسامِ، وإنَّما ينظرُ إلىٰ الأعمالِ والقلوبِ والنِّيَّاتِ. وكلُّ عملٍ بِغَيْرِ علمٍ فهو رَدٌّ علىٰ صاحبِه ولو كان ما كان ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩] العالـمُ لا يَدِينُ اللهَ إلاَّ بالحقِّ، ولا يعبُدُه إلاَّ بما شَرَعَ، والعالِمُ لا يَأخذُ إلاَّ بالحقِّ، وإنْ سَخِطَ الخَلْقُ، ولا يَسيرُ إلاَّ علىٰ أَوْضَحِ طريقٍ، ويُقبلُ منه القليلُ ويُضاعَفُ له أجرُ ما تَرَكَ وما صَنَعَ. والجاهلُ يَدِينُ اللهَ بالباطلِ، ويَعبدُه بالأهواءِ والبِدَعِ، يُجيبُ كُلَّ ناعِقٍ، ويَتَّبِعُ كلَّ مارِقٍ، وإذا دَعَاهُ الشيطانُ إلى شيءٍ استمعَ واتَّبعَ. والجاهِلُ يَعملُ كثيراً ولا يستفيدُ إلاَّ قليلاً، ويَضَعُ الأمورَ في غيرِ مواضِعِها، ويَضُرُّ نفسه، وقليلاً ما يَنفعُ. وفَضْلُ العالِمِ العامِلِ علىٰ الجاهِلِ العابِدِ، كَفَضْلِ البَدْرِ علىٰ سائِرِ الكواكبِ، إذا طلعَ وتمَّ نُورُه وسَطَعَ. رُوِيَ عن معاذِ بنِ جبلٍ ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً وموقوفاً، والصَّوابُ أنه موقوفٌ، أنه قال: «تَعَلَّمُوْا العِلْمَ؛ فإنَّ تَعَلُّمَه للهِ خشيةٌ وطلبَه عبادةٌ، ومُدَارَسَتَهُ تسبيحٌ، والبحثَ عنه جهادٌ، وتعلِيمَه لِمَنْ لا يعلمُ صَدَقَةٌ، وبَذْلَهُ لأهلِه قُرْبَةٌ؛ لأنه معالِمُ الحلالِ والحرامِ، والأنيسُ في الوَحْشَةِ والصَّاحِبُ في الخلوةِ، والدَّليلُ علىٰ السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، والزَّيْنُ عند الأَخِلَّاءِ، والقربُ عند الغُرَباءِ. يَرفعُ اللهُ به أقواماً فيجعلَهم

في الخلقِ قَادةً يُقْتدىٰ بهم، وأئمَّةً في الخَلْقِ تُقْتَصُّ آثارُهم، ويُنتهىٰ إلىٰ رأيِهم، وتَرْغَبُ الملائكةُ في خلَّتِهم، بأَجْنحَتِها تَمسحُهم، حتىٰ كلُّ رَطْبٍ ويابِسٍ لهم مُسْتغفِرٌ، حتىٰ حِيتانُ البحرِ وهَوَامُه، وسِباعُ البَرِّ وأنْعامُه، والسماءُ ونجومُها؛ لأنَّ العلمَ حياةُ القُلُوبِ مِن العَمَىٰ، ونُورُ الأبصارِ من الظُّلَمِ، وقُوَّةُ الأبدانِ مِن الضعفِ، يَبلغُ به العبدُ منازِلَ الأحرارِ، ومُجالسةَ الملوكِ، والدرجاتِ العُلَىٰ في الدُّنيا والآخرَةِ، والفِكْرَ به يُعدلُ بالصيامِ، ومُدارسَتَه بالقيامِ، به يُطاعُ اللهُ ـ عز وجل ـ، وبه يُعبدُ اللهُ ـ عز وجل ـ وبه تُوصَلُ الأرحامُ، وبه يُعرفُ الحلالُ من الحرامِ، وهو إمامٌ للعملِ، والعملُ تابِعُه يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ ويُحْرَمُهُ الأشقياءُ». انتهى. فالعلماءُ وَرَثَةُ الأنبياءِ، يَأمرُون بالمعروفِ، ويَنْهَوْنَ عن المنكرِ ويَدْعُون إلى الخيرِ بِحُسْنِ الاستقامةِ وحكمةِ التعليمِ.

ونَعُوذُ باللهِ مِن ذِي لسانٍ عليمٍ وقلبٍ أثيمٍ ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤].

عباد الله .. وإنَّ مِن مُتابَعةِ الإحسانِ بعد هـٰذا الشهرِ الكريمِ صيامُ ستَّةِ أيامٍ مِن شوَّالٍ. فقد قال ﷺ: «**مَن صامَ رمضانَ ثمَّ أَتْبعَهُ سِتًّا مِن شوَّالٍ كانَ كَصِيامِ الدَّهْرِ**» فلا تُفوِّتُوا علىٰ أنفسِكم هـٰذه الفضيلةَ؛ فلا يَدْرِي أحدُنا هلْ يُدْرِكُه عامٌ آخرُ أم لا يُدْرِكُه. فتسابقُوا إلىٰ فِعْلِ الخَيْرَاتِ وتَقَبَّلُوها بانشِراحِ صدرٍ وفرحٍ وسُرُورٍ ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨].

في المداومة على العمل

الحمدُ للهِ الذي أَتَمَّ إحسانَه علىٰ المؤمنين وأكملَ، وكفىٰ بحسْنِ تأييدِه مَنْ علىٰ كَرَمِهِ عَوَّلَ.

وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، المُتَفَرِّدُ بالعِزِّ والبقاءِ، فلا يَنْقُصُ مُلْكُهُ ولا يَتَحَوَّلُ. له الأسماءُ الحُسنىٰ، وله الصِّفاتُ العُليا، وقد خابَ مَن أَلْحَدَ في أسمائِه وعَطَّلَ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ نبيٍّ وأكرمُ مُرْسَلٍ. اللَّهُمَّ صَلِّ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه وأتباعِهِ وسلِّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وأطِيعُوه في السِّرِّ والعَلَنِ ولا تَعْصُوهُ، واعلموا أنَّكم ودَّعْتُم شَهْراً كَرِيماً مُباركاً صُمْتُمْ نَهارَهُ، وقُمْتُمْ وِرْداً مِنْ ليلِه طاعةً للهِ وتَقَرُّباً إليه. واللهُ ـ تعالىٰ ـ لا يُضِيعُ عَمَلَ عاملٍ مِن ذَكَرٍ أو أُنْثَىٰ وهو مؤمنٌ.

عباد الله: إنَّ لكُم عَدُوًّا غَادِراً خادِعاً ماكِراً كان مأسُوراً مُهاناً في شهرِ رمضانَ، لا يَقدرُ فيه علىٰ ما كان يقدرُ عليه من قبلُ. واليومَ قد رحلَ الشهرُ شاهِداً علىٰ المُحْسِنِ بالإِحسانِ، وعلىٰ المُسِيءِ بالإساءَةِ، وجاءَ الفطرُ وأُطلقُ سراحُ هـٰذا العدوِّ المُسَلَّطِ إبليسَ، إلا علىٰ عبادِ اللهِ المُخْلَصِين ـ جعلَنَا اللهُ وإيَّاكم منهم ـ، وبدأت المعركةُ بينكم وبينه،

فَخُذُوا حِذْرَكُم عبادَ اللهِ؛ فإنَّه سيهجم عليكم بخَيْلِهِ ورَجْلِهِ في كلِّ مكانٍ، وسَيَحْمِلُ عليكم بكلِّ سلاحٍ هُيِّيءَ له؛ لِيَفْتِنكُم عَن دِينكم الإِسلامِ، ويُكَدِّرَ ما صَفَا لكم من الطاعاتِ والقُرُباتِ، ويُفسدُ ما صَلَحَ مِن أحوالِكم في شهرِ رمضانَ الكريمِ، فاحْذَرُوهُ. قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٥،٦]. فاحْذَرُوا الشيطانَ عبادَ اللهِ، وجاهِدُوه وقاوِمُوه علىٰ طُولِ السَّنةِ، بل علىٰ طُولِ العمرِ كُلِّهِ، واستعِيذُوا باللهِ مِن شَرِّهِ، واستعِينُوا عليه بطاعةِ اللهِ وذِكْرِهِ، وأَضْعِفُوا كَيْدَهُ بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنْكَرِ، في البُيُوتِ، والمساجِدِ، والمكاتِبِ، والأسواقِ، وغيرِها. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت: ٣٦] وقال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١] وإذا كانَ الشيطانُ يَخْدَعُ ويَغُرُّ، فالدُّنيا ـ أيضاً ـ تَخْدَعُ وتَغُرُّ. وقد جمَعَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ بين غُرُورِها وغُرُورِ الشيطانِ في أكثرِ مِن آيةٍ في القرآنِ الكريمِ، فاحْذَرُوها أنْ تُلْهِيَكم بِلَذَّاتِها ومطالِبِها النَّفْسِيَّةِ عن طاعةِ اللهِ وذِكْرِهِ وعبادتِهِ؛ فالحياةُ المقطوعةُ عن صِلَتِها باللهِ والتَّلَذُّذِ بعبادتِهِ هي ضَنْكٌ، مَهْمَا كان الإِنسانُ في سَعَةٍ

ومَتَاعٍ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤] فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ. واتَّقُوا الدُّنيا وتُوبُوا إلىٰ ربِّكم واستغفِرُوه، واحْذَرُوا عَدُوَّكم الشيطانَ؛ فإنه يُزيِّنُ للإنسانِ المعصيةَ ويُنْسِيه العُقُوبةَ، ويُلَوِّحُ له بسَعَةِ الرحمةِ الإلـٰهيَّةِ لِيُوقِعَهُ في الذَّنْبِ مَرَّةً بَعْد مَرَّةً، فَيَضْعُفُ سَيْرُهُ إلىٰ اللهِ والدارِ الآخرةِ أو يَنْعَدِمُ، وقد نَصَبَ لكم الحَبَائِلَ، وابتغىٰ لكم الغَوَائِلَ، ومَدَّ حولكم الأشْراكَ، ونصبَ لكم الفِخاخَ في كل مكان، فلا تُطِيعُوا أمرَه، ولا تتَّبِعُوا خُطَاه، ولا تتأخَّروا عَن مُجَاهَدَتِهِ طُولَ العمرِ، واعملُوا صالحاً يُنجيكم مِن عذابِ اللهِ يومَ تَمُوتُون، ويومَ تُقْبَرُون، ويومَ تُبْعَثُون، واشكُرُوا اللهَ الذي هداكُمْ للإسلامِ، وبَلَّغكم شهرَ رمضانَ، وأعانكم علىٰ الصيامِ والقِيامِ، وبلَّغكم الخِتامَ. وقد ذكرَ اللهُ ـ سبحانه ـ للمؤمنين هـٰذه النعمةَ وطَلَبَ منهم مُقابَلَتَها بما تَسْتَحِقُّه، فقالَ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ١٨٥] فمِن جُمْلَةِ شُكْرِ العبدِ لِرَبِّهِ علىٰ توفيقِهِ لصيامِ شهرِ رمضانَ وإعانَتِهِ عليه أنْ يصومَ عَقِبَ ذٰلك شُكْراً للهِ ـ تعالىٰ ـ وتَقَرُّباً إليه وامتِثالاً لِما وَرَدَ بالحديثِ عَن أبي أيوبَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَن صامَ رمضانَ ثمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِن شوال كانَ كَصِيامِ الدَّهْرِ**» [رواه مسلم] ومَن كان عليه قضاءٌ مِن شهرِ رمضانَ فَلْيَبْدَأْ بِقَضائِهِ.

عباد الله: إنَّ مقابلةَ نعمةِ التوفيقِ للطاعةِ والمغفِرةِ بارتكابِ المعاصي

والمُنْكَرَاتِ مِن فِعْلِ مَنْ بَدَّلَ نعمةَ اللهِ كُفْراً، فلا تكُونُوا أمثالَهُمْ.

أيها المسلمون: إنَّ هـٰذه الشهورَ والأعوامَ والليالِيَ والأيامَ مَقادِيرُ الآجالِ ومَواقِيتُ الأعمالِ، ثم تَنْقَضِي سريعاً وتَمْضِي جميعاً، والذي أَوْجَدَها وابْتَدَعَها وخَصَّها بالفضائِلِ باقٍ لا يَزولُ، ودائِمٌ لا يَحُولُ، هو في جميعِ الأوقاتِ إلـٰهٌ واحدٌ، ولأعمالِ عبادِهِ رقيبٌ مُشاهِدٌ، فسبحانَ مَن قلَّبَ عبادَهُ في اختلافِ الأوقاتِ بينَ وظائِفِ الطاعاتِ؛ لِيُسْبِغَ عليهم فيها فواضِلَ النِّعَمِ ويُعامِلَهم بالجُودِ والكرمِ. فما انْقَضَت الأشهرُ الكِرامُ الثلاثةُ التي أوَّلُها الشهرُ المحرمُ وآخرُها شهرُ الصيامِ إلاَّ وأَعْقَبَها بالأشهرِ الثلاثةِ إلىٰ حَجِّ بَيْتِهِ الحرامِ، فكما أنَّ مَن صامَ رمضانَ وقَامَهُ غُفِرَ له ما تَقدَّم مِن ذَنْبِهِ، فكذٰلك مَن حَجَّ البيتَ ولم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَعَ مِن ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ ولدَتْهُ أُمُّهُ. فما يمضي مِن عمرِ المؤمنِ ساعةٌ مِن الساعاتِ إلاَّ ولله فيها عليه وظيفةٌ مِن وظائفِ الطاعاتِ. فالمؤمنُ يتقلَّبُ طولَ العمرِ بين هـٰذه الأوقاتِ ويتقرَّبُ إلىٰ مَوْلاَهُ؛ مَحَبَّةً له وخَوْفاً منه ورجاءً، وليس لعملِ المؤمنِ أجلٌ دُونَ الموتِ، قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٩].

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفِرُهُ ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله صلى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.

أمَّا بعد:

عباد الله: أَلَمْ تَرَوْا إلىٰ الجديدِ كيفَ تَبْلَىٰ جِدَّتُهُ، ويَفْنَىٰ بهاؤُهُ، وكأنَّه لمْ يَكُنْ يوماً بَهْجَةً للناظِرِ. إنَّه مَثَلٌ لكلِّ مُتَعِ الحياةِ ومَبَاهِجِها وزُخْرُفِها، بالأمسِ القريبِ كان عيدٌ، وكان جديدٌ، ذهبَ العيدُ وسوفَ يَبْلَىٰ الجدِيدُ، وهٰكذا زَهْرَةُ الدنيا وزِينَتُها، إذْ تتمثَّلُ في الملبَسِ الناعِمِ، والأثاثِ الفاخِرِ، والفِراشِ الوثِيرِ، وفي التَّكاثُرِ بالأموالِ والتباهِي بالأولادِ، ثمَّ لا يَلْبَثُ ذٰلك أنْ يَفنىٰ ويَبِيدَ، ويَغْدُو حُلْماً مِن الأحلام، وقِصَّةً مِن قَصَصِ الزمانِ، وصدقَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ إذْ يقول: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ﴾ [الحديد: ٢٠] وليس بعدَ الحُطامِ إلاَّ التَّلاشِي والاضْمِحْلالِ.

والمَرْءُ في دُنياهُ وفي أُنْسِهِ بِنَضَارَةِ عَيْشِهِ وزِينَة جديدة، كالزَّرْعِ في نُضْرَتِهِ وطِيبِ نَبَاتِهِ، كلاهما سوف تَذْهَبُ زَهْرَتُهُ، وتَذْبُلُ نَضارَتُهُ، فأمَّا الزَّرعُ فَمَصِيرُهُ إلىٰ التَّهَشُّمِ والتَّحْطِيمِ، وأمَّا المرءُ فمصيرُهُ إلىٰ البلىٰ، ثم إلىٰ ما ذَكَرَهُ اللهُ ـ تعالىٰ ـ في مُحكَمِ التنزيلِ عَن مَصيرِهِ في الحياةِ الأخرىٰ، حيثُ يقولُ: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي أَعَدَّهُ اللهُ للكافرين والعاصِين ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ﴾ جعَلَها اللهُ لأوليائِهِ وأهلِ طاعتِهِ، فالعاقِلُ الرشِيدُ مَن آثَرَ ما يَبْقَىٰ علىٰ ما يَفْنىٰ، وباعَ جديداً فانِياً بِنَعِيمٍ

كُتِبَ له البقاءُ والخُلُودُ، ولم يَرْكَنْ إلىٰ الدنيا أو يَغْتَرَّ بِدَارِ الغُرُورِ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

فَلَئِنِ انتهىٰ صيامُ رمضانَ، فهناك صيامُ النوافِلِ، كَالسِّتِّ مِن شوَّال والاثنين والخميس، والأيامِ البِيضِ وعرفةَ، وعاشوراءَ، وغيرِها. ولَئِنِ انتهىٰ قيامُ رمضانَ، فقِيامُ الليلِ مشرُوعٌ في كلِّ ليلةٍ ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]. ولَئِنِ انتهتْ صَدَقَةُ الفِطْرِ، فهناك الزكاةُ المفرُوضةُ، وهناك أبوابٌ للصدقةِ والتَّطَوُّعِ كثيرةٌ، وقراءةُ القرآنِ وتَدَبُّرِهِ ليست خاصَّةً برمضانَ، بلْ هي في كلِّ وقتٍ.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، واسْلُكُوا في دنياكم خيرَ نَهْجٍ يُوصِلُكُم إلىٰ اللهِ، واذْكُرُوا علىٰ الدَّوامِ المصيرَ المحتُومَ. اذْكُرُوا القبرَ والبِلَىٰ، والوَحْشَةَ تحت أطْباقِ الثَّرىٰ، ومُفارَقةَ كلِّ حبيبٍ وقريبٍ، والتَّجَرُّدَ عَن كلِّ جديدٍ وطارقٍ وتلِيدٍ، اذْكُرُوا البَعْثَ ويومَ الحسابِ، يومَ يُحاسَبُ العبدُ علىٰ النَّقِيرِ والقِطْمِيرِ ويُجْزَىٰ بِما قدَّمت يَدَاهُ، ولا يَنفعُ حَمِيمٌ حَمِيماً، إلاَّ مَن رَحِمَهُ مَوْلاَهُ.

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصَلُّونَ علىٰ النَّبيِّ. . . إلخ.

في صفات حملة القرآن

الحمدُ للهِ الذي يسَّر للسَّالِكين من طَاعَتِه الأسبابَ، ووعدَ العامِلين الجزاءَ الأوْفَىٰ وحُسْنَ الثَّوابِ. والحمدُ للهِ الذي هدانَا بِنَبِيِّه محمدٍ ﷺ إلىٰ منهجِ الصَّوابِ، وفضَّلَهُ علىٰ الأنبياءِ بِما آتاهُ من الحكمَةِ وفَصْلِ الخطابِ، وأَثْنىٰ عليه في كتابه الحكيمِ. فهو المُرادُ بقولِه ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

أَحمدُه سُبْحَانَه وأَشْكُرُهُ، وأَشهدُ أن لا إِله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً كافِيةً كافِلةً بِحُسْنِ المآبِ. وأَشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المُؤيَّدُ بِفَصْلِ الخِطابِ. اللهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه وعلىٰ آله وصحبِه ما عُبِدَ اللهُ، وتَلَىٰ القارىءُ الكتابَ.

أَمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: إنَّ أَصْدقَ الحديثِ كلامُ ربِّكم الحكيمِ، وهو عِصْمَةٌ لِمَنِ اعتصمَ به، وحِرْزٌ من النَّارِ لِمَنْ اتَّبعه، ونورٌ لمن استنارَ به، وشِفاءٌ لِما في الصُّدورِ، وهُدًىٰ ورحمةٌ للمؤمنين. قالَ أبوموسىٰ الأشعريُّ ـ رضي الله عنه ـ: «إنَّ هٰذا القرآنَ كائِنٌ لكم ذُخْراً، وكائِنٌ عليكم وِزْراً، فاتَّبِعوا القرآنَ ولا يَتَّبِعكُم؛ فإنَّه مَنِ اتَّبعَ القرآنَ، هبطَ به على رِياضِ الجَنَّةِ، ومن اتَّبعَه القرآنُ زَجَّ به في قَفَاه، فَقذفَه في النَّارِ».

عباد الله: يَنبغِي لِمن علَّمه اللهُ القرآنَ وفضَّله علىٰ غيرِه ممَّن لمْ يعلمْ كتابَه، وأَحبَّ أن يكونَ مِن أهلِ القرآنِ، وأهلِ اللهِ وخاصَّتِه، ينبغي له أن يجعلَ القرآنَ ربيعاً لِقَلْبِهِ؛ يُعمِّرُ به ما خَرِبَ مِن قلبِه، يَتأدَّبُ بآدابِ القرآنِ، ويَتخلَّقُ بأخلاقِه الشَّريفةِ. فمِنْ ذٰلك أن يَستعملَ تقوىٰ اللهِ في السِّرِّ والعلانيةِ، وأن يكونَ بصيراً بِزمانِه وفسادِ أهلِه، فهو يُحَذِّرُهم علىٰ دِينِه، مُقبلاً علىٰ شأْنِه، مهموماً بإصلاحِ ما فَسدَ مِن أمرِه، حافِظاً للسانِه مُمَيِّزاً لِكلامِه. إنْ تكلَّمَ تكلَّمَ بعلمٍ ـ إذا رأىٰ الكلامَ صواباً ـ. وإذا سكتَ سكتَ بعلمٍ ـ إذا كان السُّكوتُ صواباً ـ. قليلُ الخَوْضِ فيما لا يَعْنيهِ، يَخافُ مِن لسانِه كما يَخافُ مِن عَدُوِّه، يَحْبِسُ لسانَه كَحَبْسِهِ لِعَدُوِّه؛ لِيأْمَنَ مِن شَرِّه وشَرِّ عاقِبَتِه، قليلُ الضَّحِكِ، وإنْ مرَّ به شيءٌ ممَّا يُوافِقُ الحقَّ، تَبَسَّمَ. يَكرَهُ المزاح خوفاً مِن اللَّعِبِ، فإنْ مزحَ قالَ حقاً. باسطُ الوَجْهِ، طَيِّبُ الكلامِ، لا يَمْدَحُ نفسَه بِما فيه، فكيف بِما ليسَ فيه. يَحْذَرُ نفسَه أنْ تَغلِبَه علىٰ ما تَهْوَىٰ ممَّا يُسْخِطُ مَوْلاَهُ. لا يغتابُ أحداً ولا يَحْقِرُ أحداً، ولا يَسُبُّ أحداً، ولا يَشْمَتُ بِمُصيبةٍ، ولا يَبْغِي علىٰ أحدٍ، ولا يَحْسِدُه، ولا يُسيءُ الظَّنَّ بأحدٍ إلاَّ لِمنْ يَستحِقُّ. يَحْسِدُ بِعلمٍ، ويَظنُّ بعلمٍ، ويتكلَّمُ بما في الإنسانِ مِن عيبٍ بِعِلْمٍ. ويَسكتُ عن حقيقةِ ما فيه بعلمٍ. قد جعلَ القرآنَ والسُّنَّةَ والفِقْهَ دَلِيلَه إلىٰ كلِّ خُلُقٍ حَسَنٍ جَميلٍ. حافظٌ جميعَ جوارِحِه عمَّا نُهيَ عنه. إن مَشَىٰ مَشَىٰ بعلمٍ، وإنْ قعدَ قعدَ بِعلمٍ، يَجتهِدُ لِيَسْلَمَ النَّاسُ مِن لسانِه ويَدِه، ولا يَجهلُ، فإنْ جُهِلَ عليه

حَلِم. لا يَظلمُ، وإنْ ظُلِم عَفَىٰ، لا يَبغِي، وإن بُغِي عليه صَبَرَ. يَكْظِمُ غَيْظَه لِيُرْضِيَ ربَّه ويَغيظَ عَدُوَّه. مُتواضعٌ في نفسِه. إذا قيل له الحقُّ، قَبِلَه من صغيرٍ أو كبيرٍ. يَطلبُ الرِّفْعَةَ مِن اللهِ لا مِن المخلوقين، ماقتٌ للكِبْرِ، خائفٌ علىٰ نفسِه منه. لا يَتأَكَّلُ بالقرآنِ ولا يُحِبُّ أنْ تُقْضَىٰ له به الحوائِجُ، ولا يَسعىٰ به إلىٰ أبناءِ المُلُوكِ، ولا يُجالِسُ به الأغنِياءَ لِيُكْرِموه. إنْ كسبَ النَّاسُ من الدُّنيا الكثيرَ بلا فقهٍ ولا بصيرةٍ، كسبَ هو القليلَ بفقهٍ وعلمٍ. إنْ لَبِسَ النَّاسُ اللَّيِّنَ الفاخِرَ، لَبِسَ هو مِن الحلالِ ما يَسْتر بِه عَوْرَتَه. إنْ وُسِّعَ عليه، وَسَّعَ، وإنْ أُمْسِكَ عنه أَمْسَكَ. يَقْنَعُ بالقليلِ، فَيَكْفِيه، ويَحذرُ علىٰ نفسِه مِنَ الدُّنيا ما يُطْغِيه. يَتَّبِعُ واجباتِ القرآنِ والسُّنَّةِ. يَأكُلُ الطَّعامَ بِعلمٍ ويَشْرَبُه بعلمٍ، وينامُ بعلمٍ، ويُجامِعُ أهلَه بعلمٍ، ويَصْحَبُ الإخوانَ بعلمٍ، يَزُورُهم بعلمٍ، ويَستأذنُ عليهم بعلمٍ، ويُسلِّمُ عليهم بعلمٍ، ويُجاوِرُ جارَه بعلمٍ، يُلزِمُ نفسَه بِرَّ والدَيه، فَيَخْفِضُ لهما جناحَه ويَخْفِضُ لصَوْتِهما صَوْتَه، ويَبذِلُ لهما مالَه، ويَنظرُ إليهما بِعَيْنِ الوقارِ والرَّحمةِ، يَدعُو لهما بالبقاءِ والرَّحمةِ، ويَشكرُ لهما عِنْدَ الكِبَرِ، لا يَضْجَرُ بهما ولا يَحْقِرُهما، إنِ استعانا به علىٰ طاعةٍ أو على فعلٍ مُباحٍ، أعانهما، وإنِ استعانا به علىٰ معصيةٍ، لَمْ يُعِنْهما عليها، ورَفِقَ بهما، يُحسنُ الأدبَ معهما لِيَرْجِعا عن قبيحِ ما أرادا، ممَّا لا يَحسنُ بهما فِعلُه. يَصِلُ الرَّحِمَ ويَكْرَهُ القطِيعةَ. من قَطَعَه، لمْ يَقْطَعْه. من عصىٰ اللهَ فيه، أطاعَ اللهَ فيه. يَصْحَبُ المؤمنين بعلمٍ، ويُجالسهم

بعلمٍ. حَسَنُ المُجالسةِ لِمَنْ جالَسَ. صَبورٌ علىٰ تعليمِ الخيرِ، يَأْنَسُ به المُتَعَلِّمُ ويَفْرَحُ به المُجالِسُ، ومُجالستُه تُفيدُ خيراً. مؤدِّبٌ لِمن جالسَه بأدبِ القرآنِ والسُّنَّةِ، وإذا أُصِيبَ بِمصُيبةٍ، فالقرآنُ والسُّنَّةُ له مُؤدِّبانِ. يَحزنُ بعلمٍ، ويَبكي بعلمٍ، ويَصبرُ بعلمٍ، ويُجاهدُ بعلمٍ، ويَكتسِبُ بعلمٍ، ويُنْفِقُ ويَنْبَسِطُ في الأمورِ بعلمٍ، ويَنْقَبِضُ عنها بعلمٍ. قد أدَّبه القرآنُ والسُّنَّةُ.

عباد الله: مَن كانتْ هٰذه صِفتَه، أو ما قاربَ هٰذه الصِّفَةَ، فقدْ تلاه حقَّ تلاوتِه ورَعاهُ حقَّ رِعايتِه، وكانَ له القرآنُ شاهِداً وشَفِيعاً وأَنِيساً وحِرْزاً. ومْن كانَ هٰذا وَصْفَهُ، نفعَ نفسَه ونفعَ أهلَه وعادَ علىٰ والدَيه وعلىٰ وَلَدِه كُلُّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرةِ. قال اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُولَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [البقرة: ١٢١].

اللهُمَّ اجْعَلْنا ممَّن اتَّبَعَ القرآنَ، فَقَادَه إلىٰ رِضْوانِك والجَنَّةِ، ولا تَجْعَلْنا ممَّن اتَّبَعَهُ القرآنُ فَزَجَّ في قَفَاه إلىٰ النَّارِ.

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ مُوقِظِ القُلوبِ الغافِلَةِ بالوَعْظِ والتَّذكِيرِ، الآمرِ نَبِيَّهَ ﷺ أنْ يَدعُو إلىٰ سبيلِه بالحِكمةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ والتَّبصيرِ، القائِلِ في كتابه المُنِيرِ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

أَحمدُه ـ سبحانه ـ، وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي هدىٰ إلىٰ جميعِ الخيراتِ وحذَّرَ عَن جميعِ المَنْهيَّاتِ وبالَغَ في النَّهيِ والتَّحذيرِ. اللهُمَّ صَلِّ وسلِّم علىٰ عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلىٰ آلِه وأصحابِه، ومَن علىٰ نَهْجِهم إلىٰ اللهَ يَسِيرُ.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: يَنْبَغِي للمؤمنِ إِذَا تلا القرآنَ اسْتَعْرَضَه فكانَ كالمِرآةِ يَرىٰ بَها ما حَسُنَ مِن فِعلِه وما قَبُحَ فيه، فما حذَّرَه مَوْلاَهُ، حَذِرَه، وما خوَّفه به مِن عِقابِه، خَافَه، وما رَغِبَ فيه مَوْلاَهُ، رَغِبَ فيه وَرَجَاهُ، يَتَصَفَّحُ القرآنَ لِيؤدِّبَ به نفسَه، ويَتَقَرَّبَ به إلىٰ ربِّه، ليست هِمَّتُهُ متىٰ أَخْتِمُ السُّورَةَ، وإنَّما هِمَّتُه متىٰ أَسْتَغْنِى باللهِ عَن غَيرِه، متىٰ أَكونُ مِن المُتَّقين، مَتىٰ أَكونُ مِن المُحسنين، متىٰ أَكونُ مِن المُتَوَكِّلين، متىٰ أَكونُ مِن الخاشِعين، متىٰ أَكونُ مِن الصَّابِرين، متىٰ أَكونُ مِن الصَّادِقين، متىٰ أَكونُ مِن الخائِفين، متىٰ أَكونُ مِن الرَّاجِين، متىٰ أَزْهَدُ في الدُّنيا، متىٰ أَرغبُ في الآخرةِ، متىٰ أَتوبُ مِن الذُّنُوب، متىٰ أَعرفُ نِعَمَ اللهِ وأَشْكُرُه عليها، متىٰ أَعْقِلُ عَن اللهِ الخِطابَ، متىٰ أَفْقَهُ ما أَتْلُو، متىٰ أَغْلِبُ نفسي علىٰ ما تَهْوَىٰ، متىٰ أُجاهِدُ في اللهِ حقَّ جِهادِه، متىٰ أَحفظُ لِساني، متىٰ أَغُضُّ طَرْفِي، متىٰ أَحفظُ فَرْجِي، متىٰ أَسْتَحِيي مِن اللهِ حقَّ الحَيَاءِ، متىٰ أَشْتَغِلُ بعَيْبِي، متىٰ أُصلحُ ما فسدَ مِن أمرِي، متىٰ أُحاسِبُ نفسي، متىٰ أَتزَوَّدُ ليومِ مَعَادِي، متىٰ أَكونُ عَنِ اللهِ راضِياً، متىٰ أَكونُ باللهِ واثِقاً، متىٰ

أَكونُ بِزَجْرِ القرآنِ مُتَّعِظاً، متىٰ أَكونُ بِذِكْرِه عَنْ ذِكْرِ غيره مُشتَغِلاً، متىٰ أُحِبُّ للهِ وأُبْغِضُ للهِ وأَنْصَحُ للهِ وأُخْلِصُ للهِ عَمَلِي، متىٰ أَتأَهَّبُ ليوم مَوْتِي وقدْ غُيِّبَ عنِّي أَجَلِي، متىٰ أُعمِّرُ قَبْرِي، متىٰ أُفكِّرُ في المَوْتِ وشِدَّتِهِ، متىٰ أُفَكِّرُ في خَلْوتِي مع ربِّي، متىٰ أُفكِّرُ في المُنْقَلَبِ، متىٰ أَحْذَرُ ممَّا حذَّرنِي منه ربِّي، مِن نارٍ حَرُّها شديدٌ وقَعْرُها بعيدٌ وعُمْقُها طويلٌ، لا يَموتُ أهلُها فيَسْتَرِيحُوا، ولا تُقالُ عَثْرَتُهم، ولا تُرْحَمُ عَبْرَتُهُم، طَعامُهم الزَّقُّومُ، وشَرابُهم الحَمِيمُ. كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهم، بُدِّلُوا جُلوداً غيرَها لِيَذُوقُوا العذابَ. نَدِمُوا حيثُ لا يَنفعُهم النَّدَمُ، وعَضُّوا علىٰ الأيدِي أسفاً علىٰ تقصيرِهم في طاعةِ اللهِ ورُكُوبُهم المعاصِيَ. فقال منهم قائلٌ: ﴿ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ ﴾. وقال قائلٌ: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾. وقال قائلٌ: ﴿ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾. وقال قائلٌ: ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾. وقالت فِرْقَةٌ منهم ووُجُوهُهم تتقَلَّبُ في أنواع العذابِ: ﴿ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ ﴾. فاتَّقُوا اللهَ يا حَمَلَةَ القرآنِ وكُونُوا مع الصَّادِقِينَ.

اللهُمَّ اجْعَلِ القرآنَ العظيمَ رِبيعَ قُلُوبِنا، وشِفاءَ صُدُورِنا، وجلاءَ أَحْزانِنا، وذَهَابَ هُمُومِنا وغُمُومِنا. اللهُمَّ اجْعَلِ القرآنَ لِقُلُوبِنا ضِياءً، ولأبصارِنا جلاءً، ولأسقامِنا دَواءً، ولِذُنُوبِنا مُمَحِّصاً، ومِنَ النَّارِ مُخَلِّصاً. اللهُمَّ نَجِّنَا به مِن مَوَارِدِ الهَلَكَاتِ، وسَلِّمْنا به من اقْتِحامِ الشُّبُهاتِ، وعُمَّنا به بِسَحائِبِ البَرَكاتِ. اللهُمَّ إنَّكَ سَمَّيْتَه مُباركاً،

فارْزُقْنا به مِن كُلِّ بَرَكَةٍ، وجعلْتَه نجاةً، فَنَجِّنا به مِن كُلِّ هَلَكَةٍ، وجعلْتَه عِصْمَةً، فاعْصِمْنا به مِن كُلِّ شُبْهَةٍ وبِدْعَةٍ. ياذا الجَلالِ والإِكرَامِ.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي . . . إلخ.

في تعظيم القرآن واحترامه
وآداب قارىء القرآن وكفر من استهان به

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ الكِتابَ تِبْياناً لكلِّ شيءٍ وهُدًىٰ للمُتَّقين. أحمدُهُ ـ سُبحانه ـ، قال في كِتابِهِ المُبينِ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾.

وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. المَلِكُ الحَقُّ العزيزُ الحكيمُ. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ الصَّادِقُ الأمينُ، صلَّىٰ اللهُ وسَّلم وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَن تَبِعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّينِ.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: مَن أخذَ بِكتابِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ، واعتصَمَ به ودَعَا إليه هُدِيَ إلىٰ صراطٍ مُستقيمٍ، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ۝١٢٣﴾ وقال ﷺ: «**إنِّي تارِكٌ فيكم ثَقَلَيْنِ أوّلُهما كتابُ اللهِ، فيه الهُدَىٰ والنُّورُ، مَن استمْسَكَ به وأخذَ به كان علىٰ الهُدىٰ، ومَن أخْطَأَهُ ضَلَّ، فَخُذُوا بكتابِ اللهِ واستمْسِكُوا به**».

عباد الله: إنَّ اللهَ ـ تعالىٰ ـ جَعَلَ كِتابَهُ تِبْياناً لكُلِّ شيءٍ، بيَّنَ فيه عِلمَ كُلِّ شيءً، مِن خبرِ ما سبقَ، وعلمِ ما سيأتِي، وكلِّ حلالٍ وحرامٍ، وما النَّاسُ إليه مُحتاجُون في أمرِ دِينِهم ودنياهم ومَعاشِهم ومَعادِهم، قال اللهُ

ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ لقد اشتملَ علىٰ ما يَجْرِي في العالَمِ.

عبادَ الله: يَجبُ علىٰ المُسلمِ صِيانَةُ المُصْحَفِ واحترامُهُ، فمَنْ ألقاهُ ـ والعِياذُ باللهِ ـ في قاذُورَةٍ أو في زبالةٍ مُتعمِّداً كَفَرَ. ويَحرُمُ كتبُ القُرآنِ بحيثُ يُهانُ، ولو بَلِيَ المُصحفُ أو انْدَرَسَ دُفِنَ؛ لأنَّ الصَّحابَةَ دفَنُوا المَصَاحِفَ بين القَبْرِ والمِنبَرِ.

ويَحرمُ سفرٌ بالمصحفِ لِدارِ حرْبٍ؛ لِما في الصحيحين أنه ﷺ نَهىٰ أَن يُسافرَ بالقُرآنِ إلىٰ أرضِ العَدُوِّ؛ لأنَّه عُرْضَةٌ إلىٰ استيلاءِ الكُفَّارِ عليه والاستهانَةِ به، ويَحرمُ تَوسُّدُهُ وتَوسُّد كُتُبٍ فيها قُرآنٌ. ولو كانتْ مِن الصُّحُفِ والمَجلاَّتِ والجَرائد التي فيها شيءٌ مِن كلامِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ وأحاديثِ الرسُولِ ﷺ، فلْيَحْذَرْ مِن يَقتَنِي الجرائِدَ والمَجلاَّتِ مِن تَسبُّبِهِ فيما هو أعظمُ مِن تَوَسُّدِها. ، مِن الجُلُوسِ عليها ولَفِّ البَضَائِع بها، بل ومِن إلقائِها في القَاذُوراتِ والزَّبائِلِ ونحو ذٰلك؛ لأنَّ المُتسبِّبَ حُكْمُهُ حُكمُ المُباشِرِ، فَيَجبُ علىٰ مَن رأىٰ مَن يَفعلُ شيئاً مِن ذٰلك أنْ يُنكرَ عليه وأنْ يرفعَ به. ويُكرَهُ مَدُّ الرِّجْلِ إلىٰ المُصحفِ إذا لم يَقصدْ إهانَتَهُ، فإنْ قصدَ إهانَتَهُ حَرُمَ، بل يَكفرُ بذٰلك. ويُكرَهُ ـ أيضاً ـ استدبارُ المُصحفِ وتَخَطِّيه ورَمْيُهُ إلىٰ الأرضِ بلا وَضْعٍ، وأمَّا جعلُهُ علىٰ بَطْنِ المَيِّتِ قبلَ دفنِهِ أو عند القبْرِ فهو مَنهيٌّ عنه، وهو مِن البِدعِ في الدِّينِ، ويُنهىٰ عن استفتاحِ الفَأْلِ في المُصحفِ ويُمْنَع مَن أَراد ذٰلك، ويُمنعُ المَجنُونُ

والصَّبيُّ الذي لا يُميِّزُ مِن مَسِّ المُصحفِ؛ مَخافة انتِهاكِ حُرْمتِهِ، وهٰذا المنعُ واجبٌ علىٰ الولِيِّ وغيره ممَّنْ رآهُ يَتعرَّضُ لِحملِهِ. ولو كُتبَ شيءٌ مِن القرآنِ في لَوْحٍ أو وَرَقَةٍ، فحُكمُها حُكمُ المُصحفِ، سواء قلَّ المَكتُوبُ أو كَثُرَ، ولو كان آيةً واحدةً.

ويَحرمُ علىٰ المُحْدِثِ حدثاً أكبرَ أو أصغرَ مَسُّ المُصحفِ الشَّريفِ؛ لقولِهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ أي مِن الجَنَابَةِ والحَدَثِ. وقولُ ابنِ عبَّاسٍ وغيرِه «إلاَّ المُطَهَّرُون يعني الملائكة» لا ينفي القولَ الذي قَبْلَهُ. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: مَذهبُ الأئمَّةِ الأربعةِ أنَّه لا يَمَسُّ القرآنَ إلاَّ طاهرٌ. كما في الكِتابِ الذي كتبَهُ رسولُ اللهِ ﷺ لعمرو بنِ حزْمٍ: «**لا يَمَسُّ القُرآنَ إلَّا طاهِرٌ**» ورواه النَّسائيُّ وغيرُه مُتَّصلاً. قال ابنُ عبدِالبرِّ أنَّه أشبَهُ التَّواتُرِ؛ لِتَلَقِّي الناسِ له بالقَبُولِ. وشَهِدَ له عُمرُ بنُ عبدِالعزيزِ والزُّهريُّ وغيرُهما بالصِّحَّةِ. وقال أحمدُ: لا شكَّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كتبَهُ له، واحتجَّ بحديثِ ابنِ عُمرَ: «**لا يُمَسُّ المُصحفَ إلَّا علىٰ طهارةٍ**» ويُستحبُّ لِمن أرادَ القِراءَةَ عَن ظهرِ قلبٍ أنْ يَكونَ علىٰ طهارةٍ، ويَجوزُ له علىٰ غيرِ طهارةٍ. وينبغي لِمن أرادَ قِراءَةَ القُرآنِ، أنْ يُنظِّفَ فاهُ بالسِّواكِ وغيرِهِ، فيسْتَاكُ في ظاهِرِ أسنانِهِ وباطِنِها، ويُمِرُّ السِّواكَ علىٰ أطرافِ أسنانِهِ وكراسِيِّ أضراسِهِ ولِسانِهِ إمراراً رَفِيقاً، وإذا كان فَمُهُ نَجساً بدَمٍ ونحوِه، فإنَّه يُكرَهُ له قِراءةُ القُرآنِ قبل غسلِهِ. فإذا أرادَ الشُّرُوعَ في القراءَةِ، استعاذَ فقال: (**أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ**

الرجيم) ويُحافظُ علىٰ قِراءةِ (**بسم الله الرحمن الرحيم**) في أولِ كلِّ سُورةٍ سوىٰ بَرَاءَة؛ فإنَّ أكثرَ أهلِ العِلمِ قالوا: إنَّها آيةٌ مِن القُرآنِ. حيثُ تُكتبُ في المُصحفِ في أوائلِ السُّورِ، فإذا قرأَهَا كان مُتيقِّناً قراءةَ القُرآنِ كُلِّهِ أو السُّورةِ كُلِّها، وعلىٰ قارِىءِ القُرآنِ أنْ يَحرصَ علىٰ الخُشُوعِ والتَّدَبُّرِ عند القراءةِ؛ لأنَّه هو المَقصُود والمَطلوبُ، فبه تَنشرحُ الصُّدورُ وتَستنيرُ القُلُوبُ. قال عليٌّ ـ رضي اللهُ عنه ـ: لا خيرَ في عِبادَةٍ لا فِقهَ فيها، ولا في قراءةٍ لا تَدبُّرَ فيها. قال اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ وقد ذكر بعضُ أهلِ العِلمِ لِدواءِ القَلبِ خمسةَ أشياء: قراءةُ القرآنِ بالتَّدبُّرِ، وخلاءُ البطنِ، وقِيامُ اللَّيلِ، والتَّضرُّع عند السَّحَرِ، ومُجالَسَةُ الصَّالِحين، ولذٰلك كانَ مِن السَّلفِ مَن يَتلُو آيةً واحدةً يَتدبَّرُها ويُردِّدُها إلىٰ الصَّباحِ. رُوي عن بهزِ بنِ حكيمٍ أنَّ زُرارةَ بنَ أوفَىٰ ـ رحمه الله ـ أَمَّهُمْ في صلاةِ الفجرِ، فقرأَ حتَّىٰ بلغَ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾ فخرَّ ميِّتاً. قال بَهزُ: وكُنتُ فِيمَن حَمَلَهُ. وعن أبي ذرٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قام النَّبيُّ ﷺ بآيةٍ يُردِّدُها حتَّىٰ أصبحَ، والآية ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ رواه النَّسائيُّ وابنُ ماجةَ وأحمدُ. وعن تميمٍ الدَّاريِّ ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ أنَّه كرَّرَ هـٰذه الآيةَ حتَّىٰ أصبحَ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾

وعن عُبادةَ بنِ حمزة قال: دخلتُ علىٰ أسماءَ - رضي الله عنها - وهي تقرأُ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ فوقفتْ عندها، فَجَعَلَتْ تُعِيدُها وتَدعُو، فَطَالَ عليَّ ذٰلك، فَذهبتُ إلىٰ السُّوقِ، فقضيتُ حاجَتِي، ثُم رجعتُ وهي تُعيدُها وتَدعُو. ورُويتْ هٰذه القِصَّةُ عن عائشةَ - رضي الله عنها -. وردَّد سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وردَّد - أيضا -: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ وردَّد - أيضاً -: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾. وردَّد ابنُ مسعود - رضي الله عنه -: ﴿رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ وكان الضَّحَّاكُ إذا تلا قولَهُ - تعالىٰ -: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ ردَّدها إلىٰ السَّحَرِ.

عباد الله: وأمَّا البُكاءُ عند قِراءةِ القُرآنِ فهُو مِن صِفاتِ العَّارِفين وشِعارُ عِبادِ اللهِ الصَّالِحين، قال اللهُ - تعالىٰ -: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ وعن الزُّهريِّ قال: بلغَنا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أحسنُ النَّاسِ صَوْتاً بالقُرآنِ مَن إذا سمعتَهُ يقرَأُ رأيتَ أنَّه يخشىٰ الله**».

وعَن عُمَرَ - رضي الله عنه - أنَّه صلَّىٰ بالجماعَةِ الصُّبحَ، فقرأَ سُورةَ يُوسُفَ، فبكَىٰ حتَّىٰ سالَتْ دُمُوعُهُ علىٰ تُرْقُوتِهِ. وفي رِوايةٍ: أنَّه كان في صلاةِ العِشاءِ. فدلَّ علىٰ تكرر ذٰلك منه - رضي الله عنه -. وفي روايةٍ أنَّه بكىٰ حتَّىٰ سمِعُوا بُكاءَهُ مِن وراءِ الصُّفُوفِ. وعن أَبِي رجاءٍ قال: رأيتُ ابنَ عبَّاسٍ - رضي الله عنه - وتحتَ عينيه مثلُ الشِّراكِ البَالِي مِن الدُّمُوعِ.

وعن أبي صالح قال: قَدِمَ نَاسٌ مِن أَهْلِ اليمنِ علىٰ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ـ رضي اللهُ عنه ـ فجعلُوا يَقرؤون القُرآنَ ويَبكُون، فقال أَبُوبكرٍ ـ رضي الله عنه ـ هٰكذا كنَّا.

فالبُكاءُ مُستحبٌّ مع القراءَةِ وعندها. ومِن أسبابِ حُصُولِهِ أنْ يَتأمَّلَ القَارِىءُ والمُستمعُ ما في القُرآنِ، مِن التَّهديدِ والوَعِيدِ الشَّديدِ والمَواثيقِ والعُهُودِ. ثم يَتأمَّلُ في تقصِيرِهِ في ذٰلك. فإنْ لم يَحضُرْهُ حُزْنٌ وبُكاءٌ مِن ذٰلك فَلْيَبْكِ علىٰ فَقْدِ ذٰلك؛ فإنَّه مِن أعظمِ المصائِبِ. اللَّهُمَّ أعنَّا علىٰ تِلاوةِ كِتابِكَ الكريمِ وتَدبُّرِهِ والعملِ به. أقولُ قولِي هٰذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ ونتُوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له.

وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِهِ.

عباد الله: ويُستحبُّ إذا مرَّ القَارِىءُ بآيةِ رحمةٍ أنْ يَسألَ اللهَ ـ تعالىٰ ـ مِن فضلِهِ، وإذا مرَّ بآيةِ عذابٍ أنْ يَستعِيذَ باللهِ مِن ذٰلك. وإذا مرَّ بآيةِ تَنْزِيهٍ للهِ ـ تعالىٰ ـ، نزَّهَهُ. فقال: سبحانُه وتَعالىٰ، أو: تبارك وتعالىٰ، أو: جلَّتْ عظمَةُ ربِّنا؛ لِما رَوىٰ حُذيفةُ ـ رضي الله عنهُ ـ قال: صلَّيتُ مع

النَّبيَّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ، فافتتحَ البقرَةَ، فقُلتُ: يركعُ عند المِائةِ، ثم مضىٰ، فقُلتُ: يُصلِّي بها في ركعةٍ، فمضىٰ، فقُلتُ: يَركعُ بها، ثم افتتحَ النساءَ فقرأَهَا ثم افتتحَ آلَ عِمرانَ فقرأهَا يَقرأُ تَرَسُّلاً، إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ، سبَّحَ، وإذا مرَّ بسؤالٍ، سألَ. وإذا مرَّ بتَعوُّذٍ، تَعوَّذَ. رواه مسلمٌ. ويُستحبُّ هـٰذا السُّؤالُ والاستعاذةُ والتَّسبيحُ لكلِّ قارىءٍ، سواء كان في الصلاةِ أو خارجَها. وكذٰلك الإمامُ والمُنفرِدُ والمأمُومُ؛ لأنَّه دُعاءٌ فاستَوَوْا فيه، كالتَّأمينُ عَقِبَ الفاتحةِ.

عباد الله: ومِن الأدبِ الحَسَنِ إذا تَثاءبَ القَارِىءُ، أنْ يُمسكَ عَن القِراءةِ حتَّىٰ يَنقضيَ التَّثاؤُبُ، ثم يَقرأُ. قال مُجاهدٌ: وهو حَسَنٌ. ويَدُلُّ عليه ما ثبتَ عن أبي سعيد الخُدريِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا تثاءبَ أحدُكُمْ فليُمْسِكْ بِيَدِهِ علىٰ فَمِهِ؛ فإنَّ الشَّيطانَ يَدخُلُ**» رواه مسلم.

عباد الله: ومِمَّا يُعتنَىٰ به ويَتأكَّدُ الأمرُ به احترامُ القرآنِ مِن أُمُورٍ قد يَتساهلُ فيها بعضُ الغافِلين القارِئين. فَمِن ذٰلك اجتِنابُ الضَّحكِ واللَّغطِ والكلام في خِلالِ القِراءةِ، إلاَّ كلاماً يُضْطَرُّ إليه، ولْيمتثلْ قولَهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ ولْيقتَدِ بِما رُوي عَن ابنِ عُمرَ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه كان إذا قرأَ القُرآنَ لا يَتكلَّمُ حتَّىٰ يفرغَ منه. ومِمَّا ينبغي اجتنابُهُ ـ أيضاً ـ، العَبَثُ باليَدِ وغيرِها؛ فإنَّه يُناجِي ربَّهُ ـ سُبحانه وتعالىٰ ـ، فَلِمَ يَعبثُ بين يديه. ومِن

ذٰلك النَّظرُ إلىٰ ما يُلهِي ويُبدِّدُ الذّهنَ، وأقبحُ مِن هـٰذا كُلِّه النَّظرُ إلىٰ ما لا يَجوزُ النَّظرُ إليه. ولا تَجوزُ قراءةُ القرآنِ بالأعجمِيَّةِ، سواء أحْسَنَ العَربيَّةَ أو لم يُحْسِنْها، سواء كان في الصلاةِ أو في غيرِها. فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وعظِّمُوا كتابَ ربِّكم قَوْلاً وعملاً، ظاهِراً وباطِناً، وتَفكَّرُوا في الحَشْرِ والمَعادِ، وتَذكَّرُوا حين تقومُ الأشهادُ. إنَّ في القيامةِ لَحَسَراتٍ، وإنَّ في الحَشْرِ لزَفَرَاتٍ. وإنَّ عند الصِّراطِ لعَثَرَاتٍ. فريقٌ في الجَنَّةِ يَرتقُون في الدَّرجاتِ، وفريقٌ في السَّعِيرِ، يَهبِطُون في الدَّركاتِ. وما بينك وبين هـٰذا إلاَّ أنْ يُقالَ فلانٌ ماتَ، وتقولُ: ربِّ ارجِعُون، فيُقالُ: فات.

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائكَتَهُ يُصلُّونَ علىٰ النَّبيِّ... إلخ.

في مشروعية إقامة الحدود وحكمها

الحمدُ للهِ الذي شَرَعَ لِعبادِهِ مِن الدِّينِ مِن إقامَةِ الحُدُودِ علىٰ المُعتدِين ومُعاقَبةِ المُفسِدين، ما يَعيشُون به آمِنين مُطمئنِّين، بِعَدْلِ الحاكِمين، واستِقامَةِ المحكُومِين. أحمدُه ـ سُبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ نِعمةِ الإسلامِ، وأشكرُهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ أنْ جعلنَا مِنْ أُمَّةِ خيرِ الأنامِ.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. فَرَضَ الفرائِضَ، وأمر بالأَخذِ علىٰ يَدِ الظالِمِ واجتِنابِ الآثامِ. وحَذَّرَ مِن نَقْضِ العُقُودِ ومُجَاوَزَةِ الحُدُودِ. وأَشهدُ أَنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ، صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: نِعَمُ اللهِ علىٰ عِبادِهِ كثيرةٌ جَمَّةٌ، وأعظمُها وأَجَلُّها نِعمةُ الإسلامِ وكَفَىٰ بها مِن نِعْمَةٍ.. دِينٌ كتابُهُ القُرآنُ العظيمُ كتابُ النُّورِ والهُدىٰ والحِكْمَةِ، وكان النَّاسُ قَبْلَهُ علىٰ جانبٍ عظيمٍ مِن الضَّلالِ، يَعيشُون بالنَّهْبِ والسَّلبِ والهَتْكِ والفَتْكِ والقِتالِ. وَيَعبدُون الشَّجرَ والحجَرَ والأصنامَ، ويَتَّبِعُون كُلَّ ناعِقٍ، مِن كاذِبٍ وكاهِنٍ وساحِرٍ ودَجَّالٍ، فـ ﴿ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾.

عباد الله: ومِمَّا شَرَعَهُ اللهُ إقامَةُ الحُدُودِ، والحُدُودُ جَمْعُ حَدٍّ، وهو

ـ لُغَةً ـ المَنْعُ. وشرعاً هِي عُقُوباتٌ لِتَمْنَعَ مِن الوُقُوعِ في مِثلِ الذَّنْبِ الذي شُرِعَ له الحَدُّ. والحُدودُ الرَّادعِة ثابتةٌ بالكتابِ والسُّنةِ والإِجماعِ، فهي جزاءٌ لِما انتَهَكَهُ العاصي مِن محارِمِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ. وهي مانِعةٌ وحاجِزةٌ مِن انتِشارِ الشُّرورِ والفسادِ في الأرض. فهي أمانٌ وضمانٌ للعِبادِ علىٰ دمائِهم وأعراضِهم وأموالِهم، وبإقامَتِها يَصلُحُ الكَوْنُ، وتَعْمُرُ به الأرضُ، ويَسودُ الهُدُوءُ والسُّكُونُ، وتَتِمُّ النعمةُ بانقِماعِ أهلِ الشَّرِّ والفسادِ، وبتَرْكِها ـ والعياذُ باللهِ ـ يَنتشرُ الشَّرُّ ويَكْثُرُ الفسادُ، فيَحصلُ مِن الفضائِحِ والقبائِحِ ما معه يكونُ بَطنُ الأرضِ خيراً مِن ظَهْرِها، ولا شَكَّ ولا رَيْبَ أنَّها مِن حِكْمَةِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ ورحمتِهِ، واللهُ عزيزٌ حكيمٌ.

عباد الله: إنَّ إقامةَ الحدودِ مِن العِباداتِ التي أمرَ اللهُ بها، كالجهادِ في سبيلِ اللهِ، وإنَّ إقامةَ الحُدُودِ مِن رَحمةِ اللهِ بعبادِهِ. فعلىٰ المُسلمِ أنْ يَكونَ قَويًّا في إقامةِ الحَدِّ، لا تأخُذُهُ رأفَةٌ في دِينِ اللهِ، فيعطِّلَهُ. وأنْ يكونَ المَقصُودُ مِن إقامَتِهِ رحمةَ الخلقِ، وذٰلك بكَفِّ الناسِ عن المُنكرَاتِ، لا شِفَاء الغَيظِ، وإرادَة العُلُوِّ علىٰ الخَلْقِ، فإنَّ الذي يُقيمُ الحَدَّ بمنزلَةِ الوالِدِ إذا أدَّبَ ولَدَهُ، فإنَّه لو كَفَّ عن تأديبِ وَلَدِهِ، كما تُشِيرُ به الأُمُّ رِقَّةً ورأفهً، لَفَسَدَ الولدُ، وإنَّما يُؤدِّبُهُ رَحمةً به، وإصلاحاً لحالِهِ، مع أنَّه يَوَدُّ ويُؤْثِرُ أنْ لا يُحْوجَهُ إلىٰ تأديبٍ، وبمنزلةِ الطَّبيبِ الذي يَسْقِي المريضَ الدواءَ الكَريهَ، وبمنزلةِ قَطْعِ العُضْوِ المُتآكِلِ إبقاءً لِبقيَّةِ

البَدَنِ. فكذٰلك إذاً قتلُ القاتلِ أو المُفسدِ لإبقاءِ بقيَّةِ المُجتَمعِ. وكذٰلك الحجمُ وقَطْعُ العُرُوقِ بالفَصْدِ ونحو ذٰلك، بل بمنزلةِ شُربِ الإنسانِ الدَّواءَ الكَريهَ، وما يُدخِلُهُ علىٰ نفسهِ مِن المَشَقَّةِ لِينَالَ به الرَّاحَةَ، فهٰكذا شُرِعَت الحُدُودُ.

عباد الله: إنَّ مَثَلَ الإسلامِ في تَكَامُلِهِ وتَماسُكِهِ واستقامَتِهِ بحُدُودِهِ وأركانِهِ وقُيُودِهِ، مَثَلَ الصَّرْحِ المنيعِ الشَّامِخِ في بُنيانِهِ لا يَجُوزُ أنْ يَنتهِكَ أحدٌ سِياجَهُ أو يَستبيحَ حِماهُ أو يتعدَّىٰ حُدُودَهُ، ومَن يفعلْ ذٰلك عَن نَزْوَةٍ أو صَبْوَةٍ، فقدْ ظلمَ نفسَهُ وأهدَرَ حُرْمَتَهُ، وشَرَعَ اللهُ الانتقامَ منه جَزاءاً مِن جِنْسِ عملِهِ، وقِصاصاً عادلاً لا نَقْدَ فيه ولا تَجرِيحَ، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ وقال ـ تعالىٰ ـ في شَحْذِ عزائِمِ المُؤمنين لإقامةِ حُدُودِ اللهِ علىٰ المُعتَدين وعدم الاستسلام للعاطِفَةِ ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ لِئَلَّا يتطاوَلَ السَّفِيهُ ويتقَاصَرُ الفَقِيهُ، ويتَّبِعَ النَّاسُ أهواءَهم ويجْهَرُوا بالإلحادِ والتَّكذِيبِ.

وقال ـ تبارك وتعالىٰ ـ مُوجِّهاً أنظارَ الأُمَّةِ لِثِمارِ إقامَةِ الحُدُودِ علىٰ المُعْتدين ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ وقال رسولُ اللهِ ﷺ تَرْغِيباً في إقَامَةِ الحُدُودِ: «**لَحَدٌّ يُقامُ في الأرضِ خيرٌ**

لأهلِ الأرضِ مَنْ أَنْ يُمْطَرُوا أربعين صباحاً» وقال عندما أرادَ البعضُ إسقاطَ القَطْعِ عن السَّارِقَةِ: **«وأَيْمُ اللهِ لو أنَّ فاطمَةَ بنتَ مُحمدٍ سرقتْ لقطعْتُ يَدَهَا»** ولقدْ أوْضَحَ ـ سُبحانه وتعالىٰ ـ في كِتابِهِ الجزاءَ العادلَ في الاقتِصاصِ دُون غُلُوٍّ أو مُداراةٍ ودُونَ مُجامَلَةٍ في استِيفاءِ الحُدُودِ فقال: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾.

وأوضحَ رسولُ الهُدىٰ ﷺ إقامةَ الحُدُودِ قَولاً وعملاً، بِما لا يجعلُ مَجالاً للرَّأْيِ والاجتهادِ في استيفائِها. فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال في حدِّ سرقةٍ: **«إنْ سَرَقَ فاقطَعُوا يَدَه، ثم إنْ سرَقَ فاقطَعُوا رِجْلَه، ثم إنْ سَرَقَ فاقطَعُوا يَدَهُ»** أي الشِّمال ثم إنْ سرقَ فاقطَعُوا رِجْلَهُ. وجاءَ في حدِّ الزِّنا للبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وتَغريبُ عامٍ، وجاءَ في حَدِّ الزَّاني المُحْصَنِ، الرَّجْمُ بالحِجَارَةِ حتَّىٰ يموتَ، كما ثبتَ مِن سُنَّةِ المُصطَفَىٰ ﷺ قَولاً وعملاً، فقد رَجَمَ رسولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً وامرأةً بالزِّنا. وجاءَ في حَدِّ الخمرِ: **«مَنْ شَرِبَ الخمرَ فاجلِدُوهُ، فإنْ عادَ في الرَّابِعَةِ فاقْتُلُوه»**، وجاءَ في حَدِّ القَذْفِ، في قولِهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ كلُّ أولـئك يا عبادَ اللهِ حدودٌ شَرَعَها ربُّ العالمين وأرحمُ الراحمين؛ لِحِفْظِ التَّوازُنِ في المُجتمَعِ ولَصَوْنِ الأخلاقِ مِن الانهيارِ، وهي بالنِّسبَةِ لِمَنْ تُقامُ عليه تَطهيرٌ وتزكِيَةٌ إنْ تابَ

توبةً صادقةً، إلاَّ القاتِلَ فإنَّهُ تتعلَّقُ به ثلاثةُ حُقُوقٍ: حقٌّ للهِ وحقٌّ للمقتولِ، وحقٌّ للولِّيِّ، فإذا أسلمَ القاتلُ نفسَهُ طَوْعاً إلىٰ الولِّيِّ، ونَدَماً وخوفاً مِن اللهِ، وتابَ توبةً نَصُوحاً، سقطَ حقُّ اللهِ بالتَّوبةِ وحَقُّ الأولياءِ بالاستيفاءِ أو الصُّلحِ أو العَفْوِ. وبقي حقُّ المقتولِ يستوفيهِ يومَ القِيامَةِ؛ لِما وَرَدَ عَن عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ، عَن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يَجيءُ المَقتُولُ مُتعلِّقاً بقاتِلِهِ يومَ القِيامةِ آخِذاً رأسَهُ بِيَدِهِ، فيقُولُ: يارَبِّ سَلْ هٰذا فِيمَ قتلني. قال: فيقولُ: قَتَلْتُهُ لِتكونَ العِزَّةُ لفُلانٍ. قال: فإنَّها ليست له، يَبُوءُ بإثْمِهِ. قال: فَيَهْوِي في النارِ سبعين خَرِيفاً**» وإنْ تَابَ القَاتِلُ تَوْبَةً صَادِقَةً فلَعَلَّ اللهَ أَنْ يعوِّض المَقْتُول حَتَّىٰ يَرْضَىٰ ويصْلِح بَيْنه وبينه.

عباد الله .. فَمَنْ طَغَتْ عليهم الأفكارُ العَصريَّةُ وتَشبَّعُوا بآراءِ الغربِ، ما بالُهُمْ يَسخَرُون مِن إقامَةِ حُدُودِ اللهِ كما أمرَ اللهُ. أَوَلَمْ يعلموا أنَّ هٰذه السُّخرِيَةَ بإقامَةِ الحُدُودِ رِدَّةٌ عَن الإسلامِ، وخروجٌ عَن الدِّينِ كما قالَ اللهُ في حقِّ أمثالِهم مِن السَّاخِرين المُستهْزِئين الذين جاؤا إلىٰ الرسُولِ ﷺ مُعتذِرين ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ وقد نصَّ العُلماءُ ـ رحمهم اللهُ ـ أنَّ بُغْضَ شيءٍ مِمَّا جاءَ به الرسُولُ ﷺ، أو الاستهزاءَ به كُفْرٌ واضِحٌ لا شُبهةَ فيه، وماذا عسىٰ أنْ يبقىٰ للمُسلمِ مِن دِينه بعد أَنْ يَسخرَ مِن أحكامِهِ، ويستطيلَ في نَقْدِهِ؟!، فهَلاَّ كان الأَجْدَرُ بأربابِ النُّهَىٰ الأخذَ علىٰ أيدي السَّاخرين ومن يُعلنُ القَدْحَ في شريعةِ سيِّدِ المُرسلين، وهلاَّ كان لِمَنْ بأيديهم

التَّوجيهُ أنْ يَتَّقُوا اللهَ في النَّشْءِ وشبابِ الإسلامِ، وأنْ يُعدُّوه إعداداً صالحاً للدِّينِ والدُّنيا. فاتَّقُوا اللهَ يا عبادَ اللهِ واعلَمُوا أنَّ الإسلامَ ليس مُجرَّدَ القَوْلِ باللِّسانِ، ولٰكنَّه الاستسلامُ والإذعانُ الشَّاملُ الكاملُ لكُلِّ ما جاءَ في الإسلامِ مِن فُرُوضٍ وحُدُودٍ وأحكامٍ وفضائِلَ دُونَ اتِّباعٍ للهَوَىٰ في الأَخْذِ والتَّرْكِ منه بِما يَهْوَىٰ المَرْءُ ويشتهي، ودُون التَّأثُّرِ بالعاطفَةِ، ويأتي عاملٌ آخرُ، قال اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ، نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفِرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أنفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ له.

وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وباركَ عَلَيْه، وعلىٰ آلِه وصحبِه.

أمَّا بعدُ:

عباد الله: مَن خَلَقَ السماءَ وجَعَلَ فيها بُرُوجاً وزيَّنها للنَّاظِرين، وأرسلَ الرِّياحَ لَوَاقِحَ فأنشأَ منها السُّحبَ وأنزلَ منها الماءَ وما أنتم له بِخازِنين؟. ومَنِ الذي جعلَ لكم الأرضَ قراراً، وفجَّرَها عُيُوناً وأنهاراً، وجعلَ لكم فيها مَعَايِشَ ومَن لستم له بِرَازِقِين؟ خالِقُ هٰذا ومُدبِّرُهُ هو اللهُ ربُّ

العالمين ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واعملُوا بكتابِ ربِّكم وسُنَّةِ نَبيِّكم. شَرَعَ اللهُ لكم مِن الدِّينِ ما فيه صلاحُ المَعاشِ والمَعادِ. وبيَّن علىٰ لِسانِ مُحمدٍ ﷺ سبيلَ الحَقِّ والرَّشادِ، وهَداكُم إلىٰ ما فيه سَعَادَةُ البِلادِ والعِبادِ، فأوضحَ لكم الحلاَلَ والحرامَ والصَّلاحَ والفسادَ، وضَرَبَ لكم الأمثالَ بأهلِ الكُفرِ والعِنادِ، التَّارِكين إقامَةَ الحُدُودِ، مِن أهلِ الإلحادِ، مِن الذين يَرَوْنَ أنَّ الأحكامَ السَّماوِيَّةَ غيرُ وافيَةٍ بالمُرادِ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾.

عباد الله: دينُنا ـ دينَ الإسلامِ ـ جاءتْ به الكُتُبُ السَّماوِيَّةُ، وأوضحتْهُ الأنبياءُ، وهو سائِقٌ لِذَوِي العُقولِ السليمةِ إلىٰ ما فيه سعادةُ الآخرةِ والدنيا، فحِكْمَتُهُ بالغةٌ وحُجَّتُهُ دامِغَةٌ. وقولُهُ فَصْلٌ، وقَضَاؤهُ عَدْلٌ. نُصُوصُهُ لا تُحَرَّفُ ولا تُبَدَّلُ؛ لأنَّه صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾.

فنحمدُ اللهَ ـ تعالىٰ ـ أنْ وَفَّقَ وَلاة أمرِنا لإقامَةِ هٰذه الحُدُودِ، أَسألُ اللهَ ـ تعالىٰ ـ أنْ يَزيدَهم إيماناً ويقِيناً وقُوَّةً وتمكِيناً، وأنْ يَنْصُرَ بهم دِينَهُ وشَرْعَهُ، وأنْ يَجعلَهم مِن أنصارِ دِينِهِ وشرْعِهِ.

عباد الله: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ واعلَمُوا أنَّ مَوقِفاً مِن مواقِفِ يوم القِيامَةِ تَشِيبُ مِن هَوْلِهِ الوِلْدانُ يومَ تَمُورُ السماءُ مَوْراً وتَسيرُ الجِبالُ سَيْراً، يومَ تَذْهَلُ فيه كُلُّ مُرْضِعَةٌ عمَّا أَرْضَعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها، فَكُونُوا مِن الدنيا علىٰ حَذَرٍ، وأَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ، وتذكَّرُوا ما ذهبَ مِن أعمارِكم وفاتَ.

عباد الله: أين الخَوْفُ والوَجَلُ والاستغفارُ، وأين الخُشُوعُ والخُضُوعُ والبُكاءُ وجَرَيَانُ الدُّمُوع علىٰ الذُّنُوبِ؟. أين التَّفَكُّرُ والاعتبارُ؟. أَلاَ فاحذَرُوا المعاصِي؛ فإنَّها جالِبَةُ النِّقَمِ ومُغَيِّرَةُ النِّعَمِ.

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصَلُّون علىٰ النَّبيِّ. . إلخ.

في التحذير من الغفلة والمعاصي

الحمدُ للهِ الحليمِ القَدِيرِ، العزيزِ الحكيمِ الخَبِيرِ، الرَّحمٰنِ الرحيمِ السميعِ البصِيرِ، غافِرِ الذَّنْبِ وقابِلِ التَّوْبِ شدِيدِ العِقابِ، ذي الطَّوْلِ، لا إلـٰه إلاَّ هو إليه المَصِيرُ.

وأشهدُ أن لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلم وبارك عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: إنَّ لكم فِيمَنْ سَلَفَ مِن الأمواتِ عِبَراً، وإنَّ لكم فيما تَرَوْنَ مِنَ الآيات لِفِكْراً. فكفىٰ بِذِكْرِ الموتِ للأَفْرَاحِ سَالِباً، وللأحزانِ جَالِباً، وللقلوبِ مُعَاتِباً، وبالإقْلاعِ عن الذُّنُوبِ طَالِباً. ألا وإنَّ الموتَ عارِفُ مَنْ جَهِلَهُ وخَاطِفُ مَنْ أغفلَه وذَاكِرٌ مَن نَسِيَهُ، وله في كُلِّ مُهْجَةٍ نَصِيبٌ، ولِكُلِّ مَخْلُوقٍ منه يومٌ عَصِيبٌ. فإلىٰ متىٰ أنتم عبادَ اللهِ عن التَّذْكِرَةِ مُعْرِضُون، وحتىٰ متىٰ يَرَاكُمْ لِغَضَبه مُتَعَرِّضِين، أَصُمَّتْ الآذانُ عن سَمَاعِ ما يُتلَىٰ عليها ويُقْرَأُ، أم عَمِيتْ الأبصارُ فلم تَنْظُرْ من العِبَرِ ما ترىٰ؟! كلاَّ ولـٰكنْ رَانَتْ علىٰ القُلُوبِ الذُّنوبُ، فإنَّها لا تعمىٰ الأبصارُ ولـٰكنْ تعمىٰ القُلُوبُ.

عباد الله: إنَّ شرَّ ما أُصِيبتْ به النُّفُوسُ الغَفْلَةُ عن الهُدَىٰ، والإعْرَاضِ عن طريقِ الرُّشْدِ والهُدَىٰ، اتِّبَاعاً للهَوَىٰ، ولقدْ وَصَفَ اللهُ الغافلين أَقْبَحَ

وَصْفٍ؛ حيثُ يقولُ في كتابه مُتوَعِّداً: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

كالأنْعَامِ لأنهم قَصَرُوا هِمَّتَهُم علىٰ الأكلِ والشُّرْبِ، وعلى التَّمتُّعِ بالشَّهواتِ والمَلَذَّاتِ، بل هم أَضَلُّ مِنَ الأنعامِ؛ لأنَّ الأنعام تُمِيِّزُ بين الضَّارِّ والنَّافعِ؛ والغافلون أَعْمَتْهُمُ الغفلةُ عن التَّمييزِ بين ما فيه شَقَاؤهُم وما فيه سعادتُهم دُنيا وأخرىٰ. فهم كما وَصَفَهم الله ـ عز وجل ـ: لهم قلوبٌ، وأَعْيُنٌ، وأسماعٌ مُعَطَّلَةٌ لا ينتفعون بها، فلا يَتَّعِظُونَ ولا يَتَذَكَّرون. تَمُرُّ بهم العِبَرُ وهم لاهُونَ غافِلون، وتَطْرُقُهُمُ القوارعُ وتنْزِلُ بِسَاحَتِهِم الفواجِعُ، وهم بِلَهْوِهِمْ مشتغلون، خَدَعَهم طُولُ الأملِ عن الاشْتِغَالِ بِصَالِحِ العملِ، فانغمَسُوا في المعاصي على اخْتِلافِ أشْكَالِها.

فَمِنَ الناسِ مَنْ يَخرجُ إلىٰ البَرَارِي ويُحْيِي اللَّيْلَ أو أكْثرَه في مُشَاهَدَةِ الأفلامِ المُحَرَّمَةِ التي تدعُو إلىٰ الفَسَادِ والتَّحَلُّلِ، وفي سَمَاعِ أصواتِ الأغاني الخَلِيعَةِ، والتَّمْثِيلِيَّاتِ الأَثِيمَةِ التي تُفْسِدُ الأخلاقَ، وتُصَوِّرُ المُيُوعَةَ والانْحَلالِ، إلىٰ غَيْرِ ذٰلك مِنْ أنواعِ الغَفْلَةِ عن اللهِ، وارتِكَابِ ما حَرَّمَ اللهُ، والتي يدعو إليها الشيطانُ، لِيَصْرِفَ بها العبادَ عن طاعَةِ الرحـٰمن، وليستكثر بها من حِزْبِهِ الغافِلِينَ، الذين حَقَّتْ عليهم كَلِمَةُ اللهِ فكانوا من الهالِكِين.

إنَّ المعاصي يا عبادَ اللهِ مع أنَّها بُرْهانٌ واضِحٌ علىٰ الغفْلَةِ، فَهِيَ نُكْرَانٌ

للجَمِيلِ وكُفْرَانٌ لِنِعْمَةِ المُنْعِمِ العظيمِ. فالنِّعَمُ التي منها نُزُولُ المَطَرِ مِن حَقِّها أن يُشكرَ عليها المُنْعِمُ ولا يُكْفَرَ، وأَنْ يُحمدَ ويُعْبَدَ فلا يُعْصَىٰ، فَإذا انْعَكَسَ الوَضْعُ، فقامت المعصِيَةُ بَدَلاً مِنَ الطاعةِ، كان ذٰلك نُكْرَاناً للجَمِيلِ، وكُفْراناً للنِّعْمَةِ، فَحلَّتِ النِّقَمُ وَنزَلَ البَلاءُ، وعَظُمَ الخَطْبُ. كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣] وذٰلك هو مَقَامُ العَدْلِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤]. ولَعَلَّ ما يُلْحَظُ من المِحَنِ والشَّدائِدِ التي ابْتُلِيَ بها الناسُ كالأَمْرَاضِ المُسْتَعْصِيَةِ هو أثرٌ من آثارِ الغفلةِ عن اللهِ ـ تعالىٰ ـ والتَّمَادِي في مَعْصِيَتِهِ والاِنْصِرَافِ عن طاعَتِهِ.

وإنَّ البلاءَ يا عبادَ اللهِ إذا نَزَلَ بِسَاحَةِ قَوْمٍ عَمَّ الصَّالحَ والفاسدَ، كما جاءَ في الحديثِ عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلتُ يارسولَ اللهِ: إنَّ اللهَ أنزل سَطْوَتَهُ بِأَهْلِ الأرضِ، وفيهم الصَّالِحُون، فيهلكُون بهلاَكِهِم. فقال: «**يا عائشة إن اللهْ ـ عز وجل ـ إذا أنزلَ سَطْوَتَهُ بأَهْلِ نِقْمَتِهِ وفيهم الصَّالِحون، فيصِيرُون معهم ثُم يُبْعَثُون علىٰ نِيَّاتِهِمْ**» [رواه ابن حبان في صحيحه].

فاتَّقُوا اللهَ عِبادَ اللهِ، واحْذَرُوا مِن الغَفْلَةِ عَنِ اللهِ، وعن سُلُوكِ سبيلِ الهُدَىٰ في كُلِّ ما يُرْضِي اللهَ ـ عز وجل ـ. قال اللهُ ـ عز وجل ـ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ

وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

اللَّهُمَّ أَعِنَّا إذا اسْتَقَمْنَا وقوِّمْنا إذا اعْوَجَجْنا، وكُنْ لَنَا حيثُ كُنَّا. اللَّهمَّ اجْعَلْنا مِمَّنْ تَوكَّلَ عليك فَكَفَيْتَهُ واسْتَهْدَاكَ فَهَدَيْتَهُ واسْتَرْحَمَكَ فَرَحِمْتَهُ يارَبَّ العالمين. أقولُ قَوْلِي هذا. . . الخ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ المُنْعِمِ الوَهَّابِ الوَلِيِّ الحميدِ. والحمدُ للهِ الذي أمرَ بِشُكْرِهِ ووعَدَ عليه المَزِيدَ فقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ هو المبدئُ المُعِيدُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي بُعِثَ بالقرآنِ المَجِيدِ ـ صَلَّىٰ اللهُ وسلَّم عليه وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَئِمَّةِ العَدْلِ والتوحيد ـ.

أما بعد:

أيها المسلمون: إنَّ نِعَمَ اللهِ ـ تعالىٰ ـ لا يَحْصِيها لِسَانٌ، وإنَّ نِعَمَهُ لا يَقُومُ بِحَقِّ شُكْرِها إنسانٌ، وإنَّ نِعَمَهُ ـ تعالىٰ ـ تَجِلُّ عن التِّعْدادِ، وإن نِعَمَهُ ـ تعالىٰ ـ قد شملت الحاضِرَ والبَادِ. فاشْكُرُوه علىٰ نِعَمِهِ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ، والتَّضَرُّعِ والاستغفارِ، وتِلاوَةِ كِتابِه العزيزِ، في العَشِيِّ والإِبْكَارِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنْكَرِ، واحْذَرُوا الغَفْلَةَ والمعاصي؛ فإنه يَتَوَلَّدُ منها قِلَّةُ التوفيقِ، وفسادُ القَلْبِ، وخُمُودُ الذِّكْرِ ونُفْرَةُ الخَلْقِ، ومَنْعُ إجابةُ الدُّعَاءِ، ومَحْقُ البَرَكَةِ في الرِّزْقِ والعُمْرِ، وضِيقُ الصَّدْرِ وطُولُ

الهَمِّ والغَمِّ. كلُّ ذٰلك يتولَّدُ من المعصيةِ والغَفْلَةِ عن ذِكْرِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ. فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحْمَدُوه واشْكُرُوه وارْغَبُوا إليه في حِرَاسَةِ النِّعَمِ عن الزَّوَالِ، واحْذَرُوا المعاصي؛ فإنها جَالِبَةُ النِّقَمِ، ومُغَيِّرَةُ النِّعَمِ والأحوالِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١] ولا تَغُرَّنَّكُم الدُّنيا؛ فإن حَظَّها مَشْؤُومٌ، وإن نَعِيمَها ـ وإن طَالَ ـ لا يَدُومُ، ولا تَصُدَّنَّكُم عَمَّا خُلِقْتُم له مِن عِبَادَةِ اللهِ الحَيِّ القَيُّومِ، ولا يَخْدَعَنَّكُم طُولُ الأملِ؛ فإنَّ الأَجَلَ مَحْتُومٌ، واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عليكم وما أنزلَ عليكم مِن الكتابِ والحِكْمَةِ يَعِظُكُم به، ورَاقِبُوا اللهَ؛ فإنَّه المُطَّلِعُ علىٰ جَهْرِ العِبَادِ وما يُكِنُّون.

اللَّهُمَّ لك الحمدُ كُلُّه، ولَكَ المُلْكُ كُلُّه، وبيَدِكَ الخيرُ كُلُّه، وإليك يُرْجَعُ الأمرُ كُلُّه، نَسْأَلُكَ مِنَ الخيرِ كُلِّه، ونَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّه.

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائِكتَهُ يُصَلُّونَ علىٰ النَّبِيِّ . . . إلخ.

اللهم اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ. . .

اللهم اكْفِنَا بِحَلالِكَ. . .

اللهم أَصْلِحْ لنا دِينَنَا الذي هو عِصْمَةُ أمْرِنا، وأَصْلِحْ لنا دُنْيَانا التي فيها مَعاشُنا، وأَصْلِحْ لنا آخِرَتَنَا التي فيها مَعادُنا، واجْعَلِ الحياةَ زِيَادَةً لنا في كُلِّ خَيْرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لنا مِن كُلِّ شَرٍّ.

في التحذير من المعاصي

الحمدُ للهِ الحليمِ علىٰ عِبادِهِ، فما أَحْلَمَهُ، وما أَصْبَرَهَ!، الرَّحيمِ علىٰ أهلِ محبَّتِهِ ووِدَادِهِ، المُهلِك لِمَنْ عَصَاه وزادَ في عِنَادِهِ، المُنتقِمِ مِمَّنْ تكَبَّرَ وعَتَىٰ وأطاعَ الشَّيطانَ والهَوَىٰ. أَحمدُه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ حَمْدَ عبدٍ أسْعدَه مَوْلاه بتوفِيقِه.

وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدِه لا شريكِ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه ـ.

أَمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وأَطِيعُوهُ، ورَاقِبُوه في السِّرِّ والعَلَنِ، ولا تَعْصُوهُ، واعلمُوا أنَّ الذُّنوبَ والمعاصي تَضُرُّ في الحالِ والمآلِ، وإنَّ ضَرَرَها في القلوبِ كَضَرَرِ السُّمُوم في الأبدانِ، علىٰ اختلافِ درجاتِها، وما في الدُّنيا والآخرةِ شرٌّ وداءٌ إلاَّ وسَبَبُهُ الذُّنُوبُ والمعاصي. فما الذي أخرجَ الأبوَيْن من الجنَّةِ دارِ اللَّذَّةِ والنَّعيمِ والبهْجةِ والسُّرورُ، إلىٰ دارِ الآلامِ والأحزانِ والمصائبِ؟ وما الذي أخرجَ إبليسَ منْ مَلَكُوتِ السَّماءِ، وطَرَدَه ولَعَنَه ومسخَ ظاهِرَه وباطِنَه، وبُدِّلَ بالقُرْبِ بُعْداً، وبالرَّحْمَةِ لَعْنَةً، وبالجمالِ قُبْحاً، وبالجَنَّةِ ناراً تَلَظَّىٰ؟ وما الذي أَغْرقَ أهلَ الأرضِ كلَّهم حتَّىٰ علا الماءُ رُؤُوسَ الجبالِ؟ وما الذي سلَّط الرِّيْحَ علىٰ قومِ عادٍ حتَّىٰ أَلْقَتْهُم موتىٰ علىٰ وجهِ الأرضِ كأنَّهم أعجازُ نخلٍ

خاويةٍ، ودمَّرتْ ما مرَّت عليه من دِيارِهِم حتَّىٰ صارُوا عِبْرَةً للأُمَمِ إلىٰ يومِ القيامةِ؟ وما الذي أرسلَ علىٰ قومِ ثمودَ الصَّيحةَ حتَّىٰ قطَّعت قُلوبَهم في أجوافِهِم وماتُوا عنْ آخرِهم؟ وما الذي رفعَ قُرىٰ اللُّوطيَّةِ حتَّىٰ سمعتِ الملائكةُ نباحَ كلابِهم، ثم قلبَها عليهم فجعلَ عالِيَها سافِلَها فأهلَكَهم جميعاً، وأرسل عليهم حجارةً من سجِّيلٍ؟ وما الذي أرسلَ علىٰ قومِ شعيبٍ سحابةَ العذابِ كالظُّللِ، فلمَّا صارتْ فوقَ رُؤوسِهم أمطرتْ عليهم ناراً تَلظَّىٰ؟ وما الذي بعثَ علىٰ بني إسرائيل قوماً أُولي بأسٍ شديدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارَ وقَتلُوا الرِّجالَ وأحرَقُوا الدِّيارَ ونَهَبُوا الأموالَ، ثم بعثَهم عليهم مرَّةً ثانيةً، فأهْلَكُوا ما قدَرُوا عليه وتبَّرُوا ما عَلَوْا تتبيراً؟ وما الذي سلَّط عليهم أنواعَ العُقوباتِ، مرَّةً بالقتلِ والسَّبْي وخرابِ البلادِ، ومرَّةً بِجَوْرِ الملوكِ، ومرَّةً بِمَسْخِهِمْ قِرَدَةً وخنازيرَ، وآخِرُ ذٰلك أَقْسَمَ الرَّبُّ تباركَ وتعالىٰ لَيَبْعَثَنَّ عليهم إلىٰ يومَ القيامةِ من يَسُومُهم سوءَ العذابِ؟ وما الذي أهلكَ أقواماً كثيرةً جاءتْ أخبارُ هلاكِهم في القرآنِ الكريمِ؛ بسببِ كُفرِهِم وعصيانِهم وعِنادِهم وتكَبُّرِهِم عن طاعةِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ وطاعةِ رسلِه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وتركِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ؟ فاعتبِرُوا يا أُولِي الأبصار.

عباد الله: المعاصي ما حَلَّتْ في ديارٍ إلاَّ أهلكَتْها، ولا في قلوبٍ إلا أعْمَتْها، ولا في أجسادٍ إلاَّ عذَّبَتْها، ولا في أُمَّةٍ إلاَّ أَذَلَّتْها، ولا في نُفوسٍ

إلاَّ أفسدَتْها، ولو لم يكنْ من المعاصي إلاَّ أنَّها سببٌ لِهَوانِ العبدِ علىٰ اللهَ وسُقُوطِهِ من عَيْنِهِ لَكَفَىٰ، وإذا هانَ العبدُ علىٰ اللهُ فما له مِنْ مُكْرِمٍ. ومن عُقوباتِ الذُّنوبِ ـ أيضاً ـ أنَّها تُزِيلُ النِّعَمْ وتُحِلُّ النِّقَمَ، فما زالتْ عن العبدِ نعمةٌ إلاَّ بذنبٍ، ولا حلَّت به نقمةٌ إلاَّ بذنبٍ، كما قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ: ما نزلَ بلاءٌ إلاَّ بذنبٍ، ولا رُفعَ إلاَّ بتوبةٍ. وقد قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٥٣]. أخبرَ ـ تعالىٰ ـ أنَّه لا يُغيِّرُ نِعمةً أنعمَ بها على أحدٍ حتَّىٰ يكونَ هو الذي يُغيِّرُ ما بنفسِه، فيغيِّر طاعَةَ اللهِ بمعصيتِه، وشكرَه بكفرِه، وأسبابَ رضاه بأسبابِ سَخَطِه، فإذا غَيَّرَ، غُيِّرَ عليه، جزاءً وفاقاً، وما ربُّك بظلاَّمٍ للعبيدِ. فإن غيَّرَ المعصيةَ بالطَّاعةِ، غيَّرَ اللهُ عليه العقوبةَ بالعافيةِ، والذُّلَّ بالعِزِّ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾ [الرعد: ١١] وفي بعضِ الآثارِ الآلٰهيَّةِ عن الرَّبِّ ـ تبارك وتعالىٰ ـ أنَّه قالَ: **«وعزَّتي وجلالِي لا يَكونُ عبدٌ من عبيدِي علىٰ ما أُحَبُّ ثمَّ يْنتقلُ عنه إلىٰ ما أَكْرَهُ، إلاَّ انتقلتُ له ممَّا يُحِبُّ إلىٰ ما يَكرهُ. ولا يكونُ عبدٌ من عبيدِي علىٰ ما أكرَهُ ثمَّ ينتقلُ عنه إلىٰ ما أُحِبُّ، إلاَّ انتقلتُ له ممَّا يَكرَهُ إلىٰ ما يُحِبُّ»** فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ في السِّرِّ والعلنِ، وتُوبُوا إليه واستغفِرُوه وحاذِرُوا غضبَه ولا تَعْصُوه؛ فالمعاصي

تَمْحَقُ بركةَ العُمرِ وبركةَ الرِّزقِ والعلمِ والطاعةِ، وبالجملةِ تَمحقُ بركةَ الدِّينِ والدُّنيا، فلا تَجدُون أقلَّ بركةٍ في عمرِه ودِينِه ودُنياه ممَّنْ عصىٰ اللهَ ـ تعالىٰ ، وما مُحِقَتِ البركةُ من الأرضِ إلاَّ بمعاصي الخَلْقِ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٦،١٧] وفي الحديثِ: **«إنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رَوْعِي إنَّه لنْ تموتَ نفسٌ حتَّىٰ تَستكملَ رزقَها وأجلَها»**

فاتَّقُوا اللهَ وأَجْمِلُوا في الطَّلبِ؛ فإنَّه ما يُنالُ ما عندَ اللهِ ـ تعالىٰ ـ إلاَّ بطاعتِه، وليستْ سعةُ الرِّزقِ بكثرتِه، ولا طُولُ العُمرِ بكثرةِ الشُهُورِ والأعوامِ، ولكنَّ سعةَ الرِّزقِ والعمرِ البركةُ فيهما. ومعلومٌ أنَّ عُمرَ العبدِ هو مُدَّةُ حياتِه، ولا حياةَ لِمَنْ أعرضَ عن اللهِ واشتغلَ بغيرِ ذِكْرِه، بل حياةُ البهائمِ خيرٌ من حياتِه؛ فإنَّ حياةَ الإنسان بحياةِ قلبِه ورُوحِه، ولا حياةَ لقلبِه إلاَّ بمعرفة فاطِره ومحبَّتِه وذِكْرِه وعبادتِه وحدَه والإنابَةِ إليه والطُّمأنينةِ بطاعتِه والأُنْسِ بِقُرْبِه، ومن فقدَ هٰذه الحياةَ فقدَ الخيرَ كلَّه، ولو تعوَّض عنها بما تعوَّض، بلْ ليستِ الدُّنيا بأجمعِها عوضاً عن هٰذه الحياةِ، فَمِنْ كلِّ شيءٍ يَفوتُ العبدَ عوضٌ، وإذا فاتَهُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ لم يُعَوَّضْ عنه شيئاً البَتَّةَ. وإنَّما كانتْ معصيةُ اللهِ سبباً لِمَحْقِ بركةِ الرِّزقِ والعمرِ؛ لأنَّ الشَّيطانَ وُكِّلَ بها وبأصحابِها، وكلُّ شيءٍ يَتَّصلُ به

الشَّيطانُ ويُقارِنُه، فَبَرَكَتُه مَمْحُوقةٌ، ولهٰذا شُرع ذِكْرُ اسمِه ـ تعالىٰ ـ عندَ الأكلِ والشُّربِ واللِّبسِ والرُّكوبِ والجِماعِ؛ لما في مُقارَنةِ اسمِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ من البَرَكةِ، وكُلُّ شيءٍ لا يكونُ للهِ، فبركَتُه منزُوعةٌ؛ فإنَّ الرَّبَّ ـ جلَّ جلاله ـ هو الذي يُبارِكُ وحدَه، والبركُة كُلُّها منه، وكُلُّ ما نُسبَ إليه مباركٌ، فكلامُه مباركٌ، ورسولُه مباركٌ، وعبدُه المُؤمنُ النَّافِعُ لِخَلْقِه مباركٌ، وبيتُه الحرامُ مباركٌ، فلا مباركَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وكُلُّ ما باعدَه اللهُ من نفسِه المُقدَّسةِ، من الأعيانِ والأقوالِ والأعمالِ فلا بركةَ فيه ولا خيرَ فيه، وكُلُّ ما كانَ منه ـ تعالىٰ ـ قريبٌ، ففيه من البركةِ علىٰ قَدْرِ قُرْبِه منه. وضِدُّ البركةِ اللَّعنةُ، فأرضٌ لعنها اللهُ أو شخصٌ لعنه اللهُ أو عملٌ لعنه، أبعدُ شيءٍ من الخيرِ والبركةِ، وكُلُّ ما اتَّصل بذٰلك وارتبطَ به وكان منه بسبيلٍ، فلا بركةَ فيه البَتَّةَ، فمن هٰهنا كانَ للمعاصي أعظمُ تأثيرٍ في مَحْقِ بركةِ العُمرِ والرِّزقِ والعلمِ والعملِ، وكُلُّ وقتٍ عصيَ اللهُ فيه أو مالٍ عصيَ اللهُ به أو بَدَنٍ أو جاهٍ أو علمٍ أو عملٍ، فهو علىٰ صاحبِه ليسَ له، فليس له من عُمرِه ومالِه وقُوتِه وجاهِهِ وعلمِه وعملِه إلاَّ ما أطاعَ اللهَ ـ تعالىٰ ـ به. ولهٰذا فمن النَّاسِ من يَعيشُ في هٰذه الدَّارِ مائةَ سنةٍ أو نَحْوَها، ولا يَبْلُغُ عمرُه في الحقيقةِ عشرَ سِنينَ، كما أنَّ فيهم من يَملكُ القناطِيرَ المُقَنْطَرَةَ من الذَّهبِ والفِضَّة ولا يبلغُ مالُه في الحقيقةِ ألفَ دِرْهَمٍ. وهٰكذا الجاهُ والعلمِ؛ لأنَّهم قد نُزعتِ البركةُ من أعمارِهم وأموالِهم وعلمِهم، بِذُنوبِهم ومعاصيهم. فالعُمرُ أَفْنَوْهُ في طاعةِ

الشَّيطانِ. والمالُ اكْتَسبُوه من الحرامِ، والعلمُ طلبُوه للدِرْهَمِ والدِّيْنَارِ.

رَوَىٰ الإمامُ أحمدُ عن عبدِاللهِ بن مسعودٍ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ: «**لا يكسبُ عبدٌ مالاً حراماً فيتصدَّقُ منه فيُقبلُ منه، ولا يُنفقُ منه فيُبارَكُ له فيه، ولا يَتْرُكُه خلفَ ظَهْرِهِ إلَّا كانَ زادَه إلىٰ النَّارِ**» إنَّ اللهَ لا يَمحُو السَّيِّءَ بالسَّيِّءِ ولٰكنْ يَمْحُو السَّيِّءَ بالحَسَنِ، إنَّ الخبيثَ لا يَمحُو الخبيثَ، ومِنْ نَزْعِ البركةِ من أموالِهم أنَّهم يَصْرِفُون مِنْ أموالِهم في المشاريعِ الخيريَّةِ للفخرِ والرِّياءِ والسُّمْعَةِ، وعلامةُ ذٰلك أنَّهم يَغْفُلُون عن المُحتاجين من أقارِبهم وجيرانِهم وإخوانِهم المسلمين، وإن سألَهم المحتاجون، عَبَسَوا بوُجُوهِم وأعرَضُوا عنهم. والأشياءُ التي تُرىٰ وتَظهرُ للنَّاسِ يُسارِعُون إليها ويَصرِفُون فيها أموالاً طائلةً. واللهُ ـ جلَّ وعلا ـ لا يَقبلُ من العملِ إلاَّ ما كانَ خالِصاً صواباً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦ـ٣٩].

فبادِرُوا ـ رحمكم الله تعالىٰ ـ بالتَّوبة، والأعمالِ الصَّالحةِ، والأمرِ بِالمعروفِ، والنَّهيِ عن المنكرِ، قبلَ فواتِ الأوانِ، فالفُرصةُ هاهي ذا سانحةٌ، ووسائلُ الهُدىٰ ماتزالُ حاضِرةً، وبابُ التَّوبةَ هاهو ذا مفتوحٌ، وليس على بابِه ما يمنعُ، ولا يحتاجُ من يَلِجُه إلىٰ استئذانٍ، وهي أُمنيةٌ لا

ينالُها إلاَّ المُوَفَّقون، فإذا انتهتِ الحياةُ، فلا كَرَّةَ ولا رُجُوعاً.

عباد الله: أنتُم الآن في دارِ العملِ، وهي فُرصةٌ واحدةٌ، فإذا انتهتْ لا تعودُ. تُوبُوا إلىٰ اللهَ ربِّكم قبلَ فواتِ الأوانِ، من قبلِ أنْ يأتي يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خِلالٌ؛ فالوقتُ غيرُ مضمونٍ، وقد يُفصلُ في الأمرِ وتُغلقُ الأبوابُ في أيَّةِ لحظةٍ من لحظاتِ اللَّيلِ والنَّهارِ، اتَّبِعوا أحسنَ ما أُنزلَ إليكم من ربِّكم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ القاهِرِ فوقَ عبادِه عِزًّا وسُلْطاناً، النَّاصرِ لِمَنْ يَنصرُه، فطُوبىٰ للذين إذا ذُكِّرُوا بآياتِ ربِّهم زادَتْهم إيماناً، وويلٌ للذين إذا ذُكِّروا بآياتِ ربِّهم خَرُّوا عليها صُمًّا وعُمْياناً، أَحمدُه ـ سُبحانه ـ علىٰ ما عمَّنا به من فضلِه وأَوْلانا وأشكُرُه، ولَمْ يَزَلْ ـ سبحانه ـ يُولِي الشَّاكِرين إحساناً.

وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له توحيداً وإيماناً. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه يَكسِرُ أصناماً، ويَهدِمُ أوثاناً، ويَهدِي ضُلاَّلاً، ويُبَصِّرُ عمياناً، ويَدْعُو إلىٰ التَّوحيدِ سرًّا وإعلاناً. اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِكْ علىٰ عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلىٰ آله وصحبِه. **أمَّا بعدُ.**

أيها المسلمون: إنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ لا تُعَدُّ مزاياه ولا تُحْصىٰ فوائِدُه إلاَّ أنَّه يَحْسُنُ أن نُشِيرَ إلىٰ بعضٍ من هٰذه المَزَايا والفوائِدِ.

فالأوَّلُ من ذٰلك: أنَّه عبادةٌ للهِ ـ تعالىٰ ـ عظيمةٌ، وأصلٌ من آكَدِ

أُصُولِ الشَّريعةِ، وواجبٌ من ألزمِ واجباتِها.

الثَّاني: الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيُ عن المنكرِ، طاعةٌ ونصرٌ للهِ ـ تعالىٰ ـ ولرسولِه، وشَدٌّ لأَزْرِ المؤمنين، وإِرْغامٌ للمنافقين والكافرين، ورَدْعٌ للعاصين وإحسانٌ إليهم.

الثَّالث: أنَّه فرضُ كِفايةٍ، إذا قامَ به مَنْ يكفي، سقطَ الوجوبُ عن المسلمين، وصار في حَقِّهم سُنَّةً مؤكَّدةً. وفُرُوضُ الكِفاياتِ آكَدُ وأعظمُ مِنْ فُرُوضِ العَيْنِ، من جهةٍ تتعلَّقُ بالجميع؛ لأنَّ الخطابَ به لجميع الأُمَّةِ، ولأنَّ العُقوبةَ على تَرْكِهِ إنْ وقعتْ ـ نسألُ اللهَ تعالىٰ أن يَصْرِفها عنَّا وعن المسلمين ـ عَمَّتْ وطَمَّتْ، وأصابتْ بألمِها البريءَ والمُسيءَ.

الرَّابع: أنَّه سببٌ قويٌّ من أسبابِ الفلاحِ، بلْ إنَّ الفلاحَ مَحصُورٌ في أهلِه؛ لقولِه ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]

الخامس: أنَّه بابٌ عظيمٌ من أبوابِ التَّناصُحِ بين المسلمين والتَّعاوُنِ على البرِّ والتَّقوىٰ، ولا يَصبرُ عليه إلاَّ أصحابُ النُّفُوسِ النَّبيلةِ التي آمنتْ باللهِ، واقْتدتْ برسولِه ﷺ وأحبَّتِ الخيرَ لها وللأُمَّةِ والنَّاسِ أجمعين.

السَّادس: أنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ يُعِينُ علىٰ إقامةِ الفُرُوضِ والواجِباتِ، ولا يَتِمُّ القِيامُ بها في المجتمع، علماً وعملاً إلاَّ به، ولا يَنتصرُ الدِّينُ، ويَقوىٰ ويَنتشرُ العلمُ ويَظهرُ إلاَّ بإقامتِه. ولولا اللهُ ـ تعالىٰ ـ ثمَّ الأمرُ بالمعروفُ والنَّهيُ عن المنكرِ، لانْهدمَ بُنْيَانُ الشَّريعةِ

وتَدَاعَىٰ، وعَمَّتِ الفَوضىٰ، وساءَتِ الأحوالُ والبلادُ. وبالجملةِ فالأمرُ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ مَجْمَعُ الخيراتِ ومُلْتقىٰ الفضائِلِ، ولا صلاحَ ولا فلاحَ ولا سلامةَ للأُمَّةِ في جَميعِ نَواحِي الحياةِ، الدِّينيَّةِ والخُلُقيَّةِ والاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ إلاَّ به.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي... إلخ.

أثر المعاصي

الحمدُ للهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ الحَلِيمِ التَّواب، غَافِرِ الذَّنْبِ وقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقابِ. أحمدُه ـ سبحانه ـ يَقبلُ التَّوْبَةَ مِن كُلِّ عبدٍ أوَّابٍ.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له ربُّ الأرباب. وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونَبِيَّنَا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ أفْضَلُ رسولٍ، أَنْزَلَ اللهُ عليه خيرَ كتابٍ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِهِ وأصحابِه وسلِّمْ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: المُجَاهَرَةُ بالمَعْصِيَةِ والاستهتارُ بِعُقُوبَةِ الزَّلَّةِ، إثْمٌ عظيمٌ وحَوْبٌ كبيرٌ يترفَّعُ عنها المُؤمِنُ، ويقدم عليها كُلُّ مَن ضَلَّ عَن سَواءِ السَّبيلِ. ولقدْ ذَمَّ اللهُ الأُمَمَ فِي العُصُورِ الخَوالِي مِمَّنْ جاهَرَ اللهُ بالعِصْيَانِ وأَمِنَ مَكْرَ اللهِ المَلِكِ الدَّيَّانِ فأَخَذَهُمُ بالعَذَابِ علىٰ غِرَّةٍ، وهُمْ في غَيِّهِم يَعْمَهُونَ. ثُمَّ وَجَّهَ أَنْظَارَ عِبادِهِ إلىٰ مَصيرِهِمْ لِيَحْذَرُوا مجالب سخطِ اللهِ، ولِئَلاَّ يُصِيبَهُمْ ما أصابَ الأُمَمَ قَبْلَهُمْ. فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩]. قال بعضُ مُفَسِّرِي السَّلَفِ: بَغَتَ القَوْمَ أمرُ اللهِ، وَمَا أخذَ اللهُ قَوْماً قطُّ إلاَّ عند سلوتِهم ونِعْمَتِهم وغِرَّتِهِمْ، فَلاَ تَغْتَرُّوا باللهِ. وفي الحديثِ: إذا رأيتَ اللهَ يُعْطِي العبدَ مِنْ الدُّنيا علىٰ

مَعْصِيَتِهِ ما يُحِبُّ، فإنَّما هو استدراجٌ. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤]. والمعصيةُ يا عبادَ اللهِ قَبيحةٌ في وَضْعِها ومَظْهَرِها، قَبيحةٌ بالنِّسبَةِ لمُوْلِي النِّعَمِ، الكَرِيمِ؛ لأنَّها خُرُوجٌ علىٰ أمرِهِ، وجُحُودٌ لِفَضْلِهِ وسابِغِ نِعَمِهِ، وأَقْبَحُ منها المُجاهَرَةُ بها وإعلانُها والاستهتارُ بعُقُوبَتِها؛ فهو طُغْيانٌ ليسَ وراءَهُ مِن طُغْيانٍ. ولذٰلك عَظَّمَ اللهُ الجَزَاءَ لِعِظَمِ الذَّنْبِ، وتَوَعَّدَ المُجَاهِرَ بالعِصْيانِ مع الإصرارِ عليه، بالحِرْمانِ مِن المَغْفِرَةِ، وبضَرُورَةِ المُؤاخَذَةِ بجَرِيرَةِ المُجاهَرَةِ. كما جاء الحديثُ: «**كُلُّ أُمَّتي مُعَافىٰ إلَّا المُجَاهِرِين**» أي لا يَكُون المُجاهِرُون في عافِيَةٍ مِن عذابِ اللهِ ونِقْمَتِهِ، جَزَاءَ جُرْأَتِهِمْ عليه، ومُجاهَرَتِهِمْ بمَعْصِيَتِهِ، وشَقِّهِم الطَّرِيقَ لغَيْرِهِمْ في الانحِرَافِ إلىٰ مَسْلَكِ الرَّذِيلَةِ، فكانوا بذٰلك قُدوةً سيِّئَةً، عليهم وِزْرُ مَن أَضَلُّوه وانحرفُوا به، إلىٰ جانِبِ أوْزارِهِم.

كَمَا جاءَ في الحديثِ: «**مَن دَعَا إلىٰ ضَلالَةٍ، كانَ عليه مِن الآثامِ مثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لا ينقصُ ذٰلك مِن آثامِهِمْ شيئا**». ولقدْ صَوَّرَ رسولُ الهُدىٰ ﷺ لَوْناً مِن ألوانِ المُجَاهَرَةِ علىٰ سبيلِ المِثالِ فقالَ: «**ومِن المُجَاهَرَةِ أَنْ يعملَ الرَّجلُ عَملاً باللَّيْلِ، ثُمَّ يُصبِحُ وقدْ سترَ اللهُ عليه، فيقولُ: يا فلانُ عَمِلْتُ البارِحَةَ كذا وكذا. وقد باتَ يَسْتُرُهُ ربُّهُ، فأَصْبَحَ يَكْشِفُ سِتْرَ ربِّهِ عليه**». أفلا يكونُ ذاك ـ يا عبادَ اللهِ ـ طُغْياناً ما بعدَه مِن طُغْيانٍ، وتمهيداً لمَسْلَكِ الرَّذِيلَةِ والسُّقُوطِ في حبائِلِ الشَّيطانِ.

أَمَّا الأَقْيِسَةُ والأمثلةُ علىٰ المُجاهَرَةِ بالمَعْصِيةِ في هـٰذا الزَّمانِ، فإنَّها تَتَجاوَزُ حَدَّ الحَصْرِ، وتَطْغَىٰ علىٰ كلِّ حسابٍ. فأكلُ الرِّبا الذي تَوَعَّدَ اللهُ مُتَعَاطِيهِ بإعلانِ الحرْبِ عليه، يتعاملُ به الناسُ جِهاراً واسْتِهْتاراً، وبيعُ الذِّمَمِ بالرِّشْوَةِ، تَبَارَىٰ البعضُ مِن الناسِ فيه لإزالَةِ مَعَالِمِ الحَقِّ، ورفعِ رايَاتِ الباطِلِ، والتَّمهِيدُ للرَّذِيلَةِ في أَقبحِ صُورةٍ يَعمدُون إليه دُونَ الخَشْيَةِ مِن عذَابٍ ولا عِقابٍ، وأعظمُ مِن ذٰلك تَساهُلُ البعضِ مِنَ الناسِ بالصَّلَوَاتِ، يُغْلِقُون مَتَاجِرَهُمْ ويَقِفُون عند أَبْوابِها حتَّىٰ تُقضىٰ الصلاةُ، وتَحَلُّلُ النساءِ مِن الحِشْمَةِ، وإعلانُهُنَّ التَّبَرُّجَ والسُّفُورَ، إغْراءً بالفِتْنَةِ، وسَيْراً في رِكابِ الشيطانِ.

ومِن المُجاهَرَةِ بالمَعَاصِي مُوالاَةُ أعداءِ اللهِ، حتَّىٰ أصبحَ في هـٰذا الزَّمانِ ـ عند البعضِ من الناسِ ـ لا فَرْقَ بينَ المُسلمين والمُلْحِدِينَ أعداءِ المِلَّةِ والدِّينِ. وكذا مُجَاهَرَةُ بعضِ الناسِ بحَلْقِ اللِّحَىٰ وشُرْبِ الدُّخَانِ، وإِسْبَالِ الإِزارِ والتَّشَبُّهِ بالنساءِ وإظهارِ آلاتِ اللَّهْوِ والغِناءِ والمَزَامِيرِ. ومُجَاهَرَةُ الصَّالِحِ باسْتِئْنَاسِهِ بالفاسِقِ، وعَدَمُ هَجْرِهِ حتَّىٰ يَتُوبَ إلىٰ اللهِ ويُقْلِعَ عَمَّا هو فيه، وغيرُ ذٰلك مِمَّا لا تَسْتَوْعِبُهُ الأمثلةُ مِمَّا هو مُجَاهَرَةٌ للهِ بالعِصْيانِ، واستهْتَارٌ بعُقُوبَةِ المَلِكِ الدَّيَّانِ، وكانَ مِن آثارِهِ السَّيِّئَةِ فِي المُجتَمَعِ تَفَصُّمُ عُرَىٰ الدِّينِ عُرْوَةً عُرْوَةً، وكَثْرَةُ المَعَاصي كثرَةً بعدَ كثْرَةٍ؛ لأَنَّ مِن ثَوَابِ الحَسَنَةِ الحَسَنَةُ بعدَها، ومن عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ السَّيِّئَةُ بعدَها، واشْتَدَّتْ غُرْبَةُ الدِّينِ؛ لأنَّ المَعَاصِي ـ مع كَثْرَتِها ـ لا يُنْدَمُ عليها

ولا يُقْلَعُ عنها فَطُوبَىٰ للغُرَباءِ الذين يُصْلِحُون إذَا فَسَدَ الناسُ. وفي رِوايةٍ: يُصلِحُون ما أَفْسَدَ الناسُ. فما نَزَلَ بَلاَءٌ إلاَّ بِذَنْبٍ، ولا سُلِبَتْ نِعْمَةٌ إلاَّ بِمُقَارَفَةِ مَعْصِيَةٍ كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] وفي الحديثِ: «**ما ظَهَرَتْ الفَاحِشَةُ في قوم حتَّىٰ أَعْلَنُوها إلَّا ابْتُلُوا بالطَّوَاعِينِ والأوجاعِ التي لَمْ تَكُنْ في أسلافِهِم الذين مَضَوْا**» ومِصداقُ ذٰلك ما نرىٰ مِن أمراضٍ مُستعصِيَةٍ لَمْ يَكُنْ لَها في المَاضِين ذِكْرٌ. قِيلَ لأُمِّ المُؤمنين عائِشَةَ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ حَدِّثِينا عَنِ الزَّلْزَلَةِ. فقالتْ: إذا استباحُوا الزِّنا وشَرِبُوا الخُمُورَ وضَرَبُوا بالمَعَازِفِ، غَارَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ في سَمَائِهِ، فَقَالَ للأَرْضِ: تَزَلْزَلِي بِهِمْ، فَإِنْ تَابُوا، وإلاَّ هَدَمَهَا عليهم.

فاعلموا ـ رحمكم اللهُ ـ أَنَّ ما يُصِيبُ البُلْدانَ المُجَاوِرَةَ لنا مِن الزَّلازِلِ والتَّشْرِيدِ مِن البِلاد، والعَواصِفِ المُهْلِكَةِ، كُلُّ ذٰلك بِسَبَبِ الذُّنُوبِ والمَعَاصِي وعَدَمِ تَقْيِيدِ النِّعَمِ وشُكْرِها وصَرْفِها في طَاعةِ مُسْدِيها ومُولِيها. وهو اللهُ سُبحانه.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ واعمَلُوا جَاهِدِينَ بطَاعَةِ اللهِ، وحَذَارِ مِن المُجَاهَرَةِ بالمَعْصِيَةِ والاسْتِهْتَارِ بعُقُوبَةِ الزَّلَّةِ، فإنَّ في ذٰلك الهَلَكَةَ، وإنَّ زَلَّتْ بِكُمْ القَدَمُ فبَادِرُوا بالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ قبل فَوَاتِ الأَوَانِ، فَكُلُّ بَنِي آدمَ خَطَّاءٌ وخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ، وأَصْلِحُوا فَسَادَ قُلُوبِكم واسْلُكُوا نَهجَ السَّدَادِ في أعمالِكم ومُعامَلاتِكم يُصْلِح اللهُ أَحْوَالَكُم ويُبدلكم مِن الشِّدَّة رخاءً

ومِن البَلاَءِ نَعْمَاءَ. أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾ [المائدة: ٣٩].

عباد الله: إنَّ الله وملائكته يُصَلُّونَ على النبي... إلخ.

في المخدرات

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، يُحيِي القُلُوبَ الغافِلَةَ بالوَعظِ والتَّذكيرِ. أحمدُه ـ سبحانه ـ وهو اللَّطيفُ الخَبيرُ.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له ولا مُعِينَ ولا ظهيرَ. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ خَيرُ مَن قامَ بالتَّذكيرِ والإرشادِ والتَّبصيرِ. اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِكَ ورسولِكَ مُحمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِهِ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: أرأيتُمُ الأرضَ المَيِّتَةَ كيف تَحيا بالغَيثِ بعد طُولِ القَحْطِ والجُدُوبِ؟ إنَّها مَثَلٌ للقُلُوبِ الغافِلَةِ تَحْيا بالوعظِ والتذكيرِ، بعد طُولِ الغَفْلَةِ، وإنَّ خيرَ الوَعظِ ما كان بكتابِ اللهِ؛ فهو واللهِ حياةُ القُلُوبِ وشِفاءُ العَليلِ فيه الهُدىٰ والذِّكرىٰ لِمَن كانَ له قلبٌ أو ألقىٰ السَّمعَ وهو شَهيدٌ. يقولُ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠] الآية.

عباد الله: أرأيتُمُ اللُّؤْلُؤَةَ الثَّمِينةَ. كيف يَحُوطُها العُقلاءُ بالرِّعايَةِ قِياماً بحقِّها واعتِرافاً بفَضْلِها وقِيمَتِها. إنَّها يا عبادَ اللهِ مَثَلٌ للعَقْلِ، فهو أثْمنُ لُؤْلُؤةٍ وَهَبَهَا اللهُ لِعبادِهِ، وقد شرَّفَ العُقلاءُ بالأمرِ والنَّهيِ والتَّوجيهِ لاستعمالِ عُقُولِهم فيما خُلِقَتْ له مِن طَلَبِ الحقائِقِ بالتَّفكيرِ والنَّظَرِ

والاستدلالِ كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ **وقوله تعالى**: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾، **وقوله تعالى**: ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، **وقوله تعالى**: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ هٰذه الدُّرَرُ الثَّمينةُ وهٰذه الأداةُ الصَّالحةُ، أَداةُ التَّفكيرِ والتَّبصيرِ والتَّدبيرِ، يُوجدُ في النَّاسِ مَن لا يَعتنِي بأمْرِها، ولا يَعترِفُ بقيمَتِها، بلْ يسعىٰ في إفسادِها بدافعٍ مِن الشَّيطانِ، وحافزٍ مِن الهوىٰ المُجانِبِ لِهدايَةِ الرَّحمٰن فَيضلُّ بذٰلك عَن سواءِ السَّبيلِ ويخرج عن العُقلاءِ الذين انتفعُوا بعُقُولِهم واهْتَدَوْا بها إلىٰ ما فيه صلاحُهم وسعادتُهم. أَجَلْ، يُوجدُ في النَّاسِ مَن يَعملُ علىٰ ضَياعِ هٰذه الجَوْهرةَ لِمُجرَّدِ مُتْعَةٍ رَخيصَةٍ مُحرَّمَةٍ تُفقِدُ المرءَ تَوازُنَهُ وتُسقطُ كرامَتَهُ وعدالَتَهُ، إلىٰ جانِبِ ما يَخسرُهُ مِن دِينِهِ وإيمانِهِ، وما يَجرُّهُ علىٰ نفسِهِ مِن نِقمَةِ اللهِ وأَليمِ عذابِهِ، تلك المُتعَةُ يا عبادَ اللهِ هي شُرْبُ الخَمرِ بكلِّ ألوانِهِ ولو سُمِّيَ بِغَيرِ اسمِهِ، أو تَشكَّلَ في غيرِ أشكالِهِ؛ فالعِبْرَةُ بالفِعلِ والتَّأثيرِ لا بالمُسَمَّياتِ. والخمرُ: ما خامَرَ العقلَ كما قالَ أميرُ المُؤمنين عُمرُ بنُ الخطابِ ـ رضي اللهُ عنه ـ أي ما خالطَ العقلَ وأفسدَهُ وأثَّرَ فيه، وأفقدَ المُتعاطِي له اتِّزانَهُ وسيطَرتَهُ علىٰ نفسِهِ، وكما حرَّم ـ تعالىٰ ـ الخَمْرَةَ علىٰ المسلمين، بالكِتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ، حرَّمَ ما يَلحَقُ بها، بلْ هو أَضَرُّ، من الحُبُوبِ المُخدِّرَةِ والمَحظُورَةِ، تَلْكُمُ المَوادُّ السَّامَّةُ والملعُونَةُ علىٰ كلِّ لِسانٍ: الأفْيونُ

والحَشيشُ.. الجنز.. حُبُوب الكنغو.. حبوب البازوكا، وكلُّ ما يَلحَقُ بها مِن هـٰذه الخبائِثِ المُحرَّمَةِ، فقد ثَبَتَ مِن التَّجارُبِ والقَضَايا، مِن وقائِعِ الأحداثِ المُتكرِّرَةِ أنَّ استعمالَ هـٰذه المُخدِّراتِ السُّمِّيَّةِ يُضْعِفُ شَخصيَّةَ الرُّجلَ وتَفكِيرَهُ وذاكِرَتَهُ حتَّىٰ يُصبحَ ضعيفَ القُوَىٰ، فاتِرَ العَزِيمةِ، فاسِدَ المِزاجِ، سيِّءَ التَّصرُّفِ، مُنْحطًّا في أخلاقِهِ؛ فتعاطِيهِ هـٰذه المُخدِّراتِ طَمَسَ بصرَهَ، وأعمىٰ بَصيرَتَهُ، فهو ملومٌ يَتَحاذَرُهُ الناسُ، وإن كان أصحابُ هـٰذه الرَّذائِلِ يُخْفُونَها، ولـٰكنها تَظهرُ علىٰ أجسامِهِم وألوانِهِم، فتفضحُ أسرارَهُمْ، ولَمَّا كانت سرائِرُهُمْ سيِّئَةً أظهرَ اللهُ علانيّتها للنَّاسِ حيثُ يرىٰ أحدُهم في حالَةٍ يُرْثَىٰ لها، مِن المَهَانَةِ والهَوَانِ علىٰ النَّاسِ، وما هو عليه مِن الارتباكِ والتَّعقُّداتِ في نفسِه والتَّردُّدِ في أمورِهِ وأحوالِهِ، فلا يَهتدي إلىٰ مقاصِدَ حَسَنَةٍ، ولا يَسمعُ لِناصِحٍ. ولا يَستقرُّ رأيُهُ علىٰ مَبدأٍ صحيحٍ، حتَّىٰ في حياتِهِ اليومِيَّةِ مُتقلِّبٌ. فتارةً يَخلُدُ إلىٰ الأرضِ السَّاعاتِ الطَّويلَةِ، وأُخرىٰ يُعجرفُ بالحركاتِ الجُنُونيَّةِ، وكأنَّما رجعَ إلىٰ سِنِّ الطُّفُولةِ، يَتناقَضُ في أقوالِهِ وأفعالِهِ؛ لأنَّ استعمالَهُ المُخدِّراتِ غيَّرَ طَبيعَتَهُ الفِطريَّةَ. فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحذَرُوا مِن هـٰذه القَاذُورَاتِ. وانتبِهُوا ولاحِظُوا أولادكُم، مِن بَنينَ وبَناتٍ، ومَن يُجالِسُون، فمَن استعملها ولم يَتُبْ إلىٰ اللهِ، فهو ـ واللهِ ـ الخاسرُ في دُنياه وآخرَتِهِ، وفي أحوالِ مُستعمِلِيها عِبرةٌ لِمَن اعتبرَ؛ فوجوهُهُم كالِحَةٌ كاسِفَةٌ، وأجسامُهُم مُنْتِنَةٌ، هـٰذا في الدنيا، مع

مَا توعَّدَهُمُ اللهُ بهِ في الآخِرَةِ. وكَمَا يُشاهَدُ ويُسمَعُ - بين الحِينِ والآخَرِ - أرواحٌ تُقصفُ، ونُفُوسٌ تُزهقُ، ونساءٌ تُأَيَّمُ، وأطفالٌ يُيَتَّمُون، وأُسرٌ يُمزَّقُ شَملُها، وأموالٌ تَتلفُ. كلُّ ذٰلك بحوادثِ السَّيَّاراتِ النَّاتِجَةِ عَن تَنَاوُلِ بعضِ السَّائقينَ لهٰذه المُخدِّراتِ أثناءَ قيادتِه، فيندفع ينهبُ الأرضَ، وقد يَهوِي برُكَّابهِ في هاوِيةٍ سحيقةٍ، ثم يفيق بعد الكارِثَةِ يَنْظُرُ إليهم ما بين حَسِيرٍ وكَسِيرٍ أو جُثَّةٍ هامِدَةٍ. هناك يتمنَّىٰ أنَّه لم يُخْلَقْ، فيهربُ لوجهٍ أو يُغشىٰ عليه أو يُصابُ بالشَّلَلِ أو التَّشويهِ، ومع ذٰلك يَحتجُّ بالقَدَرِ، ولا حُجَّةَ لِمن يَتسبَّبُ ويَقذِفُ بركَّابهِ أو مَن يُقابلُهُ، في بحرِ الموتِ بيدَيْهِ، بل هو مَسؤولٌ ومَلُومٌ، وعليه تَبعاتُ جِنَايَتِهِ في الدنيا والآخِرَةِ، ومِثْلُهُ يُوقَفُ عند حَدِّهِ، ويُمنعُ مِن القِيادَةِ، ويُجازَىٰ بما يَستحقُّ، ويُعتبرُ عُضواً أَشَلَّ في الأمَّة. أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ، نَحمدُه، ونَسْتعِينُه، ونَسْتَغْفِرُه، ونتوبُ إليه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فيأيها المسلمون: إنَّ أعداءَكُمْ حَسدُوكُم علىٰ رسولٍ يُحِلُّ لكم الطَّيِّباتِ ويُحَرِّمُ عليكم الخبائِثَ، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٧] فَمِن الخبائِثِ التي حَرَّمَها وحذَّرَ منها غايةَ التَّحْذيرِ الخمرِ بأنواعِها. فَساءَ أعداءَ الإسلامِ ذٰلك وغيَّروا اسْمُهُ بأسماءٍ مُستعارةٍ لِيُفْسِدُوا بها العُقُولَ والأديَانَ والدِّيارَ والأوْطانَ، ولو لم يَكُنْ في الخمرِ إلاَّ أنَّه رِجْسٍ مِن عَمِلِ الشَّيطانِ كَمَا أخْبرَ اللهُ بذٰلك في كِتابِهِ لَكَفَىٰ. ولكان للعُقَلاءِ عنه زَاجرٌ، وفيه مُنَفِّرٌ، وكيف وقد سمَّاها رسولُ الهُدىٰ: أمّ الخبائِثِ؛ لِما تُحدِثُهُ مِن الآثارِ السَّيِّئَةِ في الفَردِ والمُجتمعِ، وصَحَّ عنه ﷺ ممَّا يُنفِّرُ عنها، ويَحمِلُ علىٰ التَّرفُّع عن شُرْبِها، قولُه: «**ولا يشربُ الخمرَ حين يَشربُها وهو مُؤمِنٌ**» أي أنَّ الخمرَ والإيمانَ لا يَجتَمِعان. وما ذٰلك إلاَّ لعظيم خُبْثِ الخَمْرِ، والإيمانُ شَجَرَةٌ طَيِّبةٌ ولا يَجتمعُ خَبيثٌ وطَيِّبٌ في موضعٍ واحدٍ، وقد أوجبَ الإسلامُ علىٰ شارِبِها الحَدَّ فَتُمْتَهَنُ كَرامَتُهُ، وتَسْقُطُ في مُجتمَعِهِ عدالَتُهُ، وَتَوعَّدَ مَن تَمادَىٰ في تَعاطِي الخمرِ حتَّىٰ ماتَ ولم يَتُبْ، توعدَّهُ بأقبَحِ ألوانِ العَذابِ. يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ:

«مَن ماتَ وهو يَشربُ الخَمرَ كان حَقًّا علىٰ اللهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِن طِينَةِ الخَبَالِ» وهي عُصَارَةُ أهلِ النَّارِ وقَذَارَتُهِم وقَيْحُهُم وصَدِيدُهُم، وكُلُّ ذٰلك يا عبادَ اللهِ ممَّا يَردعُ أصحابَ العُقُولِ السَّلِيمَةِ والبصائِرِ النَّيِّرَةِ عَن تَعرِيضِ نُفُوسِهم لِسَخَطِ اللهِ وأَلِيمِ عِقابِهِ في آخِرَتِهم. فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، واستجيبُوا لِداعِي الهُدىٰ، وارْبَأُوا بأنفُسِكُم عَن التَّدَنِّي إلىٰ الاستِمتاع بالخَبيثِ وما يُوجِبُ سَخَطَ الرَّبِّ ـ جلَّ وعلاَ ـ ولَكُمْ فِيمَا أَحَلَّهُ اللهُ مِن الطَّيِّباتِ غُنْيَةٌ عَن كُلِّ ما حرَّمَ وتُوَعَّدَ عليه كُلَّ مَنْ تَجاوَزَ حُدُودَهُ واعْتَدَىٰ.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي... إلخ.

في تحريم فاحشة اللواط وأسبابه

الحمدُ للهِ الوليِّ الحميدِ المُبْدِىءِ المُعِيدِ الفعَّالِ لِمَا يُريدُ، أَحاطَ بِكُلِّ شيءٍ علماً، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ شهيدٌ. فَسُبحانَه مِنْ إلٰهٍ عظيمٍ، لا يُمَاثَلُ ولا يُضَاهَىٰ، ولا مفرَّ مِنْهُ ولا مَحِيدَ. خَضَعَتِ الأكوانُ لِعظمتِهِ، وذَلَّتِ الصِّعابُ لِسَطْوتِهِ، وذَابتِ الجَماداتُ من هَيْبَتِهِ وهي تَمِيدُ. أَحمدُه ـ سبحانه ـ حرَّم الفواحِشَ، ما ظَهَرَ منها ومابَطَنَ؛ مِنْ رحمتِهِ بالعبيدِ.

وأَشهدُ أن لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، ولا ضِدَّ ولا نَدِيدَ، شهادةً أَدَّخِرُها لِهَوْلِ يوم يَشِيبُ من هَوْلِه الوليدِ. وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ﷺ، وعلىٰ آلهِ وصحبِه.

أَمَّا بعدُ :

أيها المسلمون: إنَّ المُجتمعَ الإسلاميَّ الطَّاهِرَ العَفِيفَ هُو الذي تَرْتفعُ فيه أعلامُ الفَضِيلةِ، وتتضافَرُ جُهُودُ أفرادِه على قَمْعِ الرَّذِيلَةِ في كُلِّ طُرُقِها، وإنَّ في ذرْوةِ ما يَجِبُ قَمْعُهُ ومَنْعُهُ مِنَ الفسادِ، وتتضافرُ جُهُودُ المسلمين علىٰ الحَدِّ من طُغْيانِهِ: جريمةُ اللُواطِ. واللُواطُ هو وطءُ الذَّكرِ الذَّكَرَ. نَعوذُ باللهُ مِنْ ذٰلك ونَسألُه السَّلامةَ والعافِيةَ.

عباد الله : إنَّه الفاحِشةُ الكُبرىٰ، والجرِيمةُ النَّكْراءُ، إنَّه مَفْسَدَةٌ للدِّين والدُّنيا، هادِمٌ للأخلاقِ، ومَاحِقٌ للرُّجُولَةِ. إنَّه إفسادٌ للمُجتمعِ، وقتلٌ للمَعنويَّاتِ. قال عمرُو بنُ دينارٍ علىٰ قولِه ـ تعالىٰ ـ عن قومِ لُوطٍ: ﴿ مَا

سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف: ٨٠] قَالَ: «ما نَزَا ذَكَرٌ علىٰ ذَكَرٍ، حتَّىٰ كانَ قومُ لُوطٍ، فأخذَهُم اللهُ أخذَ عزيزٍ مُقْتَدِرٍ. كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢، ٨٣] فجعلهم الله آيةً للعالمين وموعِظةً للمتَّقين، ونكالاً وسلفاً لِمَنْ شاركَهم في أعمالِهم مِنَ المُجْرِمين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحجر: ٨٥، ٧٧]. وقالَ الوليدُ بنُ عبدِالملك: «لولا أنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ قَصَّ علينا خبرَ قوم لُوطٍ، ما ظننتُ أنَّ ذَكَراً يَعلُو ذَكَراً». وجاءَ في الأَثَرِ: «لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّىٰ يَتَغَايَرُوا علىٰ الغُلامِ كَمَا يَتغايَرُون علىٰ المَرْأَةِ» [رواه الديلمي عن أبي هُرَيْرَةَ ؛ رضي الله عنه ـ مرفوعاً] وروي عن ابنِ عبَّاسٍ مرفوعاً مِنْ أشراطِ السَّاعةِ: «أنْ يُغَارَ علىٰ الغِلمانِ كما يُغارُ علىٰ الجَارِيةِ البِكْرِ». وقالَ ابنُ حجر الهيتميُّ: «قِيلَ: في هٰذه الأُمَّةِ قَوْمٌ يُقالُ لهم اللُّوطِيَّةِ، وهم ثلاثةُ أصنافٍ، صِنفٌ يَنْظُرُون، وصِنفٌ يُصافِحون، وصِنفٌ يعملون ذٰلك العملُ الخبيثُ». نَسأَلُ اللهَ السَّلامَةَ والعافِيةَ بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ.

عباد الله: إنَّ اللُّواطَ مُذْهِبٌ للخيرِ والبركاتِ، وجالِبٌ للشرورِ، إنَّه مِعَولُ خرابٍ ودمارٍ، وسببٌ للذُّلِّ والخِزْيِ والعارِ. العُقُولُ تُنكِرهُ، والفِطَرُ السَّلِيمةُ تَرْفُضُهُ، والشَّرائِعُ السَّماوِيَّةُ تزجرُ عنه وتَمْقُتُه. ذٰلكم بِأَنَّه ضررٌ عظيمٌ، وظُلمٌ فاحِشٌ.

معشر المسلمين: ما فَشَتْ هٰذه الفاحشةُ في مُجتمعٍ ولمْ يُعاقَبْ بِدمارِ الدِّيارِ والعُقُوباتِ العاجِلةِ، إلاَّ حلَّ به ما هو أعظمِ منْ ذٰلك، وهو انتكاسُ القُلُوبِ وانطماسُ البصائِرِ، وانقلابُ العُقُولِ.

أيها المسلمون: لَمَّا كانتْ هٰذه الجريمةُ ـ فاحشة اللواط ـ مِنْ أعظمِ الجرائمِ كانتْ عُقُوبَتُها في الشَّرعِ مِنْ أعظمِ العُقُوباتِ؛ فِعُقُوبةِ فاعِلِها القتلُ والإعدامُ؛ لِمَا رَوىٰ التِّرمذيُّ وابنُ مَاجَةَ بإسنادٍ حَسَنٍ عَنِ ابْنِ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فاقْتُلُوا الفاعِلَ والمفعولَ به»** وعن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: **«لعنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، لَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ»**.

ولَمْ يَختلفْ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ في قتلِ مَنْ فعلَ فاحِشةَ اللواطِ، سواءً كانَ فاعِلاً، أو مفعولاً به وهو رَاضٍ بِذٰلك. ولٰكنِ اختلفوا كيفَ يُقْتَلُ، فقالَ بعضُهم: «يُرجَمُ بالحِجارَةِ». وقالَ بعضُهم: «يُلقىٰ مِنْ أعلىٰ مكانٍ في البلدِ حتَّىٰ يَموتَ». وقالَ بعضُهم: «يُحَرَّقُ بالنَّارِ». ورُوِيَ عن إبراهيمَ النَّخعيِّ أنَّه قالَ: «لوْ كانَ أحدٌ يستقيم أنْ يُرَجَمَ مرَّتين لَرُجِمَ اللوطِيُّ». فالفاعِلُ، والمفعولُ به إذا كانَ راضياً، كِلاهُما عُقُوبَتُه الإعدامُ بكلِّ حالٍ، سواءً كانَ مُحْصَناً أو غيرَ مُحْصَنٍ؛ وذٰلك لِعِظَمِ جريمتِه وضررِ بقائِه في المجتمعِ، فإنَّ بقاءَه قتلٌ معنويٌّ لمجتمعِ المسلمينَ، وإعدامٌ للخُلُقِ والفَضِيلةِ. ولا رَيْبَ أنَّ إعدامَه خيرٌ مِنْ إعدامِ

الخُلُقِ والفَضِيلَةِ. وأمَّا وَطْءُ المرأةِ في دُبُرِها، فحرامٌ؛ لِمَا وَرَدَ في ذٰلك مِنَ النَّهيِ الأكيدِ والوعيدِ الشَّديدِ، كقوله ﷺ: «**من أتىٰ النِّساءَ في أَعْجَازِهِنَّ فقدْ كفَرَ**» [رواه الطبرانيُّ وابن ماجة والبيهقيُّ] وعن أبي هُريرة ـ رضي اللهُ عنه ـ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ملعونٌ مَنْ أتىٰ امرأةً في دُبُرِها**» [رواه أحمد وأبوداود] وذَكَرَ ابنُ حجرٍ الهيتميُّ عن ابنِ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قالَ: «إذا ماتَ اللوطيُّ مِنْ غيرِ تَوْبَةٍ مُسِخَ في قَبْرِهِ خِنْزيراً.

فاتَّقُوا اللهَ أيُّها المسلمون، وهُبُّوا من هٰذه الرَّقْدَةِ والمَنَام، واهْجُرُوا الفواحِشَ والآثامَ، وارْجِعُوا إلىٰ طاعةَ المَلِكِ العلَّامِ، واغْتَنِمُوا بَقِيَّةَ العُمرِ والأيَّامِ، وبادِرُوا بالاستِقالَةِ مِنَ المعاصي والإِجرام قبل تَصَرُّمِ الآجالِ ووُرُودِ الحِمَامِ. اللهم إنا نسألك العفو والعافية.

أقول قولي هذا.....

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ الذي خلقَ الإنسانَ وقد أَتىٰ عليه حينٌ مِنَ الدَّهْرِ لمْ يَكُنْ شيئاً مذكُوراً، فسَوَّاه وعَدَلَه، وعلىٰ كثيرٍ ممَّن خلقَ فضَّله، وجعلَه سميعاً بصيراً، ثمَّ هداهُ السَّبيلَ ونصبَ له الدَّليلَ: إمَّا شاكراً وإمَّا كَفُوراً. أمَّا الكافِرون فأَعَدَّ لهم سلاسِلَ وأغْلالاً وسعيراً، يُعَذَّبُون بأصنافِ العذابِ يُنَادُون ويلاً ويَدْعُون ثُبُوراً. وأمَّا الشَّاكِرون فنَعَّمَهم وأكرمهم ولقَّاهم نضرةً وسُروراً ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ٢٢] فسُبحانَ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شيءٍ، ولَمْ يَزَلْ عليماً قديراً.

وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه ـ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: فإنِّي أُوصِيكُم ونفسي بِتقوىٰ اللهِ، وأُحَذِّرُكُمْ يوماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً، يومَ تُبْلَىٰ كُلُّ نَفْسٍ، يومئذٍ يَندمُ الإنسانُ ولا يَنفعُه النَّدمُ، ويَطْلُبُ العَوْدَ إلىٰ الدُّنيا ـ وهَيْهَاتَ أنْ يَعودَ ـ، ويُخْرجُ له كتابٌ يَلْقَاهُ مَنْشُوراً.

عباد الله: احذرُوا من إطلاقِ النَّظرِ فيما لا يَحِلُّ النَّظرُ إليه. فقدْ صحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال: «**زِنا العَيْنِ النَّظرُ**» كما أنَّه يَجُرُّ إلى فِعْلِ الفاحشةِ ـ نسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافِيةَ ـ، ولأَجْلِ ذٰلك بالغَ الصَّالِحُونَ ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ في الإعراضِ عن المُرْدَانِ، وعَنِ النَّظرِ إليهم، وعن مُخالَطتِهم، وعن مجالَستِهم. قال الحسنُ بنُ ذكوان: «لا تُجالسوا أولادَ الأغنياءِ؛ فإنَّ لهم صُوَراً كَصُوَرِ العَذَارَىٰ، فَهُمْ أشدُّ فِتْنَةً مِنَ النِّساءِ». وقال بعضُ التَّابعين: «ما أنا بِأخوفَ علىٰ الشَّابِّ النَّاسِكِ مع سَبُعٍ ضارٍّ مِنَ الغُلامِ الأمْرَدِ يَقعدُ إليه». ولذلك حرَّم أهلُ العلْمِ الخَلْوَةَ مع الأمْرَدِ في بيتٍ أو حانُوتٍ أو حمَّام، قِياساً على المرأةِ؛ لأنَّه يَسْهُلُ في حقِّه مِنْ طريقِ الرِيبَةِ والشَرِّ ما لا يَسْهُلُ في حقِّ المرأةِ.

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «الصبيُّ الأمردُ المَلِيحُ بِمنزِلَةِ المرأةِ الأجنَبِيَّةِ في كثيرٍ من الأمورِ. لا يَجوزُ تقبيلُه على

وَجْهِ اللَّذَّةِ، بلْ لا يُقَبِّلُهُ إلاَّ مَنْ يُؤْمَنُ عليه، كالأبِ والإخوةِ، ولا يَجوزُ النَّظرُ إليه علىٰ هذا الوَجْهِ باتِّفاقِ النَّاسِ، بل يَحْرُمُ عند جُمهورِهم النَّظرُ إليه عند خَوْفِ ذٰلك، وإنَّما يُنْظَرُ إليه لِحاجةٍ، بِلا رِيبَةٍ، مِثْلَ مُعاملتِه. ورُوِيَ أنَّ رجلاً كانَ يَجلسُ إليه المُردانُ، فَنَهَىٰ عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ عن مُجالَسَتِه. ولقي عمرُ بنُ الخطابِ ـ رضي الله عنه ـ شابًّا، فقطعَ شَعْرَهُ لِمَيْلِ بعضِ النِّساءَ إليه، مع ما في ذٰلك من إخراجِه مِنْ وَطَنِهِ والتَّفريقِ بينه وبينَ أهلِه». إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «مَنْ أَقَرَّ صَبيًّا يَتَوَلَّاهُ، كابنِه وأخيه ومملُوكِه أو يتيمٍ عند من يُعاشِرُه علىٰ هٰذا الوَجْهِ، فهو دَيُّوثٌ مَلْعُونٌ، ولا يَدْخُلُ الجَنَّةَ دَيُّوثٌ».

عبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصَلُّون. . . إلخ.

في الربا والمزارعة

الحمدُ للهِ الذي أنزَلَ كِتابَهُ هُدًىٰ للناسِ وبيِّناتٍ مِن الهُدَىٰ والفُرْقانِ، وأَبَانَ للنَّاسِ الحلاَلَ والحرَامَ بِأَوْضَحِ بيَانٍ، وأَحَلَّ لنا الطَّيِّباتِ، وحَرَّمَ علينا الخَبَائِثَ والفُسُوقَ والعِصيانَ. أَحمدُهُ ـ سبحانه ـ وأشكرُهُ علىٰ ما أولاه.

وأشهدُ أنْ لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ الهادِي إلىٰ طَريقِ الرُّشْدِ والفَلاَحِ. اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ عبدِكَ ورسولِكَ مُحمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه وسلِّم تسليماً كَثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وأَطِيعُوهُ بامتِثالِ أوامِرِهِ واجتِنابِ نَوَاهِيهِ، أَلاَ وإنَّ مِنْ أعظَمِ ما نهىٰ اللهُ عنه ـ سبحانه ـ المُعامَلاَتِ الخارِجَةَ عَن تَشرِيعاتِ الإِسلامِ وتعاليمِهِ. . المُعامَلاَتِ الرِّبَوِيَّةَ التي تَمحقُ البرَكَاتِ وتَزيدُ في السَّيِّئاتِ. . المُعامَلاتِ التي تُثْقِلُ كاهِلَ الفَقِيرِ، وتُنَغِّصُ عليه عَيْشَهُ وتُفْسِدُ مالَ الغَنِيِّ، وتُبغِّضُهُ إلىٰ مُجتمَعِهِ، وتَمْحَقُ بَرَكَةَ رِزْقِهِ، فالمالُ الحلاَلُ الطَّيِّبُ إذا دَخَلَهُ الرِّبا يَكونُ خَبيثاً، وما يُنْفَقُ منه لا يَكُونُ مَخْلوفاً، وإنْ تصدَّقَ صاحِبُهُ منه لم يَكُنْ تَصَدُّقُهُ مَقْبُولاً؛ لأنَّ اللهَ لا يَقبلُ إلاَّ طَيِّباً، وإنْ أكَل منه صَارَ سَبَباً لِعَدَمِ قَبُولِ الدُّعاءِ، كما في قَوْلِهِ ﷺ في الحَديثِ الصَّحيحِ، لَمَّا ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلىٰ

السَّماءِ: ياربِّ ياربِّ، ومَطْعَمُهُ حرامٌ ومَشْرَبُهُ حَرامٌ ومَلْبَسُهُ حَرامٌ وغُذِّيَ بالحرامِ، فَأَنَّىٰ يُستجابُ له! أي كيفَ يُستجابُ دُعاءُ مَن هـٰذا حالُهُ. آكِلُ الرِّبا مَلعُونٌ علىٰ لِسانِ مُحمدٍ ﷺ. روىٰ أبوداودَ والطبرانِيُّ عَن ابنِ مسعودٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا ومُوْكِلَهُ وكاتِبَهُ وشاهِدَيْهِ**» آكِلُ الرِّبا مُحارِبٌ للهِ ولرسولِهِ يقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ـ٢٧٩]. وأَيُّ خَطَرٍ أَعْظَمُ، وبَلاَءٍ أَطَمُّ مِن مُحارَبَةِ اللهِ ورسولِهِ للعَبْدِ. آكِلُ الرِّبا لا يَقومُ يومَ القيامةِ مِن قبرِهِ إلاَّ كَمَا يَقومُ الذي يَتَخَبَّطُهُ الشيطانُ مِن المَسِّ. أي كَمِثْلِ المَصرُوعِ الذي صَرَعَهُ شيطانُ الجِنِّ.

عباد الله: إنَّ تَعَاطِي الرِّبا دليلٌ علىٰ ضَعفِ الإيمانِ والوَرَعِ. . دليلٌ علىٰ الشُّحِّ والهَلَعِ. . دليلٌ علىٰ الأَنانيَةِ والطَّمَعِ. . دليلٌ علىٰ قِلَّةِ الرَّحْمَةِ بإخوانِهِ المُضْطَرِّينَ إليه. لقدْ أخبرَ ﷺ عن فُشُوِّ ذٰلك ووُقُوعِهِ، علىٰ وَجْهِ التَّحْذِيرِ والإنكارِ. فروَىٰ البخارِيُّ عنه ﷺ أنَّه قال: «**لَيَأْتِيَنَّ علىٰ النَّاس زمانٌ لا يُبالِي المَرْءَ بِمَ أَخَذَ المَالَ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَام**» إنَّ كثيراً مِن النَّاسِ قد ابْتُلُوا بالرِّبا. فقد يَدْفَعُ بعضَهُم نُقُوداً مَعلُومَةً علىٰ أنْ يُعطِيَهُ المَدفُوعُ له مَبلغاً مَعْرُوفاً مَضمُوناً مُقابِلَ انتِفاعِهِ بتلك النُّقُودِ يَدْفَعُها له في كُلِّ شَهْرٍ أو سَنَةٍ، أو يَدْفَعُ له نُقُوداً مَعلُومةً، وبعد مُضِيِّ مُدَّةٍ مَعلُومةٍ يأخذُ ذٰلك المبلغَ وزِيادةَ خمسة أو عشرة في المِائَةِ، أو أقلَّ أو أكثرَ،

وهـٰذا كلُّه رِبًا. ومِن المُعامَلاتِ الرِّبويَّةِ أنْ يَبيعَ سِلعةً بثمنٍ مُؤجَّلٍ ثم يَشتَرِيها منه البائعُ قبل قَبْضِ ثَمَنِها بثَمَنٍ يُدفعُ مُعَجَّلاً بأقلَّ ممَّا باعَها به. وهـٰذه مسألةُ العِينَةِ التي نهىٰ عنها رسولُ اللهِ ﷺ، كما روىٰ أبوداودَ عن ابنِ عُمرَ ـ رضي اللهُ عنهما ـ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إذا تبايَعْتُمْ بالعِينَةِ، وأَخَذْتُم أذْنابَ البقَرِ، ورَضِيتُم بالزَّرْعِ، وتركْتُمُ الجِهادَ، سلَّطَ اللهُ عليكم ذُلًّا لا يَنْزِعُهُ حتَّىٰ تَرْجِعُوا إلىٰ دِينِكُمْ**» فعلىٰ المُسلمِ النَّاصِحِ لنفسِهِ أنْ يَتَّقِي اللهَ ويَجتنبَ الرِّبا ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ـ٣].

أَمَا يَخشىٰ المُتعامِلَ بالرِّبا مِن عُقُوبَةِ اللهِ؟، أما يَخافُ أنْ يَضربَهُ اللهُ بالفَقْرِ والإفلاسِ؟، أَمَا يخافُ أنْ يُذهبَ اللهُ بَركَةَ مالِهِ؟ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ قال بعضُ أهلِ العلمِ، في قولِهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ أي يُذْهِبُهُ، إمَّا أنْ يُذهبَهُ بالكُلِّيَّةِ مِن يَدِ صاحِبِهِ أو يِحْرِمَهُ الانتِفاعَ بمالِهِ، فلا ينتفعُ به، بلْ يُعذِّبُهُ به في الدنيا، ويُعاقِبُهُ عليه في الآخِرَةِ. قال ابنُ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ في قولِهِ ـ سبحانه ـ: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ قال: اسْتَيْقِنُوا بحربٍ مِن اللهِ ورسُولِهِ.

فاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، واشكُرُوه علىٰ نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ منها، ولا تَكْفُرُوا نِعْمَتَهُ يَسْلُبْكُمْ إيَّاها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧] ولقد ناداكم اللهُ باسْمِ الإيمانِ؛ تَذْكِيراً لكم بأنَّه ينبغي للمُؤمِنِ أنْ يَمنَعَهُ إيمانُهُ مِن ارتكابِ المَحْظُورِ طَلَباً

للثَّوابِ، ورَغْبَةً في الأُجُورِ. فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠ـ١٣٢].

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ، نَحمدُه، ونَسْتعِينُه، ونَسْتَغْفِرُه، ونتوبُ إليه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

أيها الناس: صحَّ عَنِ ابنِ عُمَرَ ـ رضي اللهُ عنهما ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ عامَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ بِشَطْرِ ما يَخرُجُ منها مِن زَرْعٍ أو ثَمَرٍ، فالمُزَارَعَةُ جائزَةٌ عند جُمهورِ الصَّحابَةِ والتَّابعين. وهي أنْ يَدفعَ رَجُلٌ لآخَرَ أَرْضاً يَزرعُها، علىٰ جُزْءٍ مُعَيَّنٍ مُشاعٍ فيها، أي أنْ يكونَ الجُزءُ المُتَّفَقُ عليه معلومَ القَدْرِ، كالنِّصفِ أوِ الثُّلُثِ أو الرُّبعِ مثلاً، وأنْ يكونَ مُشاعاً في جميعِ ما يَخرجُ مِن الأرضِ، فلو قِيلَ: لكَ ما يَنبتُ في الجِهَةِ الشَّماليَّةِ ـ مثلاً ـ أو الجنوبيَّةِ أو شيءٌ أو مقدارٌ معلومٌ لم تَصِحَّ. والمُسْتَحَبُّ لِمَنْ له أرضٌ زائدةٌ عَن حاجَتِهِ أنْ يَمنَحَها أخاهُ المُسلمَ بِلا أجْرٍ. لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَن

كانَتْ له أرضٌ فَلْيَزْرَعْها أو ليمنَحْها أخَاهُ» رواهُ مُسلمٌ وغيرُهُ ورواهُ البخاريُّ تَعلِيقاً في بابِ ما كانَ أصحابُ النَّبيِّ يُواسِي بعضُهُم بَعضاً في الزِّرَاعةِ والثَّمَرِ. وقَوْلُهُ ﷺ: **«أنْ يَمنحَ أحدُكُم أخاهُ، خيرٌ له مِن أنْ يَأخُذَ عليه خَرَاجاً مَعلُوماً»** رواهُ البخاريُّ. ثُم اعلَمُوا أنَّه لا يَجُوزُ بَيعُ زَرْعٍ قبل اشتِدادِ حَبِّهِ، سواءً كان شَرِيكاً أم غيرَه، وكذٰلك إنْ كانَ استِيفاءَ دَينٍ أو صُلحاً، فلا يجوزُ إلاَّ بعد بدو صلاحِهِ أو شَرْطِ القَطْعِ؛ لِما روىٰ مسلمٌ عن ابنِ عُمرَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نهىٰ عَن بيعِ النَّخلِ حتَّىٰ يَزهو وعَن بَيعَ السُّنبلِ حتَّىٰ يبيضَّ ويَأمَنَ العَاهَةَ. . نهىٰ البَائعَ والمُشتَرِي، إلاَّ إذا باعَ الثَّمرةَ قبل بَدْوِ صَلاَحِها، أو الزَّرعَ قبل اشتدادِ حَبِّهِ بشَرْطٍ، وهو أنْ يقطَعَها في الحالِ، أو يحصدَ الزَّرعَ في الحالِ ليعَلِفَ به دَوَابَّهُ أو غير ذٰلك؛ فهٰذا جائِزٌ. ولٰكنَّ الذي أُريدُ أنْ أُنبِّهَ عليه هو أن يشترِكَ اثنان - مثلاً - في حَرْثِ أرضٍ، ثم يَبْذُرَانِها، وبعد بَذْرِها يقعُ بينهما اختلافٌ، فيلجئان إلىٰ أنْ يبيعَ أحدُهُما علىٰ الآخَرِ، وذٰلك قبل أنْ يَبدُوَ صلاحَ الزِّرعِ، ويُسمُّونَهُ صُلْحاً. والصُّلحُ كَالبيعِ فيما يَحِلُّ ويَحْرُمُ لِما روىٰ التِّرمِذيُّ وصحَّحَهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«الصُّلحْ جائزٌ بين المُسلِمِين، إلَّا صُلحاً أَحَلَّ حَراماً أو حرَّمَ حَلاَلاً»** فهٰذا الصُّلحُ بهٰذه الصِّفَةِ لا يَجوزُ إلاَّ بشرطٍ، وهو أنْ يَحْصدَ الزَّرعَ في الحالِ.

عباد الله: لَمَّا كانت التَّقوىٰ جِماعَ كُلِّ بِرٍّ ومصدرَ كُلِّ خيرٍ وأصلَ كُلِّ صلاحٍ للأفرادِ والجماعَاتِ، كانت خيرَ ما يَتزوَّدُ به الإنسانُ، يقولُ اللهُ

ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].
وروىَ الترمِذيُّ وحسَّنَهُ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لا يبلُغُ العبدُ أنْ يكونَ مِن المُتَّقِينَ حتَّىٰ يَدَعَ ما لا بأسَ به حَذَراً مِمَّا به بأسٌ»** وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي... إلخ.

في التحذير من الزنا وأسبابه

الحمدُ للهِ الذي حَرَّم الفواحشَ، ما ظهرَ منها وما بَطَنَ، وحذَّر مِن قُربانِها، والأسبابِ المُوصِلةِ إليها؛ رحمةً بعبادِهِ، وصِيانةً لهم عمَّا يضرُّهم في دِينِهم ودنياهم. أحمدُه علىٰ إحسانِه، وأشكرُهُ علىٰ لطفِهِ وامتِنانِهِ.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له في رُبُوبيَّتِه وإلـٰهيَّتِهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ، لا خيرَ إلاَّ دلَّ الأُمَّةَ عليه، ولا شَرَّ إلاَّ حذَّرها منه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ واعلمُوا أنَّ مِن أعظمِ الفواحِشِ التي حرَّمها اللهُ في كتابِهِ وعلىٰ لِسانِ رَسُولِهِ ﷺ، فاحشةُ الزِّنا. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ فمَفْسدةُ الزِّنا مِن أعظمِ المَفاسدِ، وهي مُنافيةٌ لمصلحةِ نِظامِ العالَمِ في حِفظِ الأنسابِ وحِمايةِ الفُرُوجِ وصِيانةِ الحُرُماتِ. وتَوقِّي ما يُوقِعُ أعظمَ العَداوَةِ والبَغْضاءِ بين الناسِ، مِن إفسادِ كلٍّ منهم امرأةَ صاحِبِهِ وبنتَهُ وأُختَهُ وأُمَّهُ. وفي ذٰلك خَرابُ العالَمِ، وكانت مَفسَدةُ الزِّنا تَلي مفسدةَ القتلِ في الكِبَرِ. ولهـٰذا قُرنتْ جريمةُ الزِّنا بجريمةِ القتلِ في الكتابِ

والسُّنَّةِ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾ فقرنَ الزِّنا بالشِّركِ وقتلِ النَّفسِ، وجعلَ جزاءَ ذٰلك، العذابَ المُضاعفَ المُهينَ، ما لم يَتُبْ العبدُ من ذٰلك ويعملُ صالحاً. وقال ـ سُبحانه ـ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾ فأخبرَ عَن فُحْشِهِ في نفسِهِ، والفاحِشُ هو القبيحُ الذي قد تناهَىٰ قُبْحُهُ حتَّىٰ استقرَّ في العُقولِ، ثم أخبرَ عن عاقبَتِهِ في المُجتمَعِ البَشرِيِّ بأنَّه ساءَ سبيلاً، فإنَّه سبيلُ هَلَكَةٍ وبَوارٍ وافتِقارٍ في الدنيا، وسبيلُ عذابٍ في الآخرَةِ وخِزيٍ ونكَالٍ. وممَّا يَدلُّ علىٰ فُحْشِهِ وشَناعَتِهِ ما رتَّبَ اللهُ عليه مِن الحدِّ الصَّارِمِ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ وهٰذا حَدُّ الزَّاني البِكْرِ الذي لم يَتزوَّجْ. أمَّا حدُّ الزَّاني الثَّيِّبِ وهو الذي تزوَّجَ ووَطَأَ زوجَتَهُ، ولو مرَّةً في العُمرِ، فإنَّه يُرجَمُ بالحِجارَةِ حتَّىٰ يموتَ. وقد علَّق ـ سُبحانه ـ فَلاَحَ العبدِ علىٰ حِفظ فَرْجِهِ مِن الزِّنا، فلا سبيلَ إلىٰ الفَلاَحِ بِدُونِهِ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ١ـ٧] فهٰذه الآياتُ تَتضمَّنُ ثلاثةَ أُمورٍ: الأمرُ الأولُ: أنَّ مَن لم يَحفظْ فَرْجَهُ،

لم يَكُنْ مِن المُفلِحين. الأمرُ الثاني: أنَّ مَن لم يَحفظْ فَرْجَهُ فهو مِن المَلُومِين. الأمرُ الثالثُ: أنَّ مَن لم يَحفظْ فَرْجَهُ، فهو مِن العادِين ففاتَهُ الفَلاحُ، ووَقَعَ في اللَّومِ، واتَّصَفَ بالعُدْوانِ.

عباد الله: إنَّ الله كما بيَّن شناعَةَ الزِّنا وسُوءَ عاقِبَتِهِ في الدنيا والآخرَةِ فقد وضَعَ السُّدودَ المَنِيعةَ التي تَحولُ بين العِبادِ وبين تلك الجَرِيمةِ الشَّنعاءِ وتَقِيهم شَرَّ مَخاطِرِها متىٰ التزَمُوا بإقامَةِ هـٰذه السُّدُودِ والحواجِزِ، وهـٰذه الحواجِزُ هي:

أولاً: إقامةُ الحَدِّ علىٰ الزَّاني بِجَلْدِ البِكْرِ وتَغرِيبِهِ. أي نَفْيه مِن البلدِ لِمُدَّةِ عامٍ كاملٍ ورَجْمِ الثَّيِّبِ بالحِجَارَةِ حتَّىٰ يموتَ، وقد حثَّ ـ سُبحانه ـ علىٰ الصَّرَامَةِ في إقامَةِ حَدِّ الزِّنا وعدمِ الرَّأْفَةِ في أخذِ الفاعِلِين بجُرْمِهما وعدمِ تعطيلِ الحَدِّ أو التَّرفُّقِ في إقامتِهِ تَراخِياً في دِينِ اللهِ. وأمرَ بإقامَتِهِ في مَشهدٍ عامٍ يَحضُرُهُ طائفةٌ مِن المُؤمنين، فَيكُونَ أوجعَ وأوْقعَ في نُفُوسِ الفَاعلين ونُفوسِ المُشاهِدِين.

ثانياً: أمر ـ سُبحانه ـ بِغَضِّ البَصرِ، فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ فلمَّا كان مبدأُ الوُقُوعِ في جريمةِ الزِّنا مِن قِبَلِ البَصرِ، جعل ـ سُبحانه ـ الأمرُ بِغَضِّهِ مُقدَّماً علىٰ الأمرِ بِحِفظِ الفُرُوجِ، فإنَّ كُلَّ الحوادِثِ مَبْدَؤُها مِن النَّظَرِ كما أنَّ مُعظمَ النارِ مَبدَؤُها مِن مُستَصغَرِ الشَّرَرِ. تكونُ نظْرةً، ثُم خَطَرَةً، ثمَّ خُطْوَةً، ثُم

خَطيئَةً، فَمَنْ أطْلَقَ نَظَرَهُ إلىٰ ما حرَّمَ اللهُ أوْردَ نفسَهُ مواردَ الهلاكِ. وقد قالَ ﷺ: «**ياعليُّ: لا تُتبعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فإنَّما لك الأُولَىٰ وليست لك الثانيةُ**» يعني النَّظرةَ الأُولىٰ التي وقعتْ بِدُونِ قَصْدٍ. وقال ﷺ: «**النَّظْرةُ سَهمٌ مَسْمُومٌ مِن سِهامِ إبليسَ**» رواهُ الإمامُ أحمدُ. ومَن غَضَّ بَصرَهُ أورثَ اللهُ قلبَهُ حلاوَةَ العِبادَةِ إلىٰ يوم القِيامةِ. كما جاءَ في الحديثِ، وكما أشارتْ إليه الآيةُ الكريمةُ ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾.

ثالثاً: أمرَ اللهُ نساءَ المُسلِمين بالحِجابِ وهو سترُ وُجُوهِهِنَّ وأجسامِهِنَّ عَن الرِّجالِ صِيانةً لهُنَّ وللرِّجالِ مِن الوُقُوع في الفاحشَةِ، قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ الآية وقال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ وقال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ ورُوِيَ عَن أُمِّ المُؤمِنين عائشةَ ـ رضي اللهُ عنها ـ أنَّها قالتْ: كُنَّا مع النَّبيِّ ﷺ مُحْرِماتٍ، فإذا مرَّ بنا الرِّجالُ، سَدَلَتْ إحدانا خِمَارَهَا علىٰ وجهِها، فإذا جاوَزُونا كَشَفْنَاهُ. وروىٰ الحاكِمُ بسندٍ صحيحٍ عَن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ ـ رضي اللهُ عنهما ـ قالت: كُنَّا نُغطِّي وُجوهَنا مِن الرجالِ.

عباد الله: إنَّ دُعاةَ السُّفورِ اليومَ يُنادُون بِهَدْمِ هـٰذا السَّدِّ وأنْ تَخرُجَ المَرأةُ إلىٰ المُجتمَعِ بِلا حِجابٍ، مُحادِّين للهِ ولِرَسُولِهِ، يُريدُون للمُجتَمَعِ السُّقُوطَ في مُستنقَعاتِ الرَّذِيلَةِ؛ لأنَّهم يَستورِدُون تشريعَهم مِن كَفَرَةِ

الغَربِ، لا مِن وَحْيِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠ ﴾ وإنَّ المرأةَ التي هَتكَت الحِجابَ استجابةً لهـٰذه الدِّعايةِ، قد استبدَلَتْ طاعةَ اللهِ بمعصيَتِهِ، ورِضاهُ بِسَخَطِهِ، وثوابَهُ بعقابِهِ، فأساءتْ إلىٰ نفسِها، وأساءَتْ إلىٰ مُجتمَعِها، وأطاعَتْ المخلُوقَ في مَعصيةِ الخالِقِ.

رابعاً: منعَ الإسلامُ خُلُوَّ الرجُلِ بالمرأةِ التي ليست مِن محارِمِهِ؛ لأنَّ ذٰلك مَدعاةٌ إلىٰ إغراءِ الشَّيطانِ لهما بالفاحشةِ مهما بَلَغَا مِن التَّقوىٰ والدِّينِ. ففي الصحيحين عن ابنِ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لا يَخْلُوَنَّ أحدُكم بامرأةٍ إلَّا مع ذِي مَحْرَمٍ**» فَمَنْ خَلاَ بامرأةٍ لا تَحِلُّ له فقد عصىٰ اللهَ ورسولَهُ وعرَّضَ نفسَهُ للفِتنَةِ، سواء خَلاَ بها في بيتٍ أمْ مَكتبٍ، كمَا يفعلُ تلاميذُ الغربِ ومُقلِّدُوهم، مِن تَشغيلِ المرأةِ مَع الرجُلِ وخَلْوتِهِ بها في العملِ، في المكتبِ والمَتْجَرِ. وكذا ركوبُ المرأةِ مع الرجُلِ الأجنبِيِّ في السَّيَّارَةِ خالِيَيْنِ كما يفعلُ بعضُ أصحابِ سيَّاراتِ الأجرَةِ وبعضُ أصحابِ الثَّرْوةِ والتَّرَفِ الذين يَجعلون لِنسائِهم سَوَّاقِين أجانبَ، تَركبُ إحداهُنَّ مع السَّائِقِ وحدَها، ويذهبُ بها حيثُ شاءت، وكذا ما يفعلُ بعضُهم مِن جعلِ خادمٍ في البيتِ مِن الرِّجالِ الأجانبِ يَخلُو مع المرأةِ، وقد قال ﷺ في الحدِيثِ الثابتِ في الصحيحين: «**إيَّاكُم والدُّخولَ علىٰ النِّساءِ**» فقالَ رجلٌ مِن الأنصارِ: أفرأيتَ الحَمُو قال: «**الحَمُو المَوتُ**». والحَمُو هو قريبُ الزَّوجِ، كأخِيه وابنِ أخيه وابنِ عمِّه، فإذا كان قريبُ الزَّوجِ مَمنُوعاً مِن الدُّخُولِ علىٰ

امرأةِ قَرِيبِهِ، مع أنَّه قد يكونُ ذا غَيْرَةٍ عليها وعلىٰ فِراشِ قَرِيبِهِ فكيفَ بالأجنبيِّ الذي يَدخلُ علىٰ المَرأَةِ بِصفَةِ خادمٍ أو سائقٍ ولا يَغارُ علىٰ حُرْمَةِ صاحِبِ البَيتِ.

خامساً: حرَّمَ الإسلامُ سَفَرَ المرأةِ بِدُونِ مَحْرَمٍ؛ لأنَّ في ذٰلك ضَيَاعاً لها وغِياباً عَن الرَّقِيبِ مِن أولِيائِها والغَيُورِين عليها، وهي المرأةُ الضَّعيفةُ التي سُرعانَ ما تَخضعُ لافتِراسِ الذِّئابِ البَشرِيَّةِ رغبةً أو رهبةً. وفي الصحيحين عَن أبي هُريرة ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَحِلُّ لامرأةٍ تُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ أنْ تُسافِرَ مَسِيرَةَ يومٍ ولَيلَةٍ إلَّا مَع ذِي مَحْرَم عليها**» وفي الصحيحين ـ أيضاً ـ عَن ابنِ عبَّاسٍ ـ رضي اللهُ عنهما ـ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول: «**لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا ومعها ذُو مَحْرَمٍ، ولا تسافر المرأةُ إلَّا مع ذِي مَحْرَمٍ**» فقال له رجلٌ: يارسولَ اللهِ إنِّ امرأتي خرجتَ حَاجَّةً، وإنِّي اكتُتِبْتُ في غَزْوة كذا وكذا. قال: «**انطلِقْ فَحجَّ مع امرأتِكَ**» إنَّ المرأةَ التي تُسافِرُ وحدَها اليومَ إلىٰ الأقطارِ النَّائيةِ للدِّراسَةِ أو التَّدريسِ أو لِزيارةِ أهلِها أو للاجتماعِ بزوْجِها أو غيرِ ذٰلك مِن الأغراضِ، قد خرجتْ علىٰ هٰذه التَّعالِيمِ النَّبويَّةِ ولم تَكُنْ تُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ الإيمانَ الذي يَردَعُها عَن مُخالَفةِ الرسُولِ واتِّباعِ ما جاءَ به، رضي أدعياءُ المدنيَّةِ الغَربيَّةِ أمْ سَخِطُوا.

سادساً: حرَّم الإسلامُ تَبرُّجَ النساءِ، وهو خُروجُهنَّ بثيابِ الزِّينَةِ والطِّيبِ؛ لأنَّ ذٰلك مَدْعاةٌ لِصَرْفِ الأنظارِ المُريبَةِ إليها ووسيلةٌ إلىٰ وُقوعِ

الفاحِشَةِ، قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وقد خالفَ كثيرٌ مِن نساءِ المُسلمين اليومَ هٰذه الآيةَ الكريمةَ، فصِرْنَ يَلْبَسْنَ أفخَرَ ثِيابِ الزِّينةِ ويَتَطَيَّبْنَ بأفخَرِ الطِّيبِ عند الخُرُوجِ إلىٰ الأسواقِ أو غيرِها، وكفىٰ بذٰلك إثْماً مُبِيناً، وإذا كان خُرُوجُ المرأةِ إلىٰ المسجدِ للعِبادةِ مَشرُوطاً بتَرْكِ الزِّينةِ والطِّيبِ، فكيفَ بخُرُوجِها إلىٰ غيرِ المسجدِ؟!. فعَن أبِي هُريرة ـ رضي اللهُ عنه ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لا تمْنَعُوا إماءَ اللهِ مساجدَ اللهِ، ولٰكن لِيَخْرُجْنَ تَفِلاَتٍ**» رواه أحمدُ وأبوداودَ والشافعيُّ. وتَفِلاَتٌ يعني غير مُتزيِّناتٍ، وروىٰ مسلمٌ في صحيحِهِ عَن أبِي هُريرة ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**صِنفان مِن أهلِ النَّارِ لم أرَهُمَا: قومٌ معهم سِياطٌ كأذنابِ البقرِ، يَضْرِبُون بها الناسَ، ونساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنةَ ولا يَجِدْنَ رِيحَها**» قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّة: كاسِياتٌ بِلباسٍ يَصِفُ البَشْرَةَ ويُبدِي بعضَ تقاطِيعِ أبْدانِهِنَّ، كالعَضُدِ والعَجِيزَةِ، فهُنَّ كاسياتٌ بِلِباسٍ، عارِياتٌ حقيقةً.

عباد الله: ومِن دَواعِي الزِّنا سماعُ الأغاني، وقد كثُرَتْ وتَنوَّعَتْ، وسَهُلَ الحُصُولُ عليها في هٰذا الزَّمانِ، وامتَلأَ بها كثيرٌ مِن بُيُوتِ المُسلمين وسيَّاراتِهم، وافتتن بسَمَاعِها كثيرٌ مِن الرجالِ والنساءِ والأطفالِ. وقد وردَ عَن كثيرٍ مِن السَّلفِ تَسمِيَةُ الغِنا (رُقْيَة الزِّنا)، قال الإمامُ ابنُ القَيِّم: فلَعَمْرُ اللهِ كَمْ مِن حُرَّةٍ صارتْ بالغِنا مِن البَغَايا. وكَمْ مِن حُرٍّ أصبحَ به

عَبْداً للصِّبيانِ أو الصَّبايَا. وكم غَيور تبَدَّلَ به اسماً قَبِيحاً بين البَرَايا، وكَمْ مِن ذِي غِنًى وثَروةٍ أصبحَ بسببِهِ علىٰ الأرضِ بعد المطارف والحَشَايا. وكَمْ مِن مُعافىٰ تعرَّضَ له فأمسَىٰ وقد حَلَّتْ به أنواعُ البَلايَا، وكم جَرَّعَ مَنْ غُصَّةٍ وأزالَ مِن نِعمةٍ وجَلَبَ مِن نِقْمَةَ، وكم خَبَّأَ لأهلِهِ مِن آلامٍ مُنتظَرَةٍ وغُمُومٍ مُتوقَّعةٍ وهُمُومٍ مُسْتَقْبَلَةٍ.

فاتَّقُوا اللهَ أيُّها المُسلمون، وتجنَّبُوا الوسائِلَ المُؤدِّيةَ إلىٰ هٰذه الجريمةِ القبيحةِ، واستمِعُوا وامتثِلُوا قولَ ربِّكم ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾.

بمناسبة مؤتمر القاهرة في إباحة الإجهاض واتحاد الجنسين والحرية

الحمد لله، وبه نستعينُ على أُمُورِ الدُّنيا والدِّين، ونسأله تعالى أن يوفِّقنا للعمل بالكتاب المُبين، وسُنَّةِ سيِّد المُرسلين. ونعوذُ باللهِ من هَمَزَاتِ الشَّياطين، ونَزَعَاتِ المُلْحِدين والمُتَقَوِّلين على الله ما ليْسَ لهم به عِلْمٌ، من المُتَشَدِّقين المُعْتَدِين. وبه نَجُولُ ونَصُولُ؛ فهو خَيْرُ النَّاصرين. نحمده تعالى على نِعمةِ الإِسلام، وَكَفَى بها مِنْ نِعمةٍ، ونَشْكُرُه ـ عزَّ وَجَلَّ ـ على آلائِه، وهي كثيرةٌ جمَّةٌ.

وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريك له. من عَارَضَهُ في أمْرِه وحاولَ تَبْدِيَل شَرْعِهِ، سَلَبَهُ النِّعْمَةَ، وأَحَلَّ بِهِ السَّخَطَ والنِّقْمةَ. وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه خَيرُ الخَلِيقَةِ وَأَزْكَاهَا. نبيٌّ خصَّه الله بِأَسْمَحِ الشَّرائِعِ وأَسْنَاها وأوْضَحِها وأَجْلاها، فَمَهَّدَ قواعِدَ المِلَّةِ وأَرْساها، وأَشَادَ مَنَارَةَ الإِسلامِ وأَعْلاها، وَأَمَاطَ ظُلَمَ الشِّرك وَمَحَاها، فَأَصْبحتِ الأرضُ مُشرِقةً بنورِ الحَنِيفيَّةِ باطنُها وفَضَاها. وَتَرَكَ أُمَّتَهُ على البَيْضَاءِ، لَيْلُها كَضُحَاها. اللهمَّ صَلِّ وسلِّم على عبدِكَ ورسولِكَ محمدٍ وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذين عَضُّوا على سُنَّتِهِ بالنَّواجذِ وتَمَسَّكوا بِعُراها.

أمَّا بعد :

أيُّها النَّاس .. اتَّقُوا اللهَ الذي يعلمُ خائِنةَ الأعْيُنِ وما تُخْفُي الصُّدورُ،

ويُحصي أعمالَكَمْ مِنْ خَيْرٍ وشَرٍّ في كتابٍ مَسْطُورٍ.

أيُّها المسلمون: إنَّ الله شَرَعَ لكم من الدين ما فيه صلاحُ المعاشِ والمَعادِ، وبيَّن على لِسانِ محمدٍ ﷺ سبيلَ الحقِّ والرَّشادِ، وهداكم إلى ما فيه سَعادةُ البِلادِ والعِبادِ، فَأَوْضَحَ لكم الحلالَ والحرامَ، والصَّلاحَ والفسادَ، وضربَ لكم الأمثالَ بِأَهْلِ الكُفرِ والعِنادِ ومُخالَفَةِ الشَّرائعِ والإِلْحادِ، مِنَ الذين يَرَوْنَ شريعةَ اللهِ غيرَ وافيةٍ بالمُرادِ في صَلاحِ العِبادِ والبِلادِ، فَصَبَّ عليهم ربُّك سَوْطَ عذابٍ، إنَّ ربَّك لَبِالمِرْصادِ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف: ٥٩].

عباد الله: الدِّينُ والشَّرعُ حكمٌ إلهيٌّ جاءتْ به الكتبُ السماويَّةُ وأوضحتْهُ الأنبياءُ، وهو سائقٌ لِذَوِي العُقُولِ السَّلِيمةِ إلى ما فيه سعادةُ الآخرةِ والدُّنيا؛ فَحِكْمَتُهُ بالِغةٌ، وحُجَّتُهُ دامِغةٌ، وقَوْلُهُ فَصْلٌ، وقضاؤه عَدْلٌ. حرَّم قَتْلَ الجنينِ، وهو الإجهاضُ، ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝٣١﴾ [الإسراء: ٣١]، وحثَّ على تكْثِيرِ النَّسْلِ والتَّناسُلِ، كَمَا في حديثِ أنسٍ ـ رضيَ الله عنه ـ: قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يأمُرُنا بالبَاءَةِ وينْهَى عن التَّبَتُّلِ نَهْياً شديداً. ويقول: «**تَزَوَّجُوا الوَلُودَ؛ فإنِّي مُكاثِرٌ بِكُمْ الأنبياءَ يومَ القيامةِ**» [رواه أحمد، وصحَّحَهُ ابنُ حبَّان، ولَهُ شاهدٌ عند أبي داود والنَّسائيِّ وابنِ حبَّان ـ أيضا ـ مِن حديثِ معقل بن يسار].

عبادَ الله: حُكْمُ الله لا يُغيَّرُ ولا يُبَدَّلُ، ونُصُوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ لا تُحَرَّفُ ولا تُحَوَّلُ، وأحكامُه لا تقلَّبُ ولا تُعدَّلُ؛ لأنه صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة: ٥٠]. لو عَمِلَ النَّاسُ بتعالِيم الكتابِ والسُنَّةِ ووقَفُوا عند مَراسِيمِهما، لَمَا حصلَ ظلمٌ ولا عُدْوانٌ، ولا ارتباكٌ في الأُمُورِ وَعَدَمُ اتِّزانٍ ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الكهف: ٢٧].

وإنَّ مِن بَوَادِرِ الشرِّ والإلحاد والكُفْرِ والضَّلالِ والإِلْحادِ مُؤتمرُ السُكَّانِ والتَّنْمِيةِ ـ بِزَعْمِهِمْ ـ الذي عقد في القاهرة، حيثُ كان فيه كثيرٌ من البُنُودِ المُخالِفةِ للشَّريعةِ المُطَهَّرَةِ المُحَادَّةِ للكتابِ والسُنَّةِ. ومِنْ ذلك بَحْثُ إباحَةِ الإِجهاضِ بدون ضرورة، وهو قَتْلُ الجنينِ، وتحديدُ النَّسلِ والتَّناسُلِ، والمُساواةُ بينَ الرَّجُلِ والمرأةِ، والقضاءُ التَّامُّ على أيِّ فوارقَ بينهما.

ولا رَيْبَ أنَّ هذه الدَّعْوةَ جاءت مِنْ أعداءِ الإِسلامِ الذينَ يَكيدُونَ للإِسلامِ، ويُريدُونَ أَنْ يُقَلِّلُوا من عُدَدَه، ويُضْعِفُوا من كيانِهِ، فَرَاقَتْ لِكثيرٍ من أَتْباعِ الغَرْبِيِّينَ، فأخذوا بها مُعْجَبِينَ بآراءِ أصحابِ العُقولِ القاصِرَةِ والأنظارِ القريبةِ، ومُعْرِضِينَ عمَّا جاءَ من لَدُنْ حكيمٍ خبيرٍ الذي خَلَقَ الخلْقَ وتكفَّلَ بأرزاقِهِمْ. فقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦]، وقال تعالى: ﴿ وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا ﴾ [فصلت: ١٠].

مَعْشَرَ المُسلمين: إنَّ القَوْلَ بِتَحْديدِ النَّسْلِ أو مَنْعِ الحَمْلِ مُصادِمٌ للفِطرةِ

الإنسانيَّةِ التي فَطَرَ اللهُ الخلْقَ عليها، وللشَّريعةِ الإسلاميَّةِ التي ارْتَضَاها الرَّبُّ ـ تعالى ـ لِعبَادِهِ، والأخْذُ في ذلك ضرْبٌ من أعمالِ الجاهلِيَّةِ، وسوءُ ظنٍّ بالله ـ تعالى ـ، وإضعافٌ للكيانِ الإسلاميِّ؛ حيثُ أنَّ الدَّعوةَ إلى القَوْلِ بتحديدِ النَّسْلِ أو مَنْعِ الحَمْلِ من فِئَةٍ تَهْدِفُ بدعْوتها إلى الكَيْدِ للمُسلمين بِصِفَةٍ عامَّةٍ، وللأُمَّةِ العَرَبيَّةِ بِصِفَةٍ خاصَّةٍ حتَّى تكونَ لديهم القُدْرةُ على اسْتعمارِ البلادِ واستعمارِ أهْلِها. وأمَّا الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ فإنَّها تُرَغِّبُ في انتشارِ النَّسلِ وتكْثيرِهِ، وَتَعْتَبِرُ النَّسل نِعْمةً كُبْرَى ومِنَّةً عظيمةً مِنَ اللهِ ـ تعالى ـ مَنَّ بها على عِبادِهِ، كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل: ٧٢].

عبادَ الله: إنَّ مِن بَوادِرِ الخَيْرِ والبَرَكَةِ، أنْ وفَّقَ اللهُ حُكُومَةَ هذه المملكةَ ووَلِيَّ أمْرِها وعُلماءَها إلى رَدِّ هذه المُخالفاتِ وإبطالِها، وعَدَمِ إقرارِ المؤتمر، بِمُقاطَعَتِهِ والتَّصْريحِ بإنْكارِ المُنكرِ وإعلانِه، وعَدَمِ حُضُورِه، وذلك بِصُدُورِ قرارٍ من مجلسِ هيئةِ كِبارِ العُلماءِ بِأنَّ ذلك مُخالِفٌ للإسلامِ ولِجميعِ الشَّرائعِ التي جاءتْ بها الرُّسُلُ ـ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ ولِلْفِطَرِ السَّليمةِ والأخلاقِ القَويمَةِ، وكُفرٌ وضلالٌ، وبِأنَّه لا يَجُوزُ شَرْعاً للمسلمين حُضُورُ هذا المُؤتمرِ. فَجَزَا اللهُ الجميعَ خَيْرَ الجَزاءِ، ووفَّقَهُم لِما يُحِبُّ ويرَضى؛ حيثُ قامُوا بالواجبِ عن إخوانِهِمْ المُسلمين، وذلك بإنكارِهم هذا الباطِلَ، وَدَمْغِهِ.

عبادَ الله النَّجاةَ النَّجاةَ مِنَ الفِتَنِ، ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، وحَذَارِ أَنْ تَنْخَدِعوا بِأقوالِ دُعاةِ الفِتْنَةِ المُبْطِلِين، ولا يَغُرَّنَّكُم بَرِيقُ ألفاظِهم وَمَعْسُولِ كَتاباتِهم وبَهارِجَ أقوالِهم؛ فَهِيَ هَدْمٌ للدِّينَ، وَهِي كالسَّرابِ يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ ماءاً، حتَّى إذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئاً.

عبادَ الله: صَحَّ عن رسُولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**إنَّه لم يَكُنْ نبيٌّ قَبْلِي إلاَّ كان حقًّا عليه أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَه على خَيْرِ ما يعلَمُه لهم، ويُنْذِرَهم شرَّ ما يعلمُه لهم. وإنَّ أُمَّتَكُم هذه جُعِلَ عَافِيتُها في أَوَّلِها، وسَيُصِيبُ آخرَها بلاءٌ وأُمُورٌ تُنكِرُونها، وتَجيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُها بعضَها. وتجِيءُ الفتنةُ، فيقولُ المُؤمنُ: هذه مُهْلِكتي، ثمَّ تَنكشفُ، وتجيءُ الفتنةُ، فيقولُ المُؤمنُ: هذه هذه، فمن أحبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عن النَّارِ ويُدْخَلَ الجنَّةَ، فَلْتأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وهو يُؤمنُ باللهِ واليوم الآخرِ، وليأْتِ إلى النَّاس الذي يُحبُّ أنْ يُؤتى إليه، ومَنْ بَايَعَ إماماً، فأعْطاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ ما اسْتطاعَ، فإنْ جاءَ آخرُ يُنازِعُهُ، فَاضْرِبوا عُنُقَ الآخرِ**». اللهم إنَّا نَعُوذُ بك مِنَ المِحَنِ وَعَوارِضِ الفِتَنِ. اللهمَّ إنَّا نَعُوذُ بك من الفِتنِ ما ظهرَ منها وما بَطَنَ. أقولُ قَوْلي هذا... الخ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والعاقِبَةُ للمُتَّقينَ، ولا عُدْوانَ إلاَّ على الظَّالمين، كالمُبْتَدِعَةِ والمُشْركين. وأَشْهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لا شريكَ له، إلهُ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، وقَيُّومُ السَّماواتِ والأَرْضِين، وأَشهدُ

أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه وخِيرَتُهُ من خَلْقِهِ أجمعين. اللهمَّ صَلِّ على مُحمَّدٍ وعلى آل مُحمَّدٍ، وأصحابِه، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحْسانٍ إلى يومِ الدِّين، وسلِّم تَسْليماً كثيراً. أمَّا بَعْدُ.

أيُّها المُسلمون: إنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ هو دِينُ الفِطْرَةِ الخَالِدُ، وهو الدِّينُ الذي ارْتَضَاهُ اللهُ لِعِبَادِهِ إلى قِيامِ السَّاعة ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٥٠] فهو صَالِحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، لا يَضِلُّ عَنْهُ إلاَّ هَالِكٌ قَدِ انْتكَسَتْ فيهِ الفِطْرَةُ التي فَطَرَ اللهُ عليها الخلْقَ ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٣٠] فلا يَصُدَّنَّكُمْ عنه المَفْتُونُون ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٥]؛ إنَّهم يُريدون أنْ يكونَ الإسلامُ اسماً بِدُونِ مُسَمَّى. وإنَّ لهم في كُلِّ يوم دسائسَ وتلبيساتٍ فظيعةً فاحِشَةً يُشيعونَها بين الناسِ لِهَدْمِ الدِّينِ والتَّخَلُّصِ مِنْ شريعةِ ربِّ العالمين ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢].

أمَّا الفَضِيلَةُ فَقَدِ اسْتَعاضُوا عنها بالرَّذِيلَةِ، وهي ـ بِزَعْمِهِمْ وَعُرْفِهِم ـ حُرِّيَّةٌ. فالخلاعَةُ والاسْتِهْتارُ والتَّهَتُّك والإباحِيَّةِ كُلُّ هذه الفواحِشِ ـ في نَظرِهِم ـ هي العِلاجُ لِمشاكِلِ الإنسانيَّةِ. اللهمَّ إنَّا نَعُوذُ بِكَ من شُرُورِهِم، ونَدْرَأُ بك في نُحُورِهِم. اللهمَّ اجْعلْ تَدْمِيرَهُم في تَدْبِيرِهِم، يا حيُّ يا قَيُّومُ.

عبادَ الله: إنَّها لَفِتَنٌ قد طَلَعَتْ رُؤُوسُها وأقْبَلَتْ. وكَمَا في الحديثِ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ: «**بادِرُوا بالأعمالِ فِتناً كَقِطَعِ الليلِ المُظلمِ، يُصبحُ الرَّجُلُ مُؤمناً ويُمْسي كافِراً، ويُمسي مُؤمِناً ويُصبحُ كافراً يبيعُ دينَه بِعَرَضٍ من الدُّنيا**».

فاتَّقوا اللهَ أيُّها المُسلمون. اللهَ اللهَ في دِينِكم. لا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيطانُ عنه بِأقوالِ المُسرِفين، ولا تَصْرِفَنَّكُم أقوالُ الغَرْبِيِّين عن تَعالِيمِهِ وأوامِرِه ونَوَاهِيهِ. اعْمَلُوا جَاهِدِين لِدَفْعِ هذا الوَباءِ ـ بصادقِ عزيمةٍ ـ عن أنفسكم وأولادِكم، وعن أهليكم وإِخوانِكم؛ فقد أفْلَحَ عبْدٌ عَاشَ على الفِطْرَةِ، ولَقِيَ اللهَ وهو غيرُ مَفْتُونٍ، فكان في عِدادِ مَنِ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُم يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ.

اللهمَّ بيِّض وَجْهَ من رَدَّ هذه الفتنة عن المسلمين بما يستطيعُ، واجْزِهِ خيرَ الجزاءِ ياربَّ العالمين، مِنْ قادةِ هذه المملكة، وعلمائها، والدُّعاةِ، والمُصلحين، وعامَّةِ المُسلمين ياربَّ العالمين.

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي... إلخ.

في الإسبال

الحمدُ للهِ الذي جعلَنَا مِن خَيرِ أَمَّةٍ أُخرجتْ للناسِ، وخلعَ علينا خلعةَ الإسلامِ خيرِ لباسٍ، وأسبغَ علينا نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً. ومِن الظَّاهِرَةِ اللِّباسُ. أحمدُه ـ سُبحانه ـ أنْ أكرمَنَا باللِّباسِ وحرَّمَ علينا الخُيَلاءَ وجَرَّ الثَّوبِ في اللِّباسِ. وأشكُرُهُ ـ سُبحانه ـ علىٰ نِعَمِهِ التي لا يُحْصِيها عدُّ العادِّ ولا تَقرُّبُ من حدس الحداس.

وأشهدُ أنَّ لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له المُنزِّلُ ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ المُصطفىٰ مِن جميعِ الناسِ. صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ مِن جميعِ الناسِ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ وأطِيعُوهُ واشكُرُوهُ علىٰ نِعَمِهِ التي امْتَنَّ بها عليكم، فمنها قولُهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ وقال ـ تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ ألاَ وإنَّ مِن شُكرِ اللهِ علىٰ هـٰذه النِّعمةِ اتِّباعَ المُصطفىٰ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ والتَّأدُّبُ بآدابِهِ، فقد جاءتِ السُّنَّةُ ووضَّحَتْ ما

يَجوزُ مِن اللِّباسِ وما يَحرُمُ، وما يُستحبُّ وما يُكرهُ.

عبادَ اللهِ إنَّ الواجبَ علىٰ المُسلمِ الذي يَعِزُّ عليه دَينَهُ أنْ يَلتزمَ جانِبَ الأدَبِ ويَتَّبعَ الرسُولَ ﷺ في أقوالِهِ وأفعالِهِ وإرشاداتِهِ، فَمَا أمرَ به امتثَلَهُ وما نهىٰ عنه اجتَنَبَهُ، ولا يحصلُ اتِّباعُ الرسُولِ إلاَّ بامتِثالِ أَمْرِهِ واجتِنابِ نهيِهِ. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ أَلاَ وإنَّ ممَّا نهىٰ عنه الرسُولُ ﷺ لبْسُ الحَريرِ مِن اللِّباسِ للرجالِ، سواء كانَ في ثَوبٍ أو عِمامَةٍ ونحوِهما؛ لِما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**لا تَلْبَسُوا الحَريرَ؛ فإنَّه مَن لَبِسَ الحريرَ في الدنيا لم يَلبَسْهُ في الآخرَةِ**» وممَّا نهىٰ عنه الرسُولُ ﷺ الإسبالُ وهو تطويلُ الثِّيابِ والسَّراوِيلِ والمَشالِحِ وغيرِها، وما أكثرَ مَن يفعلُ ذٰلك في هٰذا الزَّمانِ، مع أنَّه فعلٌ مُحرَّمٌ وكبيرةٌ مِن الكبائِرِ، وَرَدَ فيه الوعيدُ الشَّديدُ والنَّهيُ الأكيدُ. مِن ذٰلك قولُهُ ﷺ: «**مَن جَرَّ ثوبهُ خُيَلاءَ لم يَنْظُرِ اللهُ إليه**» وفي الصحيح عنه ﷺ: «**ما أسفلَ مِن الكعبين مِن الإزارِ فهو في النارِ**» وصحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهم اللهُ يومَ القِيامَةِ ولا ينظرُ إليهم ولا يُزكِّيهِم ولهم عذابٌ أليمٌ**» وذكرَ منهم المُسْبِلَ. وللتِّرمذيِّ وغيره، وصحَّحَهُ «**إيَّاكَ وإسبالَ الإزارِ؛ فإنَّها مِن المَخيلَةِ، وإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المَخيلَةَ**». وفي الصحيحين عن أبي هُريرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ مرفوعاً: «**بينما رجلٌ يمشي في حُلَّةٍ تُعجِبُهُ نفسُه مُرَجِّلٌ رأسَهُ يَختَالُ في مشيتِهِ إذ خسفَ اللهُ به، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرضِ إلىٰ يومِ القِيامةِ**» وروىٰ أبوداودَ عَن أبي هُريرة قال:

بينما رجلٌ يُصلِّي مُسبلاً إزارَهُ قالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «**اذهَبْ فتوَضَّأْ**» ثم جاء فقال: «**اذهبْ فتوضَّأْ**» فقال له رجل: يا رسولَ اللهِ: ما لك أمرْتَهُ أَنْ يتوضَّأَ؟ ثم قال: «**إنَّه كان يُصلِّي وهو مُسْبِلٌ إزارَهُ، وإنَّ اللهَ لا يَقبلُ صلاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ**». فيا عبادَ اللهِ: ما لِكثيرٍ مِن الناسِ يَسْمَعُون الأحاديثَ الصحيحةَ في تحريمِ الإِسبالِ ثم يفعلُونَهُ، وقد أنكرَ عمرُ ـ رضي الله عنه ـ علىٰ الشَّابِّ، وهو مريضٌ لمَّا أنْ عَادَهُ شَابٌّ وقد أرخَىٰ ثَوْبَهُ، فقال له: ارفعْ ثوبَك؛ فإنَّه أنْقَىٰ لثَوْبِك وأتْقَىٰ لربِّك.

عباد الله: إنَّ إسبالَ الثِّيابِ وجَرَّها مُنكرٌ عظيمٌ وردتْ في الزَّجْرِ عنه الأحاديثُ الصحيحةُ الصريحةُ، والبعضُ مِن الناسِ يَسمعُها وهو مُصرٌّ علىٰ ما هو عليه مِن إسبالِ ثِيابِهِ عَلَناً بِدُونِ مُبَالاةٍ ولا حياءٍ مُجاهِراً بهـٰذا المُنكَرِ الذي يَكْفِي فيه قولُ الرسُولِ ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهُمُ اللهُ يومَ القِيامَةِ ولا يُزكِّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ**» وذكر منهم المُسبِلَ. وقوله: «**كلُّ أُمَّتي مُعافىٰ إلَّا المُجاهِرُون**» وقال ﷺ: «**إذا لم تَستَحِ فاصنعْ ما شِئْتَ**» وهـٰذا تهديدٌ ووعيدٌ، كقولِهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾.

عباد الله: إنَّ المُنكرَ إذا خَفِيَ لا يَضُرُّ إلاَّ مُرْتَكِبَهُ ومَن اطَّلعَ عليه. ، أمَّا إسبالُ الثِّيابِ فإنَّه مِن المُنكَراتِ الظاهرَةِ التي يَجِبُ إنكارُها، فَمَنْ أنكرَ فقد بَرِئَتْ ذِمَّتُهُ وحَصَلَ له الأجرُ العظيمُ. ومَن سَكَتَ ودَاهَنَ فهو شَرِيكٌ للعاصي في وِزْرِهِ. ومن الإهمال أن نقول: كُلُّ النَّاسِ أَسْبَلُوا ثِيَابهم،

ولَيْس منَّا بِمَقْبُول، فالسَّاكِتُ عن الحَقِّ شيطانٌ أخرسُ، والمُتكلِّمُ بالباطلِ شيطانٌ ناطقٌ.

يا أمَّة محمدٍ: إنَّه لا يَسعُ المُسلمَ السُّكوتُ، فالمُسبِلُ تراه في الأسواقِ وفي المكاتبِ وفي البُيُوتِ وفي المساجِدِ، فمُرُوا بالمعرُوفِ وانْهَوْا عن المُنكرِ، وليس مِن شرطِهِ القَبُولُ ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

يا أمَّة محمدٍ: يُخشىٰ علىٰ مَن صلَّىٰ في ثوبٍ مسبلاً، أنَّه لا تُقبلُ منه صلاتُهُ؛ لِما وَرَدَ في الحديثِ «**إنَّ اللهَ لا يقبلُ صلاةَ رجلٍ مُسبِلٍ**» فالكِبرياءُ لله ربِّ العالمين. فانْظُرُوا عبادَ اللهِ إلىٰ ثِيابِكم ومَشالِحِكم، ما أسفلَ مِن الكعبين في النارِ. فهلْ بعد هٰذا الوَعِيدِ وَعيدٌ. إنه لا يخفىٰ علىٰ غالبِ الناسِ، لٰكن كما قِيلَ ألسنٌ تَصِفُ وقُلوبٌ تَعْرِفُ وأعمالٌ تُخالِفُ. اشكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ بامتِثالِ أوامرِهِ واجتنابِ نَواهِيهِ، لا تجترِأُوا علىٰ حُدودِ اللهِ؛ فإنَّ اللهَ أنزلَ عذابَهُ علىٰ أهلِ السَّبْتِ بذَنْبٍ واحدٍ، وأمَّا نحن في هٰذا الزمانِ فالمُنكرَاتُ لا تُعَدُّ ولا تُحصىٰ اجترَأْنا علىٰ محارمِ اللهِ وعلىٰ حُدُودِهِ، نَزيدُ في المعاصي ويَزيدُ ربُّنا في العطاءِ والنِّعَمِ. إنَّ هٰذا ليس دليلَ رِضىٰ مِن ربِّنا، بل هو استدراجٌ. اشكُرُوا نِعَمَ اللهِ بامتثالِ أوامِرِهِ واجتنابِ نواهِيهِ، فكُلٌّ يَحسدُكُم علىٰ هٰذه النِّعَمِ التي أنتم فيها فلا قَرَارَ ولا استقرارَ لها إذا كُفِرَتْ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

تشبُّه الرجال بالنساء

الحمدُ للهِ الذي يهدِي مَنْ يشاءُ إلىٰ طريقِ الرّشادِ. أحمدُه ـ سبحانه ـ وهو للطَّاغِين بالمِرْصادِ. وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي أفلحَ مَن أخذَ بِهَدْيِهِ وسارَ علىٰ نَهْجِهِ مِن سائِرِ العبادِ. اللَّهمَّ صَلِّ وسلِّم علىٰ عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه وسلِّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

فيا أيها الناس: إنَّ في تغييرِ حقائِقِ الأشياءِ عن وَضْعِها والخُرُوجِ بها عن طَبيعَتِها ارْتِكاساً في الفِطَرِ وانْحِرافاً عن جادَّةِ الرُّشْدِ والصَّوابِ. ولا يستوي في العُقُولِ السَّلِيمَةِ والفِطَرِ المُسْتَقِيمَةِ طَيِّبٌ وخَبِيثٌ. مهما رُزِقَ الخَبِيثُ وأضْحَىٰ له بَرِيقٌ وكَثُرَ أنصارُهُ ومُرَوِّجُوه. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٠]. فالحلالُ مثلاً في كلِّ ألوانِه، طعاماً كانَ أو شراباً أو لِباساً أو مُعامَلَةً بين الناسِ، كالبَيْعِ والشِّراءِ مثلاً، فهو حلالٌ مَشرُوعٌ الأخذُ به، ولو قَلَّ المُتَمَسِّكُون والدَّاعون إليه، والحرامُ في مُخْتَلَفِ دَرَكَاتِهِ ومهابِطِهِ التي لا يَحُدُّها الحَصْرُ هو حرامٌ وإنْ كَثُرَ أنصارُهُ، وانْتَهَجُوا مُختلفَ الأساليبِ لِتزويقِهِ وترويجِهِ. ولقد طلعَ علىٰ الناسِ في آخرِ الزَّمنِ فِتَنٌ ومِحَنٌ الْتَبَسَ فيها الحَقُّ بالباطِلِ، والحلالُ

بالحرامِ. والحَقُّ ـ والحمدُ لله ـ واضحٌ لِمن أرادَهُ ورَغِبَ فيه، والحرامُ ـ أيضاً ـ واضحٌ لِمن أرادَ أنْ يجتنِبَهُ ويَتَوَقَّاهُ ولكنَّ ضَعْفَ الثَّقافَةِ الدِّينيَّةِ وعَدَمَ الرَّغْبَةِ وطَلب الحلالِ للأخذِ به، والحرامِ لاجتنابِهِ، ولِتَقْليدِ البعضِ للبعضِ دُونَ التِفاتٍ لِدُرُوبِ الفِتْنَةِ التي تَدْخُلُ علىٰ الدِّين نتيجةً للتقليدِ الأعمىٰ، وذٰلك مِصْداقاً لِما رُوِيَ عن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: يُوْشِكُ أنْ يَأْتِيَ علىٰ النَّاسِ زمانٌ لا يبقىٰ مِنَ الإسلامِ إلاَّ اسْمُهُ ولا مِن القرآنِ إلاَّ رَسْمُهُ. أي يبقىٰ الإسلامُ دون مسلمين يلتزمون أحكامَه ويُطَبِّقُونَ تعاليمَهُ، يَتَسَمَّوْنَ بالإسلامِ فقط. ويبقىٰ القرآنُ في المصاحِفِ والمَتَاحِفِ مُزَخْرَفاً مكتوباً بأجْمَلِ الخُطُوطِ دُون مِنْ يعملُ به، أو يَتَّعِظُ بِعِظَاتِهِ أو يَنْزَجِرُ عند زواجِرِهِ ويقفُ عند حُدُودِهِ. ولقد كان مِن الفِتَنِ والمِحَنِ التي أطَلَّتْ علىٰ الناسِ وهي من المعاصي التي لعنَ عليها رسولُ الهُدَىٰ ﷺ، وحَسْبُكُمْ يا عبادَ اللهِ بِلَعْنَةِ رسولِ اللهِ ﷺ مُزْدَجراً لقومٍ يعقلون. كانَ مِن الفِتَنِ والمِحَنِ تَشَبُّهُ الرجالِ بالنساءِ والعَكْسُ، وذٰلك مِن الحرامِ الذي يَجِبُ اجتِنابُهُ حَتْماً؛ إذْ فيه ما فيه من الوَعِيدِ المُرْعِبِ المُرْهِبِ. قال ﷺ: **«لَعَنَ اللهُ المُخَنَّثِينَ مِن الرجالِ والمُتَرَجِّلَاتِ مِن النساءِ»** وفي رِوايةٍ أخرىٰ: **«لعنَ رسولُ اللهِ ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِن الرجالِ بالنساءِ والمُتَشَبِّهاتِ مِن النساءِ بالرجالِ»**. وقَبِيحٌ بالرَّجُلِ أَنْ يَتَأَنَّثَ وأنْ يُحَاكِيَ المرأةَ فيما هو من طبيعةِ أُنُوثَتِها وخَصَائِصِها، بما في ذٰلك التَّشَبُّهُ بها في الزِّيِّ، وإطالَةُ الشَّعْرِ بطريقةٍ مخصُوصةٍ، وحَلْقُ اللِّحْيَةِ تقليداً لمن

يشبه بالنساءِ مَنْ لا تربطه بالإسلامِ رابطةٌ ليطبِّقَ فلسفةً تافهةً يُدْعىٰ بفريقِ الخنافِسِ، ليس له مِن الرُّجُولَةِ سوىٰ الاسمِ، وتَخَنُّثُ الرجُلِ وتَرَجُّلِ المرأةِ هَتْكٌ صريحٌ للفطرةِ التي فطرَهُمَا الله عليها، وعكسٌ لسُنَنِ اللهِ في الخَلْقِ، وفتحٌ لأبوابِ واسعةٍ من الشَّرِّ، وقد فَشَا في عَصْرِنا هـٰذا التَّخَنُّثُ. مِن ذٰلك تَصْفِيفُ الشَّعرِ مثلَ النساءِ ووضعُ مساحيقِ الزِّينَةِ النِّسائيَّةِ علىٰ وجهِهِ، ولِبْسُ ما يُشبهُ لِبْسَ النساءِ في الشَّكْلِ، والْتِوَاءُ اللسانِ بالكلامِ، والنُّزُوعُ به نَحْوَ الرَّخَاوَةِ، وكذٰلك مِن مُقدِّماتِ تَرَجُّلِ المرأةِ جُرْأَتُها، وفُقْدَانُ حيائِها وتَشَبُّهُها بالرجالِ، وهـٰذا السُّلُوكُ يُفقدُ الرجلَ القَوِيمَ الرَّغْبَةَ في المرأةِ المُتَرَجِّلَةِ، ويُفقدُ المرأةَ القَوِيمَةَ الرَّغْبَةَ في الرجُلِ المُتَخَنِّثِ، وينغلِقُ بذٰلك بابُ الزواجِ الشَّرعيِّ علىٰ الطَّرَفَيْنِ، فيلجأُ الزَّوجانُ المُقيمانِ علىٰ هـٰذا السُّلُوكِ إلىٰ أَنْ يَنْطَلِقَا نحوَ أبوابٍ مِن الرَّذِيلَةِ الشَّنْعاءِ؛ لِرَغْبَتِهِمَا عن الفِطْرَةِ التي فَطَرَهُمَا اللهُ عليها، فيشيعُ اللواطُ بالذكرِ والأُنثىٰ، ويَسُودُ التَّهَتُّكُ وتبادلُ النساءِ، إلىٰ غير ذٰلك مِن الآفاتِ التي سادَتْ أوربَّا وغيرَها مِن الأُمَمِ المُتْرَفَةِ، والتي تُؤْذِنُ بِتَدَهْوُرِ الشُّعوبِ، دُونَ أَنْ تقومَ لهم قائمةٌ، نتيجةً للتَّخَنُّثِ والتَّرَجُّلِ اللَّذَيْنِ عمَّتْ بهما البَلْوَىٰ.

فيا عباد الله: قُومُوا علىٰ مَن تحت أيدِيكم؛ فإنَّ هـٰذا اختلاطٌ في العُقُولِ؛ إِذْ كيف يَصِحُّ لعاقلٍ أَنْ يَنْحَطَّ عن مُسْتوىٰ الرُّجُولةِ ليشاركَ المرأةَ فيما هو مِنْ طبيعَةِ أُنُوثَتِها. ولَئِنْ رضي مَن لا تربِطُه بالإسلامِ صِلَةٌ

من ضَلَّ سَعْيُهُ واختلَطَ عقلُهُ وارتكَسَتْ فِطْرتُهُ، رضي بهـٰذا الوضع الشَّاذِّ، فكيف يرضىٰ به المسلمُ الذي يَعتزُّ بدِينِهِ، وكيف يرضىٰ أنْ يَدخلَ في اللَّعْنَةَ التي خَصَّ بها رسوُلُ الهُدىٰ ﷺ كُلَّ مُتَشَبِّهٍ بالنساءِ في أيِّ وضع مِنْ أوضاعِ الأُنُوثَةِ؛ جَرْياً وراءَ التَّقليدِ الأعمىٰ واتِّباعاً للهَوَىٰ، كيف يُعِدُّ المسلمون العُدَّة للنصْرِ علىٰ إسرائِيلَ، وبين بعضِ الشباب مَنْ يَنْزِعُ إلىٰ هـٰذا التَّقلِيدِ؟ ومتىٰ كان أَشْبَاهُ النساءِ أبطالاً في مَيَادِينِ الشَّرَفِ؟!. إنْ كانَ الواجبُ علىٰ المسلمِ أنْ يَنْتَبِهَ ويأخُذَ لنفسِه القُدْوَةَ فَلْيَقْتَدِ بشبابِ الإسلامِ، نَخُصُّ مِنْ بينِهم ـ علىٰ سبيلِ المِثالِ ـ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ ـ رضي الله عنه ـ. لقدْ بكىٰ رسولُ اللهِ ﷺ لِمَا رأىٰ مِنْ خُشُونَةِ العَيْشِ التي قَنَعَ بها مُصعبٌ ـ رضي الله عنه ـ في ظِلِّ الإسلام بعدَ هِجْرَتِهِ، وتذكَّرَ الرسولُ ﷺ ما كانَ فيه مصعبٌ مِن النَّعِيمِ. فقد كانَ أنْعَمَ غُلامٍ بمكةَفي الجاهليَّةِ، واستُشْهِدَ ـ رضي الله عنه ـ في غزوةِأُحُدٍ، وَبِيَدِهِ رايةُ الإِسلامِ خَفَّاقةٌ. فَهَلاَّ أعادَ الشبابُ في الحاضِرَةِ سِيرَةَ شبابِ الإسلامِ في الماضي لِيكُونوا بحقٍّ مَفْخَرَةَ الزمانِ ومَضربَ المَثَلِ للشبابِ الصالحِ الرَّاشِدِ العَفِيفِ الطاهِرِ من الأدْرَانِ. فاتَّقُوا الله عبادَ اللهِ واحْذَرُوا مِن الانحرافِ عن الجَادَّةِ، وتَجَافَوْا عن كُلِّ مَزلَّةٍ يكون عليها الوعيدُ الشديدُ واللعنةُ، بما في ذٰلك التَّشَبُّهُ بالنساءِ وأشْبَاهِ النساءِ، مِن الشَّواذِّ في كُلِّ خُطوةٍ. أعوذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف].

في تسويد الشعر

الحمدُ للهِ الذي وَفَّقَ عِبادَهُ المؤمنين لأداءِ الأعمالِ الصَّالحاتِ، وشرحَ صُدورَ أوليائِهِ المُتَّقِينَ للإيمانِ بِما جاءَ به رسولُه مِن الحِكْمةِ والآياتِ، وكشفَ عَن قُلوبِ أحبابِهِ حُجُبَ الجَهالَةِ والضَّلالاتِ ويسَّرَ لهم مِن الباقياتِ الصَّالِحاتِ ما يتبوَّأون به منازِلَ الجَنَّاتِ، فضلاً منه ونِعْمَةً، وربُّكَ يَخلقُ ما يشاءُ ويختارُ مِن المَخلُوقاتِ. أحمدُهُ ـ سبحانه ـ وأشكرُهُ علىٰ ما أَسْدَاهُ مِن الإِنْعامِ والبركَاتِ.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِهِ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: تَعوَّذُوا باللهِ مِن الفِتَنِ؛ فإنَّ الفتن نوعانِ: فتنةُ الشُّبُهاتِ وفتنةُ الشَّهَوَاتِ. وقد يَجْتَمِعان للعبدِ، وقد ينفردُ بأحدِهما: ففتنةُ الشُّبُهاتِ مِن ضُعفِ البَصِيرَةِ، وقِلَّةِ العِلمِ، ولاسِيَّماإذا اقْتَرَنَ بذٰلك فسادُ القَصْدِ وحُصُولُ الهَوَىٰ، فهناكَ الفتنةُ العُظمَىٰ والمُصِيبةُ الكُبرىٰ، فهـٰذا مِن الذين قالَ اللهُ فيهم ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

وقد أخبرَ اللهُ ـ جلَّ وعلا ـ أنَّ اتبَاعَ الهَوَىٰ يُضِلُّ عَن سبيلِ اللهِ بقولِه: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] وهـٰذه الفتنةُ مآلُها إلىٰ الكُفرِ والنِّفاقِ، وهي فتنةُ

المُنافقين وفتنةُ أهلِ البِدَعِ، علىٰ حسبِ مَراتِبِ بِدَعِهِم، فجميعُهم إنَّما ابتدَعُوا مِن فتنةِ الشُّبُهاتِ التي اشتبَهَ عليهم فيها الحَقُّ بالباطِلِ، والهُدَىٰ بالضَّلالِ. وما يُنْجِي مِن هٰذه الفتنةِ يا عبادَ اللهِ؟ لا يُنْجِي منها إلاَّ تَجرِيدُ المُتابَعةِ للرَّسولِ ﷺ، وتحكيمُه في كلِّ شيءٍ، ظاهراً وباطِناً، فالهُدَىٰ كُلُّه دائرٌ علىٰ أقوالِهِ وأفعالِهِ، وكُلُّ ما خرجَ عنها فَهُوَ ضَلالٌ.

النوع الثاني: فتنةُ الشَّهَواتِ، وقد جمعَ ـ سبحانهُ ـ بين الفِتنتين، في قولِه ـ تعالىٰ ـ: ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٩] أي تَمَتَّعُوا بنصيبِهم مِن الدنيا وشَهَوَاتِها، والخَلاَقُ هو النصيبُ المُقدَّرُ، ثُمَّ قال ـ سبحانهُ ـ: ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾ فهٰذا الخَوضُ بالباطلِ، وهو الشُّبُهاتُ، فأشارَ ـ سبحانه ـ في هٰذه الآيةِ إلىٰ ما حصلَ به فسادُ القُلُوبِ والأديانِ، مِن الاستمتاعِ بالخَلاَقِ والخَوْضِ بالباطِلِ، لأنَّ فسادَ الدِّين إمَّا أَنْ يَكونَ باعتقادِ الباطِلِ والتَّكَلُّمِ به، أو بالعملِ بخِلافِ العِلمِ الصحِيحِ، فالأولُ هو البِدَعُ وما وَالاَهَا. والثاني فِسقُ الأعمالِ. والأولُ فسادٌ مِن جِهَةِ الشُّبهاتِ، والثاني مِن جِهَةِ الشَّهَواتِ، ولهٰذا كان السَّلَفُ ـ رحمهم الله ـ يقولون: احذَرُوا مِن الناسِ صِنْفَيْنِ: صاحِبَ هَوَىٰ، قد فتنَهُ هَوَاهُ، وصاحِبَ دِينٍ، أَعْمَتْهُ دُنياهُ. وكانوا يقولون: احْذَرُوا فتنةَ العالِمِ الفاجِرِ، والعابِدِ الجاهِلِ؛ فإنَّ فتنتَهُمَا فتنةٌ لكلِّ مَفْتُونٍ. وأصلُ كلِّ فتنةٍ إنَّما هو تقديمُ الرَّأيِ علىٰ الشَّرْعِ، والهَوَىٰ علىٰ العقلِ.

فاتَّقُوا اللهَ أيُّها المسلمون، واقْتَدُوا بِمَنْ ماتَ؛ فإنَّ الحَيَّ لا تُؤمنُ عليه الفتنةُ كما قال ابنُ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ عليكم بالعَتِيقِ.

عباد الله: إنَّ مِمَّا ينبغي التنبيهُ عليه صَبْغَ اللِّحْيَةِ بالسَّوَادِ؛ فقد تساهَلَ به البعضُ مِن الناسِ، وَرَأَوْا أنَّه لا بأسَ به. إمَّا لجهلٍ بالدِّينِ، أو لِما يَرْغَبُون فيه مِن صَبْغِ لِحاهُم. فقد نصَّ بعضُ أهلِ العِلمِ علىٰ تحريمِ صَبْغِ اللحيَةِ بالسَّوادِ؛ أخذاً مِن كتابِ اللهِ وسُنةِ رسولِهِ ﷺ. أمَّا الكتابُ فلقولِه ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧]. ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال ﷺ: «**إذا نهيتُكُم عَن شيءٍ فاجْتَنِبُوهُ**» وأمَّا السُّنَّةُ فقد نَهَانَا نبيُّنا ﷺ عَنْ صَبْغِ اللحيَةِ بالسَّوادِ. في الحديثِ الصحيحِ الذي رواهُ مسلمٌ والنَّسائِيُّ وأبوداودَ وابنُ ماجَهْ، مِن حديثِ جابرٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: أُتِيَ بأبي قُحَافَةَ يومَ فتحِ مكةَ ورأسُهُ كالثُّغامَةِ بَيَاضاً. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**غَيِّرُوا هـٰذا بشيءٍ، واجتَنِبُوا السَّوادَ**» فهـٰذا صريحٌ في النَّهي، لأنَّ القاعدةَ عند الأُصُولِيِّين أنَّ العِبْرَةَ بعمُومِ الألفاظِ لا بخُصُوصِ الأسبابِ. فليسَ النهيُ في تَجَنُّبِ السوَادِ خاصًّا بأبي قحافة. وروىٰ الطبرانيُّ عَن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**يكونُ في آخِرِ الزمَانِ قومٌ يُسَوِّدُون أشعارَهُمْ، لا ينظرُ اللهُ إليهم**» قال الهيثميُّ: إسنادُه جَيِّدٌ. وفي المسندِ وسُننِ أبي داودَ والنسائيِّ، عَن ابنِ عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يكونُ قومٌ يَخْضِبُونَ في آخِرِ الزمانِ بالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الحَمَامِ، لا يَرِيحُونَ رائِحَةَ**

الجَنَّةِ» وقد زعَمَ مَن زعمَ أنَّ في مَتْنِ هـٰذا الحديثِ نكَارَةً لِما فيه مِن الوَعِيدِ الشَّدِيدِ علىٰ الصَّبْغِ بالسَّوَادِ، وليسَ في متْنِ الحديثِ نكارةٌ كما زعمَ هـٰذا الزَّاعِمُ؛ فإنَّ الخاضِبَ بالسَّوادِ قد خالفَ أمرَ الرسولِ ﷺ، وارتكَبَ نَهْيَهُ. وقد قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ﴾ [النور: ٦٣]. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦] ففي هـٰذه الآياتِ أبلغُ تحذيرٍ مِن مُخالَفةِ أمرِ الرسولِ وارتكابِ نَهْيِهِ، والذي عليه سَلَفُ الأُمَّةِ وأئمَّتُها إمْرارُ آياتِ الوَعيدِ وأحاديثِها كما جاءت، مع الإيمانِ بها واعتقادِ أنَّها حقٌّ، وأيضاً فجُمهورُ أهلِ العلمِ علىٰ النَّهْيِ عَن الصَّبْغِ بالسَّوادِ. فقد نَصَّ النوويُّ في شرحِ مسلمٍ، علىٰ التَّحريمِ، وعَدَّهُ ابنُ حجرٍ الهيتميُّ مِن الكبائرِ.

وأمَّا مَن زعمَ أنَّ بعضَ الصحابةِ صَبَغُوا بالسَّوادِ: فقدْ أجابَ ابنُ القَيِّمِ في تهذيبِ السننِ أنَّ في ثُبُوتِهِ عنهم نظراً، ولو ثبتَ فلا قولَ لأحدٍ معَ رسولِ اللهِ ﷺ، وسُنَّتُهُ أَحَقُّ بالاتِّباعِ ولو خالفَها مَن خالَفَها. انتهىٰ كلامُ ابنِ القَيِّم.

وقد عُدَّ الخضابُ بالسَّوادِ مِن المسائِلِ التي حلَفَ الإمامُ أحمدُ علىٰ كراهتها، فإنَّه قِيل له: تكْرَهُ الخضابَ بالسَّوادِ؟ قال: أي واللهِ.

وهـٰذه المسألةُ معروفةٌ لا تحتاجُ لإيرادِ كلِّ ما ذكرنا، ولـٰكن ذكرنا

ذٰلك خشيةَ أَنْ يَتأَوَّلَ متأوِّلٌ بعضَ هٰذه الأحاديثِ علىٰ غيرِ تأويلِها، أو يقولَ فيها بغيرِ علمٍ، بل بالجهلِ والهَوىٰ. فالواجبُ علىٰ الإنسانِ تقوىٰ اللهِ ومُراقَبَتُهُ بالقَوْلِ والعملِ، وأَنْ لا يخوضَ في شيءٍ يعودُ علىٰ نفسهِ أو غيرِهِ بما يَضُرُّ وتُخْشَىٰ عاقِبَتُهُ. أعوذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١ـ٥٢].

في الخدامين المشركين وغيرهم

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه ونستعينُهُ ونعوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أَنْفُسِنا وسَيِّئَاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ له.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وأَنِيبُوا إليه واشْكُرُوهُ لعلَّكم تُفْلِحُون، واعلَمُوا أنَّ ما فُتِحَ عليكم مِن الدُّنيا ونَعِيمِها هو الذي خافَهُ عليكم ﷺ. في حديثِ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ: جلسَ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ المِنْبَرِ، وجَلَسْنَا حولَهُ، فقال: «**إنَّ مِمَّا أخافُ عليكم مِن بَعدِي مَا يُفتحُ عليكم مِن زَهْرَةِ الدُّنيا وزِينَتِها**» هـٰذا وصَفْوَةُ الخَلْقِ نَامَ علىٰ حَصِيرٍ، فقَامَ وقدْ أثَّرَ في جَنْبِهِ. قُلْنا: يا رسولَ اللهِ: لوْ اتَّخذْنا لَكَ وطأ. فقال ﷺ: «**ما لي وللدُّنيا! ما أنا في الدُّنيا إلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تحتَ ظِلِّ شجَرَةٍ ثُمَّ راحَ وتَرَكَهَا**» وقد خَرَجَ ﷺ ذاتَ يومٍ أو ليلةٍ، فإذا هو بأبي بكرٍ وعُمرَ ـ رضي اللهُ عنهما ـ فقال: «**ما أَخْرَجَكُمَا مِن بيُوتِكما هـٰذه الساعةَ؟**» قالا: الجُوعُ يا رسولَ اللهِ. قال: «**وأنا ـ والذي نفسي بيَدِهِ ـ لأَخْرَجَنِي الذي أخرجَكُما**». وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما شَبِعَ آلُ محمدٍ ﷺ مِنْ خُبزِ شَعِيرٍ يومَينِ مُتَتَابِعَين. فهـٰذا أشرفُ الخَلْقِ ﷺ

وصَحَابَتُهُ، انْظُرْ ماذا حصلَ لهم مِن الجُوعِ، ولم يَنْفَتِحْ عليهم مِنَ الدُّنيا ما فُتِحَ علينا في هٰذا الزمانِ، وهم مع ذٰلك شاكِرُون لِنعْمَةِ اللهِ، صابِرُون علىٰ بَلائِهِ، وإنَّما مَنَعَ الله نبيَّهُ وصحابَتَهُ الدنيا كرامةً لهُم، وزِيادَةً في ثَوَابِهم في الآخرَةِ. فنحنُ في هٰذا الزمانِ، فانْظُرُوا ما حصلَ لنا مِن الدنيا وزَهْرَتِها. فهلْ يا عبادَ اللهِ انفتاحُ هٰذه الدنيا دليلُ رضىٰ أم سخطٍ، بل ـ والله ـ إنَّه دليلٌ علىٰ السَّخَطِ علىٰ مَن لَم يَشْكُرُهَا حَقَّ الشُّكْرِ؛ فالمَعَاصِي ـ يا عبادَ اللهِ ـ والبِدَعُ تتجدَّدُ، وأصبحت السُّنَّةُ في هٰذا الزمانِ عِنْد بَعْض النَّاسِ بِدْعَةٌ، والبِدْعةُ سُنَّةٌ وإنَّ مِنَ الفِتَنِ التي اتَّخَذَهَا غالِبُ الناسِ في هٰذا الزمانِ سُنَّةٌ، بَلْ بعضُهُم أوْجَبَ وُجُودَ الخَدَّامِينَ في البُيوتِ، سواءً كانُوا مسلمين أو كَفَّاراً، والكافرُ أعظمُ وأطَمُّ. لقدْ تَحَمَّلْتَ ما لا تطيقُ؛ تؤي الكُفَّارِ وتُخالِطُهم وتَدْفَعُ إليهم مادَّةً لِتُعِينَهم علىٰ المسلمين. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ . . .﴾ الآية. اتَّقُوا اللهَ في هٰذا النَّشْءِ، مِن بَنِينَ وبناتٍ، الذين هم أمانَةٌ في أعناقِكُم، والذين هم المُرْجَوْنَ لقتالِ المُشركين. أتيتُم بالكُفَّارِ إلىٰ بُيُوتِكم لِتَنْزِعُوا بُغْضَ الكُفَّارِ مِن قُلُوبِ أولادِكُم، وتُبَدِّلُوها مَوَدَّةً ومَحَبَّةً وإخاءً، أو رُبَّما أنَّهم يستحسِنُون دينَهم، وهو الكُفْرُ باللهِ ـ عِيَاذاً باللهِ ـ؛ لأنكم أيُّها الأولياءُ لم تجعلُوا فَرْقاً بينكم وبينهم، بل تُكرِمُونهم وتجعلُونَهُم في عُقْرِ بُيوتِكم. فالرَّبُّ ـ تبارك وتعالىٰ ـ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]. ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا

غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الممتحنة: ١٣]. والرسولُ والصحابةُ يُهاجِرون مِن بلادِ الكُفارِ، وهي أَحَبُّ البِقاعِ إليهم، ويَتْرُكُون أموالَهم وأولادَهُم، وأنتم جعلتموهم كأبنائِكم، اتخذتموهم سائقين وخدَّامين وطبَّاخين. الواحدُ منهم في مُنْتهىٰ العافِيةِ، ولا يَبعدُ أنْ يكونَ مِن الشبابِ الذين يُعْجِبُونَ النساءَ جمالاً، ورُبَّما خَلَوا بالنساءِ، وصاحِبُ البيتِ، مِن زوجٍ أو غيرِه لاهٍ في أمورِ دُنياهُ أو في عملِهِ، لا يُفكِّرُ فيما تُفَكِّرُ فيه النساءُ ولا فيما يُفكرُ فيه الخادمُ أو السائقُ، وكأنَّ النساءَ - في اعتقادِهِ - معصُوماتٌ، غافلاً عن أنَّه ما خَلاَ رَجلٌ بامرأةٍ إلاَّ وثالِثُهما الشيطانُ، وأنَّ النساءَ حَبائِلُ الشيطانِ، وأنَّهُنَّ مِن أَضرَّ ما يكون علىٰ الرجالِ، وأنَّ لَذَّةَ الرجلِ عندهُنَّ ولذَّاتَهُنَّ عنده، لا يُخالِفُ في ذٰلك أحدٌ إلاَّ مَعتُوهٌ، فإذا رَأَتِ المرأةُ شابًّا ولا ثالِثَ لهما فلا يَبعدُ أَنْ تَدْعُوه إلىٰ ما لا يُذكرُ، وإذا لم تَدْعُهُ فلا يَبعدُ أَنْ يُراوِدُها ويَدعُوها لذٰلك فَمَا موقِفِ هٰذا المغفَّل أمامَ بَدِيعِ السَّمٰواتِ والأرضِ، الذي يعلمُ خائِنةَ الأعيُنِ وما تُخفِي الصُّدُورُ، ولعلَّ جوابَ هٰذا الجاهِلِ أنه لا يدور في خلدِهِ أنَّ امرأَتَهُ تُقدِمُ علىٰ مِثْلِ هٰذا؛ لأنَّها عنده مَعْصُومةٌ. قولوا له: أَمَا سمِعْتَ بقصَّةِ امرأةِ العزيزِ؟! اقْرَأْهَا؛ لعلَّك تَأخذُ حذرَكَ، وتعلمُ أنَّه لا يَسْلَمُ مِن فِتنتِهِنَّ إلاَّ عبادُ اللهِ المُخْلَصُون، وتأمَّلُوا القصَّةَ عبادَ اللهِ؛ لعلَّكم أَنْ تَفْهَمُوا أَنَّ اللهَ - جلَّ وعلا - لم يَذْكُرْها في القرآنِ إلاَّ لِيَعتبرَ أُولُوا الأبصارِ، فَيحترِسَ الرجالُ علىٰ نسائِهم، مِن الخَدَمِ ونَحْوِهم.

إنَّ امرأةَ العزيزِ كانت ذاتَ مركزٍ عظيمٍ في قصرٍ، وكان يُوسُفُ ـ عليه السلامُ ـ في بيتها ـ كَخَادِمٍ لها، ومع ذٰلك لَم تَسأَلْ عَن شَرَفِها وكَرَامَتِها ولا شَرَفِ زَوْجِها، بَلْ داسَتْهُمَا بِنَعْلِ الشَّهْوةِ دَوساً، ولَمْ تتوقَّفْ في بَذْلِ كُلِّ ما تستطيعُ مِن قُوةٍ وحِيلَةٍ لإخضاعِ يُوسُفَ ـ عليه السلامُ ـ، ولَوْلا أَنَّ اللهَ عَصَمَهُ وصرفَ عنه السُّوءَ والفَحْشاءَ لَوَصَلَتْ إلىٰ ما تُرِيدُ. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢٤].

والفتنةُ الثانيةُ أنَّك تَجِدُ آخَرَ يأتي بخادِمَةٍ ويَتخيَّرُ القَوِيَّةَ الجميلةَ، وبيته الواسِعُ مَمَلُوءٌ مِن العُزَّاب، أولاداً وإخواناً، ورُبَّما خَلَوْا بها، وهو أيضاً رُبَّما خَلاَ بها، ورُبَّما تكونُ أجملَ مِن زوجَتِهِ، أو أَشَبَّ منها، ومع هٰذا فلا يُفكرُ في الخطرِ مِن قِبَلِ نِسائِهِ وأولادِهِ، فلا تُهِمُّهُ تلك الناحيةُ، وإنَّما تُهِمُّهُ الناحيةُ التي يَعرِفُها عن بعضِ النساءِ الفاسِقاتِ، ويستبعدُ ذٰلك مِن نسائِهِ، وأنَّه مِن المُحالِ عنده. فتنبَّهُوا يا عبادَ اللهِ ولا تستخْدِمُوا الشبابَ ولا الشَّابَّاتِ مِن النساءِ، وإلاَّ فقدْ عرَّضْتُم أنفسَكُم للفِتَنِ والمشاكِلِ والعُقُوباتِ. وقد شَكَتْ فاطمةُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ ما تَلْقَىٰ في يَدِها مِن الرَّحَىٰ، فأُتِيَ بسبيٍ، فأَتَتْهُ تسأَلُهُ خادماً، قالت: فأتانا ﷺ، وقد أخذْنَا مضاجِعَنَا، فقال: «**ألا أَدُلُّكُما علىٰ خيرٍ ممَّا سألْتُما؟ إذا أخذْتُما مضاجِعَكُما فسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحْمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبِّرا أربعاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما مِنْ خادِمٍ**».

في الخدم والسواقين

الحمدُ للهِ الكَريمِ الذي أَسْبَغَ نِعَمَهُ علينا بَاطِنَةً وظاهِرَةً. الرَّحيمَ الذي لَمْ تزَلْ أَلْطَافُهُ علىٰ عِبَادِهِ مُتَوَالِيَةً. العَزيزِ الذي خَضَعَتْ لِعِزَّتِهِ رِقابُ الجَبابِرَةِ والقَوِيِّ المَتِينِ الذي أَبَادَ مَنْ كَذَّبَ رُسُلَهُ، مِن الأُمَمِ الطَّاغِيَةِ الكَافِرَةِ. أحمدُه حمدَ عبدٍ لمْ تزَلْ أَلْطَافُهُ عليه مُتَتَابِعَةً مُتَواتِرَةً.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةً أرجُو بِها النَّجَاةَ في الدَّارِ الآخِرَةِ، وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِهِ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: يقولُ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦]. ويقولُ رسولُ الهُدَىٰ ﷺ ـ في الحديثِ المُتَّفَقِ علىٰ صِحَّتِهِ ـ: **«ما مِن عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يموتُ، وهو غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلَّا حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّةَ»** وفي روايةٍ: **«فَلَمْ يُحِطْهَا بِنُصْحِهِ، لَمْ يَجِدْ رائِحَةَ الجَنَّةِ»**.

عباد الله: إنَّ نساءَكُمْ وبناتِكم مِن رَعايَاكُم، فاتَّقُوا اللهَ فِيهِنَّ؛ فإنَّكم عَنهُنَّ مَسئولُون، فبماذا تُجيبُون، أَعِدُّوا للسُّؤالِ جَوَاباً، وللجَوابِ صَوَاباً؛ فإنَّ النَّاقِدَ بصيرٌ. فإنَّ البعضَ مِن الناسِ يُولِي السَّائِقينَ والخَدَمَ ثِقَةً مُطْلَقَةً

ويَتساهَلُ معهم إلىٰ حَدِّ التَّفْرِيطِ واللاَّمُبَالاةِ بالعَوَاقِبِ والنَّتائجِ. فالسَّائقُ ـ مثلاً ـ وُضِعَ تَحْتَ إِمْرَةِ النِّسَاءِ، الصِّغارِ مِنهنَّ والكبارِ، يذهبُ بِهِنَّ حيثُ شِئْنَ، إلىٰ المدرسةِ والسُّوقِ وزِيارَةِ الجِيرانِ وحُضُورِ المُناسَبَاتِ المُختلِفَةِ، يَذهبُ بالجَمْعِ مِنْهُنَّ والوَاحِدَةِ دُون مَحْرَمٍ، وكَأنَّه مِمَّنْ أَذِنَ اللهُ له بالخَلْوَةِ بالنساءِ. وكذٰلك الطَّبَّاخُ، فإنَّه يَقْضِي جُلَّ وقتِهِ أو كُلَّهُ في البَيتِ حَسبَ طبيعةِ عملِهِ والتي تَتَطَلَّبُ صِلَتَهُ ـ غالباً ـ بالنساءِ في البَيتِ؛ نَظَراً للمُشارَكَةِ في الاختِصاصِ، والحَاجَةِ إلىٰ التَّوْجِيهِ. وهُنا تقعُ الْخَلْوَةُ وتَحصُلُ الجُرأَةُ مِن كُلِّ طَرَفٍ علىٰ الآخرِ، فَيطُولُ الحَديثُ ويكثرُ المزاحُ. وقدْ قِيلَ في المثلِ: إذا كَثُرَ الإمساسُ، قلَّ الإِحساسُ. وأيضاً الخادِمةُ جِيءَ بها شابَّةً، والمرأةُ فتنةٌ في كلِّ حالٍ، وتُركَتْ وشأنها في السُّفُورِ والتَّبَرُّجِ في المَلْبَسِ والتَّكَسُّرِ في المِشْيَةِ، وقد تَستعمِلُ مِن الأصباغِ ووسائِلِ التَّجمِيلِ ما تُصبحُ به فتنةً لكلِّ مَفْتُونٍ، وذٰلك هو ما اعتادَتْهُ ونَشَأَتْ عليه في بِلادِها. وحَسبَ طبيعَةِ عَمَلِها في تَفقُّدِ وتَنظِيفِ سائِرِ أَجْنِحَةِ البَيتِ تَحصُلُ الخَلْوَةُ بها مِن الرِّجالِ، وهي بذٰلك المَظْهَرِ الفاتِنِ، فقدْ يكونُ لصاحِبِ البَيتِ أبناءٌ قد بَلَغُوا ولم يتزوَّجوا، لاسيَّما وأنَّ بعضَ الناسِ يَتَرَخَّصُ بالنَّظَرِ إليها وكأنَّها مِن سائِرِ أَمْتِعَةِ البَيتِ، بحُجَّةِ أنها كافِرَةٌ لا حُرْمَةَ لها، ناسِينَ أنَّ اللهَ ـ سبحانه ـ حينما أمرَ الرجالَ والنساءَ بِغَضِّ الأبصَارِ وحِفْظِ الفُرُوجِ، ونَهَىٰ النساءَ عَن إبْدَاءِ زِينَتِهِنَّ إنَّما أرادَ ـ سبحانه ـ والله أعلم ـ دَرْءَ الفتنَةِ عَن العِبادِ،

وسَدَّ سبيلِ الفواحِشِ وذَرائِعِ الفَسادِ، وهٰذا أمرٌ يستوي فيه الكافِرُ والمسلِمُ؛ لأنَّ الدَّوافِعَ والغَرائِزَ مَوجُودَةٌ عند كِلاَ الصِّنْفَينِ، مِن ذُكُورٍ وإِناثٍ، لذٰلك أمرَ اللهُ بالغَضِّ مِن البصرِ، أي عَن كُلِّ مَا لا يَحِلُّ النَّظرُ إليه، وحِفْظِ الفُرُوجِ ـ إطلاقاً ـ عن كُلِّ مَن لا يَحِلُّ مُباضَعَتُهُ. ووصف الأجنبيُّ في هٰذا البابِ يَصْدُقُ علىٰ المُسلمِ والكَافِرِ علىٰ حَدٍّ سواءٍ؛ لأنَّ تَحرُّكَ الغَرِيزَةِ الجِنسيَّةِ يُشبهُ الجُنُونَ الذي يُفْقِدُ صاحِبَهُ الوَعْيَ، ويُنْسيهِ العَواقِبَ والنَّتائِجَ، ويَجعلُهُ سَبُعاً ضَارِياً، وذٰلك شيءٌ لا يَخْتَصُّ به أحدٌ دُونَ أحدٍ، أو حالٌ دُونَ حالٍ، بل مَتَىٰ ما تَوفَّرَت الأسبابُ وانْتَفَت المَوانِعُ وتَهيَّأَت الفُرصُ وقلَّ الوازِعُ، فَمِنَ المُتوقَّعِ أنْ تَحْصُلَ الفاحشةُ ويقعَ المَحذُورُ، إلاَّ في النادِرِ مِن الأحوالِ. وأساسُ ذٰلك الخَلْوَةُ بين الجِنْسينِ، مع ما يُصاحِبُها مِن التَّبَرُّجِ والبُعْدِ عَن الأنظارِ. ولذٰلك قصَّ اللهُ علينا قِصَّةَ التي راوَدَتْ فتَاهَا عن نفسِه وغَلَّقَت الأبوابَ وقالتْ: هَيْتَ لك. كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ إلىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف]. فإنَّ هٰذه المرأةَ رغْمَ أنها امرأةٌ عاقلةٌ وشريفةٌ وسَيِّدةٌ في مُجتمَعِها وزوجةُ سَيِّدٍ في قَوْمِهِ، فإنَّها مع هٰذه الخَصائِصِ كُلِّها لَمَّا انفرَدَتْ بِغُلامِها وهو خَادِمُها في بَيتِها، افْتَتَنَتْ به وسَوَّلتْ لها نفسُها مُرَاوَدَتَهُ وزيَّنَ لها الشيطانُ الباطِلَ وأمَّنَها مِن كُلِّ ما تَكْرَهُ مع

التَّمَكُّنِ مِمَّا تُرِيدُ، فَتصنَّعَتْ وغَلَّقَتْ الأبوابَ وعَرَّضَتْ نفسَها عليه وهَمَّتْ به واستعملتْ معه كُلَّ ما تَمْلِكُ مِن وَسَائِلِ الإغراءِ والتَّهديدِ. ولٰكنَّ اللهَ عَصَمَ نَبِيَّهُ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢٤]. ومَحلُّ الشَّاهِدِ مِن القِصَّةِ أنَّ هٰذه المرأةَ ـ وهي مَنْ قَوْمِها في منزلةٍ ومكانةٍ وعقلٍ وشرفٍ وسُؤدُدٍ ـ لمَّا خَلَتْ بِغَيرِ مَحْرَمٍ كادتْ أنْ تَزِلَّ بها القَدَمُ لولا حِفظُ اللهِ ـ تعالىٰ ـ لنبيِّه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ، فدلَّ علىٰ خُطُورَةِ خَلْوَةِ المرأةِ بغيرِ مَحْرَمِها، وأنَّ ذٰلك يُفْضِي إلىٰ فَسَادِ عِرْضِها وزَوَالِ شَرَفِها وذَهَابِ كَرَامَتِها، ويجُرُّ العارَ إليها وإلىٰ كلِّ مَن له صِلَةٌ بِها، مِن الآباءِ والبَنِينِ وسائِرِ الأقْرَبِينَ، ويُسَبِّبُ لها الخِزْيَ في الدنيا والآخرةِ، ولذٰلك نَهَىٰ النبيُّ ﷺ ـ وهو الرحيمُ بأُمَّتِهِ الرَّؤُوفُ بهم ـ عَن الخَلْوَةِ بالنساءِ، فقالَ: «**إيَّاكُمْ والدُّخولَ علىٰ النساءِ**» قيلَ: يا رسولَ اللهِ: أفَرَأَيْتَ الحَمُو؟ قال: «**الحَمُو المَوْت**» [متفق عليه] وهو قريبُ الزَّوْجِ؛ حيثُ أنَّ ذٰلك مِمَّا يَتساهَلُ به بعضُ الناسِ. وصَحَّ عن ابنِ عُمرَ، عنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا كان ثالِثَهُما الشيطانُ**» [رواه الترمذي]. أعوذُ باللهِ مِن الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩]

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ، نَحمدُه، ونَسْتعِينُه، ونَسْتَغْفِرُه، ونتوبُ إليه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إلٰـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: إنَّ بعضاً مِن الذين مُكِّنُوا مِن الخَلْوَةِ بالنساءِ هم بَشَرٌ قد فَسَدَتْ فِطَرُهُم، وماتتْ ضمائِرُهم، وعُدِمتْ نوازِعُ الخيرِ فيهم - إلاَّ مَن شاءَ اللهُ -؛ لأنَّهم جاءُوا مِن بلادٍ تُحَكِّمُ القوانينِ الوَضْعِيَّةِ؛ المُفْسِدَةِ للعقائِدِ والأخلاقِ والفضائِلِ والقِيَمِ؛ حيثُ أنَّها تُعطِي الناسَ الحُرِّيَّةَ المُطْلَقَةَ بالتَّمتُّعِ بكلِّ لذَّةٍ وتحقيقِ كلِّ شهوةٍ وإشباعِ كُلِّ غريزةٍ حتَّىٰ النساءِ، دُونَ حَدٍّ أو قَيْدٍ، شَرِيطَةَ الرِّضَاء والاختيار، ولذٰلك ظهرتْ الفاحِشةُ في مُجتمعاتِهم، وانتشَرَتْ الرَّذِيلَةُ فيما بينهم، حتَّىٰ أصبحتْ شيئاً مألُوفاً عندهم وجُزْءاً مِن حياةِ الكَثِيرِ منهم. إذاً فَشَخْصٌ نَشَأَ في ذٰلك المُجتمَع وتَرَعْرَعَ فيه كيفَ يُؤمَنُ علىٰ أعراضِ المُسْلِماتِ ويُفَوَّضُ إليه شأنُهُنَّ ويُعْطَىٰ الثِّقَةَ المُطلقَةَ في ذٰلك، وما الذي يَمنَعُهُ مِن الانقِضاضِ علىٰ فَرِيسَتِهِ إذا خَلاَ له الجَوُّ وسَنَحَتْ له الفُرْصَةُ. وماذا يُجْدِي الطَّرْدُ أو الجزاءُ الرَّادِعُ أو النَّدَمُ إذا هُتِكَ العِرْضُ وشَاعَت

الفَاحشةُ وظهرَ الخِزْيُ، وليس ببعيدٍ أَنْ يَحصلَ ذٰلك كُلُّه لِمَنْ لم يعتبرْ بمواعِظِ القرآنِ، وضَرَبَ بِسُنَّةِ النبيِّ ﷺ عَرضَ الحَائطِ، فعَصَاهُ جهاراً نَهاراً، بِحُجَّةِ أَنَّ الخادِمَ أمينٌ، أوْ ليسَ في البَيتِ سواهُ أو غير ذٰلك مِنَ الأعذارِ والحُجَجِ التي هِي أَوْهَىٰ مِن نَسْجِ العنكبوت. ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤﴾ [التوبة: ٧٤]. فَيَا مَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بمواعِظِ القرآنِ ولمْ يَمْتَثِل أمرَ نبيِّهِ ﷺ وينتهي عَن نَواهِيه حتَّىٰ يرىٰ العُقُوبَةَ عِياناً بِعَيْنَيْهِ: إليك نَوعاً مِن العُقُوباتِ التي نُشِرَتْ في الصُّحُفِ المَحلِّيَةِ، وهي أنَّ رَجُلاً كانَ عِندَهُ سَائِقاً يَعملُ عندَهُ، وفي أثْنَاء ذٰلك نَشَأَتْ عَلاقَةٌ غيرُ شريفةٌ بين السَّائِقِ وزَوْجَةِ صاحِبِ البيتِ، وعند ذٰلك لاَحَظَ صاحِبُ البيتِ ذاتَ ليلةٍ بعضَ الحَرَكَاتِ المُريبَةِ بينَ زوجَتِهِ والسائِقِ، عند ذٰلك طلبَ صاحِبُ البَيْتِ مِنْ السائِقِ الانصرافَ وأفْهَمَهُ بأنَّهُ لَمْ يَعُدْ يَرْغَبُ بقاءَهُ لَدَيْهِ، فما كان مِن السائِقِ المَذْكُورِ إلاَّ أَنْ حضرَ في اليومِ التَّالِي إلىٰ منزلِ صاحِبِ البَيتِ وفَتَحَتْ له زوجةُ صاحِبِ البيتِ، فَوَجَدَ صاحِبَ البيتِ نَائِماً في نهارِ رمضانَ، فأخَذَ سِكِّيناً وذَبَحَهُ مع حَلْقِهِ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ، والمَرْأَةُ واقِفَةٌ بجانِبِهِ، ثم قامَ الجانِي بِلَفِّ جُثَّةِ القَتِيلِ في أكياسِ نايْلُون وشَرْشَفٍ، وساعَدَتْهُ زوجةُ القتيلِ علىٰ حَمْلِ الجُثَّةِ ووضْعِها في المَقْعَدَةِ الخَلفيَّةِ للسَّيَّارَةِ، ثم رَكِبَ الجاني وتَصْحَبُهُ زوجةُ القَتِيلِ وذهبا ورَمَيَا الجُثَّةَ في

بِئْرٍ مَهجُورَةٍ، وعادَا إلىٰ المنزلِ لأخْذِ بعضِ الأغراضِ ثُمَّ فَرَّا إلىٰ الطَّائفِ ثُمَّ إلىٰ المنطقَةِ الشرقيَّةِ وفعلَ الجانِي بالمرأَةِ زَوْجَةِ المَقْتُولِ فاحِشَةَ الزِّنَا مَرَّاتٍ عَدِيدةٍ ويَتَظَاهَرَان أَمامَ الناسِ بأنَّهُمَا زوجانِ ثُمَّ عادَا إلىٰ المَنْطِقَةِ الغربِيَّةِ، وبفضْلِ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ مَكَّنَ اللهُ سُلُطَاتِ الأمنِ مِنْ كَشْفِ أمرِهِما والقَبْضِ عليهما، وأَسْفَرَ التَّحقيقُ معهما عَن إدانَتِهما بجريمَتِهما البَشِعَةِ، واعترَفَ الجاني بقتْلِ المَجْنِي عليه وفِعْلِ فاحِشَةِ الزِّنا بزَوْجَتِهِ ومُعَاشَرَتِهَا طيلة مُكثهما مَعاً كَمُعاشَرَةِ الزَّوْجِ لزَوْجَتِهِ، واعترَفَتْ زوجةُ المَقْتُولِ بمِثْلِ ما اعترَفَ به الجاني، وأنَّه فَعَلَ فاحِشَةَ الزِّنا مَرَّاتٍ وهي مُحْصَنَةٌ، وصُدِّقَ اعترافُها شَرْعاً، وبإحالَتِهما إلىٰ المحكمةِ الكُبرىٰ بمكَّةَ المكرَّمة صَدَرَ بحقِّهما الحُكمُ الشَرْعِيُّ، ويَقْضِي بقَتْلِ الجانِي حَدًّا، بضَرْبِ عُنُقِهِ بالسَّيْفِ حتَّىٰ الموتِ، ورَجْمِ المَرْأَةِ بالحِجارَةِ حتَّىٰ تموتَ؛ لِتَوَفُّرِ شُرُوطِ إقامَةِ حَدِّ زِنا المُحْصَنِ بِحَقِّها، وصُدِّقَ الحُكْمُ مِن هيئَةِ التَّمييزِ وأُيِّدَ مِن مجلسِ القضاءِ الأعلىٰ، وصَدَرَ الأمرُ السَّامِي بإنفاذِ ما تقرَّرَ بِحقِّهما شرعاً، وقد تمَّ ـ والحمدُ للهِ ـ إنفاذُ حُكْمِ القتلِ بِحَقِّ الجاني، بِضَرْبِ عُنُقِهِ بالسَّيفِ ورَجْمِ المرأَةِ بالحِجَارَةِ حتَّىٰ الموتِ، وذٰلِكَ بَعْد صَلاَة الجُمعة الماضِيَة بِمَنْطِقَة مَكَّة المُكَرَّمة. ووزَارة الدَّاخِلِيَّة إذْ تُعْلِن ذٰلك لتؤكِّدُ للعُمُوم حِرْص حُكوْمَة صاحب الجَلاَلَة ـ حَفِظَهُ اللهُ ـ علىٰ تَطْبِيْقِ الشَّرِيْعَة المُطَهَّرَة وعلى مُلاَحَقَةِ الجَرِيْمَة والقَضَاءِ عَلَيْهَا، والضَّرْب على أيدي العَابِثين بالأمْن والمُنْتَهِكين لحدُوْدِ

الله وتُنَفِّذُ أحْكَام الله فِيهم.

فنقولُ: الحمدُ للهِ الذي جَعَلَ حُكُومَتَنَا مُنَفِّذَةً لِشَرْع اللهِ في أَرْضِهِ، ولَنْ يَستقِيمَ أمرُ الدِّينِ والدُّنيا إلاَّ بتَحْكِيمِ كتابِ اللهِ وشَرْعِهِ المُطَهَّرِ. فقدْ رَوَىٰ ابنُ ماجَةَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَقِيمُوا حُدُودَ اللهِ في القَرِيبِ والبَعِيدِ، ولا تَأْخُذْكُمْ في اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ**». وقد روىٰ النَّسائِيُّ وابنُ ماجَةَ بَسَنِدٍ جَيِّدٍ واللَّفْظُ له، عن ابنِ عُمَرَ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**إقامَةُ حَدٍّ مِن حُدُودِ اللهِ خَيرٌ مِن مَطَرِ أربعينَ ليلةٍ في بِلادِ اللهِ**».

عباد الله: إنَّ الله وملائكته يُصَلُّونَ على النبي... إلخ.

في الانتهاء من السواقين والتبرج

الحمدُ للهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: قد أوْجبَ اللهُ علينا ـ بنصِّ القرآنِ ـ أنْ نتعاونَ علىٰ البرِّ والتَّقوىٰ، وأنْ نَتَنَاهَىٰ عَن الإِثْمِ والعُدوانِ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ وإنَّ دينَ الإِسلامِ هو دينٌ كَامِلٌ، وشرعٌ شريفٌ شاملٌ مبنيٌّ علىٰ جَلْبِ المصالِحِ ودَرْءِ المَفاسِدِ، فلا يُحَرِّمُ شيئاً مِن المُحرَّماتِ إلاَّ لأنَّه ضارٌّ بفاعِلِهِ وبالناسِ، مُباشرةً أو تَسبُّباً، ولا يَأمُرُ بشيءٍ إلاَّ وفيه مِن المنافِعِ والمصالِحِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ والحِكَمِ العَظِيمَةِ والأسرارِ التي قد يُطلِعُ عليها مَن يشاءُ مِن عبادِهِ، وقد تَخفَىٰ عليهم، فَمِن أجْلِ حِفظِ الأعرَاضِ حرَّمَ اللهُ الزِّنا، وحرَّمَ الفواحِشَ، ما ظهرَ منها وما بَطَنَ، وحرَّمَ إبداءَ زينةِ المرأةِ لغيرِ زوجِها ومحارِمِها، ونهَىٰ عَن الخَلْوَةِ بها وعَن سَفَرِها بغيرِ مَحْرَمٍ، وعَن النَّظرِ إليها. كلُّ هـٰذه الأمورِ حرَّمها؛ لكونِها تُفْضِي إلىٰ الفاحشةِ

الكُبرىٰ، والوسائِلُ لها أحكامُ المقاصِدِ، ودرءُ المفاسِدِ مُقدَّمٌ علىٰ جَلبِ المصالحِ. فالشَّرْعُ الحكيمُ حَمَىٰ حِمَىٰ الأعراضِ وسَدَّ الطُّرُقَ التي تُفْضِي إلىٰ السِّفاه والفسَادِ والإخلالِ بأحكام النِّكاحِ الحلالِ. وقال: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ [الطلاق: ١] وحُدُودُ اللهِ مُحرَّماتُهُ.

عباد الله: إنَّ العُلماءَ والمسئولِين يَجِبُ أنْ يكونوا بِمَثَابَةِ المُرابِطين دُونَ ثُغُورِ دِينِهم، يَحمُونه عَن الإلحادِ وتَسرُّبِ الفساد إلىٰ العِبادِ، لاعتبارِ أنهم مُتكاتِفُون مُتكافِلُون في جَلْبِ المصالحِ ودَفْعِ المَضَارِّ. يأمرُون بالمعروفِ ويَنْهَوْنَ عَن المُنكرِ ويُقِيمُون الصلاةَ ويُؤتُون الزكاةَ ويُطِيعون اللهَ ورسولَه. فمتىٰ قصَّرَ هؤلاء بواجِبِهم وتكاسَلُوا عَن حِمايَةِ دِينِهم وَتركُوا الحَبْلَ علىٰ الغاربِ ـ كما في المَثَلِ السائِرِ ـ، فلم يَأخذُوا علىٰ أيدي سُفَهائِهم، في مَنْعِهم عمَّا يَضرُّهم، فإنَّه بذٰلك يَتحقَّقُ خَرابُ البلادِ وفسادُ العِبادِ، وخاصَّةً النساءُ والأولادُ، فتسودُ الفوضىٰ وهتكُ الأعراضِ، ويُصابُون بفتنةٍ في الأرضِ وفسادٍ كبيرٍ؛ لأنَّ بقاءَ الأُممِ بِبَقَاءِ أخلاقِهم، فإن هُم ذهبتْ أخلاقُهمُ، ذَهَبُوا. يقولُ اللهُ ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦] وغيرُ خافٍ عليكم ما عَمَّتْ به البَلْوَىٰ بعضَ المسلمين، وهو تَرْكُ السَّائِقين والخَدَم يَخْلُونَ بالعوائِلِ وبالمُخَدَّرَاتِ، وعدمُ الأخذِ علىٰ أيدي النساءِ، وتوجيهِهِنَّ والغِيرَةِ عليهِنَّ، حتَّىٰ أصبحَ

البعضُ منهُنَّ في الأسواقِ فتنةً لكُلِّ مَفْتُونٍ. وقد بيَّنَّا شيئاً مِن أضرارِ ذٰلك في الجُمُعةِ الماضيةِ. فَيَاأيُّها الناسُ. . أيُّها العقلاءُ: لا ينبغي لكم أَنْ تَغْتَرُّوا بكثرَةِ الأصواتِ في طَلَبِ ما هو مَحْضُ الضَّرَرِ عليكم في أخلاقِكم؛ فإنَّ كَثْرَةَ الأصواتِ ليست بِحُجَّةٍ في إبَاحَةِ المُحرَّماتِ مع قِيامِ الدليلِ والبُرْهانِ علىٰ البُطلانِ، ولأنَّ كثْرةَ الأصواتِ تَنْشَأُ ـ غالباً ـ عَن الهَوَىٰ والحُبِّ للشَيْءِ. واللهُ ـ تعالىٰ ـ يقولُ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦]. والبعضُ مِن الناسِ ـ في هٰذا الزمنِ ـ يُفَضِّلُون التَّحَلُّلَ عَن عَقلِ الدِّينِ وأخلاقِهِ وآدابِهِ وحلالِهِ وحرامِهِ، ويُحِبُّون أنْ يعيشوا في الدنيا عِيشَةَ البهائِمِ، ليس عليهم أمرٌ ولا نهيٌ ولا صلاةٌ ولا صيامٌ ولا حلالٌ ولا حرامٌ.

أيها المسلمون: اعْتَبِرُوا بالبُلْدانِ التي قُوِّضَتْ منها خِيامُ الإسلامِ وتركَ أهلُها فرائِضَ الصلاةِ والصِّيامِ، واستباحُوا الجهرَ بِمُنْكَرَاتِ الأخلاقِ والعِصْيانِ، وصَرَفُوا جُلَّ عُقُولِهم وجُلَّ أعمالِهم وجُلَّ اهْتِمامِهِم للعملِ في دُنياهِم واتِّباعِ شَهَواتِ بُطُونِهم وفُرُوجِهم، وتَرَكُوا فرائِضَ ربِّهم، ونَسُوا أمرَ آخِرَتِهم. فانظُرُوا كيف حالُهم وما دخلَ عليهم مِن النَّقْصِ والجَهْلِ والكُفرِ وفسادِ الأخلاقِ والعقائِدِ والأعمالِ، حتَّىٰ صارُوا بِمَثَابَةِ البهائِمِ، يَتَهارَجُون في الطُّرُقاتِ، لا يَعرِفُون صِياماً ولا صلاةً ولا يعرفون معروفاً ولا يُنكرون مُنكراً، ولا يَمتَنِعون مِن قبيحٍ، ولا يهتدون

إلىٰ حقٍّ، قد ضربَ اللهُ قُلُوبَ بعضِهم ببعضٍ، فذهبتْ منهم الدِّيَانَةُ وفَشَتْ من بينهم الخِيانَةُ، واستَشْرَت الفَوْضَىٰ والفسادُ، فاعتَبِرُوا بسوءِ حالِهم وفسادِ أعمالِهم؛ فإنَّ خيرَ الناسِ مَن وُعِظَ بِغَيرِهِ. وقد ضَربَ النَّبيُّ ﷺ لكم مثلاً، فاسْتمِعُوا له وأنْصِتُوا. فقال: «مَثَلُ القائِمِ في حُدودِ اللهِ الذين يُنكِرُون المُنكَرَاتِ ويَسْعَوْن في إزالَتِها ويَأخذُون بأيدي سُفَهائِهم عَن مُواقَعَتِها، ومَثَلُ الواقعِ في المُنكراتِ، كَمَثَلِ قَومٍ رَكِبُوا في سفينةٍ، فصارَ بعضُهُم في أعلاها أي في السطح، وبعضُهم في أسفَلِها، أي في الخِنّ، فأرادَ الذينَ في الخِنّ أَنْ يَخْرِقُوا خَرْقاً يتناولون منه ماءَ البحرِ مِنْ عندهم. قال: فإنْ أخَذُوا علىٰ أيدِيهم ومنعُوهم نَجوا ونَجوا جميعاً، وإنْ تركوهم وما يصنعون هَلَكُوا وهلكوا جميعاً. رواهُ البخاريُّ. وهـٰذا مثلٌ مُطابِقٌ للواقعِ؛ فإنَّ إنكارَ المُنكرِ نجاةٌ للمُنكِرين والفَاعِلِين والناسِ أجمعين؛ لأنَّ إنكارَها هو مِمَّا يُقلِّلُ فُشُوَّها وانتشارَها، وإذا خَفِيتْ المعصيةُ لم تَضُرَّ إلاَّ صاحبَها. أمَّا السُّكُوتُ عَن إنكارِ المُنْكَراتِ فإنَّه مَدْعَاةٌ إلىٰ الغَرَقِ فيها؛ لِكَوْنِ السُّكوتِ عنها هو ممَّا يُسبِّبُ فُشُوَّها وانتشارها، والمُحْسنُ شريكٌ للمُسِيءِ، إذا لم يَنْهَهُ، ولهـٰذا جاءَ في الحديثِ عنه ﷺ أنه قال: «**والله لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتنهَوُنَّ عَن المُنكَرِ ولتأخُذُنَّ علىٰ يَدِ السَّفِيهِ ولَتَأْطُرُنَّهُ علىٰ الحقِّ أَطْراً** (أي تُلْزِمُونَه به إلزاماً) **أو لَيُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يبعثَ عليكم عذاباً مِن عنده**» [رواه أبوداود والترمذي]. ولفظ التِّرْمذي أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**والذي نفسي**

بيَدِهِ **لتَأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنْهَوُنَّ عَنِ المنكرِ، أو لَيُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يبعثَ عليكم عذاباً مِن عنده، ثُم لتَدْعُنَّهُ ولا يُسْتجابُ لكم**». فإلىٰ متىٰ نَغُشُّ أنفسَنَا أو نُغُشُّ بناتِنَا وأهلَ مِلَّتِنَا ونتَعَامَىٰ عمَّا يترتَّبُ علىٰ هـٰذا الإهمالِ مِن فسادِ الآدابِ ومساوىءِ الأخلاقِ. فالنظرةُ هي النظرةُ في مبدأِها، لـٰكنَّها تكونُ خَطْرَةً في القلبِ، ثم تكونُ خُطوةً بالقَدَمِ ثم تكون خطيئةً، وكم نظرةٍ أورثتْ صاحِبَها حَسْرةً، وهي تُحسبُ مِن مُقدِّماتِ الزِّنا؛ لِما في الصحيحِ أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**العينان تزنيان وزِناهُما النظرُ، والقلبُ يتمنَّىٰ ويشتهي، والفَرْجُ يُصدِّقُ ذٰلك أو يُكذِّبُهُ**» ولـٰهذا أمرَ اللهُ المؤمنين بأنْ يَغُضُّوا مِن أبصارِهم ويحفظُوا فُرُوجَهم؛ ذٰلك أَزْكىٰ لهم، وكما أمرَ اللهُ المؤمناتِ بأنْ يَغْضُضْنَ مِن أبصارِهِنَّ ويحفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ولا يُبدِينَ زينتَهُنَّ إلاَّ ما ظهرَ منها، ولْيَضرِبْنَ بخُمُرِهِنَّ علىٰ جُيوبِهِنَّ، وكما أمرَ اللهُ نساءَ نبيِّهِ ﷺ ونساءَ المؤمنين بأنْ يُدْنِينَ عليهِنَّ مِن جلابِيبِهِنَّ وأنْ لا يَتبرَّجْنَ تبرُّجَ الجاهلِيَّةِ الأُولَىٰ. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩].

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ، نَحمدُه، ونَسْتعِينُه، ونَسْتَغْفِرُه، ونتوبُ إليه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

أيها الإخوة المسلمون: إنَّ تحويلَ النساءِ المُسلِماتِ عَن الآدابِ الإسلاميةِ والعاداتِ العربيَّةِ إلىٰ اتِّباعِ تقليدِ النصارىٰ في أخلاقِهم وزيِّهم وعاداتِهم، إنَّه مبدأٌ لِقَطْعِ الرابِطَةِ الإسلاميةِ والأخلاقِ الدينيةِ، وتقويضٌ لدعائِمِ الشرَفِ والحَيَاءِ والسّتْرِ، وفتحٌ لبابِ السِّفاحِ والفسادِ. فليس ضرَرُهُ مقصوراً علىٰ عصيانِ النساءِ لأمرِ اللهِ في إبداءِ زِينَتِهِنَّ للأجانِبِ في هـٰذا المَقَامِ وجُرْأَتِهِنَّ علىٰ الرُّكوبِ مَع السائِقِ بِدونِ مَحْرَمٍ، والخَلْوَةِ بالخادِمِ وما يَنْجُمُ عنه مِن فُنُونِ الأضرارِ علىٰ الدِّينِ والشَّرَفِ والعِرْضِ فَحَسب، بلْ إنَّ ضرَرَه يَتعدَّىٰ بِطَرِيقِ العَدْوىٰ والتقلِيدِ الأعمَىٰ مِن طَوْرٍ إلىٰ طَوْرٍ، ومِن بلدٍ إلىٰ بلدٍ، إذا لم يُوجدْ مَن يُعارِضُهُ ويمنَعُه، مِن القائِمين علىٰ الناسِ بالإصلاحِ والعدْلِ؛ لأنَّ الأخلاقَ تتعادلُ والطِّباعُ تتناقَلُ كما هو المعروفُ مِن انتشارِ البِدَعِ والأخلاقِ السَّيِّئَةِ، ولهـٰذا مدحَ النبيُّ ﷺ المُتمسِّكين بدِينِهم عندَ فسادِ الناسِ فقال: «**طُوبىٰ للغُرباءِ الذين يَصْلُحُونَ إذا فَسَدَ الناسُ**» وفي رِوايةٍ: «**يُصلِحُون ما أفسدَ الناسُ**» وهم قَوْمٌ صالِحُون قليلٌ في قومِ سُوءٍ كثيرٍ، والرجَلُ الصالِحُ يُصْلِحُ اللهُ به أهلَه وكثيراً مِن أهلِ بلدِهِ، وإنَّ أكثرَ ما يَجنِي علىٰ الناسِ بالشَّرِّ ويُوقِعُهم في فِعلِ المُنكَرِ، تقليدُ بعضِهم لبعضٍ؛ لِكَوْنِ الناسِ في تقليدِهم للغيرِ

يَسْهُلُ في نُفُوسِهم فعلُ ما يسوءُ فِعْلُهُ، ولا قُدْوةَ في الشَّرِّ، فقد قيل: لا تستوحِشْ مِن الحَقِّ لِقِلَّةِ السالِكين، ولا تغترَّ بالباطِلِ لكثرةِ الهالِكين، فإنَّ اللهَ يقول: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف].

إنَّ تحويلَ النساءِ المُسلماتِ عَن أخلاقِهِنَّ الدينيةِ يقعُ بتأثيرِ رَوَاجِ أخلاقٍ أجنبيةٍ غايتُها تحويلُ المسلماتِ عَن دِينِهِنَّ، وجَبْلِ أخلاقِهِنَّ علىٰ اتِّباعِ الأورُبِّيَّاتِ وتقليدِهِنَّ في عاداتِهِنَّ ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾ [البقرة: ١٢٠]. فتقليدُ المسلمين لغيرِ المسلمينِ في مِثلِ الذي ذكرْنَا هو مَدْعَاةٌ إلىٰ فتنةٍ في الأرضِ وفسادٍ كبيرٍ، ولن يخفىٰ ضررُهُ علىٰ مَن له مُسْكَةٌ مِن عقلٍ ودِينٍ، ولكنَّ الهوىٰ يُعمِي ويُصِمُّ، وحتَّىٰ النصارىٰ ـ علىٰ كفرِهم ـ أصبَحُوا وهُم يُعانُون الشَّقاءَ ويَشْكُون منه الوَيْلاتِ علىٰ إثْرِ الويلاتِ.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي. . . إلخ.

في ذي الوجهين

الحمدُ للهِ الذي لا يقولُ إلاَّ حقًّا وهو أصدقُ القائِلين. أحمدُه ـ سبحانه ـ إلٰه الأوَّلين والآخرِين، وقَيُّومُ السَّمٰوات والأرْضين، ومالِكُ يومِ الدِّين.

وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ـ.

أما بعد:

أيُّها المسلمون: أُوصيكُمْ ونَفسي بتقوىٰ اللهِ ـ تعالى ـ؛ فهي التِّجارةُ التي لا تَبُورُ، وأحُثُّكم على مُراقبَتِه؛ فإنه يعلمُ خائِنةَ الأعْيُنِ وما تُخفي الصُّدورُ. فاحْرِصوا على طاعةِ ربِّكُمْ، وبادِرُوا؛ فإنَّ المَنَايا كلَّ لحظةٍ على الأنامِ تدورُ. وقَدِّموا لأنفسِكم من الأعمالِ الصالحةِ ما يَنْفَعُكُم في يوم النُّشُورِ. واحْذَرُوا من عملِ ذي الوَجْهَيْنِ؛ فإنَّه عملٌ غيرُ صالحٍ، مع ما فيه من الشُّرورِ.

عبادَ الله: مِنَ النَّاسِ مَنْ يعيشُ في أكنافِ المُسلمين وعلى حِسابِهم، وهو يأخُذُ عليهم الطَّريقَ ويَصُدُّهم عن مسالِك الرَّشادِ ونَهْجِ السَّدادِ. هَمُّهُ الإِفْسادُ بينهم، ودَيْدَنُهُ القضاءُ على رابِطَتِهم. هو عبءٌ ثقيلٌ على مُجْتَمَعِ المُسلمين. وَصَفَهُ رسولُ اللهِ ﷺ بأقبحِ وصفٍ، وحكىٰ واقِعَه بما يُنَفِّرُ مِنْهُ، ويُوحِي بالاحتِرازِ مِنْهُ. وصفه رسولُ اللهِ ﷺ بِذِي الوجهين. أخبرَ

أنَّهُ من شِرارِ النَّاسِ؛ لِعِظَمِ جُرْمِهِ وفسادِ طَويَّتِهِ، وخُبْثِ مُحاولاتِهِ، وبشاعةِ مواقِفِهِ، وفسادِ صنيعِهِ، وذلك بِقولِهِ ﷺ: «**تَجِدُ مِنْ شِرارِ النَّاسِ يومَ القِيامَةِ عِنْدَ اللهِ ذا الوجهَيْنِ الذي يأتي هؤلاءِ بِوجهٍ وهؤلاء بِوجهٍ**» [رواه البخاري وغيره].

عباد الله: إنَّما كان ذو الوجهين شرَّ الناس لأنَّ حالَه حالُ المُنافِقِ؛ إذْ هو مُتَمَلِّقٌ بالباطِلِ وبالكذِبِ، مُدْخِلٌ للفسادِ بينَ النَّاسِ. فأمَّا مَنْ يَقصِدُ الإصلاحَ بين طائِفتَيْنِ، كَأَنْ يَأتي لكلِّ طائفةٍ بكلامٍ فيه صلاحُ الأخرى، ويَعتذِرُ لكلِّ طائفةٍ عن الأخرى، ويَنقُلُ ما أَمْكَنَهُ من الجَمِيلِ، ويَستُرُ القبِيحَ، فهذا محمودٌ، بل مُسْتَحَبٌّ؛ لِقولِ اللهِ ـ عز وجل ـ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

معشر المسلمين: إنَّ عملَ ذي الوجهين نِفاقٌ واضحٌ لا لَبْسَ فيه، وحَسْبُ المَرْءِ ضَعَةً وهواناً أن يكونَ في عِدَادِ المُنافقين، يتخلَّقُ بأخلاقِهم، ويسيرُ في رِكابِهِم، ويُضَارُّ المؤمنين في مُجتمعِهم، ويضرِمُ نارَ العداوةِ بينهم.

عباد الله: إنَّ ذا الوجهين يَرتكبُ بعمله هذا عدداً من الكبائِرِ والمُحَرَّماتِ، يَرْتكِبُها عَمْداً مع الإصرارِ، من الكذبِ والنَّميمةِ، واليمينِ الفاجرةِ والهَمْزِ والغِيْبَةِ. وكلُّ هذه الكبائِرِ التي يَجمعُها

ذو الوجهين بعملِه من أسبابِ سَخَطِ اللهِ وغضبِه، قال اللهُ ـ عز وجل ـ: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [القلم: ١٠ـ١٢]. وعن عمَّارِ بنِ ياسرٍ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كانَ لهُ وَجْهانِ في الدُّنيا، كانَ له يَوْمَ القِيامةِ لِسانانِ مِنْ نارٍ**» [رواه أبوداود وابن حبَّان في صحيحه] وعنْ محمدِ بنِ زيدٍ أنَّ ناساً قالوا لِجَدِّهِ عبدِاللهِ بنِ عُمَرَ ـ رضي الله عنهم ـ: إنَّنا نَدْخُلُ على سُلْطانِنا فنقولُ بِخِلافِ ما نَتكَلَّمُ إذا خرجْنا مِنْ عِنْدِهِ. فقال: «كُنَّا نَعُدُّ هذا نِفاقاً على عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ» [رواه البخاري]. هذا قولُ ابنِ عمرَ ـ رضي الله عنهما ـ في القُرُونِ المُفَضَّلَةِ التي هي خيرُ القُرُونِ، وهي جَدِيرةٌ بإحسانِ الظَّنِّ والارتفاعِ بأهلِها عن المَذَمَّةِ. لم يكونوا يقولون هَجْراً أو يَدُسُّون الدَّسائِسَ أو يَنالُون مِنْ أحدٍ من المسلمين، أو يَسْتَعْدُون على بريءٍ؛ فإنَّهم أَعْرَفُ النَّاسِ بأهدافِ قولِ الرسولِ ﷺ: «**كُلُّ المُسلم على المُسلم حرامٌ دَمُهُ ومالُهُ وعِرْضُهُ**» وأمَّا في آخِرِ الزَّمانِ فإنَّ مِنَ النَّاسِ من تَدْفَعُهُ الخِيانَةُ إلى نَقْلِ أحاديثِ المجالِسِ للتَّقَرُّبِ بها إلى المَنْقُولِ إليه؛ للفسادِ والإِفسادِ بين المسلمين، ولن يَستقيمَ نهجٌ على الهُدىٰ أو يَصْلُحَ مجتمعٌ تَقُوْم فيه سوقٌ لذي الوجهين.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وارتفِعُوا بأخلاقِكم عن معائِبِ ذي الوجهين، وحَذَارِ مِنْ تصديقِه والأخْذِ بما يَنْقُلُه؛ ففي ذلك فسادُ ذاتِ البَيْنِ، وفسادُ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ، كما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا أخبرُكُم بأفضلِ من**

درجةِ الصِّيام والصَّلاةِ والصَّدَقَةِ؟» قالوا: بلى. قال: «**إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ. فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ**» [رواه أبوداود وابن حبَّان في صحيحه والترمذي وصحَّحه] ثم قال: ويُرْوَىٰ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**هي الحالقة. لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، ولٰكنْ أقولِ تحْلِقُ الدِّينَ**». ومعنىٰ إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ: أي الحالُ التي بينكم، بالمُساعَدَةِ والمُواسَاة، وجَلْبِ التَّآلُفِ والتَّسَانُدِ، والتَّوفيقِ بين المُتَعَادِيَيْنِ، ووجُودُ الوِئامِ، وإزالةُ الخِصامِ، وإطْفاءُ نارِ الفِتْنَةِ وتَسْكِينُ ثائِرَةِ النُّفُوسِ، وبُزُوغِ شَمْسِ الرَّأْفَةِ والرَّحْمَةِ. ومعنىٰ الحالِقَةِ: أي القاطِعةُ والمُستأصِلَةُ لكلِّ خيرٍ، والجالِبةُ لكلِّ شرٍّ، مثلَ التَّنابُذِ واقتِرافُ الآثام وإزْهاقُ الأرواحِ البريئةِ وإضاعةُ الأموالِ فيما يُغْضِبُ اللهَ ـ جلَّ وعلا ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨]. اللهُمَّ إنَّا نُعوذُ بك مِنَ النِّفاقِ والشِّقاقِ وسُوءِ الأخلاقِ، ياربَّ العالمين. أقولُ قولي هذا... الخ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ المُطَّلِعِ على السِّرِّ والخَفِيات. أَحْمَدُهُ ـ سبحانه ـ؛ يُضاعِفُ الحسناتِ، ويَتوبُ على من تابَ مِنَ السَّيِّئاتِ. وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ـ.

أما بعد:

أيها المسلمون: إنَّ ذا الوجهين قتَّاتٌ، وإنَّ الجَنَّةَ لا يَدخُلُها قتَّاتٌ، كما في الصَّحِيحَيْنِ عن حُذَيفةَ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَدخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**» والقَتَّاتُ: النَّمَّامُ الذي يَنقلُ حديثَ رجُلٍ أو قَوْمٍ إلى رَجُلٍ أو قَوْمٍ، على طريقِ الوِشَايَةِ؛ لإفْسادِ ما بينهما. وقِيلَ إن بَيْنَ القَتَّاتِ والنَّمَّامِ فَرْقاً لَطِيفاً، وهو أنَّ النَّمَّامَ مَنْ يكونُ مع القَوْمِ يتحدَّثُونَ، فينُمُّ عليهم ويَكشِفُ من حديثِهِمْ ما يكرهُون كَشْفَه، وأمَّا القَتَّاتِ فهو الذي يَتَسَمَّعُ على القَوْمِ وهُم لا يعلمون، ثمَّ ينقلُ حديثَهم.

وكُلَّما عَظُمَ أمرُ النَّميمَةِ واشْتَدَّ خطرُها، كانتْ أكبرَ إثْماً وأعْظمَ جُرْماً، فَهِي بينَ الأقاربِ وذَوِي الرَّحِمِ والأصحابِ والجِيرانِ أَشَدُّ إثماً وأعْظَمُ خَطِيئةً.

قالَ لُقْمانُ لابنِه: «يا بُنَيَّ: أُوصِيكَ بِخِلالٍ إنْ تَمَسَّكْتَ بِهِنَّ لَمْ تَزَلْ سيِّداً: ابْسُطْ خُلُقَكَ للقريبِ والبعيدِ، وأَمْسِكْ جَهْلَكَ عن الكريمِ واللئِيمِ، واحْفَظْ إخْوانَك، وصِلْ أقارِبَك، وآمْنْهُم مِنْ قَبُولِ قَوْلِ ساعٍ أو سماعِ باغٍ يُرِيدُ فسادَك ويَرُومُ خِداعَك، ولْيَكُنْ إخْوانُك مَنْ إذا فَارَقْتَهُم وفارَقُوك، لَمْ تَعِبْهُمْ ولم يَعِيبُوك.

عبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصَلُّون على النَّبيِّ. . . إلخ.

موعظة وفيها التحذير من أخلاق المنافقين

الحمدُ للهِ المُطَّلِعِ علىٰ السَّرائرِ والخَفِيَّاتِ. والحمدُ للهِ الذي يُسبِّحُ بحمدِه مَنْ في الأرضِ والسمٰواتِ، والحمدُ للهِ بكلِّ حمدٍ حمدَ به نفسَه، أو علَّمَه أحداً مِنْ المخلوقاتِ. أَحمدُه ـ سبحانه ـ علىٰ ما أَوْلاهُ مِنَ الإنعامِ وعظيمِ الهِبَاتِ. وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له تَرفعُ مَن عَمِل بها أعْلىٰ الدَّرجاتِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، دعا إلىٰ طُرُقِ الصَّلاحِ والإصلاحِ، وحذَّرَ مِنَ الزَّلَلِ وعَواقِبِ السَّيِّئاتِ. اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارِكْ عليه وعلىٰ آله وصحبِه. **أمَّا بعدُ:**

أيها الناس: إنَّ ما تُوعَدُون مِنْ الآخرةِ لآتٍ. وإنَّكم في دارٍ هي محلُّ العِبَرِ والآفاتِ، وأنتم على سَفَرٍ والطَّريقُ كثيرةُ المَخافاتِ. فتزوَّدُوا مِنْ دُنياكُم قبلَ المماتِ، وتَدارَكُوا هَفَوَاتِكُمْ قبلَ الفَواتِ، وحاسِبُوا أنفسَكم وراقبوا اللهَ في الخَلَوَاتِ، وتَفكَّرُوا فيما أَرَاكُمْ مِنَ الآياتِ، وبادِرُوا بالأعمالِ الصَّالِحاتِ، واستكثِرُوا في أعمارِكم القصيرةِ مِنَ الحسناتِ، قبلَ أنْ يُنادي بِكُمْ مُنَادي الشَّتَاتِ، قبلَ أنْ يَفْجَئكُم هادِمُ اللَّذَّاتِ، قبلَ أنْ يتصاعدَ مِنْكُمْ الأنينُ والزَّفراتُ، قبلَ أنْ تَتَقَطَّعَ قُلُوبُكم عندَ فِراقِ الدُّنيا حَسَرَاتٍ، قبلَ أنْ يَغْشَاكُمْ مِنَ غَمِّ الموتِ الغَمَرَاتُ، قبلَ أنْ تُنْقَلُوا مِنَ القُصُورِ إلىٰ بُطُونِ الفَلَوَاتِ، قبلَ أنْ يُحالَ بينكم وبين ما تَشْتَهُونَ مِنَ هٰذه الحياةِ، قبلَ أنْ تتمنَّوْا رُجُوعَكم إلىٰ الدُّنيا لِتعملُوا وهَيْهَاتَ.

فاتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقَاتِهِ؛ فإنَّ فيها النَّجاةَ قبلَ المماتِ. احرِصُوا علىٰ إصلاحِ المَظْهَرِ والمَخْبَرِ وتَجَنُّبِ الإِثمِ والرَّذِيلَةِ ظاهِراً وباطِناً؛ لأنَّ الإِسلامُ قدْ أمرَ بإصلاحِ المَظْهَرِ، كما أمرَ بإصلاحِ المَخْبَرِ، فأصْلحَ العقائِدَ بالتَّوحيدِ، ونظَّمَ به الصِّلةَ بين الخالِقِ والمخلوقِ، بحيثُ يُفْرِدُ المخلوقُ خالِقَه بالعبادةِ دُونَ تشريكٍ أو مُزاحمةٍ؛ وذٰلك مِنْ إصلاحِ المَخْبَرِ. كما أَصلحَ الإِسلامُ الرَّوابِطَ بينَ المسلمين بتكوينِ الخُلُقِ القَويمِ، ونَظَّمَ به الصِّلَةَ بين الأفرادِ، بحيثُ لا يَبْغِي أحدٌ علىٰ أحدٍ، وبحيثُ يَرىٰ المسلمُ لأخيه ما يَرَاهُ لنفسِه، مِنْ حُقُوقٍ وواجباتٍ والتِزاماتٍ في العُقُودِ والمُعاملاتِ وغيرِها، وذٰلك مِنْ إصلاحِ المَظْهَرِ.
وإنَّ مِنْ مناهجِ إصلاحِ المَظْهَرِ والمَخْبَرِ، وإصلاحِ الدِّينِ والخلق معاً ما رَسَمَهُ رسولُ اللهِ ﷺ بقَوْلِهِ: **«أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه، كانَ مُنافقاً خالصاً، ومَنْ كانتْ فيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حتَّىٰ يَدَعَهَا: إذا ائْتُمِنَ، خَانَ، وإذا حَدَّثَ، كَذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ»** فالخِيانَةُ في الأمانَةِ في أي نوعٍ من الأنواعِ أو شَكْلٍ مِنَ الأشكالِ، وبأيِّ وسيلةٍ مِنَ الوسائِلِ هي دليلٌ واضحٌ علىٰ مُخالفةِ مَظْهَرِ الخائِنِ لِمَخْبَرِهِ، وذٰلك مِنْ خُلُقِ المُنافِقينَ. مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ حَذَّرَ رسولُ اللهِ ﷺ أَتْبَاعَهُ مِنْ هٰذا الخُلُقِ الذَّميمِ، واسْتعاذَ مِنَ الخِيانَةِ لِعَظِمِ خَطَرِها علىٰ المُجتمعِ، ولِمَا يَتَرَتَّبُ عليها في الآخرةِ مِنْ سوءِ المصيرِ. فقالَ: **«وأَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيانةِ، فإنَّها بِئْسَتِ البِطانةِ»**.

أَمَّا الكَذِبُ فهو ظاهرةٌ بَيِّنَةٌ بِخُلُقِ الكاذِبِ وضعفِ نفسيَّتِهِ وانحلالِ خُلُقِهِ. ولقد نفىٰ رسولُ اللهِ ﷺ عَنِ المُؤْمِنِ أَنْ يكونَ كذَّاباً. «قِيلَ له: يارسولَ الله: أيكونُ المؤمنُ جباناً؟ قال: «**نعم**». قيل له: أيكونُ بخيلاً؟ قال: «**نعم**». قيل: أيكونُ كذَّاباً؟ قال: «**لا**». [أخرجه في الموطَّأ]. وَمَا ذاكَ إلاَّ لأنَّ الكَذِبَ خَصْلَةُ عارٍ تَهْدِمُ شخصيَّةَ المسلمِ بين المسلمين الصَّادقين، وتُعَرِّضُهُ لِعقابِ اللهِ يومَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ الصَّادِقين، وتَغْبَرُّ وتَسْوَدُّ وُجُوهُ الكاذِبين. كما قالَ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠]. وقال ـ سبحانه ـ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: ١٠٥].

وعَنْ عبدِالله بنِ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: «إنَّ الشَّيطانَ لِيَتَمَثَّلُ في صُورَةِ الرَّجُلِ، فيأتي القَوْمَ فَيُحَدِّثهم بالحديثِ مِنَ الكَذِبِ، فَيَتَفَرَّقُونَ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ منهم: سَمِعْتُ رَجُلاً أَعْرِفُ وَجْهَهُ ولا أَعْرِفُ اسمَه يُحَدِّثُ كذا وكذا» وعن عبدِالله بنِ عمرٍو ـ رضي الله عنهما ـ قالَ: «إنَّ في البحرِ شياطينَ مسجُونةً أَوْثَقَها سليمانُ يُوشِكُ أنْ تَخْرُجَ فتقرأَ علىٰ النَّاسِ قُرْآناً» [أخرجها مسلم في مقدمة كتابه].

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وسارِعُوا إلىٰ ما يُحِبُّهُ الرَّبُّ ويَرْضَاهُ واسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ العُمرِ قبلَ تَصَرُّمِهِ وانقضائِهِ، فكأنَّكم بِمَمْدُودِ الأملِ وقَدِ انْفَصَمَتْ عُرَاهُ. وبالمَلَكَيْنِ وقدْ طَوَيَا صحيفةَ العملِ ما سطراهُ وشهداه ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا

بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٠] اللهمَّ أَعِنَّا علىٰ ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ.

أقول قولي هذا..... إلخ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ كُلَّ شيءٍ فَقَدَّرَهُ تقديراً. وجَعَلَ اللَّيلَ والنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أرادَ أنْ يذَّكَّرَ أو أرادَ شُكُوراً. أَحمدُه حَمْداً كَثِيراً. وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له عليًّا كبيراً شهادةً أَدَّخِرُها ليومٍ كانَ شرَّهُ مُسْتَطِيراً، وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: وأمَّا الغَدْرُ بعدَ الأمانِ، ونَقْضَ العهدِ بعدَ توكيدِ الأيمانِ، وعَدَمَ الوفاءِ بما تَعاقَدَ عليه المرءُ والْتَزَمَهُ، فليسَ ذٰلك مِنْ خُلُقِ المسلمِ، بلْ هو مِنْ خُلُقِ المُنافقينَ الذين يُبطِنونَ خِلافَ ما يُظهرون، حيثُ أمرَ اللهُ ـ سبحانه ـ بالوفاءِ بالعهدِ، ورعايةِ ما يَلتزِمُه المسلمُ مِنْ حُقُوقٍ قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقالَ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِۚ ﴾ [المائدة: ١]. ومِنَ الوَعِيدِ في حَقِّ الغادرِ قَولُهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١]. وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ

﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧٧] وقَولُهُ ﷺ: «**لِكُلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامةِ يُعْرَفُ به**» وفي روايةٍ: «**إنَّ الغادِرَ يُنصَبُ له لِواءٌ يومَ القيامةِ، فيُقالُ: ألا هٰذه غَدْرَةُ فُلانٍ**» [متفق عليه].

عباد الله: الغَدْرُ حرامٌ في كلِّ عهدٍ بين المسلمِ وغيرِهِ، وعُهُودِ المُسلمين فيما بينهم، الوفاءُ بها أَشَدُّ ونَقْضُها أعظمُ إثماً. ومِنْ أعظمِها نقضُ عهدِ الإمامِ؛ ففي الصحيحين عن أبي هُريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمُهُم اللهُ يومَ القِيامةِ ولا يُزَكِّيهِمْ ولَهُمْ عذابٌ أليمٌ**». فَذَكَرَ مِنْهُم: «**ورَجُلٌ بايَعَ إماماً، لا يُبَايِعُهُ إلَّا لِدُنيا، فإنْ أَعْطَاهُ ما يُريدُ وَفَّىٰ له، وإنْ لمْ يُعْطِهِ لمْ يَفِ له**».

وأمَّا الفُجُورُ في الخُصُومَةُ فَهُوَ مُجَانَبَةُ العَدْلِ فيها والادِّعَاءُ علىٰ الخَصْمِ بِالباطِلِ وحَشْدِ شُهُودِ الزُّورِ لإقرَارِ الحَقِّ المَزْعُوم. ولقدْ ذَمَّ اللهُ في مُحكَمِ كِتَابِهِ مَنْ يَذْهَبُ إلىٰ الجِدَالِ بِالبَاطِلِ في الخُصُومَةِ. قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤]. أي شَدِيدُ الخُصُومَةِ كاذبٌ في القَوْلِ مُجادِلٌ بِالبَاطِلِ.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ وجانِبُوا الخِيانَةَ في الأَمانَةِ، والكَذِبَ في تَصويرِ الواقعِ، والغَدْرَ بعدَ تَوثيقَ العُهُودِ، والفُجُورَ في الخُصُومَةِ؛ يَسْلَمْ لَكُمْ الدِّينُ ويَصْلُحْ بِكُمُ المجتمعُ وتَكُونُوا مِنَ المُهتدِين.

عبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ وملائكته يصلون على النبي... إلخ.

في التواضع وذم الكبر

الحمدُ للهِ الكبيرِ المُتَعَالِ، ربِّ السَّمٰواتِ والأرضِ وما بينهما العزيزِ الغَفَّارِ، جعلَ التَّكُبُّرَ مِن صِفاتِ أهلِ النَّارِ، وجعلَ جزاءَ المُتكبِّرين الهَوَانَ والبَوَارَ، ولهم في الآخرةِ السَّلاسِلَ والأغلالَ، يومَ يُسْحَبُون في النَّارِ، يومَ تَرىٰ الذين كَذبُوا علىٰ اللهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ، أليسَ في جَهنَّمَ مَثْوًىٰ للمُتكَبِّرين. أَحمدُه ـ سبحانه ـ تَفَرَّدَ بالكِبْرِ والعَظَمَةِ، ومَن نازعَه في شيءٍ منهما، قَصَمَهُ.

وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبارِكَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

أمَّا بعدُ:

عباد الله: ضِدَّانِ لا يَجْتَمِعان، وخُلُقانِ لا يَلْتَقِيان، تَواضُعٌ كريمٌ محمودٌ، وكِبْرٌ بغيضٌ مذمومٌ؛ ذٰلك لأنَّ التَّواضُعَ تَطَامُنٌ في النَّفْسِ، ورِفْقٌ في المعاملةِ، وسماحةٌ في الخُلُقِ، وطَلاقَةٌ في الوَجْهِ للمؤمنين. فالمؤمنُ يَتواضعُ في غَيْرِ مَذَلَّةٍ ولا مَهَانَةٍ، يَتَواضَعُ لِيَرْتَفِعَ، ولا يَتكَبَّرُ لِئَلاَّ يَنْخَفِضَ، إذْ سُنَّةُ اللهِ جاريةٌ في رَفْعِ المُتواضِعين له، ووَضْعِ المُتكَبِّرين، كما في الحديثِ: «**وما تواضعَ أحدٌ للهِ، إلاَّ رفعَه اللهُ**» [رواه مسلم] وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**حقٌّ علىٰ اللهِ أن لا يَرْتَفِعَ شيءٌ مِنَ الدُّنيا إلاَّ وَضَعَه**».

والتَّواضُعُ: هو التَّذَلُّلُ والاستِسلامُ للحقِّ فيما بين العبدِ وبين ربِّه،

وفيما بينَه وبين النَّاسِ، فالتَّواضُعُ مِنَ المَحَامِدِ التي يرعاها الإِسلامُ ويَدعُو إليها، ويَرغبُ في التَّخَلُّقِ بها، توثيقاً للصِّلَةِ بين المسلمين واستِدامَةً للأُلْفَةِ والمَوَدَّةِ. كما جاء في الحديثِ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ اللهَ أَوْحىٰ إليَّ أنْ تواضَعُوا حتَّىٰ لا يفخرَ أحدٌ علىٰ أحدٍ ولا يَبْغِي أحدٌ علىٰ أحدٍ**» [رواه مسلم] فجمعَ النَّبيُّ ﷺ بين نَوْعَيْ الاستطالَةِ؛ لأنَّ المُستطيلَ إنِ استطالَ بِحَقٍّ فهو المُفتخِرُ، وإنِ استطالَ بغيرِ حقٍّ فهو البَاغِي، فلا يَحِلُّ هٰذا ولا هٰذا. وإذا اتَّصَفَ النَّاسُ بهٰذا الخُلُقِ الكريمِ فإنَّه لا يَتكَبَّرُ أحدٌ علىٰ أحدٍ؛ لأنَّ التَّواضُعَ ضِدُّ الكِبْرِ، ولا يَبْغِي أحدٌ علىٰ أحد؛ لأنَّ المُتَواضِعَ لا يَرىٰ لِنفسِه مَزِيَّةً علىٰ أَحدٍ فَيتكَبَّرُ عليه أو يَبْغِي عليه، وإنَّما البَغْيُ والكِبْرُ ينشآن ممَّن يَرىٰ لِنفسه مَزِيَّةً علىٰ الناسِ تَحْمِلُه علىٰ الكِبْرِ عليهم والبغْيِ عليهم، وإنَّه لا حَسَبَ إلاَّ في التَّواضُعِ، ولا نَسَبَ إلاَّ بالتَّقوىٰ، ولا عملَ إلاَّ بالنِّيَّةِ، ولا عبادَةَ إلاَّ باليقينِ. كما جاءَ في الأَثَرِ: «ومَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عليه فَلْيَطْلُبْ بالتَّواضُعِ شُكْرَها؛ فإنَّه لا يكونُ شَكُوراً حتَّىٰ يَكونَ مُتَواضِعاً» كما قال بعضُ الحُكَماءِ: «إذا سُئِلَ الشَّريفُ، تَواضَعَ، وإذا سُئِل الوضِيعُ، تكبَّرَ» فالتَّواضُعُ للهِ في أرضِه يَظْهَرُ أثرُه بالتَّحَدُّثِ بِنعَمِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ، وعَدمِ التَّعالِي علىٰ خَلقِ اللهِ، ولِينِ الجانِبِ وخَفْضِ الجناحِ لِعِبادِه. كما قال ـ تعالىٰ ـ في الثَّناءِ علىٰ أوليائِه بِوَصْفِ التَّواضُعِ فيهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وقالَ في جزاءِ المُتَواضِعِين: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ

﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

وحَسْبُ المُتَواضِعِ يا عبادَ اللهِ مَحْمَدَةً ورِفْعَةً، أنْ يَسلكُ بتواضُعِه سبيلَ المُرسَلِين ويَتحلَّىٰ بأخلاقِهم؛ فلقدْ أمَرَ ربُّ العِزَّةِ أكرمَ الخلقِ عليه بِخفضِ الجناحِ لِمَنِ اتَّبعَه؛ لِيكونَ لهم به الأُسْوَةُ وفيه القُدْوَةُ. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وأمَّا الكِبْرُ فَعَلَىٰ العَكْسِ مِن ذٰلك، عَرَّفَهُ رسولُ الله ﷺ بقولِه: «**الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ الناسِ**» فبَطَرُ الحقِّ: دَفْعُهُ ورَدُّه علىٰ قائِلِه، وعَدَمُ الاستجابةِ له، فإذا سَمِعَ المُتكبِّرُ نُصْحَ النَّاصِحين وتَذكيرَ الواعِظين، أعرضَ ونأىٰ بِجانبه، وتَمادىٰ في كِبريائِه، وكأنَّه لم يَكُنْ مَعْنِيًّا بالموعِظَةِ والتَّذكيرِ، أو كأنَّه أرفعُ مِن كُلِّ نُصحٍ وتَقويمٍ. وأمَّا غَمْطُه للناسَ فاحتِقارُه لهم وتَعاظُمُه عليهم، إمَّا بِحُطامِ الدُّنيا الفانِي، الذي هو عارِيَةٌ في يَدِه، أو بِحَمِلِه شهادةً، أو بارتِفاعِه إلىٰ مَنْصِبٍ يَرىٰ الناسَ فيه دُونَه. وذٰلِكُم يا عبادَ اللهِ فسادٌ في العقلِ والدِّينِ: أمَّا فسادُ العقلِ: فهو أنَّ المُتكبِّرَ تَجاهَلَ أنَّه عبدٌ ذليلٌ مقهورٌ لصاحِبِ الكِبرياءِ والعظمةِ، وتناسىٰ أصلَ خَلقِه ومادَّةَ تكوينِه، وتناسىٰ أنَّ أصلَه التُّرابُ، وأنَّ مادَّة تكوينِه السُّلالَةُ والماءُ المَهينُ. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: الكِبرياءُ ردائي والعظمةُ إزارِي، فَمَنْ نازَعَنِي واحداً منهما، قَذَفْتُه في النارِ**» [رواه أبوداود]. وأمَّا فسادُ الدِّينِ: فَلِدَفْعِه الحقَّ والاستِنْكافِ عن قَبولِه ومُضِيِّ المُتكبِّرِ في تِيهِه وإعجابِه بنفسِه واتِّباعِه لهَواهُ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ

﴿بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [القصص: ٥٠].

وهناك يا عبادَ الله فرقٌ بين المَهابَةِ والكِبْرِ، ذَكَرَه ابنُ القيِّمِ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ، حيثُ قالَ: إنَّ المَهَابةَ أثرٌ من آثارِ امتلاءِ القلبِ بِعظمةِ اللهِ ومَحبَّتِهِ وإجلالِه، فإذا امتلأَ القلبُ بذٰلك حلَّ فيه النُّورُ ونزلتْ عليه السَّكِينَةُ، وأُلْبِسَ رِداءَ الهَيْبَةِ، فاكْتَسىٰ وجهُه الحلاوةَ والمهابةَ، فأخذَ بِمَجامِعِ القلوبِ مَحبَّةً ومهابةً، فحَنَّتْ إليه الأفئِدةُ، وقَرَّتْ به العُيُونُ، وأَنِسَتْ به القلوبُ، فكلامُه نُورٍ ومدخلُه نورٌ ومخرجُه نورٌ وعِلمُه نورٌ. إنْ سكتَ، عَلاَهُ الوقارُ، وإنْ تكلَّمَ، أخذَ بالقلوبِ والأسماعِ. قال: وأمَّا الكِبْرُ فأثَرٌ مَن آثارَ العُجْبِ والبَغْيِ من قلبٍ قد امتلأَ بالجهلِ والظُّلمِ، تَرَحَّلتْ منه العُبُودِيَّةُ، ونزلَ عليه المَقْتُ، فنَظرُه إلىٰ الناسِ شَزرٌ، ومَشْيُه بينهم تَبخترٌ، ومعاملُته لهم معاملةُ الاستِئثارِ لا الإيثارِ ولا الإنصافِ، ذاهباً بنفسه تِيهاً، لا يَبدأُ مَن لَقِيه بالسَّلامِ، وإنْ ردَّ عليه رأىٰ أنَّه قد بالغَ في الإنْعامِ عليه، لا يَنْطَلِقُ لهم وجهُه، ولا يَسَعُهُمْ خُلُقُه، ولا يرىٰ لأحدٍ عليه حقاً، ويرىٰ حُقُوقَه علىٰ الناسِ ولا يرىٰ فَضْلَهُم عليه ويرىٰ فضلَه عليهم، ولا يَزدادُ مِن اللهِ إلاَّ بُعْداً ولاَ مِن الناسِ إلاَّ صَغَاراً وبُغْضاً.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وعليكم بالتَّواضُعِ ومُجالَسةِ العلماءِ، ومُصاحَبةِ الفُضلاءِ ومُرَافَقةِ السُّعَداءِ ولو كانوا مِن الفُقراءِ الضُّعَفاءِ؛ فهو سبيلُ الصَّالِحين، واحذَرُوا مِن الكِبْرِ، والتَّرَفُّعِ عن سؤالِ أهلِ العِلمِ،

والتَّعاظُمِ علىٰ مَواعِظِهم؛ فإنَّه مَسْلَكُ الجبَّارين وطريقُ الغاوِين. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٨٣].

اللهُمَ أَعِنَّا علىٰ ذِكْرِكَ. أقولُ قولِي هٰذا. . . إلخ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ مالِكِ المُلْكِ إلٰه العالَمين، وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، دعا أُمَّتَه إلىٰ الصِّراطِ المُستقِيمِ، وحَذَّرَهم مِن كِبْرِ المُتكَبِّرين، وعظمةِ المُتعالِين. اللهُمَّ صَلِّ وسلِّم عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: إنَّ اللهَ جَلَّتْ عظمتُه قَدْ أَعَدَّ للمُتكبِّرين في الآخرَةِ جزاءً يَتحطَّمُ به كِبرياؤُهم، فَيتضاءَلُون ويَنْكَمِشُون بِقَدْرِ ما تكَبَّرُوا به وانْتَفَخُوافي الدُّنيا وبِقَدْرِ ما تَعاظَمُوا علىٰ عبادِ اللهِ، وتكبَّرُوا علىٰ الحَقِّ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: «**يُحشَرُ المتكبِّرُون يومَ القِيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُورِ الرِّجالِ، يَغْشاهُم الذُّلُّ مِن كُلِّ مكانٍ، يُساقُون إلىٰ سِجْنٍ في جهنَّمَ يُقالُ له بُولَس، تَعْلُوهم نارُ الأنيار، يُسقَون مِن عُصارَةِ أهلِ النارِ طِينَةِ الخَبَالِ**» [رواه الترمذي].

ولهم وراءَ ذٰلك يا عبادَ اللهِ، وعيدٌ شديدٌ، كما جاءَ في الحديثِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «**لا يَدخلُ الجَنَّةَ مَن كانَ في قلبِه مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِن كِبْرٍ**»

[رواه مسلم] وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا أُخبرُكم بأهلِ النارِ، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتكبرٍ**» [رواه البخاري ومسلم] فالعُتُلُّ هو الغَلِيظُ الجافِي، والجَوَّاظُ من معانيه المُخْتالُ في مِشْيَتِه، والمُستكبِرُ الذي يَرىٰ نفسَه أكبرَ مِن غَيْرِه.

عباد الله: عندما يُصْغِي المسلمُ بأُذُنِه وقلبِه إلىٰ مِثْلِ هٰذه الأخبارِ الصَّادِقَةِ مِن كلامِ اللهِ وكلامِ رسولِه ﷺ في الثَّناءِ علىٰ المُتَواضِعِين مَرَّةً، وفي ذَمِّ المُتكَبِّرين أُخْرىٰ، وطَوْراً في الأمرِ بالتَّوَاضُعِ، وأُخرىٰ في النَّهيِ عَنِ الكِبْرِ، كيف لا يَتواضَعُ ولا يَكونُ التَّواضُعُ خُلُقاً له، وكيفَ لا يَجتَنِبُ الكِبْرَ ويَحْذَرُ من المُتكَبِّرين.

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصَلُّون... إلخ.

في التثبت وعدم قبول الأخبار

الحمدُ للهِ الملكِ الأعلىٰ الكبيرِ الواحدِ الأحدِ الفَرْدِ الصَّمدِ السَّميعِ البصِيرِ الخافِضِ الرَّافِعِ المُعزِّ المُذلِّ القدِيرِ، أحاطَ عِلْماً بالجليلِ والحقِيرِ، ألا يعلمُ من خلقَ وهو اللَّطيفُ الخَبيرُ؟، فسُبحانه مِنْ إلٰهٍ علىٰ عرشِه استوىٰ، يَعلمُ خائِنَةَ الأعْيُنِ وما يُخْفِي الضَّميرُ، ويَسمعُ دَبِيبَ النَّملِ في حَنَادِسِ الظُّلَمِ إذا يَسِيرُ. أحمدُه ـ سبحانه ـ وهو بالحمدِ جديرٌ، وأَشكُرُه علىٰ ما أَوْلاَهُ مِنْ الإنعامِ والإحسانِ والخيرِ الكثيرِ.

وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه ـ.

أمَّا بعدُ:

فيا أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ؛ فإنَّ تَقْواهُ وِقايةٌ من عذابِه، واحذَرُوا المعاصِي؛ فإنَّها مُوجِباتٌ لغضبِ الرَّبِّ وأليمِ عِقابِه، وتدبَّرُوا كتابَ ربِّكم وما تضمنَّه من أمرِه ونَهْيِه وعِقابِه. فَإِنَّه الذِّكْرُ الحكيمُ والصِّراطُ المستقيمُ، الذي لا يَضِلُّ به مُتَّبِعُه، ولا يَشْقَىٰ به. فقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦].

عباد الله: إنَّ اللهَ أمرَ المؤمنين في كتابه العزيزِ أن لا يقبلُوا أيَّ قولَ يتَّصلُ بمسامِعِهم، إلاَّ بعد التَّثبُّتِ منه والتَّحرِّي؛ لِئَلاَّ يَقَعُوا في المَحظُورِ من

إفسادِ الصِّلاتِ، وإحداثِ الجَفْوَةِ بين المسلمين والمسلماتِ، دُونما ذنبٍ اجترحُوه، أو جنايةٍ أقدمُوا عليها، وذٰلك بقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] أي تَثبَّتُوا منه، ولا تُصَدِّقُوه لأوَّلِ وَهْلَةٍ؛ فقد يَكونُ المُخبِرُ به مُغْرِضاً أو لِيَجُرَّ به إليه مَغْنَماً، أو لِيَنَالَ به القُرْبَ عند من نقلَ إليه السُّوءَ عن الآخرِين. ومن النَّاسِ من يَفعلُ ذٰلك بِقَصْدِ التَّزَلُّفِ إلى كُلٍّ من الفَرِيقين، لِيُوْهِمَ كلاًّ منهما أنَّه من أنصارِه وأوليائِه ويَنقُلُ لهم أخباراً تَزِيدُ في الجفاءِ والنُّفُورِ، وتَغْرِسُ الضَّغائِنَ والأحقادَ في قُلُوبِهم، لِيُشْعِلَ نارَ الفِتْنَةِ، ويُحْدِثَ الخَلَلَ في صُفُوفِ المسلمين، ويُفَرِّقَ كلمتَهم، ويأبىٰ اللهُ إلاَّ أن يُتِمَّ نورَه، ولو كَرِهَ الكافِرون.

رُوِيَ أنَّ عمرَ بنَ عبدِالعزيز ـ رحمه الله تعالىٰ ـ دخلَ عليه رجلٌ فذكَرَ له عن رَجُلٍ شيئاً، فقالَ له عُمرُ: إنْ شِئْتَ نَظَرْنا في أمرِك، فإنْ كُنتَ صَادِقاً فأنتَ من أهلِ هٰذه الآيةِ؛ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] وإنْ كُنتَ كَاذِباً فأنتَ من أهلِ هٰذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١١] وإنْ شِئْتَ، عَفَوْنا عنك. فقالَ: العَفْوَ يا أميرَ المؤمنين، لا أعودُ إليه أبداً.

عباد الله: إنَّ اللهَ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أوضحَ حِكمةَ التَّثَبُّتِ في سماعِ الأخبارِ بقولِه ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦] أي لِئَلاَّ تحملُوا علىٰ أبرياء وأنْتُم تَجْهلون

حالَهم لتصديقِكم خبرَ المُخْبِرِ دُونَ تَثَبُّتٍ فَتُصْبِحوا علىٰ ذٰلك نادِمين، فلا يَنفعُ النَّدمُ حينئذٍ. وهٰذا توجيهٌ من الله ـ تعالىٰ ـ لِعبادِه المؤمنين يَجبُ أن لا يُتساهَلَ به، بلْ يَجبُ علىٰ كُلِّ مسلمٍ أنْ يعملَ به وأن لا يُسقطَه من حسابِه. أفكلَّما أمسكَ بأُذُنِهِ واشٍ يَتطفَّلُ بنقلِ خبرٍ كاذبٍ للوِشايَةِ والتَّنفيرِ، أو للانتقامِ من مسلمٍ أو لتشويهِ سُمْعَتِهِ، يقبل ذٰلك بدونِ تَثَبُّتٍ، فيُصبحُ علىٰ ما فعلَ من النَّادِمين. وقديماً تولَّىٰ كِبْرَ الإِفْكِ رأسُ المنافقين في تَلويثِ ساحةِ أُمِّ المؤمنين عائشةَ ـ رضي اللهُ تعالىٰ عنها وأرضاها ـ، فأنزلَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ براءَتَها في قُرآنٍ يُتلىٰ أَدَباً للمؤمنين؛ ليتأدَّبُوا به سلفاً وخلفاً. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ [المؤمنون: ١٢] أَيْ خبرُ الإِفْكِ ﴿ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ١٢﴾ [المؤمنون: ١٢] ثم أَرْدَفَ هٰذا الأدبَ، وهو تحسينُ الظَّنِّ بالمؤمنين بأدبٍ آخرَ فقالَ ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧﴾ [المؤمنون: ١٦، ١٧].

عباد الله: كَمْ كلمةٌ سيِّئةٌ أدَّتْ بصاحِبِها إلىٰ غضبِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ وسخطِه وعذابِه وانتقامِه. كما قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الرَّجُلَ لَيتكلَّمُ بالكلمةِ مِنْ رِضوانِ اللهِ ما يظنُّ أن تَبلُغَ ما بلغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ له بها رِضوانَه. وإنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ من سَخَطِ اللهِ لا يَظُنُّ أن تبلغَ ما بلغتْ يَهْوِي بها في النَّارِ أبعدَ ممَّا بين المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**» [رواه البخاريُّ].

ومِنَ الوعيدِ لهٰذا الصِّنفِ المُتبرِّع بِنقلِ الأخبارِ الكاذِبةِ؛ للفسادِ والإفسادِ ما رَوى الطبرانيُّ عن أبي الدَّرداء ـ رضي الله عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ: **«مَنْ ذَكَرَ امرأً بشيءٍ ليس فيه؛ لِيَعِيبَه به، حبسَه اللهُ في نارِ جهنَّم حتَّىٰ يأتي بنفادِ ما قالَ فيه»** وفي رِوايةٍ له: **«أيُّما رجلٍ أشاعَ علىٰ رجلٍ مسلمٍ بكلمةٍ، وهو منها بريءٌ؛ يُشينُهُ بها في الدُّنيا، كان حقًّا علىٰ اللهِ أن يُذيبَه يومَ القِيامةِ في النَّارِ حتَّىٰ يأتيَ بِنفَادِ ما قال»**. وعن ابنِ عمرَ ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: **«مَنْ قالَ في مؤمنٍ ما ليس فيه، أسكنه اللهُ رَدْغَةَ الخَبَالِ حتَّىٰ يَخْرُجَ ممَّا قالَ»** [إسناده حسن].

فاتَّقُوا اللهَ أيُّها المسلمون، واحذَرُوا من المُفْتَرِين الكذَّابِين الذين يَنْدَسُّون بين صُفُوفِ المسلمين لإفسادِ أمرِهم، بِنقلِ الأخبارِ الكاذبةِ والتَّصدِّي لإشَاعَتِها، وعليكم بالتَّثبُّتِ في قَبُولِها، والحَيْطَةِ في تصديقِها، أخذاً بأدبِ القرآنِ، واستجابةً لأمرِ الملكِ الديَّانِ؛ حيث يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦].

اللهمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفاقِ، وأعمالَنا من الرِّياءَ، وألسنتَنا من الكَذِبِ، وأعيُنَنا من الخيانَةِ؛ إنَّك تعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخْفي الصُّدُورُ. اللهمَّ اجعلَنا ممَّن توكَّلَ عليك، فَكَفَيْتَه، واسْتهدَاك، فهديته. أقولُ قَوْلي هٰذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائِرِ المسلمين مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فاسْتغفِرُوه وتوبوا إليه؛ إنَّه هو الغَفُورُ الرَّحيمُ.

الخطبة الثانية :

الحمدُ للهِ العليمِ الخبيرِ، يَعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصُّدُورُ. أَحمدُه ـ سبحانه ـ؛ له المُلْكُ وله الحمدُ وهو علىٰ كُلِّ شيءٍ قديرٌ. وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ الله وسلَّم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه ـ.

أمَّا بعدُ.

أيها المسلمون: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وراقبوه، وامتَثِلوا أمرَ ربِّكم ولا تَعْصُوه، واحذَرُوا مِن نقلِ الأخبارِ المُلَفَقَّةِ، وإشاعتِها بينَ المسلمين؛ فقدْ يكونُ لها الأثرُ السيِّءُ في نُفوسِهم، وردُّ الفعلِ في مجتمعِهم، وهي قد تكونُ من أخبارِ الشَّيطانِ التي لا أصلَ لها ولا فرعَ. كما روىٰ مسلمٌ في مقدِّمة كتابِه، عن عبدِالله بنِ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: «**إنَّ الشَّيطانَ لَيَتَمَثَّلُ في صُورةِ الرجلِ، فيأتِي القَوْمَ فيحدِّثُهم بالحديثِ من الكذبِ، فيتفرَّقون، فيقول الرجلُ منهم: سمعتُ رجلاً أعرفُ وجهَه ولا أعرفُ اسمَه يُحدِّثُ كذا وكذا**». وعن عبدِالله بنِ عمرٍو ـ رضي اللهُ عنهما ـ قالَ: «إنَّ في البحرِ شياطينَ مسجُونةً أوْثَقَها سليمانُ، يُوشِكُ أنْ تَخْرُجَ فتقرَأَ علىٰ النَّاسِ قُرآناً» رواه مسلمٌ في مقدِّمةِ كتابِه.

وإنَّ الذين يَخُوضُون في الأحاديثِ الكاذبةِ، وينقلُون الأخبارَ بِدُونِ تَثَبُّتٍ، مَطِيَّتُهُمْ في ذٰلك زَعَمُوا وقالُوا. «وبِئْسَ مَطِيَّةُ الرجلِ زعموا» كما صحَّ بذٰلك الحديثِ عن حذيفةٍ ـ رضي الله عنه ـ؛ لأنَّ «زعموا» في

الواقع ما هي إلاَّ مَطِيَّةُ الكذبِ، فكُلُّ صاحبِ غرضٍ أو هوىً لا يَجِدُ مُتَنَفَّساً لِما في صَدْرِه من شُرورٍ إلاَّ تلفيقَ الأكاذيبِ، وروايةَ الأخبارِ المُغْرِضَةِ، تحت سِتارِ زعموا وقالوا، مُتَنَصِّلاً من المسؤوليَّة العُظمىٰ في ذٰلك. وهَيْهَاتَ أن يَسْلَمَ من جَرِيرَةِ الفِرْيَةِ وجُرْمِ روايةِ الأخبارِ المُلَفَّقةِ، وإشاعةِ ما فيه مفسدةٌ لِمصالحِ الإسلامِ والمسلمين. ولقدْ صحَّ عن الصَّادقِ الصَّدُوقِ ﷺ أنَّه قالَ: «**كَفىٰ بالمرءِ إثماً أنْ يُحَدِّثِ بكُلِّ ما سَمِعَ**»؛ ذٰلك لأنَّ كلَّ ما يَسمعُه المرءُ يَختلِطُ فيه الصِّدقُ بالكَذِبِ، والجائِزِ بالمُستحيلِ، فَتُحْدِثُ رِوايتُه اضطرابَ الأحوالِ، وعدمَ الهُدوءِ والاستقرارِ، وإنَّ ممَّاأرشدَ اللهُ إليه عبادَه المؤمنين كقاعدةَ عامَّةٍ في قَبُولِ الأخبارِ وتصديقِها التَّثَبُّتُ مِنْ رِوايتِها لِئَلاَّ تَنْشَأَ مَفسدةٌ في الأخذِ بها دُونَ درايةٍ وعِنايةٍ، فقالَ ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

عبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ وملائكتَه... إلخ.

في خطر اللسان وآفاته

الحمدُ للهِ الذي جعلَ حُسْنَ الخُلُقِ أفضلَ شيءٍ بعدَ توحيدِ اللهِ يُوْضَعُ في الميزانِ. ونَهَىٰ عَنِ الفُحْشِ والتَّفَحُّشِ في القولِ باللسانِ. أَحمدُه ـ سبحانه ـ؛ فإنَّه يُحِبُّ أنْ يُحمدَ بِكلِّ لسانٍ.

وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له المَلِكُ المَنَّان. شهادةً مَن شَهِدَ بها فهي له نجاةٌ وأمانٌ، وكلمة لا يسبقها عملٌ ولا تترك ذنباً على الإنسانِ. وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعُوثُ بالحنيفيَّةِ السَّمْحَةِ إلى الأحمرِ والأسودِ من إِنْسٍ وجَانٍّ. الذي أُعْطِيَ فَواتِحَ الكَلِمِ وجوامِعَه، وكان خُلُقَهُ القُرآنُ. اللهمَّ صَلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ كما أمرَكم في مُحْكَمِ الكتابِ، وأكثِرُوا من ذِكْرِه؛ فإنَّ ذِكْرَهُ يَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقابِ. واحذَرُوه كما حذَّركم نفسَه؛ فإنَّه شديدُ البطشِ سريعُ الحِسَابِ. وتأدَّبُوا بآدابِ نبيِّكم؛ فإنَّها أكملُ الآدابِ. وتَخَلَّقُوا بِمحاسِنِ أخلاقِه؛ فأحسنُكم أخلاقاً أقربُكم مِنْ ربِّ الأربابِ. وراقبوا اللهَ؛ فهو المُطَّلعُ علىٰ ما ظهرَ وما أُرْخِيَتْ عليه السُّتُورُ، وأُغْلِقَتْ دُونَهُ الأبوابُ.

عباد الله: إنَّ عَثَرَاتِ اللِّسانِ وسقطاتِه لَمِمَّا يُوْرِدُ المرءَ موارِدَ الهلاكِ،

كما في حديثِ معاذٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قُلتُ: يارسولَ الله: أَخْبِرْنِي بعملٍ يُدخلُنِي الجَنَّةَ ويُباعِدُني عن النَّار. قال: «**لقدْ سألتَ عن عظيمٍ، وإنَّه ليسيرٌ علىٰ منْ يسَّره اللهُ ـ تعالىٰ ـ عليه: تَعبدُ اللهَ لا تُشركُ به شيئاً، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتِي الزَّكاةَ، وتَصُومُ رمضانَ، وتحجُّ البيتَ**» ثم قال له: «**ألا أَدُلُّكَ علىٰ أبوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جُنَّةٌ. والصدقةُ؛ تُطْفِيءُ الخَطِيئةَ كما يُطفيءُ الماءُ النَّارَ، وصلاةُ الرَّجُلِ في جَوْفِ الليلِ**»، ثُمَّ تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ حتَّىٰ بَلَغَ ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾.

ثُمَّ قالَ: «**ألا أُخْبِرُكَ بِرأسِ الأمرِ وعَمُودِهِ وذِرْوَةِ سَنامِهِ**»؟ قلتُ: بلىٰ يارسولَ اللهِ. قال: «**رأسُ الأمرِ: الإسلامُ، وعمودُهُ: الصَّلاةُ، وذروةُ سنامِهِ: الجهادُ**» ثم قال: «**ألا أُخبركَ بِمِلاكِ ذٰلك كلِّه**»؟ قلتُ: بلىٰ يارسولَ اللهِ. فأخذَ بلسانِه، ثمَّ قال: «**كُفَّ عليك هٰذا**» قُلتُ: يا نبيَّ اللهِ: وإنَّا لَمُؤاخَذُون بما نتكلَّم به؟ فقالَ: «**ثَكِلَتْكَ أمُّك يا معاذُ، وهلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ علىٰ وجوهِهم ـ أو قال علىٰ مناخِرِهم ـ إلَّا حصائِدُ ألسنَتِهم**» [رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه]. والمُرادُ بِحصائِدِ الألسِنةِ جزاءُ الكلامِ المُحرَّمِ وعقوباتُه. فإنَّ الإنسانَ يزرعُ بقولِهِ وعملِهِ الحسناتِ والسيِّئاتِ، ثمَّ يَحصدُ يومَ القيامةِ ما زرعَ، فمنْ زرعَ خيراً مِنْ قولٍ أو عملٍ حصدَ الكرامةَ، ومنْ زرعَ شرًّا من قولٍ أو عملٍ حصدَ النَّدامةَ.

أَجَلْ.. إنَّ عثراتِ اللسانِ وسقطاتِه لَمِمَّا يُورِدُ المرءَ مواردَ الهلاكِ، بلْ إنَّ ظاهِرَ حديثِ مُعاذٍ ـ رضي الله عنه ـ يَدلُّ علىٰ أنَّ أكثرَ ما يَدخلُ

النَّاسُ به النَّارَ النُّطقُ بألسنتِهم؛ فإنَّ معصيةَ النُّطقِ يَدخلُ فيها الشِّرْكُ، ويَدخلُ فيها شهادةُ الزُّورِ التي عَدَلَتِ الإشراكَ بالله ـ عزَّ وجلَّ ـ، ويَدخلُ فيها السِّحْرُ، والقَذْفُ، وغيرُ ذٰلك من الكبائرِ، كالكذبِ والغيبةِ والنَّميمةِ، كما في حديثِ أبي هُريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**أكثرُ ما يُدخلُ النَّاس النَّارَ الأجْوَفانُ الفَمُ والفَرْجُ**» [رواه الإمام أحمد والترمذي] وفي الصحيحين عن أبي هُريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمةِ ـ ما يتبيَّنُ ما فيها ـ يَزِلُّ بها في النَّارِ أَبْعَدَ ما بين المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**»

فاتَّقُوا اللهَ أيُّها المسلمون، واعْلَمُوا ـ رحمكم الله تعالىٰ ـ أنَّه ما مِنْ أحدٍ منكم إلاَّ وقَدْ وَكَّلَ اللهُ به مَلَكَيْنِ، أحدُهما عن اليمينِ، والثاني عن الشِّمالِ، أحدُهُما مأمورٌ بكتابةِ الحسناتِ، والثاني مأمورٌ بكتابة السيِّئاتِ. فما تَلفظُونَ مِنْ قولٍ، ولا تعملونَ من عملٍ إلاَّ كُتبَ عليكُم وأُحصيَ عليكم إحصاءً لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً. سواءً تلفَّظْتُمْ بذٰلك جَهْراً أو سِرًّا، وسواءً فعلْتُم الفعلَ خُفيةً أو علانِيةً، فكلُّ ذٰلك يُكتبُ عليكم ويُحصىٰ، ثم تُنبَّؤُون بِما عمِلتُمْ يومَ القيامةِ ويُعطىٰ كُلُّ إنسانٍ كتابَه، فيُقالُ: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء: ١٤]. ومع هٰذا فإنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقولُ الكلامَ جُزافاً، كأنَّه غيرُ مكتوبٍ عليه، يُطْلِقُ الكلامَ السيِّءِ مَنْ غيرِ مُبالاةٍ، ويَلْعَنُ مَنْ لا يَسْتَحِقُّ اللَّعْنَ، ورُبَّما أنَّه يَرجعُ اللَّعْنَ إليه، كمَا جاءَ في حديثِ أبي الدَّرْداءِ قالَ: سَمِعْتُ

رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ العَبْدَ إذا لَعنَ شيئاً، صعدتِ اللَّعْنَةُ إلىٰ السَّماءِ فَتُغْلَقُ أبوابُ السَّماءِ دُونَها، ثمَّ تَهْبِطُ إلىٰ الأرضَ، فتغلقُ أبوابُها دُونها، ثمَّ تَأخذُ يميناً وشِمالاً، فإذا لمْ تَجِدْ مَساغاً رَجعَتْ إلىٰ الذي لُعنْ. فإنَّ كانَ لذٰلك أَهْلَها، وإلَّا رَجَعَتْ إلىٰ قائِلِها» [رواه أبوداود]. وروىٰ البخاري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ عن أبي ذرٍّ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يَرْمِي رجلٌ رجلاً بالفُسُوقِ، ولا يَرْمِيهِ بالكُفْرِ، إلَّا ارْتَدَّتْ عليه، إنْ لمْ يَكُنْ صاحبُهُ كذٰلك» وعنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ دَعَا رجُلاً بالكُفْرِ أو قالَ عَدُوُّ اللهِ وليسَ كذٰلك، إلَّا حَارَ عليه» (أي رَجَعَ) [متفق عليه]. وعن أبي الدَّرْدَاءَ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ يَقولُ: «إنَّ اللَّعَّانِينَ لا يَكُونونَ شُهَداءَ ولا شُفَعاءَ يومَ القيامةِ» [رواه مسلم].

عباد الله: المُؤمنُ إذا سمعَ هٰذه الأحاديثَ، يَأْخُذُ حَذَرَهُ مِنْ اللسانِ، ويستخدُمُه في النَّافِعِ مِنَ الكلام، كَذِكْرِ اللهِ، وقِراءةِ القُرآنَ، وبَذْلِ النَّصيحةِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنَّهي عن المنكر، وغيرِ ذٰلك مِنْ أبوابِ الخَيْرِ، أو يَلْزَمُ الصَّمْتَ كَمَا جاءَ في الحَديثِ: «مَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليوم الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خيراً أو لِيَصْمُتْ» قالَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ نَحمدُهُ ونَستعينُه ونَستهديه، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا

ومِنْ سيِّئاتِ أَعْمالِنا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ، فَلاَ مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلَ، فلا هَادِيَ له. وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدُه لا شريكَ له، وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أدَّىٰ الرِّسالةَ وبَلَّغَ البلاغَ المُبينَ. اللهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه.

أمَّا بعدُ:

أيها المسلمون: إذا أَصْبحَ ابنُ آدمَ، فإنَّ الأعضاءَ كُلَّها تُكفرُ اللِّسانَ ـ أي تَذِلُّ وتَخضعُ له ـ و تَقولُ: اتَّقِ اللهَ فينا، فإنَّما نحنُ بِكَ؛ فإنَّ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنا، وإن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنا، ودخلَ عُمرُ بنُ الخطابِ ـ رضي الله عنه ـ يوماً على أبي بكرٍ الصِدِّيقِ وهو يَجْذِبُ لسانَه. فقالَ عُمرُ: مَهْ يغفرُ اللهُ لك. فقالَ أبوبكرٍ: إنَّ هٰذا أوْرَدَني الموارِدِ. وقال يزيد: رأيتُ ابنَ عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ آخذاً بلسانِه، وهو يَقُولُ: وَيْحَكَ قُلْ خيراً تَغْنَمْ، أو اسْكُتْ عن سوءٍ تَسْلَمْ، وإلاَّ فاعلمْ أنَّك سَتَنْدَمُ. قالَ: فقيلَ له: يا ابنَ عباسٍ: لِمَ تَقولُ هٰذا؟ قالَ: إنَّه بلغني أنَّ الإنسانَ ـ أراه قال ـ ليسَ على شيءٍ من جسدِهِ أشدَّ حنَقاً أو غَيْظاً يومَ القيامةِ منه علىٰ لسانِهِ، إلاَّ مَنْ قالَ به خَيْراً، أو أَمْلَىٰ به خيراً. وقال يُونُسُ بنُ عُبَيْدٍ: ما رأيتُ أحداً لسانُهُ منه على بالٍ، إلاَّ رأيتُ ذٰلك صالحاً في سائِرِ عملِه. وقال يحيىٰ بنُ أبي كثيرٍ: ما صَلحَ مَنطقُ رجلٍ، إلاَّ عرفْتُ ذٰلك في سائِرِ عملِه، ولا فسدَ مَنطقُ رجلٍ قَطّ إلاَّ عرفْتُ ذٰلكَ في سائِرِ عملِه. وقالَ الحسنُ: اللِّسانُ أميرُ البَدَنِ، فإذا جَنَىٰ علىٰ الأعضاءِ شيئاً، جَنَتْ، وإذا

عَفَّ عفَّتْ. وقالَ رجلٌ لابنِ عَقِيلٍ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: أَسْمَعُ وصيَّةَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ يقولُ: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤] وأَسْمَعُ النَّاسَ يَعُدُّون مَنْ يُظْهِرُ خِلافَ ما يُبْطِنُ مُنافقاً، فكيفَ لي بِطاعةِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ، والتَّخَلُّصِ مِنَ النِّفاقِ؟!. فقالَ: النِّفاقُ هو إظهارُ الجميلِ وإبطانُ القبيحِ، وإضمارُ الشَّرِّ مع إظهارِ الخيرِ؛ لإيقاعِ الشَّرِّ، والذي تَضَمَّنَتْهُ الآيةُ إظهارَ الحَسَنِ في مُقابلةِ القبيحِ؛ لاستدعاءِ الحَسَنِ. قال في الآداب: فخرجَ مِنْ هٰذه الجُمْلَةِ أَنَّ النِّفاقَ إبطانُ الشَّرِّ وإظهارُ الحَسَنِ؛ لإيقاعِ الشَّرِّ المُضْمَرِ، ومَنْ أظهرَ الجميلَ والحَسَنَ في مُقابلةِ القبيحِ لِيَزُولَ الشَّرُّ، فليسَ بُمنافقٍ، لٰكنَّه يَسْتَصْلِحُ، ألا تسمعُ إلىٰ قولِه ـ تعالىٰ ـ: ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤] فهٰذا اكتسابُ استمالَةٍ، ودَفْعُ عداوةٍ، وإطفاءٌ لنيرانِ الحقائِدِ. وروىٰ الطبرانيُّ مِنْ حديثِ أسودَ بنِ أَصْرَمَ المُحاربيِّ قالَ: قُلتُ: يارسولَ اللهِ أَوْصِنِي. قال: «**هلْ تَمْلكُ لسانَكَ؟**» قُلتُ: ما أَملكُ إذا لَمْ أملكُ لساني؟!. قالَ: «**فهلْ تَمْلِكُ يَدَكَ؟**» قُلتُ: ما أَمْلِكُ إذا لَمْ أَمْلِكُ يَدِي؟!. قالِ: «**فلا تَقُلْ بلسانِك إلَّا معروفاً، ولا تَبْسُطْ يَدَكَ، إلَّا إلىٰ خيرٍ**».

عباد الله إن الله وملائكته. . . . إلخ.

في الحث على الإنفاق على المصابين في زلزال اليمن

الحمدُ للهِ الحَكِيمِ العَلِيمِ، الهادِي مَنْ يشاءُ إلىٰ صِراطِهِ المُستَقِيمِ. أحمدُه ـ سبحانه ـ شَرَعَ لِعبادِهِ مِن الدِّينِ ما فيه الصَّلاحُ والخيرُ العَمِيمُ.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ. صاحِبُ النَّهْجِ القَوِيمِ والخُلُقِ العَظِيمِ. اللَّهمَّ صَلِّ وسَلِّم علىٰ عبدِكَ ورسولِك محمدٍ وعلىٰ آلِه وصَحْبِهِ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: لقدْ عالَجَ الإسلامُ مشاكِلَ الإنسانِيَّةِ، ووضَعَ حلاًّ لِكُلِّ مُشْكِلَةٍ. وفي جُمْلَةِ ما عالَجَهُ مُشْكِلَةُ الفقرِ، حيثُ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ ـ تعالىٰ ـ أَنْ يكونَ الناسُ أغنياءَ وفُقَراءَ. فجَعَلَ الأغنياءَ كَحُرَّاسٍ للمالِ، مُسْتَخْلَفِينَ فيه، يَرُدُّون أموالَهُمْ علىٰ الفُقَراءِ إخْوانِهم والمُصابِينَ بالجَوائِحِ والكَوارِثِ، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] في صُورَةِ زكَاةٍ مفرُوضَةٍ بشُرُوطِها كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٩] أو نافِلَةٍ مشرُوعَةٍ في صُورَةِ تَبرُّعٍ فوقَ الزَّكاةِ. رغَّبَ فيه الشَّرْعُ وحَثَّ عليه وأَنْزَلَهُ مَنْزِلَةَ المُقْرِضِ، إيذاناً بضَرُورَةِ الوَفَاءِ به، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: ١١]. وقال

ـ تعالىٰ ـ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

أيها المسلمون: إنَّ نِعَمَ اللهِ علىٰ عِبادِهِ كثيرةٌ لا تُحصَىٰ، وشُكْرَ المُنْعِمِ واجبٌ. واللهُ يُعطِي النِّعَمَ لِيبتَلِي مَن يُنْعَمُ عليه بها، هل يَشْكُرُ، فَيزيدَه، أم يَكْفُرُ نِعْمَةَ اللهِ، فينتقمَ منه، وما ربُّك بظَلَّامٍ للعَبيدِ ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ والسَّعَةُ في الرِّزقِ ووَفْرَةُ المالِ مِن أعظمِ النِّعَمِ، ومِن زِينَةِ الحياةِ الدُّنيا. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ﴾ [الكهف: ٤٦]. ومِنَ الشُّكرِ علىٰ نِعْمَةِ الغِنَىٰ بالمالِ: إخراجُ ما وَجَبَ فيه من زكاةٍ وحُقُوقٍ، وما نُدِبَ إليه مِن صَدَقَةٍ وإحسانٍ إلىٰ الضُّعَفاءِ.. إلىٰ المُصابِين في الأموالِ والأولادِ. فالإنفاقُ في سبيلِ الخَيرِ وما ينفعُ المُسلمين في دِينِهم ودُنياهم مِن أفضلِ الأعمالِ وأَحَبِّها إلىٰ اللهِ، كُلُّ ذٰلك مِن حُقُوقِ المالِ. وأداؤُهُ مِن شُكْرِ النِّعْمَةِ، والنَّماءُ والبَرَكَةُ ـ بعد ذٰلك ـ حاصِلان ولا رَيْبَ، لا تَضُرُّ مالاً صدقةٌ، بل تَزِيدُهُ، وخيرُ الناسِ مَن يكونُ قُدْوَةً حَسَنَةً في الخيرِ، وسَبَباً في البِرِّ والإحسانِ. فهٰذا إمامُ المُسلمين ـ أعزَّهُ اللهُ وأَمَدَّ في عُمرِهِ في صالِحِ الأعمالِ ـ يضرِبُ لكم ـ معشرَ الأغنياءِ ـ أَرْوَعَ الأمثالِ، بالإنفاقِ علىٰ الفُقراءِ والمعوزِينَ والأرامِلِ والأيتامِ، في جميعِ مملكَتِهِ، وفي كُلِّ مُناسَبَةٍ خارجَها. وفي الأيَّامِ الماضِيَةِ لا يَخْفَىٰ ما أُصِيبَ به اليمنُ

الشماليِّ، بالكارثَةِ العُظْمَىٰ والمُصَابِ الكَبِيرِ، ألا وهو الزلزالُ الذي حصلَ به علىٰ بعضِ أبناءِ الشَّعْبِ اليَمَنِيِّ من الخساراتِ في الأرواحِ والمساكِنِ وكافَّةِ المُمْتَلَكَاتِ، وترك الأرامل والأيتام والشيوخ بِلا مأوىٰ ولا مالَ ولا طعامَ، وذٰلك أنَّه قد بَلَغَ عَدَدَ القُرَىٰ التي تَضَرَّرَتْ ـ فيما ذُكِرَ ـ مائةَ وسبعاً وأربعين قريةً، فأصبحَ أهلُ هٰذه القُرىٰ ما بين قَتِيلٍ وجَرِيحٍ وشَرِيدٍ. فاشكُرُوا اللهَ الذي دَفَعَ عنكم هٰذه النِّقْمَةَ بالصَّدَقَةِ علىٰ المُصَابِين بالبَذْلِ والإنفاقِ عليهم. فالذي قَدَّرَ عليهم ما قدّرَ هو الغَفُورُ الرحيمُ، لٰكنَّهُ يُصيبُ عبادَهُ بأنواعِ المصائِبِ لِحِكَمٍ لا يعلَمُها إلاَّ هو، أو يُطْلِعُ بعضَ خَلْقِهِ علىٰ شيءٍ منها. فَمِنْ ذٰلك ـ والله أعلم ـ لِئَلاَّ يَتَمَادَىٰ أهلُ الغَفْلَةِ في غَفْلَتِهِمْ، ولِيَنْتَبِهُوا، ولِيَسْتَدْرِكُوا ما فاتَ بِما بَقِي؛ كَيْلا يُفاجِأَهُمُ الموتُ وهم غافِلُون.. كَيْلَا يُؤخذُوا وهم علىٰ مَعَاصِيهِمْ عاكِفُون، وقد ذكرْنَا ذٰلك في الخُطْبَةِ المَاضِيَةِ. مَن كان له قلبٌ أو أَلْقَىٰ السمعَ وهو شَهيدٌ، ومِن ذٰلك ـ والله أعلم ـ لِيَبْتَلِيَ المُعَافَىٰ بالمُصَابِ، والغَنِيَّ بالفَقِيرِ والأَرَامِلِ والأَيْتَامِ. هلْ تَجُودُ نفسُهُ بالمالِ ويُنْفِقُ مِمَّا رَزَقَهُ اللهُ، أو يقولُ: هٰذا مالِي، وَرِثْتُهُ عن آبائِي، فَيُسْلَبُ هٰذه النِّعمةَ. كما في الصحيحَيْنِ مِن حديثِ أبي هريرةَ الطويلِ، في قِصَّةِ الأبْرَصِ والأقْرَعِ والأعْمَىٰ. وذٰلك أَنَّ اللهَ ابتلاهُمْ فأَذْهَبَ عنهم هٰذه الأمراضَ والأسْقامَ، وأعْطاهُم أمْوالاً عَظِيمةً، فبعثَ اللهُ إليهم مَلَكاً علىٰ صُورَةِ حالَتِهم الأُولىٰ، في صُورَةِ أَبْرَصَ وأَقْرَعَ وأَعْمَىٰ، كُلُّ هؤلاءِ

يَقُولُ لهم رَجُلٌ مِسْكِينٌ: قد انْقَطَعَتْ بي الحِبالُ في سَفَرِي، فَلاَ بَلاغَ لِي اليومَ إلاَّ باللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بالذي أَعْطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ والجِلْدَ الحَسَنَ والمَالَ، بَعِيراً أَتبَلَّغُ به في سَفَرِي. فقالَ: الحُقُوقُ كَثيرةٌ. فقال له المَلَكُ الذي في صُورَةِ أَبْرَصَ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ. أَلَمْ تكُنْ أَبْرَصَ يقذرُ له الناسُ، فَقِيراً، فأَعْطاكَ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ هٰذا المالَ. فقالَ: إنَّما وَرِثْتُ هٰذا المالَ كابراً عَنْ كَابِرٍ. فقالَ له: إِنْ كُنتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إلىٰ ما كُنْتَ. وأَتَىٰ الأَقْرَعَ فكانَ مِثْلَ الأبرصِ فِي الرَّدِّ والجَوابِ. ثُمَّ أتىٰ الأَعْمَىٰ، فقالَ له مِثلَ ما قال لهما. فقالَ: نعمْ. قد كُنتُ أعمىٰ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ ما شِئْتَ وَدَعْ ما شِئْتَ، فَوَاللهِ لا أجهدكَ اليومَ بشيءٍ أَخذتهُ للهِ. فقالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فإنَّما ابْتُلِيتُمْ، فقدْ رَضِيَ اللهُ عنك وسَخِطَ علىٰ صَاحِبَيْكَ.

أيها المسلمون: يا مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عليهم بالمالِ: ارْحَمُوا المُصابين، ارحَمُوا الفُقراءَ والأَرَامِلَ والأَيْتامَ. أَنْفِقُوا مِن أموالِكم علىٰ إخوانِكُمْ المُحْتَاجِين بِما يَنْفَعُهُمْ ويُخَفِّفُ عنهم آلامَ المَرَضِ والجُوعِ والمَصَائِبِ، بالأَمْوَالِ النَّقْدِيَّةِ، أو بالعَيْنِيَّةِ مِن خِيَامٍ وبَطَّانيَّاتٍ وملابسَ وطعامٍ، فَتَسَابَقُوا ـ رحمكم اللهُ ـ إلىٰ مَرْضَاةِ رَبِّكُمْ، وافْعَلُوا الخيرَ؛ لَعَلَّكُم تُفْلِحُون. فقدْ روىٰ مسلمٌ في صَحِيحِهِ، مِن حَدِيثِ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ـ رضي اللهُ عنه ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ معه فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ به علىٰ مَنْ لا ظَهْرَ له. ومَنْ كانَ له فَضْلٌ مِن زَادٍ فَلْيَعُدْ به علىٰ مَنْ لا زادَ له**» أي

فَلْيَتَصَدَّقْ به، فَذَكَرَ مِن أصنافِ المالِ ما ذكرَ، حتَّىٰ رأيْنَا أنه لا حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا في فَضْلٍ. وفي الحديثِ عنه ﷺ أنَّه قال: «**أَيُّكُمْ مالُ وارِثِهِ أَحَبُّ إليه مِن مالِهِ**». قالُوا: يارسولَ اللهِ، ما مِنَّا أَحَدٌ إلاَّ مَالُهُ أَحَبُّ إليه مِنْ مالِ وَارِثِهِ. قالَ: «**فإنَّ مالَهُ ما قَدَّمَ. ومالَ وارِثِهِ مَا أَخَّرَ**» [رواه البخاريُّ]. وفي الصحيحين عن ابنِ مسعودٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مالاً فَسَلَّطَهُ علىٰ هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فهو يقضي بها ويُعَلِّمُهَا**» ومعنىٰ الحَسَدِ هُنا الغِبْطَةُ، وهي أنْ تَتَمَنَّىٰ أَنْ تكونَ مِثْلَهُ، وَلاَ تَتَمَنَّىٰ زَوَالَهَا عنه. ومعنىٰ هَلَكَتِهِ: أيْ إنْفَاقُهُ في الحَقِّ أيْ القُرَبِ والطَّاعَاتِ. وفي الصحيحين عنه ﷺ، أنَّه قال: «**قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: أَنْفِقْ يا ابنَ آدمَ، يُنْفَقْ عليك**». وفي الصحيحين عن أبي هُريرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العبادُ فيه إلَّا مَلَكَانِ ينزلان، فيقولُ أحدُهُمَا: اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقاً خلَفاً. ويقولُ الآخرُ: اللَّهُمَّ اعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**» وقال ﷺ: «**السَّاعي علىٰ الأرْمَلَةِ والمِسْكِين، كَالمُجَاهِدِ في سَبيلِ اللهِ**» وأحْسَبُهُ قال: «**وكالقائِمِ الذي لا يَفْتُرُ، وكالصَّائِمِ لا يُفْطِرُ**» [متفق عليه]. وغير ذٰلك مِن الأحاديثِ الصحيحَةِ في فَضْلِ الإنفاقِ في وُجُوهِ الخَيْرِ. وفيما ذَكَرْنَا كِفَايَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ، نَحمدُه، ونَسْتَعِينُه، ونَسْتَغْفِرُه، ونتوبُ إليه، ونَعوذُ باللهِ

مِن شُرورِ أَنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الناس: إذا كانَ في المُسلمين مَن لا يَستجيبُ لِتَعاليمِ دِينِهِ، فلا يُخْرِجُ زكاةَ أموالِهِ، ولا يَرْغَبُ في أَنْ يُقْرِضَ اللهَ قَرْضاً حَسَناً، بالإِحسانِ إلىٰ خَلْقِهِ، فليسَ الذَّنْبُ ذَنْبَ الإِسلامِ، وإنَّما الذنْبُ ذنْبُ المسلمِ الذي يَرَىٰ مَنَاظِرَ البُؤْسِ والفقرِ تَعْرِضُ له، فلا يُسْعِفُ بائِساً، ولا يُخَفِّفُ أَلَمَ الفقرِ عَنْ فقيرٍ، بل يُصَعِّرُ خَدَّه. فَيَا مُتَمَتِّعاً بطعامِهِ وشَرَابِهِ، وفِرَاشِهِ وأَثَاثِهِ وثِيابِهِ وزَوْجَتِهِ وأولادِهِ وأصحابِهِ، يا مالِئاً بَطْنَهُ بمُخْتَلِفِ ألوانِ الطعامِ: هَلاَّ تَصَدَّقْتَ علىٰ البائِسِ الفقيرِ، يا سعيداً بالصِّحَّةِ والمالِ والجاهِ بين الأَنَامِ.. مَا لَكَ لا تَرْحَمُ المُصابِينَ بالأمراضِ والأَسْقَامِ، وما لَكَ لا تَتَعاهَدُ جِيرانَكَ وأَهْلَكَ والأرحامَ، ومَا لَكَ لا تَتَفَقَّدُ أَحوالَ الأَرامِلِ والأَيتَامِ. قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٧ـ٢٠]. يا أَهْلَ الدُّثُورِ: لا تَفُوتَنَّكُمُ الأُجُورُ. هَنِيئاً لِلَّذِين يُنْفِقُون أموالَهُم في سبيلِ اللهِ، لا يُرِيدُون بذٰلك إلاَّ وجهَ اللهِ تعالىٰ.

عباد الله: إنَّ الله وملائكته يُصَلُّونَ على النبي... إلخ.

في التخويف من المعاصي بسبب زلزال اليمن

الحمدُ للهِ المَلِكِ العَزِيزِ العَلَّامِ، العليِّ العَظِيمِ الكَرِيمِ السَّلَامِ، غَافِرِ الذَّنْبِ وقَابِلِ التَّوْبِ من جميعِ الآثَامِ. أحمدُه ـ سبحانه ـ علىٰ ما اتَّصفَ به من صفَاتِ الجَلاَلِ والإِكْرَامِ، وأشكره علىٰ ما أسدَاهُ مِن جزيلِ الفَضْلِ والإنْعَامِ.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ الله وحدَه لا شَرِيكَ له، شهادةً أرجُو بها الفوزَ بدارِ السَّلَامِ. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ البَرَرَةِ الكِرام وسلِّم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ :

أيها الناس: إن اللهَ ـ تباركَ وتعالىٰ ـ أوجبَ طاعتَهُ وطاعةَ رسُولِهِ علىٰ كلِّ أحدٍ وفي كلِّ زمانٍ ومكانٍ، ونهىٰ عن مَعْصِيَتِهِ ومعصيةِ رسولِهِ. قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٠ـ٢١] فألقُوا السمعَ نحو هـٰذا الخطابِ العَظِيمِ والنَّاموسِ الأكبرِ ولا تكونُوا ممنْ قالوا سَمِعْنا وهم لا يسمَعُون، فإنَّهم شرُّ مَنْ خَلَقَ اللهُ وذَرأَ، وقال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٢]. وقال تعالىٰ: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور: ٦٣]. فأمرَ اللهُ

ـ تعالىٰ ـ بهٰذه الآياتِ الكَريماتِ بطاعَتِهِ وطاعَةِ رسولِهِ، ورتَّبَ علىٰ ذٰلك السَّعادةَ والفَلاَح في الدَّارَيْنِ، ونهىٰ عن مَعْصِيَةِ رسولِهِ ورتَّبَ علىٰ ذٰلك مِن العُقوباتِ الدُّنيويَّةِ ما لا يُحَدُّ ويُستقصىٰ. ولهٰذا ختمَ الآيتين الأُولَيَيْنِ بذكرِ شدَّةِ عِقَابِهِ لِمنْ عَصَاه وعصىٰ رسولَه، وختمَ الآيتين اللتين بعدَهما بالوعيدِ لمن تولَّىٰ عن طاعَتِهِ وطاعَةِ رسولِهِ بالبُعْدِ والفِتْنَةِ والعَذَابِ الأَليمِ. قال الإمامُ أحمدُ ـ رحمه الله ـ في آيةِ النُّورِ: أتدري ما الفتنةُ؟ الفتنةُ الشِّركُ، لعله إذا ردَّ بعضَ قولِهِ أن يقعَ في قَلْبِهِ شيءٌ من الزَّيْغِ فيهلكَ. فعقوبات الذُّنُوب والمعاصِي تتنوَّع علىٰ قدرِ الجرائمِ، فتارةً تكونُ العقوبةُ في الدِّينِ، وهي أعظمُ العُقُوباتِ، وهي أن يُحالَ بين صَاحِبِها وبينَ الإيمانِ، وبينه وبين حُسْنِ الخَاتِمَةِ ـ عياذاً بالله من غَضَبِهِ وعِقَابِهِ ـ. ولو أمعنَ كلُّ واحدٍ مِنَّا النَّظَرَ في نَفْسِهِ لَوَجَدَ أنه كُلَّما عَمِلَ خَطِيئةً ولم يَتُبْ منها ويستغفرْ في الحالِ لوجدَ أنه يعملُ سيئةً أعظمَ من الأُولىٰ. ومصداقُ ذٰلك قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٧] وتارةً بالعُقُوباتِ الماليَّةِ والبَدَنِيَّةِ من خَسْفٍ ومَسْخٍ وريحٍ وإهْلاكٍ وأَخْذٍ علىٰ غِرَّةٍ وغفلةٍ. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ

ﭐلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل: ٤٥-٤٧]. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٩] وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ [نوح: ٢٥] وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٥].

أيها الناس: لا تغترُّوا ببسطِ هـٰذه النِّعمةِ؛ فإن القومَ قد بُسِطَتْ عليهم النعمةُ فظنُّوا أن الإمهالَ إهمال، فجاءَهم أمرُ اللهِ وهم غافِلُون، فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يَكْسِبُون، فلقد حُذِّرتُم في الأيَّامِ الماضيةِ ما أُصيبَ به بعضَ القرىٰ مِن الرِّيحِ العَاصِفَةِ التي دمَّرَ اللهُ بها بعضَ المساكن وأهلكَ بها بعضَ النُّفوسِ، وذكرَ ذٰلك الخُطَباءُ والوُعَّاظُ، فهل بعد ذٰلك أحدٌ مِنَّا حاسبَ نفْسَهُ وأَصْلَحَهَا وقامَ علىٰ مَن تحت يَدِهِ، مِنْ أهْلٍ وأولادٍ وأمرَهُمْ بالمعروفِ ونَهَاهُمْ عَن المُنْكَرِ وأزالَ ما في بيتِهِ وعائِلَتِهِ مِن المُنْكَرَاتِ. أمْ أنَّ الريحَ أُصِيبَ بها أهلُ هـٰذه القُرَىٰ، وهي بهم خاصّة، أم أنها انتهتْ العقوباتُ. كلاّ.. بل إنَّ اللهَ ـ سبحانه ـ قال في كتابه العزيز: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢-٨٣]. فهلْ مِن مُتذَكِّرٍ وهلْ مِن تَائبٍ وهلْ مِن مُنِيبٍ، ومِن غَفْلَتِهِ

مُفِيقٍ؟ هل مِنَّا أحدٌ يرضىٰ أن يأتيه الموتُ وهو علىٰ هـٰذه الحالَةِ، أم أنَّه يقولُ سوفَ أتوبُ . . سوفَ أتوبُ، ثم يُفاجأَهُ الموتُ وهو علىٰ حالةٍ لا يرضىٰ بها. أم أنه يكفِي أن تكونَ هـٰذه الكوارثُ التي أصابت البُلدانَ المجاورةَ، منهم مَنْ أُصِيبَ بالقَتْلِ والتَّشْرِيدِ وإيتامِ الأولادِ، وقد كانُوا في بلادهم في نعيمٍ لا يُوصَفُ، ومنهم مَن أُصِيبَ بالرِّيحِ العَاصِفَةِ، ومنهم مَنْ أُصِيبَ بالزلازِلِ، ومنهم مَنْ أُصِيبَ بِجَوْرِ السُّلْطانِ، إلىٰ غير ذٰلك مِمَّا لا يخفىٰ. فهل يَكْفِي أن تكونَ أخبارُ هـٰؤلاء مُتحدَّثاً للمجَالِسِ، يتحدَّثُ بها الناسُ في مَجَالِسِهم ولا تَذَكُّرَ ولا اعْتِبارَ. لا، بل الذي يجبُ أَنْ يَحْزَنَ المسلمُ لذٰلك ويخافَ ويلتزمَ بإصلاحِ نفسِهِ ومَنْ تحتَ يَدِه. فالبعضُ من النَّاس يتحدَّث بهـٰذه العُقُوباتِ وكأنَّهُ أُعطِيَ أماناً، أو ليس من المُخْطِئين المُخَالِفِين. يا سُبحان الله . . إذاً فمن المُخطِيءُ والمُخَالِفُ لأوامرِ اللهِ ورسولِهِ، والرسولُ ﷺ يقولُ: «**كلُّ ابن آدم خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائين التوابُون**» [رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي] وليست المُخالَفَةُ مع الاستغفارِ والتوبةِ بذنبٍ، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣]. ولـٰكنَّ المعصيةَ والخَطِيئةَ أَنْ يُصِرَّ الإنسانُ علىٰ المَعَاصِي والآثَامِ، ويُزَكِّي نفسَه ولا ينظرَ في نفسِه وعائِلَتِه، وصفوةُ الخَلْقِ ﷺ يقولُ في الحديثِ الذي رواه البخاري: «**واللهِ إني لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليومِ أكثرَ من سبعين مرَّة**» ولفظ

مسلم: «**ياأيها الناسُ تُوبُوا إلى اللهِ واستغفرُوه، فإنِّي أتوبُ في اليوم مائةَ مَرَّة**» عِلْماً أنه فِينا من المُنكَرَات والذُّنوب والكبائر التي لا تُعدُّ ما لا يَتَّسِعُ هٰذا المقامُ لِذِكْرِها، ونحن ـ والحمد لله ـ وُلِدْنَا علىٰ الفِطْرَةِ نعرفُ الحسنةَ والسيئةَ، ولٰكن كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

أيها الناس: اذكُرُوا اللهَ في الرَّخاءِ، تُوبُوا إليه في الرَّخَاءِ، اشكُروه في الرَّخاء ينجيكم في الشِّدَّةِ. قال ﷺ لابنِ عباس: «**تَعَرَّفْ إلىٰ اللهِ في الرَّخاءِ يعرِفْكَ في الشِّدَّةِ**».

عباد الله: النجاء النجاء. استيقِظُوا من غَفْلَتِكُم قبلَ أن يحلَّ بكم ما حلَّ بغَيْرِكُم. أَمَا سمعتُم بالكارثةِ العُظْمَىٰ والمُصَابِ العَظِيمِ، ألاَ وهو الزلزَالُ الذي أصابَ اليَمَنَ في ظُهرِ الاثنين الماضي الذي بلغَ عَدَدَ المَوْتَىٰ فيها ـ فيما ذُكِرَ ـ ألفين، والمجرُوحِين ألفاً ومائتين، والمُشرَّدين ستة عشر ألفاً.

فالله ـ سُبحانه ـ يُري عبادَه من الآياتِ ما به يتذكَّرُون وبه يرتدعُونَ ولعلهم يَتوبُون ويَرجِعُونَ ولا يَتَمَادَوْنَ في غَيِّهم وغفلَتِهم. وكم لله من حكمةٍ في إصابةِ بعضِ خَلْقِهِ دُونَ بعضٍ. فَمِنْ ذٰلك ـ والله أعلم ـ لِيَعْتَبِرَ الباقُونَ بِمَنْ سلفَ ولِيَأْخُذُوا حِذْرَهم وأُهْبَتَهم؛ لِيَسْتَدْرِكُوا ما فاتَ، ولِيَسْتَعِدُّوا لِما هو آتٍ، وكُلُّ ما هو آتٍ قريبٌ. وإنَّ مواعِظَ اللهِ وزَوَاجِرَهُ لَتَتَنَوَّعُ وتختَلِفُ، فتارةً تكون بالغَرَقِ، كَقَوْمِ نُوحٍ، أَهْلَكَهُم اللهُ بذٰلك.

وتارةً تكونُ بالرِّيحِ، كَعَادٍ أَهْلَكَهُم اللهُ بذٰلك، وتارةً تكونُ بالصَّيْحَةِ، كَثَمُودَ، أَهْلَكَهُم اللهُ بذٰلك، وتارةً تكونُ بِقَلْبِ الدِّيارِ علىٰ أهلِها، كما أهلكَ اللهُ قومَ لُوطٍ بذٰلك، وتارةً تكونُ بإرسالِ سَحَابِ العَذَابِ، كما أهلكَ اللهُ قومَ شُعَيْبٍ بذٰلك، وتارةً تكونُ بِتَسْلِيطِ الأعداءِ، كما سلَّطَ اللهُ علىٰ بني إسرائيلَ قوماً أُولِي بأسٍ شديدٍ. وفي أيَّامِنا مَنْ ذَكَرْنَا، وغيرُهم، أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرجيم: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يونس: ١٠١ـ١٠٣]. ولٰكن مع الأسَفِ الشَّديدِ إنَّ هٰذه المصائِبَ والنَّكَبَاتِ والكوارِثَ، مِنَ الرِّيحِ العاصِفَةِ والأمطارِ الشَّديدَةِ وموتِ كثيرٍ بالفَجْأَةِ. . بالزِّلزالِ والحوادِثِ وغيرِها، تَطْرُقُ الآذانَ ويُشاهِدُها المُشاهِدُ مِن النَّاسِ، ولا كأنَّها إلاَّ لِمَنْ أُصِيبَ بها فقط. وهي في الحَقِيقَةِ لِمَنْ بَلَغَتْهُ بالمُشاهَدَةِ أو بالسَّمَاعِ. فيا عبادَ اللهِ إنَّها المُصيبَةُ، حيثُ أنَّ هٰذه المصائِبَ قد بَلَغَت الكثيرَ مِن الناسِ وهو ـ مع ذٰلك ـ مُقيمٌ علىٰ ما هو فيه، لَمْ يَنْزَجِرْ عن ذَنْبٍ، ولم يُحْدِثْ تَوْبَةً، فنرىٰ المُسْتَقْدِمَ إلىٰ بلادِ الإسلامِ الكُفَّارَ والبُوذِيِّين، والمُخَالِطِينَ لهم، بل إنَّ البعضَ مِنَ النَّاسِ يَعْبُدُون أَصْنَامَهُم في بَيْتِهِ، فنراهم لم يَتَّخِذُوهم أعداءً كما أَمَرَ اللهُ بذٰلك. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة: ١]. ونرىٰ المُتخلِّفين عن صلاةِ الجماعَةِ، لم يتقدَّمُوا لها، ونرىٰ المُتَّخِذينَ للمَلاهِي مُصِرِّينَ علىٰ ما هم عليه، لم يُقْلِعُوا عَمَّا هم فيه، ونرىٰ العَاقَّ لِوَالِدَيْهِ وقاطِعَ الرَّحِمِ، لَمْ يتغيَّروا عَمَّا هم عليه، ونرىٰ شارِبِي المُسْكِرَاتِ والمُخَدِّراتِ والمُحَلِّقِينَ لِحَاهُم والمُسْبِلِينَ ثِيابَهم، لم يُبْصِرُوا عُيُوبَهم، ونرىٰ عبْدَ الدِّينارِ والدِّرهَمِ مُنْهَمِكاً في دُنْيَاه، يُحِبُّ ويُبغِضُ لها وبها، ونرىٰ أَكَلَةَ الحَرَامِ، سواءً كانَ بِطَرِيقِ الرِّبا أو بطَرِيقِ الغِشِّ أو الرِّشْوَةِ أو الغُلُولِ أو الاستِطَالَةِ بالحُجَّةِ بالمَحَاكِمِ وغيرِها، قد تَمَادَوْا في غَيِّهم وزادُوا، فلا تَذَكُّرَ ولا اعتِبَارَ، كُلُّ هؤلاء لم يتفكَّرُوا في عِظَمِ مَعاصِيهم، بل في الحقيقةِ سُكَارَىٰ كأنَّهم لم يَسْمَعُوا مَوْعِظَةً ولم يَحْضُرُوا مُبَلِّغِين لهم ما هُم عليه من المَعَاصِي.

ومن الآياتِ التي يُخَوِّفُ اللهُ بها عِبَادَهُ في هـٰذه الأيَّامِ ـ أيضاً ـ كُسُوفُ الشمسِ. روىٰ البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحَيْهِما، عن أبي موسىٰ ـ رضي الله عنه ـ قال: خسفت الشمسُ فقامَ النَّبيُّ ﷺ فَزِعاً، يَخشىٰ أن تكونَ السَّاعَةُ، فأتىٰ المسجدَ، فصلَّىٰ بأَطْوَلِ قِيام ورُكُوع وسُجُودٍ ما رأيتُهُ قَطّ يفعَلُهُ. وقال: «**هـٰذه الآياتُ التي يُرسِلُ اللهُ، لا تكونُ لِمَوْتِ أحدٍ ولا لِحَياتِهِ، ولـٰكن يُخَوِّفُ اللهُ بها عبادَهُ، فإذا رأيْتُم شيئاً مِن ذٰلك فافْزَعُوا**

إلىٰ ذِكْرِهِ ودُعائِهِ واستغْفَارِهِ». وروىٰ البخاريُّ وغيرُهُ عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ ـ رضي الله عنها ـ قالت: أَتيتُ عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ زَوْجَ النَّبيِّ ﷺ حين خسِفَتِ الشمسُ فإذا الناسُ قِيامٌ يُصَلُّون، وإذا هي قائمةٌ تُصَلِّي، فَقُلْتُ: ما للناسِ؟ فأشارتْ بيَدِها إلىٰ السماءِ، وقالتْ: سُبْحانَ اللهِ. فقلتُ: آية؟ فأشارتْ أيْ نَعَمْ. قالت: فقُمتُ حتَّىٰ تَجلَّاني الغَشي فجعلتُ أَصُبُّ فوقَ رأسي الماءَ. فبهٰذه الأحاديثِ الصحيحَةِ يُعلمُ أنَّ هٰذه الآياتِ يُخَوِّفُ اللهُ بها عبادَهُ. فمن قال غير ذٰلك فقدْ خالَفَ النَّصَّ الصَّريحَ عن رسولِ اللهِ ﷺ، فيُخْشَىٰ عليه مِنَ الرِّدَّةِ عَن الإسلام بعدَ العِلمِ؛ لأنَّه كذَّب قولَ مَن قالَ اللهُ عنه في كتابِهِ العزيز: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ١ـ٤].

بسبب ريح عاصف

الحمدُ للهِ الذي كتبَ العزَّةَ والكَرَامَةَ لِمَنْ أطاعَهُ، وقضىٰ بالذُّلِّ والهَوانِ علىٰ مَنْ عصاه. نحمدُه ـ سُبحانه ـ ونشكرُه. لا ربَّ لنا سواه ولا نعبدُ إلاَّ إياه.

ونشهدُ أنْ لا إلٰـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شَرِيكَ له. العَالِمُ بما في الكونِ مِن حوادِث وخُطوبٍ وبما أَلَمَّ بالمسلمين مِن شدائِدَ وكُرُوبٍ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ﷺ وعلىٰ آلِه وأصحابِه وسلِّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: أُوصِيكُمْ ونفسي بتَقْوَىٰ الله وطاعتِهِ وأُوصِيكُم بعبادَتِهِ وذِكْرِهِ في الرَّخاءِ والشِّدَّةِ، فتذكَّرُوا واستَيْقِظُوا قبل أن يَحِلَّ بكم ما حلَّ بغيركم. فاللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يُرِي عبادَهُ مِن الآياتِ ما به يتذكَّرُون وبه يَرْتَدِعُون ولعلَّهم يَتُوبُون ويرْجِعُون ولا يتمادَوْنَ في غَيِّهم وغفلَتِهم، وكَمْ للهِ مِن حكمةٍ في إصابَةِ بعضٍ خَلْقِهِ دُونَ بعضٍ. فمن ذٰلك ـ والله أعلم ـ ليعْتبرَ الباقُون بِمَنْ سلفَ وليأخُذَ حِذْرَهُ وأُهْبَتَهُ؛ لِيَسْتَدْرِكَ ما فاتَ وليستعِدَّ لما هو آتٍ، وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ. وإنَّ مَوَاعِظَ اللهِ وزواجِرَهُ لِتَتَنَوَّعَ وتختلِفَ، فتارَةً تكونُ بالغَرَقِ، كقَوْمِ نُوحٍ أهلَكَهُم اللهُ بذٰلك. وتارَةً تكونُ بالرِّيحِ، كقَوْمِ عادٍ، أهلكهم اللهُ بذٰلك، وتارةً تكونُ بالصَّيْحَةِ، كَقَوْمِ ثَمُودَ أهلَكَهُم اللهُ بذٰلك، وتارةً تكون بِقَلْبِ الدِّيارِ علىٰ

أهلِهَا كما أهلكَ اللهُ قوْمَ لُوطٍ بذٰلك. وتارَةً تكونُ بإرسالِ سَحَابِ العذابِ كَمَا أهلكَ اللهُ قَوْمَ شُعَيْبٍ بذٰلك، وتارةً تكونُ بتسْلِيطِ الأعداءِ كما سلَّطَ اللهُ علىٰ بني إسرائيل قَوْماً أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ.

فيا عباد الله: لا تَغْفَلُوا عن هـٰذا واذْكُرُوا ما حَلَّ بِجِوَارِكم في هـٰذه الأيَّامِ مِن رِيحٍ عاصِفَةٍ عَظِيمَةٍ ومَطَرٍ شَدِيدٍ دمَّرَ اللهُ بِهِ بعضَ المساكِنِ وأَهْلَكَ به بعضَ النُّفُوسِ؛ لِيَرْتَدِعَ ولِيَنْزَجِرَ الغافِلُون وليتذكَّر نِعَمَ اللهِ مَنْ مَنَّ اللهُ عليه بمساكِنَ حصينةٍ؛ لِئَلاَّ يظنُّوا أنَّها مانعةٌ لهم مِمَّا أصابَ غيرَهم، مِمَّا يخافُون ويَحْذَرُون، ولِئَلاَّ يَظنُّوا أنَّ السَّلامةَ والصِّحَّةَ والعافِيَةَ دائِمَةٌ لا تَزُولُ. ولـٰكنْ مع الأسفِ الشَّدِيدِ أَنَّ هـٰذه المَصَائِبَ والنَّكَبَاتِ والكارِثَاتِ، من الرِّياحِ العاصِفَةِ والأمطارِ الشَّدِيدَةِ ومَوْتِ كثيرٍ بالفَجْأَةِ، تَطْرقُ الآذانَ ويشاهِدُها المُشاهِدُ مِن الناسِ، ولا كأنَّها إلاَّ لِمَنْ أُصِيبَ بها فقط، وهي في الحقيقةِ لِمَنْ بَلَغَتْهُ بالمُشاهَدَةِ أو بالسَّمَاعِ، فيا عبادَاللهِ إنَّها لَمُصيبَةٌ؛ حيثُ أنَّ هـٰذه المصائبَ قد بلغتِ الكثيرَ مِن النَّاسِ وهو مع ذٰلك مقيمٌ علىٰ ما هو فيه لم ينزجِرْ عن ذنبٍ، ولم يُحْدِثْ تَوْبَةً، فَنَرَىٰ المتخلِّفَ عن صلاةِ الجماعةِ لم يتقدَّمْ لها، ونرىٰ المتَّخِذِينَ للمَلاَهي مُصِرِّينَ علىٰ ما هم عليه لَمْ يُقْلِعُوا عمَّا هم فيه، ونرىٰ العاقَّ لوالديه وقاطِعَ رَحِمِهِ لمْ يتغيَّرُوا عمَّا هم عليه، ونرىٰ شارِبَ المُسْكِرَاتِ والمُخَدِّرَاتِ والمُحَلِّقِين لِحَاهُم والمُسْبِلِينَ ثيابَهم، لم يُبصرُوا عُيوبَهم ولم يتفكَّرُوا في عِظَمِ معاصِيهِم، بل في الحقيقةِ سَكْرَىٰ كأنَّهم لم

يَسْمَعُوا موعِظَةً ولم يَحْضُرُوا مُبَلِّغِينَ لهم ما هُم عليه مِن المَعَاصِي، ونرىٰ عبدَالدِّينار وعبدَالدِّرهم مُنْهَمِكاً في دُنيَاه، يُحِبُّ ويُبغِضُ لها وبها، فهو في غَفْلَةٍ وإعْراضٍ فهو كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦] ونرىٰ أَكَلَةَ الحرام سواء كان بِطريقِ الرِّبا أو بطريقِ الغِشِّ أو الرِّشْوَةِ أو الغُلُوِّ، أو الاستِطَالَةِ بالحُجَّةِ بالمحاكِمِ وغيرِها، قد تَمَادَوْا في غَيِّهم وزادُوا فلا تَذَكُّرَ ولا اعتبارَ. فياعبادَ اللهِ لا تَغْتَرُّوا بالنِّعَمِ وأنتم علىٰ هـٰذه الحالَةِ. قالَ اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٦].

فاللهُ ـ سبحانه ـ حَذَّرَ ووَعَظَ عِبادَهُ أنْ يُصِيبَهُمْ مِن العذابِ والنَّكالِ الدُّنْيَوِيِّ ما حَلَّ بأشْبَاهِهِم ونُظَرَائِهِم مِن القُرُونِ السَّالِفَةِ الَّذين كانُوا أَشَدَّ منهم قُوَّةً وأَكْثَرَ جَمْعاً. وأَكْثَرَ أَمْوَالاً وأولاداً واستِعْلاءً في الأرضِ، وعِمارَةً لها، فقالَ ـ سبحانه ـ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٦] أي مِن الأموالِ والأولادِ والأعْمارِ والجاهِ العَرِيضِ والسَّعَةِ والجُنودِ. ولهـٰذا قالَ ـ سبحانه ـ: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ﴾ أي شيئاً بعدَ شيءٍ ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ ﴾ أي أَكْثَرْنَا عليهم أمطارَ السَّماءِ وينابِيعَ

الأرضِ؛ اسْتِدْرَاجاً وإمْلاءً لهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ أي بِخَطَايَاهُمْ وسَيِّئاتِهِم التي اجْتَرَحُوْها. ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾ أي فَذَهَبَ الأوَّلُونَ كأمسِ الذَّاهِبِ وجَعَلْنَاهُم أحادِيثَ. ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾ أي جيلاً آخرَ لِنَخْتَبِرَهم، فَعَمِلُوا مِثْلَ أعمالِهم فأُهْلِكُوا كإهلاكِهم، فاحْذَرُوا أيُّها المُخَاطَبُون أنْ يُصِيبَكُم مِثْلُ ما أصابَهُمْ؛ فما أنتم بِأَعَزَّ علىٰ اللهِ منهم. وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ قال ابنُ كثيرٍ ـ رحمهُ الله ـ علىٰ تفسيرِ هٰذه الآيَةِ: قالَ قَتَادَةُ: إنَّ اللهِ ـ تعالىٰ ـ يُخَوِّفُ النَّاسَ بِمَا شَاءَ مِن الآياتِ؛ لعلَّهم يَعْتَبِرُون ويَذَّكَّرُون ويَرْجِعُون. قال: وذُكِرَ لنا أنَّ الكُوفَةَ رجفتَ علىٰ عَهْد عبدِالله بنِ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ فقالَ: ياأيُّها النَّاسُ: إنَّ ربَّكم يَسْتَعْتِبُكُمْ، فأَعْتِبُوهُ. وهٰكذا رُوِيَ أنَّ المدينةَ زلزلتْ علىٰ عهدِ عمرَ بنِ الخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ مَرَّاتٍ. فقال عمرُ ـ رضي الله عنه ـ: أَحْدَثْتُمْ. واللهِ لَئِنْ عادتْ لأفعلنَّ ولأفعلنَّ. وفي الحديث المتَّفَقِ عليه: **«إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ مِن آياتِ اللهِ، وإنَّهما لا يَنكَسِفَانِ لِمَوْتِ أحدٍ ولا لِحياتِهِ، ولٰكنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ يخوِّف بهما عِبادَهُ، فإذا رأيْتُم ذٰلك فافْزَعُوا إلىٰ ذِكْرِهِ ودُعَائِهِ واسْتِغْفَارِهِ» ـ ثُم قالَ ـ: «يا أُمَّةَ محمدٍ: واللهِ ما أحدٌ أَغْيَرُ مِن اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عبدُه أو تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يا أُمَّةَ محمدٍ: واللهِ لو تعلمون ما أعلمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ولَبَكَيْتُمْ كثيراً».**

في يأجوج والدجال

الحمدُ للهِ العليِّ القديرِ السَّميعِ البَصِيرِ الذي أحاطَ بكُلِّ شيءٍ عِلماً وهو اللطِيفُ الخَبِيرُ. عَلِمَ ما كانَ وما يكونُ وخَلَقَ الموتَ والحياةَ؛ لِيبلُوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً، وهو العزيزُ الغَفُورُ.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أرجُو بها النَّجاةَ في يومِ النُّشُورِ. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ البَشِيرُ النذيرُ والسراجُ المُنِيرُ، صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه ومَن علىٰ طريقتهم يَسيرُ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ واستَعِدُّوا لليومِ الآخرِ؛ فقدْ أُنْذِرْتُمُوهُ. واستقبِلُوهُ بالأعمالِ الصالحةِ، واخْشَوْا مِن عقابِهِ واحذَرُوهُ. وقد قدَّم اللهُ ـ تعالىٰ ـ بين يَدَيْ هـٰذا اليومِ أشراطاً وعلاماتٍ؛ وذٰلك لِعِظَمِ هَوْلِهِ وشِدَّتِهِ؛ فإنَّه اليومُ الذي يُجازَىٰ فيه الخلائِقُ. فيَجزي المؤمنَ بحسناتِهِ ويُجازِي المُسيءَ بالسَّيِّئاتِ. أَلاَ وإنَّ مِن أشراطِ الساعَةِ خُروجَ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ. وهم قومٌ مِن بني آدم، علىٰ صِفَةِ الآدمِيِّين. وأمَّا ما يَعتقِدُهُ بعضُ الناسِ مِن أنَّ فيهم الطَّويلَ الطُّولَ الفارعَ وفيهم القصيرَ جدًّا، وأنَّهم علىٰ أشكالٍ غريبةٍ. فإنَّ هـٰذا الاعتقادَ مبنيٌّ علىٰ غيرِ دليلٍ صحيحٍ. وقد روىٰ الإمامُ أحمدُ والطبرانيُّ عَن حَرْملةَ، عَن خالَتِه، عَن

النَّبيِّ ﷺ: «**أنَّهم عِراضُ الوُجُوه، صِغارُ العُيُونِ، صُهْبُ الشّعافِ**» أي الشُّعور. قال الهيثميُّ: رجالُه رجالُ الصحيحِ. مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون، كأنَّ وُجُوهَهم المِجانُّ المُطرقة. وقد حذَّر النبيُّ ﷺ العربَ مِن خُروجِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ؛ لأنَّهم قومٌ مُفسِدُون في الأرضِ. والعربُ حَمَلَةُ رايَةِ الإِصلاحِ إلىٰ العالَمِ؛ لأنَّ الرسولَ ﷺ بُعثَ فيهم. فعَنْ زينبَ أمِّ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: استيْقَظَ النبيُّ ﷺ مِن نومِهِ مُحْمَرٌّ وجهُهُ، وهو يقولُ: «**لا إلـٰه إلاَّ اللهُ ويلٌ للعربِ مِن شرٍّ قد اقتربَ؛ فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مِثْلُ هـٰذه**» وحلَّق بأصْبَعِهِ والتي تَلِيها. قالت زينبُ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ: أَفَنَهْلَكُ وفينا الصالِحُون؟ قال: «نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ». فأمَّا وقتُ خُرُوجِهم الذي تكونُ به نهايَتُهم وهلاكُهُم، فإنَّه إذا قَتلَ عيسىٰ بنُ مريمَ، الدَّجَّالَ، أوحَىٰ اللهُ إليه أنِّي قد أخْرَجْتُ عباداً لي لا قُوَّةَ لأحدٍ علىٰ قِتالهم ـ يعني يأجوجَ ومأجوجَ ـ فيبعَثُهُمُ اللهُ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون، أي مِن كلِّ موضعٍ مُرتفعٍ يَأتُون سِراعاً. وهـٰذا دليلٌ علىٰ كَثْرتِهم وقوَّتِهم، فيمرُّ أوَّلُهم علىٰ بُحَيْرةِ طَبَرِيَّةَ فيشربونَ ما فيها، ويمُرُّ آخِرُهُم علىٰ البُحَيْرَةِ وقد شُرِبَ مَاؤُها، فيقولون: لقد كان في هـٰذه ـ مرَّةً ـ ماءٌ، ثم يسيرُون حتَّىٰ يصِلُوا إلىٰ جَبَلِ بيتِ المَقْدِسِ، فيقولون: لقد قَتَلْنا مَن في الأرضِ، هَلُمَّ فلْنَقتُلْ مَن في السماءِ، فيرْمُون بِنشّابِهم إلىٰ السماءِ، فيرُدُّ اللهُ عليهم نشّابَهم مَخْضُوبَةً دَماً؛ فتنةً لهم، وَيَنْحَصِرُ نبيُّ اللهِ عيسىٰ ـ عليه السلامُ ـ

وأصحابُه في الطُّورِ، وَيَضِيقُ عَيْشُهُم. قال النبيُّ ﷺ: «**حتَّىٰ يكونَ رأسُ الثَّوْرِ لأحَدِهم خَيراً مِن مِائَةِ دينارٍ لأحدِكم اليومَ**» فيبتهلُ نبيُّ اللهِ، عيسىٰ وأصحابُه أَنْ يُهْلِكَ يأجوجَ ومأجوجَ، فيُرسل اللهُ عليهم النَّغَفَ دُوداً في رِقابِهم، فيصبِحُون فَرْسَىٰ كموتِ نفسٍ واحدةٍ. ثم يهبطُ نبيُّ اللهِ، عيسىٰ وأصحابُه مِن الطُّور، فلا يَجِدُون في الأرضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إلاَّ وقد مَلأَهُ زهمُهُم ونَتَنُهُم، فيبتهلُ عيسىٰ وأصحابُهُ إلىٰ اللهِ ـ تعالىٰ ـ، فيرسلُ علىٰ جُثَثِ يَأجوجَ ومأجوجَ طيراً كأعناقِ البُخْتِ، فتطرَحُهُمْ حيثُ شاءَ اللهُ، ثم يرسلُ اللهُ مطراً لا يكنّ منه بيتُ مَدَرٍ ولاَ وَبَرٍ، فيغسلُ الأرضَ، حتَّىٰ يَدَعَها كالمرآةِ البيضاءِ، ثم يُقالُ لها: أَنبِتِي ثمرَتَكِ ورُدِّي بَرَكَتَكِ، فتنزلُ البركاتُ في الثَّمراتِ والدَّرِّ، حتَّىٰ إنَّ اللَّقْحَةَ لَتكْفِي الفِئامَ مِن الناسِ. فبينما هم كذٰلك إذْ بعثَ اللهُ رِيحاً طَيِّبَةً فتأخُذَهم تحتَ آباطِهم، فتَقبِضَ رُوحَ كُلِّ مؤمنٍ وكُلِّ مُسلمٍ، ويبقىٰ شِرارُ الناسِ يَتَهارَجُون فيها تَهارُجَ الحُمُرِ، فعليهم تقومُ الساعةُ.

وقد اختلفت أقوالُ العَصْرِيِّين في يَأجوجَ ومَأْجوجَ، فبعضُهم يُنْكِرُون وُجُودَهم بالكُلِّيَّةِ، ويُنْكِرُون وُجُودَ السَّدِّ الذي جعله ذُو القَرْنَيْنِ بينهم وبين الناسِ، ومُسْتَنَدُهُم في ذٰلك ما تَزْعُمُه بعضُ الدُّوَلِ في هٰذه الأزمانِ أنَّ السائِحِين منهم قد اكتشَفُوا الأرضَ كُلَّها، فلم يَرَوْا يأجوجَ ومأجوجَ، ولم يَرَوا سَدَّ ذِي القَرْنَيْن. وهٰذا ـ في الحقيقةِ ـ تكذيبٌ لِمَا أَخْبرَ اللهُ به في كتابِه وعلىٰ لِسانِ رسولِهِ ﷺ، عَن السَّدِّ ويأجوجَ

ومأجوجَ، والتكذيبُ بما أخبرَ اللهُ به في كتابه كُفرٌ وظُلْمٌ. والدليلُ علىٰ ذٰلك قَوْلُ اللهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [العنكبوت: ٤٧] وقولُهُ: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٩]. والتكذيبُ بما أخبرَ به رسولُ اللهِ ﷺ، في الأحاديثِ الصحيحةِ كُفرٌ ـ أيضاً ـ؛ لأنَّ تكذيبَهُ فيما أخبرَ به يُنافِي الشهادَةَ بأنَّهُ رسولُ اللهِ، ويَلْزمُ عليه تكذيبُ قَوْلِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣ـ٤] وبعضُ العَصْرِيِّين يَزعُمُون أنَّ يأجوجَ ومأجوجَ هم جميعُ دُوَلِ الكفرِ المُتفوِّقينَ في الصِّناعاتِ الحَديثَةِ. وقد رأيتُ هـٰذا القولَ الباطِلَ في بعضِ مُؤلَّفَاتِ المُتكلِّفين مِن العصرِيِّين. وهـٰذا القولُ قريبٌ مِن القولِ الأَوَّلِ. وقد صرَّحَ الشيخُ محمدُ بن يوسفَ الكافي بتكفيرِ مَن قالَ بها، ووَجْهُ القولِ بتكفيرِ مَن قالَ بهـٰذا أنَّه يَلزمُ عليه تكذيبُ ما أخبرَ اللهُ به في كتابِهِ، عَن السَّدِّ وأنَّه قد حالَ بين يأجوجَ ومأجوجَ وبين الخروجِ علىٰ الناسِ، وأنَّ يأجوجَ ومأجوجَ ما اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وما استطاعوا له نَقْباً، وأنَّه إذا جاءَ وَعْدُ الرَّبِّ ـ تبارك وتعالىٰ ـ أي في آخِرِ الزمانِ إذا دَنَا قِيامُ الساعةِ، جعَلَهُ دكَّاءَ، فخرَجُوا علىٰ الناسِ، وذٰلك بعدما يَنزِلُ عيسىٰ بنُ مريمَ ـ عليهما السلام ـ إلىٰ الأرضِ، ويقتلُ الدَّجَّالَ، وقد جاءَ ذٰلك صَريحاً في عِدَّةِ أحاديثَ صحيحةٍ. قد قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦ـ٩٧]. وفي هاتَيْنِ الآيتَيْنِ أبلغُ رَدٍّ علىٰ مَنْ زَعَمَ أنَّ يأجوجَ ومأجوجَ هم دُوَلُ الأفْرِنْجِ أو غيرُهم مِن دولِ المشرقِ أو المغربِ، الذين لم يزالوا مُخْتَلِطِينَ بغيرِهم مِن الناسِ، ولم يُجعلْ بينهم سَدٌّ مَنِيْعٌ يَحُولُ بينهم وبين الخُرُوجِ علىٰ الناسِ. ومِن أغربِ الأقوالِ ما زَعَمَهُ بعضُ العَصْرِيِّين في تفسيرِهِ، أنَّ يأجوجَ ومأجوجَ هم التَّتارُ الذين خَرَجُوا علىٰ المسلمين في أثناءِ القَرْنِ السابعِ مِن الهِجْرَةِ وما بعدَه. ولو كان الأمرُ علىٰ ما زَعَمَهُ هٰذا المُتَخَرِّصُ المُتَأَوِّلُ لكتابِ اللهِ علىٰ غيرِ تأويلِهِ، لكان الدَّجَّالُ قد خَرَجَ في أوَّلِ القرنِ السابعِ مِن الهجرةِ، قبلَ خُرُوجِ التَّتارِ علىٰ المسلمين، ولكان عيسىٰ بنُ مريمَ قد نزلَ مِن السماءِ، وقتلَ الدَّجَّالَ قبلَ خُرُوجِ التَّتارِ. وهٰذا قولٌ باطلٌ مردودٌ، تَرُدُّهُ الأحاديثُ الصحيحةُ الصريحةُ. وأمَّا كَوْنُ السائِحِينَ في الأرضِ لَم يَرَوْا يأجوجَ ومأجوجَ ولا سَدَّ ذِي القرنين فلا يلزمُ منه عدمُ السَّدِّ ويأجوجَ ومأجوجَ، فقد يَصْرِفُ اللهُ السائحينَ عَن رُؤْيَتِهم ورؤيةِ السَّدِّ، وقد يَجعلُ اللهُ بينهم وبين الناسِ بَحْراً لا يُطَاقُ اجْتِيازُهُ، أو غيرَ ذٰلك مِن المَوانِعِ التي تَمنعُ مِن رُؤيتِهم ورؤيةِ السَّدِّ، واللهُ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ. والواجبُ علىٰ المسلمِ الإيمانُ بِما أخبرَ اللهُ به في كتابِه عَن السَّدِّ ويأجوجَ ومأجوجَ وغيرِهما، وما صَحَّ عن النبيِّ ﷺ في ذٰلك. ولا يَجوزُ للمسلمِ أَن يَتكَلَّفَ ما لا عِلمَ له به، ولا يقول بشيءٍ مِن أقوالِ المُتكلِّفِين والمُتَخَرِّصِين، بل يَنْبِذُها

وراءَ ظهرِهِ، ولا يلتفتُ إلىٰ شيءٍ منها. باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العَظِيمِ... إلخ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ، نَحمدُه، ونَسْتعِينُه، ونَسْتَغْفِرُه، ونتوبُ إليه، ونَعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أَنْفُسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعدُ:

أيها الناس: إنَّه يَجبُ الإيمانُ بما أخبرَ اللهُ به في كتابه، عَن السَّدِّ ويأجوجَ ومأجوجَ، وأنَّ يأجوجَ ومأجوجَ ما اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوا السَّدَّ، وما استطاعوا له نَقْباً، وأنَّه إذا جاءَ وَعْدُ الرَّبِّ ـ تبارك وتعالىٰ ـ جَعَلَهُ دكَّاءَ، وأنَّه يَجِبُ ـ أيضاً ـ الإيمانُ بِما أخبرَ به رسولُ اللهِ ﷺ في الأحاديثِ الصحيحةِ. عَن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعانَ وابْنِ مسعودٍ وحُذَيْفَةَ ـ رضي اللهُ عنهم ـ أنَّ يأجوجَ ومأجوجَ إنَّما يَخرُجُون علىٰ الناسِ بعد نُزُولِ عيسىٰ بنِ مريمَ وقَتْلِ الدَّجَّالِ.

وأمَّا مَن قال أنَّهم الكُفارُ علىٰ اختِلافِ أجناسِهِم وأوطانِهِم، فهو قولٌ مخالِفٌ؛ لِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عن ذِي القَرْنَيْن، وهو قولٌ باطلٌ، ولا يقولُ به عاقلٌ، لِوُجُوهٍ: **الوَجْهُ الأولُ:** أنَّ اللهَ أخبرَ عَن ذِي القرنين أنَّه جعلَ بين

الناسِ وبين يأجوجَ ومأجوجَ سَدًّا مِن حَدِيدٍ، وأنَّ يأجوجَ ومأجوجَ ما اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وما استطاعوا له نَقْباً، وأنَّه إذا جاءَ وعدُ الرَّبِّ جعلَهُ دَكَّاءَ، وحِينئذٍ يَخرُجُون علىٰ الناسِ، وذٰلك في آخِرِ الزمَانِ عند اقترابِ الساعَةِ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦] وإذا لِما يستقبلُ مِن الزمانِ. وهٰذا يَدُلُّ علىٰ أنَّ يأجوجَ ومأجوجَ لم يزالوا وراءَ السَّدِّ حتَّىٰ يأتِيَ وقتُ خُرُوجِهم في آخِرِ الزمانِ، وفي قوله: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ دليلٌ علىٰ أنَّهم ما يَخْرُجُون إلاَّ إذا دَنَا قِيامُ الساعَةِ. **الوَجْهُ الثاني**: أَنْ يُقال أنَّ أُمَمَ الكُفارِ كانوا مَوجُودِين في جميعِ الجِهاتِ شرقاً وغرباً، فلم يُؤثَرْ عَن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال إنَّهم هم يأجوجُ ومأجوجُ، ولم يُؤثرْ ذٰلك عَن أحدٍ مِن الصحابَةِ ولا التابِعِين وتابِعِيهم ولا مَن بعدَهم مِن العلماءِ، حتَّىٰ جاءَ المُتكَلِّفُون في القرنِ الرابِعَ عَشَرَ مِنَ الهجرةِ. **الوجه الثالث**: أنْ يُقالَ أنَّ خُرُوجَ يأجوجَ ومأجوجَ إنَّما يكونُ بعد نُزُولِ عيسىٰ بنِ مريمَ ـ عليه الصلاة والسلامُ ـ وقَتْلِهِ الدَّجَّالَ كَمَا جاءَ ذٰلك صريحاً في الأحاديثِ عَن النَّوَّاسِ وحُذَيْفَةَ وعبدِالله بنِ مسعودٍ. ومَن قالَ إنَّهم قد خرجوا قبل نُزُولِ عيسىٰ، فهو مُكَذِّبٌ للأحاديثِ، ومَن كذَّب بما صحَّ عَن المُصطفَىٰ ﷺ فقدْ صرَّح أهلُ العلمِ بكُفْرِهِ ورِدَّتِهِ. **الوجه الرابع**: أَنْ يُقالَ إنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبرَ في حديثِ النواسِ أنَّ يأجوجَ ومأجوجَ إذا خرجُوا يَمُرُّ أوَّلُهم علىٰ بُحيرةِ طَبَرِيَّةَ، فيشربُون ما فيها، وجاءَ في حديثِ ابنِ مسعودٍ أنَّهم إذا

خرجُوا يَطَئُون البِلادَ، فلا يأْتُونَ علىٰ شيءٍ إلاَّ أَهْلَكُوهُ، ولا يَمُرُّون علىٰ ماءٍ إلاَّ شَرِبُوهُ، فَيَا مَن قالَ إنَّهم أُمَمُ الكُفارِ: متىٰ شرِبُوا بُحيرةَ طَبريَّةَ؟! وفي أيِّ وقتٍ، ما أَتَوْا علىٰ شيءٍ إلاَّ أهلكُوهُ؟!، ومتىٰ أرسلَ اللهُ عليهم النَّغفَ، فماتُوا عَن آخِرِهم، فآذَىٰ أهلَ الأرضِ ريحُهُم، فأرسلَ اللهُ عليهم طَيْراً فطَرَحَتْهُم حيثُ شاءَ اللهُ؟!. وهل حَصَرَ أُمَمُ الكُفارِ نبيَّ اللهِ، عيسىٰ قبل أنْ يَنْزِلَ؟ الجوابُ: كلُّ ذٰلك ما وقعَ وما جرىٰ، وإنَّما يكونُ بعد نزولِ نبيِّ اللهِ عيسىٰ وقَتْلِهِ الدَّجَّالَ. ثُمَّ بعدَ ذٰلك يَخرُجُ يأجوجُ ومأجوجُ وهُم مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي. . . إلخ.

القيامة والبعث

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُه ونستغفِرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا. مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِل فلا هادِيَ له.

وأشهدُ أن لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ وعلى آله وصَحْبِه أَجْمَعين.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١].

عباد الله: إنَّ الإيمانَ بالبعثِ والنُّشُورِ وقِيَامِ الناسِ مِنَ القُبُورِ هو أحدُ أركانِ الإيمانِ السِّتَّةِ، وقد تكرَّر ذٰلك اليومُ في القرآنِ الكريمِ وعلىٰ لسانِ النَّبيِّ ﷺ تَحْذيراً لنا وإنْذاراً، ولنستعدَّ لذٰلك اليومِ بالأعمالِ الصالحةِ؛ لأنه لا نجاةَ مِن أخطارِ ذٰلك اليومِ إلاَّ بالأعمالِ الصالحةِ ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. لقد تَوعَّدَ اللهُ المُكذِّبين بهـٰذا اليومِ العظيمِ فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المطففين: ١٠-١٣] وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ٣١] وأخبرَ أنهم سيدركون خطأهم ويندمون حين لا ينفع

الندم فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝١٩ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝٢٠ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢١﴾ [الصافات: ١٩-٢١].

وأخبرَ ـ سبحانه ـ أنَّ مَنْ نسيَ هـٰذا اليومَ ولمْ يستعدَّ له سَيْلَقىٰ العذابَ الشَّديدَ، فقالَ ـ سبحانه ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝٢٦﴾ [ص: ٢٦]. وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [السجدة: ١٤]. لقد سَمَّىٰ اللهُ هـٰذا اليومَ بأسماء كثيرةٍ مُرَوِّعَةٍ، فسمَّاه يومَ القيامةِ؛ لِقيامِ الناسِ مِن قُبُورِهم، ووُقُوفِهم علىٰ أقدامِهم في المَحْشَرِ، وسمَّاه بيومِ الدِّين، والدِّينُ هو الجزاءُ والحِسابُ؛ لأنَّ الناسَ يُحاسَبُون ويُجازَوْن بأعمالِهم في هـٰذا اليومِ وسمَّاه بيومِ الحسابِ، وسمَّاه باليومِ الآخرِ؛ لأنَّه يأتِي بعد الدُّنيا ويستمرُّ، أَهلُ الجَنَّةِ يُخَلَّدُون في الجَنَّةِ وأهلُ النَّارِ يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ فيقالُ: «**يا أهلَ الجَنَّةِ: خُلُودٌ ولا موتَ، ويا أهلَ النارِ خُلُودٌ ولا موتَ**» وسمَّى ـ سبحانه ـ قِيامَ الساعةِ بأسماء مُروِّعَةٍ، فسمَّاها الحاقَّة والقَارِعَةَ والطَّامَّةَ الكُبْرَىٰ والصَّاخَّةَ والنَّبأَ العَظِيمَ والفَزَعَ الأكْبَرَ؛ وذٰلِكَ لِشدَّةِ هَوْله، كما صوَّره في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا

إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣] لقد تجرَّأَ الكُفَّارُ فأنْكَرُوا هـٰذا اليومَ واستبْعَدُوه ونَفَوْا قُدرَةَ اللهِ علىٰ إحياءِ المَوْتَىٰ بعد أنْ صارُوا تُراباً وعِظاماً نَخِرَةً، فردَّ اللهُ ـ تعالىٰ ـ عليهم وأقامَ البراهِينَ القاطِعَةَ علىٰ وُقُوع ذٰلك. منها أنَّ الذي خَلَقَهم أوَّلَ مرَّةٍ وأنشأَهُم مِن العَدَم قَادِرٌ من بابِ أَوْلَىٰ علىٰ إعادَتِهِمْ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧]. ومنها قِيامُ دَلِيلٍ حِسِّيٍّ يُشاهِدُونه بأعيُنِهم، وهو إحياءُ الأرضِ بالنَّباتِ الأخْضَرِ بعد مَوْتِها وجَدْبِها ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩]. ومنها تنزيهُ اللهِ عن العَبَثِ؛ لأنَّه لَوْ لمْ يَكُنْ هناك بَعْثٌ لِيُجَازَىٰ فيه المُحْسِنُ بإحسانِهِ والمُسِيءُ بإساءَتِهِ فتَظْهَرُ نتائِجُ الأعمالِ التي قُدِّمَتْ في دارِ الدُّنيا لكانَ خَلْقُ الناسِ عَبَثاً لَيْسَ له نتيجةٌ، واللهُ مُنَزَّهٌ عَنْ العَبَثِ، قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥] ومنها تَنْزِيهُ اللهِ عَنِ الظُّلْمِ واتِّصَافِهِ بالعَدْلِ، وهـٰذا يقتضي أنْ يُجَازَىٰ كلُّ عاملٍ بعملِه، ولا يُسَوَّىٰ بين المؤمنِ والفاسِقِ، ولا يكونُ هـٰذا إلاَّ بالبعثِ والحساب. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا

كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية: ١٢، ٢٢]. لذلك ترىٰ كثيراً من المُفْسِدِين يَمُوتُونَ ولا يُجَازَوْن في الدُّنيا علىٰ فَسَادِهم، وتَرىٰ كثيراً مِن الصَّالِحين يَمُوتُون قبل أن يُجَازَوْا بِصَلاحِهم؛ لأنَّ هناك يوماً ينتظرُ الجميعُ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [السجدة: ١٨ـ٢٠].

عباد الله: إنَّ اللهَ أخبرَ عن قُرْبِ هذا اليوم لِيَسْتَعِدَّ له العِبادُ. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١] ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]. ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾ [النجم: ٥٧]. ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام: ١٣٤] بَلْ إنَّ هُناك قيامةً قريبةً لكلِّ شخصٍ بخَاصَّتِهِ، وهي الموتُ. فالموتُ هو القيامةُ الصُّغْرىٰ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] وحين يَجِيْءُ الموتُ لا يستطيعُ الإنسانُ أن يتخلَّصَ منه، ولا يستطيعُ أن يُغَيِّرَ من عَمَلِهِ إنْ كانَ غيرَ صالحٍ، ولا أن يَزِيدَ فيه إذا كانَ صَالِحاً.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا علىٰ ذِكْرِك وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِك. أقولُ قَوْلي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائِرِ المسلمين، مِن كُلِّ ذَنْبٍ، فاستغفِرُوه؛ إنَّه هو الغَفُورُ الرحيمُ.

موعظة في أحوال الدنيا وفي البعث بعد الموت

الحمدُ للهِ حَمْداً كثيراً كَمَا أَمَر، وأَشْكُرُهُ وقدْ تَأَذَّنَ بالزِّيادةِ لِمَنْ شَكَرَ. وأشهدُ أن لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شَرِيكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه ـ.

أمَّا بعد:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وتَأَمَّلُوا أحوالَكُم وأصلِحُوا أعمَالَكم وتَفَكَّرُوا في مَصِيرِكم واعْلَمُوا أنَّكم في هـٰذه الحياةِ تنتَقِلُون مِن حالٍ إلىٰ حالٍ، فَتَزَوَّدُوا منها للآخرةِ بصالِحِ الأعمالِ. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: ١٩] أي حالاً بعدَ حالٍ، فأوَّل أطباق الإِنسانِ كونُه نُطفةً ثم علقةً ثم مُضغةً ثم جَنيناً ثم مولوداً ثم رَضِيعاً ثم فَطِيماً ثم صَحِيحاً أو مَرِيضاً. غَنِيًّا أو فقيراً يأخذ بالزيادة فيكون صَبِيًّا، ثم بالغاً إلىٰ أن يَصِلَ إلىٰ سنِّ الأربعين فيأخذ بالنُّقصانِ وضعفِ القُوىٰ علىٰ التدريج. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] فقُوَّتُه بين ضَعْفَيْنِ، وحياتُه بين مَوْتَيْنِ، فإذا تغيَّرت أحوالُه وظهر نقصُه فقد رُدَّ إلىٰ أَرْذَلِ العُمُرِ، حتَّىٰ إذا بلغَ الأجلَ الذي قُدِّرَ له واسْتَوْفَاهُ جاءَتْهُ رُسُلُ رَبِّه ـ عزَّ وجلَّ ـ ينقلُونَه مِن دارِ الفَناءِ إلىٰ دارِ البقاءِ، فينزلُ في القبرِ وهو دارُ البَرْزَخِ، فإذا وُضِعَ في لَحْدِهِ وتَوَلَّىٰ عنه أصحابُه دخلتِ الرُّوحُ معه،

حتىٰ إنه ليسمعُ قَرْعَ نِعَالِهم علىٰ الأرض، فيأتيه حينئذٍ المَلَكان فيُجلسانِهِ ويسألانِه: مَن ربُّك وما دِينُك ومن نبيُّك؟ فيقولُ المؤمنُ: ربِّيَ اللهُ وديني الإسلامُ ونبيِّي محمدٌ. فيُصدِّقانِهِ ويُبشِّرَانِه بأنَّ هٰذا هو الذي عاشَ عليه وماتَ عليه، وعليه يُبعثُ، ثم يُفسحُ له فِي قَبْرِه مَدَّ بَصَرِهِ ويُفْرَشُ له من الجِنَّةُ ويُفتحْ له بابٌ إلىٰ الجَنَّةِ. وأمَّا الفاجرُ فإنه إذا سَأَلَهُ المَلَكَان يَتَلَجْلَجُ ويقولُ: لا أَدْرِي. فَيُضَيَّقُ عليه قبرُه حتىٰ تختلفَ أضلاعُه، ثم يُفرشُ له نارٌ ويُفتحُ له بابٌ إلىٰ النَّارِ، وهٰكذا يُنَعَّمُ المؤمنُ في قبرِه حسبَ أعمالِه، ويُعَذَّبُ الفاجرُ في قبرِه حسبَ أعمالِه، ويختصُّ كلُّ عضوٍ بعذابٍ يليقُ بجنايته، فتُقرض شِفاهُ المُغْتَابين الذين يُمَزِّقُون لحومَ الناسِ ويقعون في أَعْرَاضِهِمْ بمقارِيضَ من نارٍ، وتُسجَّر بُطُونُ أَكَلَةِ أموالِ اليَتَامَىٰ بالنَّارِ، وتُلقمُ أَفْوَاه أَكَلَةُ الرِّبا بالحجَارَةِ ويَسبَحُونَ في أنهارِ الدَّمِ كما سَبَحُوا في الكسبِ الخَبِيثِ، وترضُّ رؤوسُ النائمين عن الصَّلاةِ المكتوبةِ بالحَجَرِ العَظِيمِ، ويُشَقُّ مشدَقُ الكذَّاب بكلاَلِيبِ الحديدِ إلىٰ قَفاه ومَنْخرُه إلىٰ قفاه وعيناه إلىٰ قفاه كما شَقَّتْ كلمتُه الكَاذِبةُ كلَّ النواحي، ويُعلقُّ النساءُ الزَّواني بِثُدُيِّهِنَّ ويُحبسُ الزُّناةُ والزَّوانِي في التَّنُّورِ المحمي عليه، وتُسلَّط الهمومُ والغمومُ والأحزانُ والآلامُ النفسيَّةُ علىٰ النُّفُوسِ البَطَّالَةِ التي كانت في هٰذه الدُّنيا مشغولةً باللَّعِبِ واللَّهْوِ والغَفْلَةِ عن ذِكْرِ اللهِ، فتصنعُ الآلامُ في نُفُوسِهم كما تصنع الهوامُ والديدانُ في لُحومِهم ويستمر عذابُ القبرِ أو نعيمُه إلىٰ أن تنقضِي

الحياةُ الدنيا وينتهي أجلُ العالَمِ الدُّنيويِّ فتُمْطَرُ الأرضُ مطراً غليظاً كَمَنِيِّ الرِّجالِ أربعين صباحاً فينبتُون مِن قُبُورِهم كما ينبتُ الشجرُ والعشبُ. فإذا تكامَلت أجسادُهم أمرَ اللهُ ـ سبحانه ـ إسرافِيلَ فنفخَ في الصُّورِ نفخةَ البَعْثِ ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨]. يقولُ المؤمنُ: الحمدُ للهِ الذي أحيانا بعدَ ما أماتَنَا وإليه النُّشُورُ. ويقولُ الكافِرُ: ﴿قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾ [يس: ٥٢] ثم يُساقُون إلىٰ المَحْشَرِ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً، حتىٰ إذا تكاملت عدَّتُهم وصارُوا جَميعاً علىٰ وَجْهِ الأرضِ تشققتِ السماءُ وانتثرتِ الكواكِبُ ونزلتْ ملائكةُ السماءِ الدُّنيا فأحاطتْ بهم، ثم نزلت ملائكةُ السَّماءِ الثانية فأحاطتْ بملائكةِ السَّماءِ الدُّنيا ثم كل سماءٍ كذٰلك، فبينما هم كذٰلك إذ جاءَ اللهُ ربُّ العالمين لِفَصْلِ القضاءِ، فأشرقتِ الأرضُ بنورِه ونُصِبَ الميزانُ وأُحْضِرَ الدِّيوانُ، واسْتُدْعِيَ الشُّهودُ، فشهدتْ يومئذٍ الأيدي والألسنُ والأرجلُ والجُلُودُ، فيحكمُ اللهُ ـ سبحانه ـ بينَ عِبادِهِ بِحُكْمِهِ الذي يحمدُه عليه جميعُ أهلِ السمٰواتِ والأرضِ، وتُوَفَّىٰ كُلُّ نفسٍ ما عملتْ وهم لا يُظْلَمُون. فإذا استقرَّ أهلُ الجَنَّةِ في الجنَّةِ وأهلُ النَّارِ في النَّارِ، أُتِيَ بالمَوْتِ في صُورةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُوْقَفُ بين الجنَّةِ والنَّارِ، ثم يقال: يا أهلَ الجنَّةِ، فيطَّلِعُون وَجِلِينَ، ثم يقالُ: يا أهل النَّارِ. فيطَّلِعُون مُسْتَبْشِرِين. فيُقالُ: هلْ تَعرِفُون هٰذا؟ فيقولُون: نعم، وكلُّهم قد عَرَفَهُ. فيقالُ: هٰذا الموتُ، فيُذبحُ بين الجنَّةِ

والنَّارِ، ثم يقالُ: يا أهلَ الجنَّةِ: خلودٌ ولا موتَ، ويا أهلَ النَّارِ خلودٌ ولا موتَ.

فيا عبادَ اللهِ هٰذه أحوالُ الإنسانِ، وهٰذا مُنْتَهاهُ، فاتَّقُوه اللهَ في أنفُسِكُمْ وفكِّروا في عَوَاقِبِكُمْ، واسْمَعُوا قولَ اللهِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ ﴾ [الحشر: ١٨].

موعظة في أمور الآخرة

الحمدُ للهِ جامعِ الناسِ ليومٍ لا رَيْبَ فيه، يومَ يَفِرُّ المرءُ مِن أخيه، وأُمِّهِ وأبيهِ، وصاحِبَتِهِ وبَنِيهِ. أحمدُهُ ـ سبحانه ـ بِيَدِهِ المُلْكُ، وأَمْرُ الخلائِقِ بدأَ مِنْهُ وإليه يَصِيرُ.

وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

أمَّا بعد:

عباد الله: إنَّ في النَّظَرِ في سِيَرِ المَاضِينَ مِن سَلَفِ هـٰذه الأمَّةِ خيرَ عِبْرَةٍ للسالِكِين، وخيرَ نهجٍ للمُنْتَهِجِينَ مِن عبادِ اللهِ الصالِحِين، وإنَّ مِن سِيَرِهِم الصالحةِ أنَّهم كانوا يَسْتَمِعُونَ لِلْمَوَاعِظِ بقُلوبٍ واعِيةٍ، وأَعْيُنٍ بالدَّمْعِ دامِعة، ونُفُوسٍ تتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ العابِدِ في مِحْرَابِهِ، خشيةً مِن اللهِ وخوفاً مِن عذابِهِ، أولـٰئك قومٌ اختارَهُم اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ، فَرَضِيَ اللهُ عنهم وأَرْضَاهُم، أولـٰئك هم المُفْلِحُون. كما في حديثِ أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: خَطَبَنَا رسولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثْلَها قَطُّ. فقال: «**لو تعلمون ما أعلمُ لَضَحِكْتُمْ قليلاً ولَبَكَيْتُمْ كثيراً**» زاد أبوذرٍّ ـ رضي الله عنه ـ: «**وَلَمَا تَلَذَّذْتُمْ بالنساءِ علىٰ الفُرُشِ، ولَخَرَجْتُمْ إلىٰ الصّعدَاتِ تَجْأَرُونَ إلىٰ اللهِ**». وفي روايةٍ: فقال ﷺ: «**عُرِضَتْ عليَّ الجنةُ والنارُ فَلَمْ أَرَ كاليومِ مِن الخيرِ والشَّرِّ، ولو تعلمون ما أعلمُ لَضَحِكْتُمْ قليلاً ولَبَكَيْتُمْ**

كثيراً» فما أتىٰ علىٰ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ يومٌ أشدُّ منه، غَطَّوْا رُؤُوسَهُمْ ولهم خَنِينٌ، أي بكاءٌ مع صوتٍ.

أجلْ يا عِبادَ اللهِ إنهم أدركُوا ما عَنَاهُ رسولُ اللهِ ﷺ بقولِه: «**لو تعلَمُون ما أعلَمُ لَضَحِكْتُمْ قليلاً ولَبَكَيْتُمْ كثيراً**» ولعلَّهُ خطرتْ لهم صورٌ شَتَّىٰ، كانت هي الباعِثَ لِتأثُّرِهم وطولِ بكائِهم، لعله خطرتْ لهم صورةُ الدنيا، وقد ذَوَتْ زَهْرَتُها، وكأنها لم تكن ناضِرَةً فاتِنَةً ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠] أو خطرتْ لهم عظمةُ الجبَّارِ ـ جلَّ وعلا ـ في انتقامِه مِن العاصِين ممَّن اتَّبع هواه وكان من الغاوِين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧] أو خطرتْ لهم صورةٌ للنهايةِ المَحْتُومَةِ لكلِّ حَيٍّ، وما يكون في آخِرِ المرحلةِ مِن نَزْعٍ واحتِضارٍ ومُعاناةِ سَكَرَاتٍ.. يَالَهَا مِن سَكَرَاتٍ، ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ أو خَطَرَتْ لهم صورةُ القَبْرِ والسُّؤالِ والفِتْنَةِ فيه، والقبرُ روضةٌ مِن رياضِ الجنةِ أو حُفْرَةٌ مِن حُفَرِ النارِ، أو خطرتْ لهم صورةُ البعثِ وقيام الناسِ مِن قُبُورِهم لِرَبِّ العالمين ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥١، ٥٢] أو خَطَرَ لهم موقفُ القِيامَةِ وأهوالُه، ودُنُوُّ الشمسِ مِن الخَلاَئِقِ وتَطَايُرُ صحائِفِ الأعمالِ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ

حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] أو خطرتْ له صورةُ المُرُورِ علىٰ الصِّراطِ مَنْصُوباً علىٰ مَتْنِ جهنَّمَ، وهو أَدَقُّ مِن الشَّعْرِ وأحدُّ مِن السَّيْفِ، يَجْتَازُهُ الناسُ علىٰ قَدْرِ أعمالِهم، حتىٰ يكونَ منهم مَن يُجْتَذَبُ إلىٰ النارِ ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] أو خطرتْ له صورٌ لِعذابِ الجحِيمِ من حَرٍّ وسَمُومٍ وزَقُّومٍ وزَمْهَرِيرٍ وزَبَانِيَةٍ غِلاظٍ شِدادٍ، وما حكَاهُ اللهُ ـ تعالىٰ ـ عَن أهلِ النَّارِ قائِلين: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف: ٧٧، ٧٨].

لعلَّه مرَّتْ بِأذْهَانِهم هٰذه الصُّورِ وأمثالِها فأَخْفَوْا وُجوهَهم بين أيدِيهم واندَفَعُوا يَبْكُون خشيةً مِن اللهِ، وليسَ شيءٌ أحبُّ إلىٰ الله ـ تعالىٰ ـ مِن قَطْرَةِ دَمْعٍ مِن خشيةِ اللهِ.

فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، واغتَنِمُوا فُرَصَ هٰذه الحياةِ الدُّنيا، فاليومَ عملٌ ولا حسابٌ وغَداً حسابٌ ولا عملٌ. حُكِيَ عَن بعضِ العلماءِ أنَّه كان يقولُ: ليس في القيامةِ مِن الحَسَرَاتِ أشَدُّ مِن ثلاثةٍ: رجلٌ مَلَكَ عبْداً فَعَلَّمه الإسلامَ والشرائعَ، فأطاعَ العبدُ ولم يُطِعْ المَولىٰ ربَّه. فذٰلك يُحْمَلُ إلىٰ الجَنةِ ويُحملُ المَولىٰ إلىٰ النارِ. ورجلٌ كسبَ مالاً مِن كُلِّ وَجْهٍ فلم يُقدّمه فورِثَه غيرُه فعملَ فيه بالطاعَةِ وقدَّمَهُ لنفسِه فهو ناجٍ به وصاحبُه مُؤاخَذٌ به. ورجلٌ علَّم للناسِ عِلماً فعملوا به ولم يعمل به، ففازُوا به وكان هو الهالِكَ. نسألُ اللهَ السلامةَ والعافيةَ. اللَّهُمَّ انْفَعْنا بما

علَّمتنَا وزِدْنا عِلماً ينْفعُنا.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة].

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَن يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

أمَّا بعد: فأُوصِيكُم عبادَ اللهِ ونفسي بِتقْوىٰ اللهِ ـ تعالىٰ ـ في السِّرِّ والعلانِيَةِ، وأَحُضُّكُمْ علىٰ طاعةِ ربِّكم؛ فإنَّها خيرُ ما أعِدَّ لليومِ الآخرِ، وأُحَذِّرُكُم الدنيا؛ فإنَّها عَرَضٌ حَاضِرٌ، يأكلُ منها البَرُّ والفاجِرُ، وإنَّما أيامُها ولياليِها مراحلُ إلىٰ المقابِرِ، وأَحثُّكُم علىٰ مُراقبَةِ مَولاكم؛ فإنَّه عَلاَّمُ السَّرائِرُ، وأنْهاكُمْ عن مُخالَفَتِهِ وارتكابِ الذُّنُوبِ الصغائِرِ والكبائِرِ، اسْتَحْيُوا مِن اللهِ الذي تَحَبَّبَ إليكم بإنْعامِهِ المُتكاثِرِ وتَعرَّفَ إليكم بِما رَادَفَهُ مِن إفضالِهِ الوافِرِ.

حُكي عَن إبراهيمَ بنِ أدهمَ أنَّ رجلاً أتاهُ، فقال: يا أباإسحاق أنا رجلٌ مُسْرِفٌ علىٰ نفسي، وقد أَحْبَبْتُ أنْ تُحَدِّثَني بشيءٍ مِن الزُّهْدِ لعلَّ

اللهَ يُلِينُ قلبي ويُنَوِّرُهُ. قال إبراهيمُ: إنْ قَبِلْتَ مِنِّي سِتَّ خِصالٍ أُوصِيكَ بها فلا يَضُرُّكَ ما عَمِلْتَ بعدها. فقال: وما هي؟ قال: أوَّل خصلةٍ أُوصِيكَ بها: إذا أَرَدْتَ أنْ تَعْصِي اللهَ فلا تَأْكُلْ رِزْقَهُ. قال: فإذا كان المَشْرِقُ والمغربُ والبرُّ والبحرُ والسَّهلُ والجَبَلُ رزقَه فمن أين آكُلُ؟ فقال: يا هـٰذا أَفَيَحْسُنُ بِكَ أنْ تأكلَ رزقَهُ وتعصيه. قال: لا واللهِ. هاتِ الثانيةَ. قال: إذا أردْتَ أن تعصيَهُ فلا تسكنْ في بلدِهِ. فقال الرجلُ: يا إبراهيمُ هـٰذه واللهِ أشدُّ مِن الأولىٰ! إذا كانت كلُّ البلادِ له ففي أيِّ جِهَةٍ أَسْكُنُ. قال: يا هـٰذا، أَفَيَحْسُنُ بك أنْ تَسكنَ في بلدِهِ وتأكلَ مِن رزقِهِ وتعصِيه؟ قال؛ لا واللهِ. هاتِ الثالثةَ. قال: إذا أردتَ أنْ تعصيَهُ فلا تخليه يراكَ. قال: ياإبراهيمُ كيفَ يكونُ هـٰذا وهو يعلمُ السرائِرَ ويَكْشِفُ الضمائِرَ؟ قال: يا هـٰذا أَفَيَحَسُنُ بك أنْ تأكلَ رزقَهُ وتسكنَ بلدَهُ وتعصيه وهو يراك؟ فقال: لا واللهِ. هاتِ الرابعةَ. قال: إذا جاءَ مَلَكُ الموتِ يَقْبِضُ رُوحَكَ فَقُلْ: أَخِّرْنِي حتىٰ أَتُوبَ. فقال: ليس يَقبلُ مِنِّي. فقال: إذا عَلِمْتَ أنك لا تَقْدِرُ علىٰ دفعِ مَلَكِ الموتِ فلعلَّه يجيئُكَ قبل أن تتوبَ. قال: صدقتَ. هاتِ الخامسةَ. قال: إذا جاءكَ مُنْكَرٌ ونكيرٌ، فخاصِمْهُمَا بِقولِك إن استطعتَ. فقال: ليس ذٰلك إليَّ. هاتِ السادسةَ: قال إذا كانَ غداً بينَ يَدَي اللهِ ـ تعالىٰ ـ وأمرَ بك إلىٰ النارِ فَقُلْ لا أذهبُ إليها. فقال: ياإبراهيمُ حَسْبِي حَسْبِي حَسْبِي.

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصَلُّون علىٰ النَّبيِّ. . . إلخ.

في عدم الغفلة عن ذكر الموت

الحمدُ للهِ الذي خَلَقَ المَوْتَ والحياةَ ليبلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أحسنُ عملاً، وجعلَ لكلِّ حيٍّ مآلاً وأَجَلاً، أحمدُه أنْ جعلَ الحياةَ مزْرَعَةً للآخِرَةِ وعَمَلاً.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له. استوىٰ علىٰ عَرْشِهِ وعَلاَ. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ خيرُ مَن حذَّرَ عَن الشَّرِّ ودعىٰ إلىٰ الهُدىٰ. اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّم علىٰ عبدِكَ ورسولِكَ مُحمدٍ وعلىٰ آلِه وصحْبِهِ وسلِّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وأَطِيعُوهُ وأكْثِرُوا مِن ذِكرِ المَوتِ؛ لِتَأَهَّبُوا للرَّحيلِ وتَأْخُذُوا ما يُبلِّغُكُم مِن الزَّادِ. قال ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ، الموتَ**». وعَن أنسٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ أنَّ رجُلاً ذُكرَ عِند النَّبيِّ ﷺ، فأَحْسَنُوا الثَّناءَ عليه، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**كيف كان ذِكْرُ صاحِبِكُمْ للمَوْتِ؟**» قالوا: ما كُنَّا نكادُ نَسْمَعُهُ يَذكُرُ المَوتَ. قال: «**إنَّ صاحِبكم ليس هناك**» وَعَن ابنِ عُمرَ ـ رضي اللهُ عنهما ـ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ المُؤمِنين أَكْيَسُ؟ قال: «**أَكْثَرُهُمْ للمَوتِ ذِكْراً، وأَحْسَنُهُمْ لِما بعده استعداداً، أولـٰئك الأكْيَاسُ**» وقال الحَسَنُ البصرِيُّ: فَضَحَ المَوتُ الدُّنيا، فلم يَتْرُكْ لِذِي لُبٍّ فيها فَرَحاً، وما أَلْزَمَ عَبدٌ قلبَهُ ذِكرَ المَوتِ إلاَّ

صَغُرَت الدُّنيا عليه، وهَانَ عليه جميعُ ما فيها. كان ابنُ عُمرَ ـ رضي اللهُ عنه ـ إذا ذكرَ الموتَ، انتفَضَ انتِفاضَ الطَّيرِ، وكان يَجمعُ كُلَّ ليلَةٍ الفُقهاءَ، فيتذَاكَرُون الموتَ والقِيامَةَ، ثم يَبْكُون. فهٰؤلاء هٰذا خَوْفُهُمْ إذا ذَكَرُوا الموتَ. وفي زمانِنَا هٰذا يُشَيِّعُ بعضُ الناسِ المَيِّتَ، ويَجلسُ في المقبرَةِ ينتظرُ دَفْنَهُ، فيأخُذُ في الضَّحِكِ والخَوْضِ في الدنيا، كأنَّ المَوتَ لهٰذا المَدفُونِ وحدَهُ. فالذي ينبغي لزائِرِ القُبُورِ الاعتبارُ بحالِ المَوتَىٰ وما هم فيه مِن تَفاوُتِ الأحوالِ والمَنَازِلِ، فيكونُ بذٰلك خائفاً وَجِلاً مُشْفِقاً ممَّا هو نازِلٌ به كما نزلَ بهم، كمَا في الحَدِيثِ، لَمَّا خرجنَا مع الرَّسُولُ ﷺ في جَنازَةٍ، جلسْنَا حولَ القَبرِ كأنَّ علىٰ رُؤوسِنا الطَّيرُ.

فيا عباد الله: ماتت القُلُوبُ، فلا هي بالقُرآنِ تَنْزَجِرُ، ولا برُؤيَةِ المَوتىٰ واللُّحُودِ تَتَّعِظُ وتَرْتَدِعُ. كلُّنا قد أيْقنَ بالموتِ، وما ترىٰ له مُستعِدًّا، وكلُّنا قد أيْقنَ بالجَنةِ، وما نرىٰ لها عامِلاً، وكلُّنا قد أيْقَنَ بالنَّارِ، وما نرىٰ لها خائِفاً. فَعَلامَ تَفرحُون، وما عَسَيْتُمْ تَنْتَظِرُونَ المَوْتَ فهو أوَّلُ وارِدٍ عليكم مِن اللهِ بخَيرٍ أو بشَرٍّ. فيا عبادَ اللهِ: سِيرُوا إلىٰ ربِّكم سَيْراً جميلاً، فَمَنْ جعلَ المَوتَ نصْبَ عينيه، لم يُبَالِ بِضِيقِ الدنيا ولا بسَعَتِها.

أيها الناس: اعلَمُوا أنَّ خطرَ الموتِ عظيمٌ، وإنَّما غَفَلَ الناسُ عنه لِقِلَّةِ فِكْرِهِمْ وذِكْرِهِمْ له، ومَن يَذْكُرُهُ منهم إنَّما يَذْكُرُهُ بقلبٍ غافِلٍ، فهٰذا لا يُؤَثِّرُ فيه ذِكْرُ المَوتِ شيئاً. الطَّريقُ في ذٰلك أنْ يُفَرِّغَ العَبدُ قَلْبَهُ لِذكرِ

المَوتِ الذي هو بين يَدَيْهِ، كالذي يُريدُ أنْ يُسافِرَ إلىٰ مَفَازَةٍ مخطرةٍ، فإنَّه لا يتفكَّرُ إلاَّ في ذٰلك، ففكِّرُوا في إخوانِكم وأقرانِكم الذين مَضَوْا قَبْلَكُمْ، فاذْكُرُوا مَوتَهُم ومصارِعَهُمْ تحت الثَّرىٰ. قال ابنُ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ: السَّعيدُ مَن وُعِظَ بِغَيْرِهِ. وقال أبُوالدَّرداءِ ـ رضي الله عنه ـ: إذا ذُكِرَ المَوتَىٰ، فعُدَّ نفسَكَ كأحَدِهِمْ. وفي الحديثِ: «**إنَّ أخْوَفَ ما أخافُ علىٰ أمَّتي الهَوىٰ وطُولُ الأملِ. فأمَّا الهَوَىٰ فَيُضِلُّ عَن الحَقِّ، وأمَّا طُولُ الأمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ**». وعن الحَسَنِ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِهِ: **أَكُلُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ**؟ قالوا: نعمْ يارسولَ اللهِ. قال: **قَصِّرُوا الأمَلَ، واثبتوا آجالَكُم بين أبصارِكُمْ، واسْتَحْيُوا مِن اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ حقَّ الحياءِ**».

وعن أبي زكريَّا التَّيميِّ قال: بينما سليمانُ بنُ عبدِالمَلِكِ في المسجدِ الحرام إذ أُتِيَ بِحَجَرٍ مَنْقُوشٍ، فطلبَ مَنْ يَقرَؤهُ، فإذا فيه: ابنَ آدم: لو رأيتَ قُرْبَ ما بَقِيَ مِن أَجَلِكَ، لَزَهِدْتَ في طُولِ أَمَلِكَ، ولَرَغِبْتَ في الزِّيادَةِ مِن عَمَلِكَ، ولقصَّرْتَ مِن حِرْصِكَ وحِيَلِكَ، وإنَّما يَلقَاكَ نَدمُك لو قد زَلَّتْ بِك قَدمُكَ، وأسْلَمَكَ أهلُك وحَشَمُكَ، فبَانَ مِنك الولَدُ والنَّسبُ، فلا أنت إلىٰ دُنياك عائدٌ، ولا في حسناتِكَ زائِدٌ، فاعملْ ليومِ القِيامةِ. . يومِ الحَسْرَةِ والنَّدَامَةِ.

واعلَمُوا ـ رحمكم اللهُ ـ أنَّ السَّببَ في طُولِ الأملِ شيئانِ، أحدُهما حبُّ الدنيا، والثَّاني الجَهْلُ. فأمَّا حبُّ الدُّنيا فإنَّ الإنسانَ إذا أَنِسَ بها

وبِشَهَوَاتِها ولَذَّاتِهاوعَلاَئِقِها ثَقُلَ علىٰ قلبِهِ مُفَارَقَتُها، فامْتَنَعَ قلبُهُ مِن الفِكْرِ في المَوتِ الذي هو سَبَبُ مُفَارَقَتِها، فيُمَنِّي نفسَهُ أبداً بِما يُوافِقُ هَوَاهُ مِن البَقَاءِ في الدنيا، وما يَحتاجُ إليه مِن مالٍ وأهلٍ ومَسْكَنٍ وسائِرِ أسبابِ الدُّنيا، فيَصيرُ قلبُهُ عاكِفاً عليها. فإنْ خَطَرَ له المَوتُ في بعضِ الأحوالِ، والحاجَةُ إلىٰ الاستعدادِ للمَوتِ وما بعده مِن الأهوالِ، سوَّفَ بذٰلك ووَعَدَ نفسَهُ. وقال: الأيَّامُ بين يَدَيْكَ إلىٰ أنْ تَكْبُرَ ثم تَتُوبَ، وإذا كَبُرَ قال: إلىٰ أنْ تَصِيرَ شَيْخاً، وإذا صارَ شَيْخاً قال: إلىٰ أنْ تَفْرغَ مِن بِناءِ هٰذه الدَّارِ وعِمارَةِ هٰذا المَسْكَنِ، وإنْ كانَ في سفرٍ، قال: إذا رجعْتَ مِن هٰذه السَّفْرَةِ، فلايزالُ يُسَوِّفُ ويُؤخِّرُ ولا يحرِصُ في إتْمامِ شُغْلٍ إلاَّ ويتعلَّقُ بإتمامِ ذٰلك الشُّغْلِ عَشْرَةَ أشغالٍ، وهٰكذا يَمْضِي الوقتُ وتمضِي الأيَّامُ علىٰ التَّدْريجِ، يُؤخِّرُ يوماً بعد يومٍ، ويَشتغلُ بشُغْلٍ بعد شُغْلٍ، إلىٰ أنْ تَخْتَطِفَهُ المَنِيَّةُ في وقتٍ لا يَحْتَسِبُهُ، فتَطُولُ عند ذٰلك حسرتُهُ.

وأكثرُ ضيَاعِ أهلِ النارِ مِن سَوفَ. يقولُون: واحسْرَتَاهُ مِن سَوفَ. وأصلُ هٰذه الأمانِيِّ كُلِّها حبُّ الدنيا والأُنْسُ بها، والغَفْلَةُ عَمَّا جاءَ في الأثَرِ «**أَحْبِبْ ما شِئْتَ، فإنَّك مُفَارِقُه**». السَّببُ الثاني: الجَهلُ، وهو أَنَّ الإِنسانَ يُعَوِّلُ علىٰ شبابِهِ، ويَستبعِدُ قُربَ المَوتِ مع الشباب. أفَلاَ يَتفكَّرُ هٰذا فيرىٰ أنَّ غالِبَ مَن يَموتُ حُدَثَاءُ الأسنانِ، وإنْ ماتَ شَيخٌ، ماتَ أضعافُهُ مِن الشَّبابِ، وقد يَغترُّ بصِحَّتِهِ ولا يدري أنَّ الموتَ يأتي فجأةً ـ فلا تنفعُ الشَّفاعَةُ ـ، ويأخُذُ الرُّوْح بِدُونِ استِئذانٍ، وإن استبعَدْتَ ذٰلك

فإنَّ المرضَ يأتي فَجْأةً، وإذا مَرِضْتَ لم يَكُن الموتُ بعيداً، فتفكَّرُوا يا عبادَ اللهِ، وتُوبُوا واعلَمُوا أنَّ الموتَ ليس له وقتٌ مَخصُوصٌ، مِن صيفٍ وشتاءٍ وربيعٍ وخريفٍ وليلٍ ونهارٍ، ولا هو مُقيَّدٌ بسنٍّ مَخصُوصٍ، مِن شابٍّ وشيخٍ، بل كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ الغَفُورِ الشَّكُورِ الذي يغفرُ الكثيرَ مِن الزَّلَلِ، أحمدُه ـ سبحانه ـ يقبلُ اليسيرَ مِن صالحِ العملِ، فيُضاعِفَهُ أضعافاً كثيرةً، ويُثيبُ عليه الثَّوابَ الجَلَلَ، وكلُّ هـٰذا لأهلِ التوحيدِ، أمَّا الشِّركُ فلا يغفرُهُ ولا يقبلُ معه مِن العملِ مِن قَليلٍ ولا كَثيرٍ.

وأشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له الكريم المنَّان. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ واخْشَوْا يوماً لا يجزي والدٌ عن وَلَدِهِ، ولا مولودٌ هو جازٍ عن والِدِهِ شيئاً.

عباد الله: اعلَمُوا أنَّ هـٰذه الحياةَ الدُّنيا دار مُمَرٍّ وعُبُورٍ وعملٍ للآخرةِ، فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيا، ولا يَغُرَّنَّكُمْ باللهِ الغَرُورُ. فتذكَّرُوا ما أنتم إليه صائِرون، مِن الموتِ وما بعدَه يوم تُحشرون. تذكَّرُوا حالَتَكم عند

حُلُولِ الآجالِ ومُفَارَقَةِ الأوطانِ والأهلِ والعِيالِ، تذكَّرُوا حِينما تُشاهِدُون الآخرةَ أمامَكم، وأنتم مُقبِلُون إليها مُدبِرُون عن الدنيا، تذكَّرُوا حينما يَنقسمُ الناسُ إلىٰ قِسمَين، فمنهم مَن تَوفَّاهُمُ الملائكةُ طَيِّبين، يقُولُون سلامٌ عليكم ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾. ومنهم مَن تَوفَّاهُم الملائكةُ ظالِمي أنفسِهم. ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾، ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾. تذكَّرُوا إذا حُملتُم علىٰ الرِّقابِ إلىٰ القُبُورِ، فانفرَدْتُمْ بها عَن الأهلِ والأولادِ والأموالِ والقُصُورِ. جَلِيسُكم أعمالُكُم. فإمَّا إلىٰ خيرٍ تَسِيرُون به إلىٰ يومِ القيامة، وإمَّا إلىٰ شرٍّ تَجدُون به الحَسْرَةَ والنَّدامَةَ ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ ﴾. تذكَّرُوا إذا نُفخَ في الصُّورِ ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ يقُومُون مِن قُبُورِهم لربِّ العالمين، حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، يَفِرُّ المرءُ مِن أخيه وأُمِّه وأَبِيه وصاحِبَتِهِ وبَنِيه؛ لكلِّ امرىءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغْنِيه.

عباد الله: تذكَّرُوا هـٰذا اليومَ العظيمَ الذي يُجمعُ فيه الأوَّلُونَ والآخِرُون، في صعيدٍ واحدٍ، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة] هـٰذا اليوم الذي تَنْدَكُّ فيه الجبالُ، وتَعظمُ فيه الأهوالُ، وينزلُ فيه للقضاءِ بين العبادِ المَلِكُ الكبيرُ المُتَعالِ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾ [المزمل]. تذكَّرُوا هـٰذا اليومَ الذي سمَّاه اللهُ يومَ التَّغابُنِ؛ لأنَّه هو الغُبنُ الحَقيقيُّ؛ لأنَّ النَّاسَ يُحشرون علىٰ حَسْبِ أعمالِهم، فمنهم المُتَّقُون الذين يُحشرون إلىٰ الرَّحمـٰن وَفْداً، فَنِعْمَ الوَفْدُ، ونِعْمَ المَوْفُودُ إليه. الوفدُ عبادُ اللهِ، والمَوفُودُ إليه المَلِكُ الكريمُ المَنَّانُ.

ومنهم المُجْرِمُون الذين يُساقُون إلىٰ جهنَّم وِرْداً ـ أي عِطاشاً ـ، فتمثَّلُ لهم النارُ كأنَّها السَّرابُ، يُساقُون إليها ولـٰكن لا تُرْوِيهم مِن ظمأٍ، وإنَّما يَجِدُون فيه النَّارَ والسَّعيرَ والحَرَّ والزَّمْهَرِيرَ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْآخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾. فما أعظمَ هـٰذا اليومَ، وما أشدَّ هَوْلَهُ، لقد قال ـ تعالىٰ ـ في وَصْفِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ مِقدارُهُ خَمسُون ألفَ سنةٍ، تدنُو فيه الشمسُ مِن العالَمِ،

حتَّىٰ تكونَ بِقَدْرِ مِيلٍ، ويَبلغُ العَرَقُ منهم، كُل بحسبِ عملِه. إنَّ التَّغابُنَ ـ واللهِ ـ في هٰذا اليومِ هو التَّغابُنُ، وليس التَّغابُنُ في نَيْلِ عَرَضِ الدنيا وزخارِفِها؛ فإنَّما هي لَهْوٌ ولعبٌ وزِينةٌ وتَفاخُرٌ بينكم وتَكاثُرٌ في الأموالِ والأولادِ، تَزدَهِرُ قليلاً ثم تَزُولُ سريعاً، ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾، فتنافَسُوا أيُّها المسلمون في أعمالِ الآخرةِ؛ لِتُدْرِكُوا بذٰلك الدُّنيا والآخِرَةَ؛ فإنَّ الدنيا مزرعةُ الآخرةِ، فإذا لم يَزْرَعْ فيها لآخرتِهِ فقدْ خَسِرَها وخَسِرَ آخرَتَهُ. ذكرَ ابنُ الجَوزِيِّ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ، عَن حجَّاج الأسود. قال: رأيتُ في المَنَامِ كأنِّي دخلتُ المقابِرَ، فإذا أنا بأهْلِ القُبُورِ في قُبُورِهم كأنَّهم نِيَامٌ. قد شَقَقْتُ عنهم، فمنهم النَّائِمُ علىٰ القياضي، ومنهم النَّائمُ علىٰ التُّرابِ، ومنهم النَّائمُ علىٰ السُّنْدُسِ والاستَبْرَقِ، ومنهم النَّائمُ علىٰ الحَريرِ والدِّيباجِ، ومنهم النَّائمُ علىٰ الرَّيْحانِ، ومنهم كَهَيْئَةِ المُتَبَسِّمِ في نومِهِ، ومنهم من قد أشْرَقَ لَونُهُ، ومنهم حائِلُ اللَّونِ. قال: فبكيتُ عندما رأيتُ ذٰلك، وقلتُ: ياربِّ: لو شئتَ لساوَيْتَ بينهم في الكَرَامَةِ، فنادىٰ مُنادٍ مِن تلك القُبُورِ: ياحجَّاجُ: هٰذه منازِلُ الأعمالِ. قال: فاستيقظْتُ مِن كلمَتِهِ فَزِعاً مَرعُوباً. ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

عباد الله: إنَّ الله وملائكته يُصَلُّونَ على النبي. . . إلخ.

الموت وسؤال منكر ونكير

الحمدُ للهِ المَلِكِ العَزيزِ العَلَّامِ. العَلِيِّ العَظِيمِ الكَرِيمِ السَّلَامِ غافِرِ الذَّنْبِ وقابِلِ التَّوْبِ مِن جميعِ الآثامِ. أحمدُه ـ سبحانه ـ علىٰ ما اتَّصفَ به مِن صِفاتِ الجَلَالِ والإكرامِ. وأشكرُهُ علىٰ ما أسْدَاهُ مِن جَزِيلِ الفَضْلِ والإنعامِ.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، شهادةً أرجُو بها الفَوْزَ بِدارِ السَّلامِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الذي أظهرَ اللهُ به الإيمانَ والإسلامَ. اللَّهُمَّ صلِّ علىٰ عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلىٰ آلِه وأصحابِه البَرَرَةِ الكِرامِ، وسلِّمْ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ وأَطِيعُوه ورَاقِبُوه في السِّرِّ والعَلَنِ ولا تَعْصُوهُ، واعملُوا صالحاً يُنْجِيكُم مِن عَذَابه وأَلِيمِ عِقَابِهِ، ولا تَنْسَوْا ذِكرَ هادمِ اللَّذَّاتِ ومُفَرِّقِ الجماعاتِ، أَلاَ وهو المَوتُ الذي وُكِّلَ بِكم، والذي سينقُلُكُمْ بأعمالِكم إلىٰ القُبُورِ كما نقلَ الأوائِلَ بأعمالِهِم، إلىٰ الحياةِ الدَّائِمَةِ إلىٰ الخُلُودِ الأبدِيِّ. . جعلَ لهم مِن الضَّريحِ أَكْناناً، ومِن التُّرابِ أَكْفاناً، ومن الرُّفاتِ أَخْداناً. واستبدلُوا بظاهرِ الأرضِ بَطْناً، وبالسَّعَةِ ضِيقاً، إلاَّ مَن وسَّعَ اللهُ عليه. وبالنُّور ظُلْمَةً، إلاَّ مَن نوَّرَ اللهُ عليه. يَتمنَّوْن الرَّجْعَةَ لِيعْمَلُوا صالِحاً. وهيهاتَ هيهاتَ لهم بالرُّجُوعِ.

فما أَحْوَجَنا إلىٰ أنْ نتذكَّر ذٰلك، ونحنُ في زمنٍ سيْطرَ فيه حبُّ الدنيا ومتاعِها الزَّائِلِ وزُخْرفِها المُضْمَحِلِّ علىٰ قُلُوبِ الكَثيرِ. وفي الحديثِ: سُئِلَ رسولُ اللهِ: أيُّ المؤمنين أكْيسُ؟ قال: «**أكثَرُهم للمَوتِ ذِكْراً**» إي واللهِ، ما أحْوَجَنا إلىٰ أنْ نتذكَّر مَصارِعَ الغابِرين؛ عسىٰ أنْ نَتُوبَ إلىٰ رُشْدِنا، ونَستيقظَ مِن رُقادِنا، ويَتمزَّقَ حِجابُ الغَفْلَةِ عَن قُلُوبِنا، فنتهيَّأَ لهٰذا السَّفرِ البعيدِ، ونَأخذَ له زادَهُ، ونُعِدُّ له عُدَّتَهُ واستعدادَهُ، فلا كالمَوتِ يهزُّ قلبَ الحَيِّ، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ وإنَّنا لفي غَفْلَةٍ مِن هٰذا الأمرِ وهٰذا المُنقَلَبِ وهٰذا المصيرِ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ وأوَّلُ ما يُلاقِينا مِن شدائِدِهِ المَوتُ، والموتُ أعظمُ مِن نَيِّفٍ وسبعين ضَرْبةٍ أو طعنةٍ بالسَّيفِ، والقبرُ أولُ مَنْزِلٍ مِن منازِلِ الآخرَةِ. فإنْ نَجا منه العبدُ فما بعده أَيْسرُ. وإنْ لم يَنْجُ فما بعده أَشَدُّ. وفي مُسندِ الإمامِ أحمدَ، عَن البَرَاءِ بنِ عازبٍ، قال: خَرَجْنا مع رسولِ اللهِ ﷺ في جنازةِ رجلٍ مِن الأنصارِ، فانتهيْنَا إلىٰ القَبْرِ، ولمَّا يُلحدْ بعد. فجلسَ رسولُ اللهِ ﷺ وجلسْنَا حولَه كأنَّ علىٰ رُؤُوسِنا الطَّيرَ، وبيَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ به في الأرضِ، فرفعَ رأْسَهُ فقالَ: «**تعوَّذُوا باللهِ مِن عذابِ القَبْرِ**» مرَّتين أو ثلاثاً، ثُم قال: «**إنَّ العبدَ المُؤمنَ إذا كانَ في انقطاعٍ مِن الدنيا وإقبالٍ مِن الآخرَةِ، نزلَ إليه ملائكةٌ مِن السَّماءِ بِيضُ الوُجُوهِ كأنَّ وُجُوهَهم الشمسُ، معهم كَفَنٌ مِن أكفانِ الجَنَّةِ**

وحَنُوطٌ مِن حَنُوطِ الجَنَّةِ، حتَّىٰ يجلِسُوا منه مدَّ البصرِ، ويَجِيءُ مَلَكُ المَوتِ ـ عليه السَّلامُ ـ، حتَّىٰ يجلسَ عند رأسِهِ فيقولُ: أَيَّتُها النَّفسُ الطَّيِّبةُ: اخْرُجِي إلىٰ مَغْفِرَةٍ مِن اللهِ ورِضوانٍ. قال: فَتخرجُ تَسيلُ كَمَا تَسيلُ القِطْرَةُ مِن فِي السِّقاءِ. فيأخُذها فإذا أخذَهَا لم يَدَعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حتَّىٰ يأخُذُوها، فيجعلوها في ذٰلك الكفنِ وفي ذٰلك الحَنُوطِ، ويَخرجُ منه كأطيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجدتْ علىٰ وَجْهِ الأرضِ. قال: فَيَصْعَدُون بها فلا يَمُرُّون علىٰ ملأٍ مِن الملائكَةِ إلَّا قالوا: ما هـٰذه الرُّوحُ الطَّيِّبةُ؟ فيقولون: فلانُ بنُ فلانٍ، بأحسنِ أسمائِهِ التي كانَ يُسَمَّىٰ بها في الدنيا، حتَّىٰ ينتهُوا بها إلىٰ السماءِ الدنيا فيستفتحون له فَيُفْتَحُ لهم، فيُشَيِّعُهُ مِن كلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها إلىٰ السماءِ التي تَلِيها، حتَّىٰ ينتهي بها إلىٰ السماءِ السابِعَةِ، فيقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: اكتبُوا كتابَ عبدِي في عِلِّيِّين، وأَعِيدُوهُ إلىٰ الأرضِ، فإنِّي منها خَلَقْتُهُم وفيها أُعيدُهم ومنها أُخرِجُهم تارَةً أخرىٰ. قال: فتُعادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ، فيأتيه مَلَكَانِ فيُجلِسَانِهِ فَيقُولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: ربِّيَ اللهُ، فيقولان له: ما دِينُك؟. فيقول: دينِي الإسلامُ. فيقولان له: ما هـٰذا الرَّجُلُ الذي بُعثَ فيكم؟ فيقولُ: هو رسولُ اللهِ، فيقولان: وما يُدْرِيك؟ فيقولُ: قرأتُ كتابَ اللهِ وآمنتُ به وصدَّقْتُهُ، فيُنادِي مُنادٍ مِن السماءِ: أَنْ قد صَدَقَ عَبْدِي فأَفْرِشُوهُ مِن الجَنَّةِ، وافتَحُوا له باباً إلىٰ الجَنةِ. قال: فيأتيه مِن رَوحِها وطِيبِها، ويُفسحُ له في قَبْرِهِ مدَّ بَصَرِهِ. قال: ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ

الثِّيابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فيقول: أَبْشِرْ بالذي يَسُرُّكَ، هٰذا يومُك الذي كُنت تُوعدُ، فيقول: من أنتَ فَوجهُك الوجهُ الحَسنُ يَجيءُ بالخيرِ؟. فيقولُ: أنا عملُك الصالحُ. فيقول: رَبِّ أَقِمِ الساعَةَ. ربِّ أَقِمِ الساعةَ حتَّىٰ أرجِعَ إلىٰ أهلي ومالي. يَعني في الجنة. وإنَّ العبدَ الكافرَ إذا كان في انقِطاعٍ مِن الدنيا وإقبالٍ مِن الآخرةِ، نزلَ إليه ملائكةٌ سُودُ الوُجُوه، معهم المسُوحُ، فيجْلِسُون منه مَدَّ البصرِ، ثم يَجيءُ مَلَكُ الموتِ حتَّىٰ يجلسَ عند رأسِهِ، فيقولُ: أيَّتُها النفسُ الخَبيثةُ: اخرُجي إلىٰ سَخَطٍ مِن اللهِ وغَضَبٍ. فتفرَّقُ في جَسَدِه، فينتزِعُها كما يُنتزعُ السَّفُّودُ مِن الصُّوفِ المَبلُولِ. فيأخُذُها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يدِهِ طَرْفَةَ عينٍ حتَّىٰ يجعلوها في تِلْك المَسُوحِ. ويخرجُ منه كأنْتَنِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ علىٰ وجهِ الأرضِ. فيصعَدُون بها، فلا يَمُرُّون علىٰ ملأٍ مِن الملائكةِ إلَّا قالوا: ما هٰذه الرُّوحُ الخَبيثةُ؟ فيقولون: فلانُ بنُ فلانٍ، بأقبحِ أسمائِه التي كان يُسمَّىٰ بها في الدنيا، حتَّىٰ يُنْتَهى بها إلىٰ السَّماءِ الدنيا، فيُسْتفْتَح له، فلا يُفتحُ له، ثم قَرَأَ رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ فيقولُ اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: اكتبُوا كتابَهُ في سِجِّين في الأرضِ السُّفلَىٰ، ثم تُطرحُ رُوحُهُ طَرْحاً، ثم قَرَأَ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ فتُعادُ رُوحُهُ في جَسَدِهِ، ويأتيه مَلَكَانِ، فيُجْلِسانِهِ، فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. قال: فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: هاه هاه

لا أدري. قال: فيقولان له: ما هٰذا الرجُلُ الذي بُعثُ فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي مُنادٍ مِن السماءِ أنْ كَذَبَ، فأفْرِشُوه مِن النَّارِ، وافتحُوا له باباً إلىٰ النَّارِ. فيأتيه مِن حَرِّها وسَمُومِها، ويُضَيّقُ عليه قبرُهُ حتَّىٰ تختلِفَ فيه أضلاعُهُ. ويأتيه رجُلٌ قبيحُ الوجهِ، قبيحُ الثِّيابِ، مُنتِنُ الرِّيحِ، فيقول: أَبْشِرْ بالذي يَسُؤوُك، هٰذا يومُك الذي كُنتَ تُوعدُ. فيقول: مَن أنت، فوجهُكَ الوجْهُ يَجيءُ بالشَّرِّ؟. فيقولُ: أنا عملُكَ الخَبيثُ. فيقولُ: ربِّ لا تُقِم السَّاعَةَ». قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ، عن مُؤمِنِ آلِ فِرعونَ، أنَّه قال لقومِهِ: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

عباد الله: عذابُ القبرِ ثابتٌ في الكِتَابِ والسُّنَّةِ. وعامَّتُهُ عَن معاصِي القَلْبِ والعَينِ والأُذُنِ والفَمِ واللِّسانِ والبَطْنِ والفَرْجِ واليَدِ والرِّجْلِ والبَدَنِ كلِّهِ. فالنَّمَّامُ، والكَذَّابُ، والمُغْتَابُ، وشاهِدُ الزُّورِ، وقاذِفُ المُحْصَنِ، والقائِلُ علىٰ اللهِ ورسولِهِ بلا عِلْمٍ، وآكِلُ الرِّبا، وآكِلُ أموالِ اليتامَىٰ، وآكِلُ الرِّشْوَةِ، وشارِبُ المُسْكِرِ، والزَّانِي، واللُّوطِيُّ والسارِقُ، وقاتِلُ النفْسِ التي حرَّمَ اللهُ، والطَّاعِنون علىٰ السَّلَفِ الصَّالحِ، والمُستَمِعُ إلىٰ الغِناءِ والمَزامِيرِ، والذين يَأتُون الكَهَنَةَ والمُنجِّمِين والعَرَّافِين، فيسألونهم ويُصدِّقُونهم، والذي يُؤخِّرُ الصلاةَ

إلىٰ آخرِ وقتِها وينقُرُها، ولا يُؤدِّي زكاةَ مالِهِ طَيِّبَةً بها نفسُهُ، ولا يَحُجُّ مع قُدرتِهِ علىٰ الحَجِّ ولا يُؤدِّي ما عليه مِن الحُقُوقِ للهِ ـ تعالىٰ ـ أو حُقُوقٍ لخَلقِهِ مع قُدرَتِهِ عليها. فكلُّ هٰؤلاء وأمثالُهم إنْ لمْ يَتُوبُوا إلىٰ اللهِ ويستغفروه ويَرُدُّوا المظالِمَ إلىٰ أهلِها، يُعذَّبُون في قُبُورِهِم بهٰذه الجرائِمِ بحسبِ كَثْرَتِها وقِلَّتِها وصِغَرِها.

عباد الله: فظواهِرُ قُبُورِ المعذَّبين تُرابٌ، وبواطِنُها حَسَرَاتٌ وعذابٌ، ظواهِرُها بالتُّرابِ مُسَوَّاةٌ، وفي بَوَاطِنِها الدَّواهِي والبَلِيَّاتِ تَغْلِي بالحسراتِ كما تغلي القُدُورُ بما فيها، وقد حِيلَ بينها وبين شَهَوَاتِها وأمانِيِّها. تاللهِ لقد وَعَظَتِ القُبُورُ، فما تركت لوَاعظٍ مقالاً، ونادتْ: يا عُمَّارَ الدنيا: لقد عَمَّرْتُمْ داراً مُوشِكٌ بكم زَوَالُها، وخرَّبتُمْ داراً، عمَّا قريب إتيانُها. عمَّرْتُم بُيوتاً، لِغَيْرِكم منافِعُها وسُكْناها، وخرَّبْتُم بُيوتاً ليس لكم مَساكنُ سواها، فالقُبورُ دارُ الاستِباقِ ومُستودَعُ الأعمالِ وبذْرِ الزُّروع، كما أنَّها مَحلُّ العِبَرِ، رِياضٌ مِن رِياضِ الجَنَّةِ، أو حُفْرَةٌ مِن حُفَرِ النَّارِ، فاتَّقُوا اللهَ عبادَ اللهِ، وأَطِيعُوا أمرَهُ وخافُوا عِقَابَهُ، ومَهِّدُوا لأنفسِكم المِهادَ الحَسَن يومَ موْتِكم ويومَ بعثِكم وعَرْضِكم علىٰ ربِّكم، فالحياةُ مرَّةٌ، والفُرصةُ واحدةٌ، فإذا انتهت فلاَ كَرَّةَ ولا رُجُوعُ. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، أحمدُه

ـ سُبحانه ـ يقيلُ عَثْرَةَ المُذْنِبِ إذا تابَ ونَدِمَ، وعليه يَتوبُ.

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له الغفورُ الرحيمُ، وأشهدُ أن مُحمداً عبدُه ورسولُه المُنزَّلُ عليه ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ صلَّىٰ اللهُ عليه وعلىٰ آلِه وأصحابِه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ، واعلمُوا أنَّ الذُّنوبَ حِجابٌ عن فِعلِ الخَيراتِ.. حجابٌ عن فِعلِ الطَّاعاتِ.. حجابٌ عن تَدَبُّرِ القرآنِ والسُّنةِ.. حجابٌ عن المَحبُوبِ، فالتوبةُ واجبةٌ علىٰ العبدِ في كلِّ لحظةٍ بشُرُوطِها ليَنْجَلِي عن قلبِهِ هـٰذا الحجابُ، فإنه متىٰ لم يعلمْ أنَّ الذُّنوبَ أسبابُ بُعْدِهِ، لم يندمْ علىٰ الذُّنوبِ، فإذا لم يَندمْ ولم يتوجَّعْ مِن ذنْبِهِ لم يَرْجِعْ. وقد أمرِ اللهْ ـ سبحانه ـ بالتَّوبَةِ، فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ وقال ـ سبحانه ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ وقال ﷺ: **«ياأيُّها الناسُ تُوبُوا إلىٰ ربِّكم، فإنِّي أَتُوبُ إلىٰ اللهِ في اليومِ مائةَ مَرَّةٍ»** وفي الصحيحين مِن حديثِ ابن مسعودٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **«للهُ أَشَدُّ فَرَحاً بتوبةِ عبْدِهِ مِن رَجلٍ أَضَلَّ راحِلَتَهُ في أرضٍ مهلكةٍ، وعليها طعامُهُ وشرابُهُ، فلمَّا أَيِسَ منها وأيْقَنَ بالموتِ نامَ، فلمَّا استيقَظَ وَجدَها»**.

فيا عباد الله: إنَّ الذُّنوبَ مُهلكاتٍ مُبعداتٍ عن الرَّبِّ ـ سُبحانه ـ، فيَجبُ الهَربُ منها والفِرارُ علىٰ الفَوْرِ، فالتَّوْبَةُ واجبةٌ علىٰ الدَّوام؛ فإنَّ الإنسانِ لا يَخلُو مِن مَعْصِيَةٍ، ولو خَلاَ عن معصيةٍ بالجوارحِ لم يَخْلُ مِن وَسَاوس الشيطانِ بإيرادِ الخواطِرِ المُتفرِّقَةِ المُذهِلَةِ عَن ذِكرِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ ولَوْلاَ خِلافَتُهُ لم يَخْلُ عن غفلَةٍ وقُصُورٍ في العِلمِ باللهِ ـ تعالىٰ ـ وصِفاتِهِ وأفعالِهِ، وكلُّ ذٰلك نَقْصٌ، ولهٰذا صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّه ليُغانُ علىٰ قلبِي، وإنِّي لأستغفِرُ اللهِ في اليومِ مائةَ مرَّةٍ**». وقال ﷺ: «**إنِّي لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليومِ أكثرَ مِن سبعينَ مرَّةٍ**» رواه البخاري.

وبعضُ الناسِ ـ هداهُم اللهُ ـ إذا رُؤوا علىٰ بعضِ الذُّنُوبِ والمُنْكَراتِ ونُصِحُوا أو قِيلَ لهم تُوبُوا إلىٰ اللهِ وأقْلِعُوا عن هٰذه المعصيةِ، قالوا: نحن أقمْنَا أركانَ الإسلامِ مِن صلاةٍ وحَجٍّ، وأمَّا هٰذه المعصيةُ فاللهُ غفورٌ رحيمٌ. نَعَمْ، اللهُ غفورٌ رحيمٌ، لٰكنَّه شديدُ العِقابِ. قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ وقال ﷺ: «**إذا أمرْتُكُمْ بأمرٍ فأْتُوا منه ما استطعتم، وما نهيتُكُم عنه فاجتَنِبُوهُ**» فالذي أمرَ به نأتي منه ما نستطيعُ، والحمدُ للهِ علىٰ ذٰلك، وما جعلَ عليكم في الدِّينِ مِن حَرَجٍ. وأمَّا الذي نهىٰ عنه فنَنْتَهِي عنه مُطْلقاً. قال ﷺ: «**إنَّ اللهَ فرضَ فرائِضَ فلا تُضيِّعُوها، وحَدَّ حُدوداً فلا تَعْتَدُوها، وحرَّمَ أشياء فلا تنتَهِكُوها، وسكتَ عن أشياءَ رحمةً بكم غيرَ نسيان فلا تبحَثُوا عنها**» فكما أنَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ، فكذٰلك السَّيِّئاتُ يُذْهِبْنَ الحسناتِ،

قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ وقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ فهـٰذا الذي يُقيمُ علىٰ معاصِيهِ، ويَقولُ: قَدْ أقمْتُ أركانَ الإسلامِ، علىٰ خطرٍ عظيمٍ مِن سُوءِ الخاتمَةِ؛ لأنَّه وردَ أنَّ الصلاةَ تُلَفُّ كما يُلَفُّ الثَّوبُ الخَلِقُ، فيُضْربُ بها وجَهُ صاحِبِها. ووَرَدَ أنه إذا قال الحَاجُّ: لبَّيك اللَّهمَّ لبَّيك، ونفقتُهُ حرامٌ، قِيلَ: لا لبَّيك ولا سعدَيْكَ. فلهـٰذا ينبغي للعبدِ أن يكونَ علىٰ وَجَلٍ مِن قَبُولِ عملِهِ، ولا يَزيدُ مِن المَعاصِي، بل يَزدادُ مِن النَّوافِلِ والطَّاعَاتِ؛ لِيكملَ له غداً يومَ القيامةِ ما نَقَصَ مِن الفَرِيضَةِ.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي... إلخ.

خطبة الاستسقاء (١)

الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمِين الرحـٰمنِ الرحيمِ مالِكِ يوم الدِّينِ، لا إلـٰه إلاَّ اللهُ الوَلِيُّ الحَمِيدُ، لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ الوَاسِعُ المَجِيدُ، لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ المُؤَمَّلُ لِكَشْفِ كُلِّ كَرْبٍ شَدِيدٍ، لا إلـٰه إلاَّ اللهُ المَرْجُوُّ للإِحْسَانِ والإِفْضَالِ والمَزِيدِ، لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ، لا مَلْجَأَ مِنه إلاَّ إليه، ولا مَفَرَّ ولاَ مَحِيدَ. سُبْحَانَ العالِمِ بالظَّوَاهِرِ والخَفِيَّاتِ، سُبْحَانَ مَنْ لا تَشْتَبِهُ عليه اللُّغَاتُ، سُبْحَانَ القَائِمِ بِأَرْزَاقِ جميعِ المخلوقاتِ، فسُبْحَانَهُ مِن إلـٰهٍ عظيمٍ لا يُمَاثَلُ ولا يُضَاهَىٰ، ولا يُرَامُ له جَنَابٌ، هو رَبِّي لا إلـٰهَ إلاَّ هُو عليه تَوَكَّلْتُ وإليه مَتَابِ. أحمَدُه ـ سبحانه ـ حَمْدَ مَنْ تابَ إليه وأَنَابَ.

وأشهدُ أن لا إلـٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ.

أما بعد:

أيها المسلمون: إنَّ المُؤمِنَ باللهِ الذي يَلْجَأُ إليه، ويَلُوذُ بِجَنَابِهِ، ويَتَضَرَّعُ إليه رَاجِياً تحقيقَ وعدِه الذي وَعَدَ به عِبَادَه المؤمنين، إذ يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ذلك لأنَّ الدُّعاءَ وسيلَةٌ مشروعةٌ يَجِبُ الأخذُ بها إلىٰ جانِبِ الوسائلِ

المادِّيَّةِ المَحْسُوسَةِ لِتبْقَىٰ القُلُوبُ مُتَعَلِّقَةً باللهِ مُتَّجِهَةً إليه، ولِئَلاَّ يَتَّكِلَ المسلمُ علىٰ الوسائِلِ المادِيَّةِ وحْدَها ويفتتنَ بها، ويَنسىٰ أنَّ اللهَ ـ سبحانه ـ فوقَ تَدْبيرِه تَدْبيراً، وأنَّ وراءَ ما اعْتَمَدَ عليه مِن الوسائِلِ المادِّيَّةِ فِعْلاً وتأثيراً.

اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . لاإلـٰه إلاَّ اللهُ واللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ وللهِ الحَمْدِ.

ومن آدابِ الدُّعاءِ: إظهارُ الخُضُوعِ والخُشُوعِ، والتَّذَلُّلِ والمَسْكَنَةِ بين يَدَيِ المَلِكِ الأعلىٰ، فالمؤمن يَدْعُو ربَّه راجياً قَبُولَ دُعائِه خائفاً مِنْ شُؤْمِ ذُنُوبِه، قد انْطَرَحَ بِبَابِ مَوْلاَهُ، وعَفَّرَ جَبْهَتَهُ بالتُّرابِ، ذُلاًّ وافْتِقَاراً للهِ، وانْكَسَرَ قَلْبُه، وافْتَقَرَ لِرَبِّهِ ـ جل جلاله، وتَقَدَّسَتْ أسماؤُه ـ، فَمَا أَقْرَبَ القَبُولَ والإِجابَةَ، وما أسرعَ نُزُولَ الرَّحْمَةَ مِن الرَّبِّ علىٰ عَبْدِه إذا رآه بِهَـٰذه المثابةِ، وما أَقْرَبَ الجَبْرَ مِن هـٰذا القلبِ المَكْسُورِ، فَأَحَبُّ القلوبِ إلىٰ اللهِ ـ سبحانه ـ قلبٌ فيه التوحيدُ، قد انْكَسَرَ لأجْلِه، واعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ. قالَ الأوزاعيُّ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: «خرجَ الناسُ إلىٰ الاسْتِسْقَاءِ، فقامَ فيهم بلالُ بنُ سعدٍ فَحِمَدَ اللهَ وأَثْنَىٰ عليه ثم قال: يامعشرَ مَنْ حَضَرَ: أَلَسْتُمْ مُقِرِّينَ بِالإِسَاءَةِ؟ قالوا: اللَّهُمَّ نَعَم. فقال: اللَّهُمَّ إنَّا نَسْمَعُكَ تقول ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ اللَّهُمَّ وقد أَقْرَرْنا بالإِسَاءَةِ، فَاغْفِرْ لنا وارْحَمْنا واسْقِنا، ورَفَعَ يَدَيْهِ، ورَفَعُوا أَيْدِيَهم، فَسُقُوا.

فيا عباد الله: اعْتَرِفُوا بِذُنُوبِكم وتَضَرَّعُوا إلىٰ رَبِّكم واسْأَلُوه أَن يُصْلِحَ قلوبَكم وأعمالَكم ويُصْلِحَ أحوالَكم وأحوالَ المسلمين، ويُيَسِّرَ أُمُورَكم

ويُفَرِّجَ هُمُومَكم وغُمُومَكم ويُفَرِّجَ كُرُوبَكم ويَزِيدَكم مِن فَضْلِه؛ فإنكم ما تَدْرُون بِأَيِّ مَوْطِنٍ تُرْحَمُون، ولا بِأَيِّ عملٍ يُغْفَرُ لكم، ولا بِأَيِّ دُعاءٍ يُسْتجابُ لكم. فَلَرُبَّما أَنْ يكونَ معكم الآن تَقِيٌّ خَفِيٌّ يُنِيبُ إلىٰ اللهِ ـ تعالىٰ ـ ويَتَضَرَّعُ إليه، فيُغفرُ للجميعِ بِسَبَبِه.

فاتَّقُوا اللهَ أيُّها المسلمون، وأَنِيبُوا إلىٰ اللهِ وتُوبُوا إليه تَوْبَةً نَصُوحاً، فأَنْتُم في بيتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ وعَقِبَ صَلاَةٍ في عددٍ كثيرٍ. منكم الراغِبُ والراهِبُ، ومنكم التائِبُ النادِمُ، ومنكم المُسْتَغْفِرُ والسائِلُ، ومنكم الذاكِرُ لِرَبِّه بالتَّسْبِيحِ والتَّهْلِيلِ، ومنكم التَّالِي لكلامِ الرحمٰنِ، المُتَدَبِّرُ، فَارْغَبُوا إِلَىٰ ربِّكم في هٰذه الساعَةِ. أَنِيبُوا إلىٰ اللهِ واتَّقُوه، فسبحانه مِنْ إلٰهٍ وثقتْ بِعَفْوِهِ هَفَوَاتُ المُذْنِبين، فَوَسِعَها، وعكفت بِكَرَمِهِ آمَالُ المُحْسِنِين، فما قَطَعَ طَمَعَها، وخَرَقَتِ السَّبْعَ الطِّبَاقَ دعواتُ التائِبين والسائِلِين، فَسَمِعَها. يَجُودُ علىٰ عبدِه بالنَّوالِ قبل السُّؤالِ، ويُعْطِي سائِلَه ومُؤَمِّلَه فَوْقَ ما تعلَّقتْ به مِنْهم الآمالُ، يغفرُ لِمَنْ تابَ إليه، ولو بلغتْ ذُنُوبُهُ عددَ التُّرابِ. بابُه الكريمُ مناخُ الآمالِ، ومُحِطُّ الأوْزَارِ، وسَمَاءُ عَطَايَاهُ لا تُقْلِعُ عن الغَيْثِ، بل هي مِدْرَارٌ، ويَمِينُه ملأىٰ لا تَغِيضُها نفقةٌ سحَّاء اللَّيلَ والنَّهارَ.

لا إلٰه إلاَّ اللهُ يفعلُ ما يشاءُ ويَحْكُمُ ما يُرِيدُ.

اللَّهُمَّ أنت الله لا إلٰه إلاَّ أنت. . .

اللَّهُمَّ أَغِثْنا. . . إلخ.

خطبة الاستسقاء (٢)

الحمدُ للهُ غفَّارِ الذُّنوبِ وستَّار العُيوب، وكشَّاف الكُرُوب، وعلاّم الغيوب. يعلمُ خائنةَ الأعيُنِ وما تُخفِي القُلُوبُ. شديدُ العقاب قابلُ التوبة ممَّن يتوب. أحمده سُبحانه وأشكُره شمَلَ بإحسانِه كلَّ مربُوبٍ. ونسأله العفوَ والعَافِيةَ ونيلَ كلِّ مطلُوبٍ، ونستغفِرُهُ لذُنُوبِنا وسيِّئات أعمَالِنا. ونعوذُ برضاه من سَخَطِهِ وبمعافاته مِن عُقوبَتِهِ، خلق السموات والأرضَ وما بينهما في ستَّةِ أيامٍ وما مسّه من لُغوب.

وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريك له الذي له الخلقُ والأمرُ، وبيده النفعُ والضر. وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذاكرين الله كثيراً والمستغفرين.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

عبادَ الله .. الأمور مقدَّرة بأسبَابِها، ومن الأسبابِ الدعاءُ فمتى أتى العبدُ بالسببِ وقعَ المقدورُ، وإن لم يأتِ بالسبب انتفى المقدورُ. ومِن أقوى الأسباب: الدعاءُ. بل ليس شيءٌ أنفعُ منه، فمتى أُلهم العبدُ الدعاء حصلتِ الإجابةُ بإذنِ الله تعالى، وقد دلَّ النقلُ والعقلُ وتجاربُ الأمم على أن التقرُّبَ إلى اللهِ تعالى وطلبَ مرضاته والأمرَ بالمعروفِ والنهي عن المُنكَرِ والبِرَّ والإحسانَ إلى خلقه من أعظمِ الأسبابِ الجالِبةِ لكلِّ

خيرٍ، وأضدادَهَا من أكبرِ الأسبابِ الجالبةِ لكلِّ شرٍّ. فما اسْتُجْلِبَتْ نِعَمُ الله تعالى واسْتُدْفِعَتْ نِقْمُهُ بمثل طاعتِهِ والأمرِ بالمَعْروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ والإحسانِ إلى الخَلْقِ. وقد يتخلَّف أثَرُ الدعاء؛ إمَّا لِضَعْفِ الدُّعاءِ بأن لا يكون محبُوباً إلى الله لما فيه من العُدوان، وإمَّا لِضَعْفِ قلب الدَّاعي وعَدَمِ إقبالِه على الله تعالى وجمعيته عليه وقتَ الدُّعاءِ، وإمَّا لحُصولِ المانِعِ من الإجابةِ من أكلِ الحَرَامِ أو استيلاءِ الغفلةِ والشهوةِ، وقد لا يُقبل من قلبٍ غافلٍ.

وصلاةُ الاستسقاءِ عند وجود سَبَبِها سُنَّةٌ مؤكدة باتِّفاقِ العُلماء؛ للأحاديث الصَّحِيحَةِ التي منها ما في الصحيحين من حديث عبدالله بن زيدٍ، قال: خرج النبي ﷺ يستسقِي فتوجَّه إلى القِبْلَةِ يدعو وحوَّل رداءه. فليحذر المسلم من ألفاظٍ آثمةٍ في إقامةِ صَلاَةِ الاستسقاءِ يتلفَّظ بها بعضُ النَّاس، يشذُّ بها عن جماعةِ المُسلمين. وهؤلاء على نوعَيْن، منهم مَنْ لا يشهدها، ومنهم مَنْ يشهدها وهو غير مُوقِنٌ بالإجابة، فإنِّي أخشى على المتكلِّم بدون علمٍ ـ مع إثمِهِ ـ من العُقوبةِ الدُّنيويَّةِ العاجلة قبل الآجلةِ. أحذِّر من القولِ على اللهِ بلا علمٍ، ومن الشذوذِ عن جماعة المسلمين.

اللهُ أكبرُ الله أكبر لا إله إلاَّ الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد. عبادَ الله: الذنوبُ كثيرةٌ ورحمةُ الله قريبٌ من المُحسِنين. فالله ـ جل وعلا ـ رحمـنُ الدُّنيا والآخرة ورحيمُهما، الذي كتبَ على نفسِه الرحمةَ وهو

أرحمُ الرَّاحمين، الذي غلبتْ رحمتُه غَضَبَه، كما كتبَ ذلك عِنده على عَرْشِهِ في الكتابِ المُبينِ، الذي وَسِعَتْ رَحْمَتُه كلَّ شيءٍ، وبها يتَرَاحَمُ الخلائقُ بينهم كَمَا ثَبَتَ ذلك عن سيِّدِ المُرسلين. ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ [الروم: ٥٠]. الوهَّاب الذي كلُّ مَوْهُوبٍ وَصَلَ إلى خلْقِه فَمِنْ فَيْضِ بِحارِ جُودِه، وفضله وَنَعْمَائِهِ، الرزَّاق الذي لا تنفد خزائِنُهُ ولم يغضْ ما في يَمِينِهِ. أرأيتُم ما أَنْفَقَ مُنْذُ خلقَ السمواتِ والأرضَ؟! ماذا نَقَص من فَضْلِهِ الغزيرِ، يَرزقُ كلَّ ذِي قُوتٍ قُوتَهُ، ثُمَّ يُدبِّر ذلك القُوتَ في الأعضاءِ بِحِكْمَتِهِ تدبيراً مُتْقناً مُحْكماً.

فاطلبوا كلَّ شيءٍ مِنَ الله ربِّكم، ولا تسألوا الخيرَ إلاَّ منه. ولا تَسْتَعِينوا إلاَّ به؛ فمواهبُه عظيمةٌ جليلةٌ، وَعَطَايَاهُ كثيرةٌ جَزيلةٌ، وَأَلْطَافُهُ سارِيةٌ، وَكَمَا خَلَقَ ـ وله الحمدُ ـ، فأرزاقُه جاريةٌ ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق: ٩ ـ ١١]. يَوْم يُحيا الرَّمِيم وتبعث الأجْسَام البالية، فمَنْ يُرسِل الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ بين يَدَيْ رَحْمَتِهِ، ويُنزل المطر بِقدرٍ معلومَ، وَيَصرف عنكم البردَ والبرقَ والصَّواعِقَ، ومن يُنْبِتُ الزَّرع ويُدِرُّ الضَّرعَ إلاَّ اللهُ الحيُّ القيُّومُ. فسبحانه، ما أَعْظَمَ فَضْلَهُ، وما أَكْثَرَ نِعَمَه المُتوالِية!. فَاشْكُرُوه على إنزالِ المطرِ، واسألوه من فضْلِه المزيدَ، وتوجَّهوا إليه تعالى تائبين مُستغفِرين شاكِرين.

الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاَّ الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

عباد الله: ما ضاقَ أمرٌ إلاَّ وجعل اللهُ منه مَخْرجاً، ولا عَظُمَ خَطْبٌ إلاَّ وجعلَ اللهُ معه فَرَجاً، فَمِنْهُ يكون الخَوفُ، وفيه يكون الرَّجاءُ، ومن يكشفُ الكربَ إذا سَجَى، ويرحمُ العبدَ إذا غَسَقَ به ليلُ الذُّنوبِ ودَجَى؟ ألا إنَّما هو اللهُ الذي إليه المآبُ والالتجاءُ، وإلى كَرَمِهِ وجُودِه العظيمِ يَتوجَّه أربابُ الإِيمانِ والحِجىٰ. فَطُوبَى لِمَنْ دَعَاهُ، وهنيئاً لمن ناداه؛ فهو القريبُ المُجيبُ الَّذي وَسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيءٍ ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل: ٦٢] سُبحانه، فارِجُ الكُرُباتِ. سُبحانه، مُجيبُ الدَّعواتِ، سبحانه، مُغيثُ اللَّهفَاتِ. سُبحانه، القائِمُ بأرزاقِ جميعِ المخلُوقاتِ. اللهم اغفِرْ لنا ما قدَّمْنا.. الخ. يا حيُّ يا قيُّوم لاإله إلاَّ أنت برحمَتِك.. الخ. لا إله إلاَّ الله، يفعلُ ما يشاءُ، ويَحكُمُ ما يُريد. اللهم أنت الله لا إله إلاَّ أنت، أنت الغَنِيُّ ونحن.. إلخ.

في فضل صلاة العيد والتكبير وصدقة الفطر

الحمدُ للهِ الذي شرحَ صُدُورَ المؤمنين للإقبالِ علىٰ طاعَتِه. أحمدُه ـ سبحانه ـ، خَصَّ هٰذه العَشْرَ مِن رمضانَ بمزيدِ فضلِه.

وأشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه خيرُ من اجتهَدَ في هٰذه العَشْرِ، وأطالَ فيها القِيامَ لعبادةِ ربِّهِ. صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وبارَكَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه.

أمَّا بعد:

عباد الله: هَلُمُّوا إلىٰ القُرْبِ مِن اللهِ ـ تعالىٰ ـ بالطَّاعَةِ؛ فقدْ آنَ أوانُ الوِصالِ؛ ففي فَتَرَاتِ السعادةِ تَبلغُ الأنفسُ غايَةَ الآمالِ، فَلَئِنْ كانت الطاعَةُ في سائِرِ أيامِ الشهرِ المباركِ ـ بل وفي سائِرِ الأزمانِ ـ فضيلةً ومَحْمَدَةً، فَهِي في هٰذه العشرِ الأخيرةِ مِن رمضانَ أعظمُ فضلاً، وأرفعُ قَدْراً، وأكثرُ حَمْداً، وأكرمُ أجراً؛ ذلك لأنَّها عَشْرُ البَرَكَاتِ والنَّفَحَاتِ، عَشْرُ إقالَةِ العَثَرَاتِ، وتكفيرِ السَّيِّئاتِ واستجابةِ الدَّعَواتِ، عشرٌ فيها ليلةٌ خيرٌ مِن ألفِ شهرٍ ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ [القدر: ٣] عشرٌ تَصْفُو فيها الأوقاتُ لِلَذيذِ المُنَاجَاةِ والانكِسارِ والذُّلِّ والتَّضَرُّعِ وسَكْبِ العَبَرَاتِ بَيْنَ يَدَيْ بارِىءِ الأرضِ والسمٰواتِ. فَكَمْ وَكَمْ فيها لِرَبِّ العِزَّةِ مِن عَتِيقٍ مِن النارِ، وطَلِيقٍ مِن عذابِها، وكَمْ مِن أسيرٍ للذُّنوبِ وَصَلَهُ اللهُ بعد القَطْعِ، وكتبَ له السعادةَ بعد طُولِ العَنَاءِ والشَّقاءِ بِبَرَكَةِ ما عَمِلَ في

هـٰذه العَشْرِ مِن تَوْبَةٍ صادقةٍ، وبِفضلِ ما بَذَلَهُ مِن جهدٍ في الباقياتِ الصَّالحاتِ.

عباد الله: وممَّا يَتأكَّدُ في آخِرِ هـٰذا الشهرِ صلاةُ العيدِ؛ فهي سُنَّةٌ مؤكَّدةٌ، وفرضُ كِفايَةٍ؛ لأنَّها مِن أعلامِ الدِّينِ الظاهِرَةِ، وهي مشروعةٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ المسلمين. وقد كان المشركون اتَّخَذُوا أعياداً زمانيَّةً ومكانِيَّةً، فأبْطَلَها الشرعُ، وعوَّضَ عنها بِعيدَيِ الفِطْرِ والأضحىٰ؛ شُكْراً للهِ ـ تعالىٰ ـ علىٰ أداءِ تلكَ العِبادَتَيْنِ العَظِيمتين؛ صوم رمضانَ، وحَجِّ بيتِ اللهِ الحرامِ، وهـٰذه الزَّمانِيَّةُ، والمكانِيَّةُ الكعبةُ والمَشاعِرُ المُقَدَّسَةُ. فقد صحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قَدِمَ المدينةَ ولَهُمْ يومان يلعبون فيهما، فقال: «**قدْ أَبْدَلَكُمُ اللهُ بهما خيراً منهما: يومَ النَّحْرِ ويومَ الفِطْرِ**» ويُسَنُّ حُضُورُ النساءِ صلاةَ العِيدِ، غيرَ مُتَطَيِّباتٍ، ولا لابساتٍ ثيابَ زينةٍ أو شُهْرَةٍ؛ لقولِه ﷺ: «**ولْيَخْرُجْنَ تَفِلاتٍ، ويَعْتَزِلْنَ الرجالَ ويعتزل الحِيَّضُ المُصَلَّىٰ**» وقالت أمُّ عطيَّة: كُنَّا نُؤْمَرُ أَنْ نَخْرُجَ يومَ العيدِ حتىٰ تَخْرُجَ البِكْرُ مِن خِدْرِها وحتىٰ تَخْرُجَ الحِيَّضُ فَيَكُنَّ خَلْفَ النساءِ فَيُكَبِّرْنَ بِتكْبيرِهِم، ويَدْعُون بدعائِهم يَرْجُونَ بركةَ ذٰلك اليومِ وطهرته، وكذا الصبيانُ يحضُرُون صلاةَ العيدِ إظهاراً لِشَعائِرِ الإسلامِ.

عباد الله: ويُسَنُّ التكبيرُ في ليلةِ العيدِ في البُيُوتِ والأَسْواقِ والمساجِدِ وغيرِها، ويُجْهَرُ به في الخُرُوجِ إلىٰ المُصَلَّىٰ، إلاَّ المرأة فتُخْفِيه؛ لِعُمُومِ قولِه ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]،

ولقولِه ﷺ في الحِيَّضِ: «**وَلْيُكَبِّرْنَ مع الناسِ**». وصِفَةُ التكبيرِ: «**اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ. لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ واللهُ أكبرُ. اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ**» ولا بأسَ بتهْنِئَةِ الناسِ بعضِهم بعضاً بِما هو مُسْتَفِيضٌ بينهم، كـ«**تَقَبَّلَ اللهُ منَّا ومنك**». وقدْ رُوِي عن طائفةٍ مِن الصحابةِ أنَّهم كانوا يَفْعَلُونَهُ، ورَخَّصَ فيه الأئمةُ، كأحمدَ وغيرِه. والمقصودُ مِن التَّهْنِئَةِ التَّوَدُّدُ وإظهارُ السُّرُورِ في العيدِ. ومِن السُّنَّةِ أنْ يَأكُلَ المسلمُ قبل ذهابِه إلىٰ المُصَلَّىٰ تمراتٍ وِتْراً؛ لحديثِ أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ، قال: «**كان رسولُ اللهِ ﷺ لا يَغْدُو يومَ الفِطْرِ حتَّىٰ يأكلَ تمراتٍ، يَأْكُلُهُنَّ وِتراً**» [رواه البخاري]. وفي روايةٍ مُعَلَّقَةٍ ووَصَلَها أحمدُ: «**ويأكُلُهنَّ إفْراداً**».

«**وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ لا يُصلِّي قبلَ العيدِ شيئاً، فإذا رَجَعَ إلىٰ منزِله صلَّىٰ ركعتَيْن**» [رواه ابن ماجة بإسناد حسن].

عباد الله: إيَّاكُمْ أَنْ تَمْحَقُوا صومَكُم بالفِسْقِ والعِصْيَانِ والغِيبَةِ والسَّبِّ والكَذِبِ والبُهْتانِ واسْتِماعِ الغِناءِ والألحانِ، واستكْثِرُوا مِن طاعةِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ، ورَاقِبُوه في السِّرِّ والإعلانِ، ولازِمُوا التوْبَةَ مِن جميعِ الخَطايَا والأوزارِ، واسْتَمِرُّوا علىٰ تِلاوةِ القرآنِ مع التَّدَبُّرِ والاعتبارِ؛ فإنَّ القرآنَ حَبْلُ اللهِ المتينُ، ودِينُه القَوِيمُ، مَنِ اعْتَصَمَ به هُدِيَ إلىٰ صِراطٍ مستقيمٍ. اعمَلُوا بِمُحْكَمِهِ وآمنُوا بِمُتَشَابِهِه، واعتَبِرُوا بأمثالِهِ، وقِفُوا عند حرامِه وحلالِه، ورَتِّلُوه ترتيلاً، واجْعَلُوا لِبُيُوتِكُم حَظًّا مِن قِراءَتِه بُكْرَةً وأَصِيلاً.

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ

رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

جعلَني اللهُ وإيَّاكم مِن المَقْبُولين الفائِزين. أقولُ قولي هَـٰذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم مِنْ كُلِّ ذنْبٍ، فاستغفِرُوه وتُوبوا إليه؛ إنَّه هو الغَفُورُ الرحيمُ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ الذي مَنَّ علينا بِشَهْرِ الصيامِ والقيامِ، وأجزلَ فيه الخيرَ والفضلَ والإنعامَ. أحمدُه ـ سبحانه ـ فَرَضَ زكاةَ الفِطْرِ في الخِتامِ؛ طُهْرَةً للصائمِ مِن اللَّغْوِ والرَّفَثِ والآثَامِ. وأشهدُ أن لا إلـٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، يُضِلُّ مَن يشاءُ، ويهدِي مَن يشاءُ للإِسلامِ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُهُ خيرُ مَن صلَّىٰ وصامَ وتصدَّقَ وقامَ. اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه.

أمَّا بعد:

أيها المسلمون: ومِمَّا يجبُ في آخرِ هـٰذا الشهرِ الكريمِ صدقةُ الفطرِ، وهيَ الزكاةُ التي سببها الفطرُ من صيامِ شهرِ رمضانَ. نُسِبَتْ إلىٰ الفِطْرِ مِن بابِ تَسْمِيَةِ المُسَبَّبِ بِسَبَبِهِ. تجبُ علىٰ كلِّ مسلمٍ ذكرٍ أو أنثىٰ، حُرٍّ أو عبدٍ، صغيرٍ أو كبيرٍ. واستحبَّ بعضُ أهلِ العلمِ إخراجَها عَن الجَنِينِ؛ حيثُ وردَ عن بعضِ الصحابَةِ أنه كان يُعْجِبُهُم إخراجُها عَن الحَمْلِ، وكان عثمانُ يُخْرِجُها عنه.

والأصلُ في مشروعِيَّتِها عُمُومُ الكِتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ، قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].
وفي الصحيحين مِن حديثِ ابنِ عمرَ ـ رضي الله ـ تعالىٰ ـ عنهما ـ، قالَ: «**فرضَ رسولُ اللهِ ﷺ زكاةَ الفِطْرِ صاعاً مِن تَمْرٍ أو صاعاً مِن شَعِيرٍ، علىٰ العبدِ والحُرِّ، والذَّكَرِ والأُنْثَىٰ، والصغيرِ والكبيرِ من المسلمين، وأمرَ بها أن تُؤَدَّىٰ قبلَ خُرُوجِ الناسِ إلىٰ الصلاةِ**».

فُرِضَتْ في السَّنَةِ الثانيةِ التي فُرِضَ فيها صيامُ رمضانَ.

ومِن الحكمةِ في مشروعِيَّةِ هٰذه الزكاةِ ما جاء في سُنَنِ أبي داودَ عنِ ابنِ عباسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قال: «**فرضَ رسولُ اللهِ ﷺ زكاةَ الفطرِ طُهْرَةً للصائِمِ مِن اللَّغْوِ والرَّفَثِ، وطُعْمَةً للمَساكِين. فَمَنْ أدَّاها قبلَ الصلاةِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومَن أدَّاها بعدَ الصلاةِ فهي صدقةٌ مِن الصدَقاتِ**» فهي تَرْقَعُ خَلَلَ الصيامِ، وهٰكذا كُلُّ عبادةٍ تتعلَّقُ بعبادةٍ أخرىٰ؛ فإنها تكونُ مُكَمِّلَةً لها ومُتَمِّمَةً لِما نقصَ منها، ومنها ما يتعلَّقُ بِتكَافُلِ المسلمين بِسَدِّ خَلَلِ المُحتاجين، وإطعامِ الجائعين وإشاعَةِ السُّرُورِ وإدخالِ المَحَبَّةِ والمَوَدَّةِ في قُلُوبِ بَعْضِهم بعضاً؛ لِيكونَ المسلمون كلُّهم في هٰذا اليومِ فى غِنًىٰ وكفافٍ عن التَّعَرُّضِ للسُّؤالِ والحاجَةِ وإلىٰ مَدِّ اليَدِ في يومٍ كُلُّ مسلمٍ يُحِبُّ أَنْ يظهرَ فيه بمظهرِ الغِنَىٰ، وللهِ ـ تعالىٰ ـ في شَرْعِهِ حِكَمٌ وأسرارٌ اللهُ ـ تعالىٰ ـ أعلمُ بها.

ومِقْدَارُها صَاعٌ عَن كُلِّ فَرْدٍ، ولا يَجُوزُ إخراجُ القِيمَةِ؛ إذْ لم يَرِدْ عن

النَّبيِّ ﷺ ولا عن أحدٍ مِن أصحابِه ـ رضي الله تعالىٰ ـ عنهم.

ووَقْتُ وُجُوبِها ليلةُ العيدِ، ووقتُ إخراجِها قبلَ العيدِ بيَوْمَيْنِ؛ لِمَا رواه البخاريُّ قال: «**كانوا يُعْطُونَ قبلَ الفطرِ بيومٍ أو يومين**».

ومصرفُ زكاةِ الفطرِ كمصرفِ الزَّكَوَاتِ العامَّةِ، غيرَ أن الفقراءَ والمساكينَ أَوْلَىٰ بِها مِن باقي السِّهامِ؛ لِقولِه ﷺ: «**اغْنُوهم عَن السُّؤالِ في هٰذا اليومِ**».

وتَجِبُ زكاةُ الفِطْرِ علىٰ المسلمِ في البلدِ الذي هو مقيمٌ به، يَدفَعُها إلىٰ فقراءِ بلدِه الذي فيه بَدَنُهُ ولا ينقُلُها عنهم.

عباد الله: إن شهرَ رمضانَ قد شمَّرَ عن ساقٍ، وآذنَ بوداعٍ وانطلاقٍ، ودَنَا منه الرحيلُ والفِراقُ، يَشهدُ لِمَنْ أحسنَ مِن أهلِ الطاعةِ والوِفاقِ، وعلىٰ مَن أساءَ مِن أهلِ المُخالَفَةِ والشِّقاقِ، فَرَحِمَ اللهُ امْرَءاً أَخْلصَ للهِ المَتابَ وأنابَ إلىٰ ربِّه؛ فالفائِزُ مَن إِلَيْهِ أنابَ، وتَدَارَكَ في هٰذه البقيَّةِ ما فاتَه فيمَا مضىٰ مِن الأيامِ، واجتهدَ في هٰذه الخَاتِمَةِ؛ فالأعمالُ بحسنِ الخِتامِ. أحسنَ اللهُ لنا ولكم الختامَ، وأَدْخَلَنا وإيَّاكم بِفَضْلِهِ وكَرَمِهِ دارَ السلامِ.

عباد الله: إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصَلُّون... إلخ.

خطبة عيد الفطر

اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . الحمدُ للهِ الخالقِ البارِىءِ المُصَوِّرِ العزيزِ الحكيمِ الملكِ القُدُّوسِ السلامِ المؤمِنِ المُهَيْمِنِ العزيزِ الجَبَّارِ المُتكَبِّرِ الحليمِ ربِّ السمٰواتِ السَّبْعِ والأرضِ ومَن فِيهِنَّ، وربِّ العرشِ العظيمِ، عالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ، الرحمٰنِ الرحيمِ غافِرِ الذنْبِ وقابِلِ التَّوْبِ، شديدِ العِقابِ، ذِي الطَّوْلِ، لا إلٰهَ إلاَّ هو، إليه المصيرُ.

أحمدُه علىٰ آلائِهِ، وأَشكُرُه - تباركَ وتعالىٰ - علىٰ نَعْمَائِهِ. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، له الحُكْمُ في أرضِه وسمائِه. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدَه ورسولَه خاتَمُ أنبيائِه، أرسَلَهُ اللهُ علىٰ فَتْرَةٍ مِن الرُّسُلِ فأظْهرَ به الحَقَّ، وأَرْشَدَ به الخَلْقَ. صَلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ عليه وعلى آلِه وصحبِه.

أمَّا بعد:

أيها المسلمون: إنَّ دِينَنَا دِينُ الإسلام هو دِينُ الفِطْرَةِ الخالِدِ، وهو الدِّينُ الذي ارْتَضاهُ اللهُ لِعبادِه إلىٰ قِيام السَّاعَةِ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٥] فهو صالحٌ لِكُلِّ زمانٍ ومكانٍ، لا يَضِلُّ عنه إلاَّ هالِكٌ انْتكَسَتْ فيه الفِطْرَةُ التي فَطَرَ اللهُ عليها الخلقَ ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] فلا

يَصُدَّنَّكُمْ عنه المَفْتُونُون ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٥]. يُبَدِّلُون شَرْعَ اللهِ، ويُحِلُّونَ ما حَرَّمَ اللهُ ورسولُه. قد استعاضُوا عن الفضيلةِ بالرَّذِيلَةِ. . . خَلاَعَةٌ واستهتارٌ وتَهَتُّكٌ وإباحِيَّةٌ، فلا تنخدعُوا بفتنةِ المفتُونين وزُخرُفِ المُبْطِلين. وما الإسلامُ إلاَّ استسلامٌ للهِ بالتَّوحيدِ، وانقيادٌ له بالطَّاعَةِ، وبراءةٌ من الشِّركِ وأهلِه، وتصديقٌ واستجابةٌ لكل ما جاءَ به محمدٌ ﷺ، وفي طَلِيعَةِ ذٰلك إقامُ الصلاةِ وإيتاءُ الزكاةِ وصومُ رمضانَ وحَجُّ بيتِ اللهِ الحرامِ، والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ. . . وغيرُ ذٰلك مِن شرائعِ الإِسلامِ. مَنْ أنكرَ شَعِيرَةً منها فقد كفرَ بالجميعِ.

عباد الله: صحةُ الإسلامِ، وصِدْقُ الإيمانِ يفتقرُ ذٰلك إلى دليلٍ وبُرهانٍ، دليلٍ يُشعرُ بتَغَلْغُلِ الإيمانِ في القلوبِ، وبرهانٍ يُؤيدُ صدقَ الاستسلامَ وكامِلَ الانقيادِ لكلِ تعاليمِ الإسلامِ. وإن مما يفرضه الإسلامُ علىٰ أهلِهِ الاستقامةَ علىٰ طريقِ الهدىٰ، والبُعدَ عن اتِّباعِ الهوىٰ. قال رجلٌ من الأنصارِ: يارسولَ اللهِ: قُلْ لي في الإسلامِ قولاً لا أسألُ عنه أحداً غيرَك. قال: «**قُلْ آمنتُ باللهِ، ثمَّ اسْتَقِمْ**» ولقد حذَّرَ اللهُ مِن اتِّباعِ الهوىٰ، وأخبرَ أنه وسيلةٌ إلىٰ الإضلالِ عن طريقِ الهدىٰ، فقال: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦]. وأخبرَ ـ سبحانه ـ أنَّ الحقَّ واتِّباعَ الهوىٰ علىٰ طَرَفَيْ نقيضٍ. فإمَّا اتِّباعٌ للحقِّ، وإمَّا اتِّباعٌ للهوىٰ ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القصص: ٥٠].

اللهُ أكبرُ. . الله أكبر. . لا إله إلاَّ الله والله أكبر. . الله أكبر ولله الحمد.

عباد الله: إنه يلزم المُسلمين أنْ يتعاونُوا علىٰ الخَيرِ، وتتضافرَ جهودُهُم لدَفْعِ الشَّرِّ، ونفيِ الخَبيثِ، بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المُنْكَرِ؛ لأنَّ مِن عواملِ الصلاحِ والرشَادِ إقامةَ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ علىٰ الأُسُسِ الصحيحةِ التي وصفَها الإسلامُ، وأمرَ بها ربُّ العِزَّةِ، إذ يقول: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

معشر المسلمين: إنَّ اللهَ جعلَ المرأةَ سَكَناً للرَّجُلِ يَأْوِي إليها، وجعلَ الزَّوجَ قَوَّاماً عليها يَحُوطُها بِرعَايتِهِ، ويَكْفُلُ لها العَيْشَ والنَّفَقَةَ حَسْبَ إمكانِيَّاتِه، فلا يجوزُ لها أن تُزاحِمَ الرجلَ بالأكتافِ في مَجَالاَتِه، وفي ميادِينِ عملِه؛ لأنَّ ذٰلك خروجٌ علىٰ تعاليمِ الإسلامِ ونهجٌ غيرُ سَدِيدٍ، ومَسْلَكٌ غير رَشِيدٍ، وسوفَ يَعَضُّ أنصارُه علىٰ بَنَانِ الندَمِ حينَ لا ينفعُ الندمُ.

يا نساء المسلمين: اتَّقِينَ اللهَ واحْذَرْنَ مِن وعيدٍ شديدٍ حذَّر منه النَّبيُّ ﷺ بقولِه: «**صِنْفانِ مِن أهلِ النارِ لم أَرَهُمَا: قومٌ معهم سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُون بها الناسَ، ونساءٌ كاسِيَاتٌ عارِيَاتٌ لا يَدْخُلْنَ الجَنةَ ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كذا وكذا**».

أمَّا الكاسِياتُ العارِياتُ، فَهُنَّ اللاَّئي يَسْتُرْنَ بعضَ أجسادِهِنَّ ويكشفنَ البعضَ الآخرَ إِظهاراً للزِّينة المُحَرَّمةِ، ولِيَفْتَتِنَ بِهِنَّ الرجالُ،

فيلبسنَ الثِّيابَ القصِيرةَ تكْشِفُ عن الأذْرُعِ والسِّيقانِ والنُّحورِ، وغيرِ ذٰلك ممَّا يجبُ سَتْرُهُ، أو يلبسنَ ملابسَ رقيقةً تَصِفُ لونَ الجسمِ، ويَدخلُ في ذٰلك الجواربُ الشَّفَّافةُ. والمُمِيلاَتُ المائلاتُ هُنَّ اللاَّئي يمشينَ مُتبَخْتِرَاتٍ لإمالَةِ قلوبِ الرجالِ إليهِنَّ والافْتِتَانِ بِمحاسِنِهِنَّ. أمَّا رؤوسُهُنَّ التي شَبَّهها رسولُ اللهِ ﷺ بأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلة ـ أي أَسْنِمَةِ الإِبلِ العظِيمَةِ ـ فهي الرؤوسُ المُكَبَّرَةُ بما يُلَفُّ عليها تَصَنُّعاً للزينةِ، والإِغراءِ والمُخادَعَةِ، وقد أعدَّ اللهُ لهٰذا الصِّنفِ من النساءِ نارَ جهنمَ، يُعَانِينَ من ألوانِ عذابِها، كما أغرَيْنَ الرجالَ في الدُّنيا بألوانٍ من المُغْرِيَاتِ، مِنْ تَطَيُّبٍ عند خُرُوجِهِنَّ من البيوتِ إلىٰ مُزاحَمَةٍ للرجالِ في الأسواقِ، إلىٰ تَحَدُّثٍ لِغَيْرِ المحارمِ، وكشفٍ عمَّا لا يَجوزُ كَشْفُه مِن أجسادِهِنَّ، وكُلُّ ذٰلك يا عبادَ اللهِ حرامٌ وعارٌ، ومَصِيرُه الدَّمارُ. ولقد كان أولُ جُرْمِ بَنِي إسرائيل انطلاقَ نسائِهِنَّ مُتبرِّجاتٍ للفتنةِ والإِغراءِ، فكان ذٰلك سببَ دمارِهِم، فابتلاهُمْ بالطَّاعُونِ، فَفَتَكَ بهم في ساعةٍ مِنَ الزمنِ فتْكاً ذَرِيعاً.

الخطبة الثانية:

اللهُ أكبر اللهُ أكبر اللهُ أكبر اللهُ أكبر اللهُ أكبر اللهُ أكبر اللهُ أكبر.

الحمدُ للهِ، نحمدُهُ ونستعينُه ونستغفرُه ونتوبُ إليه، ونعوذُ باللهِ مِن شُرُورِ أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأشهدُ أنَّ محمداً

عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّمَ وباركَ عليه وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . لا إلـٰه إلاَّ اللهُ واللهُ أكبرُ . . اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

أما بعد

عباد الله: إنَّ العيدَ سُمِّيَ عيداً لأنَّه يَعودُ ويَتكَرَّرُ بِما أَنْعمَ اللهُ به علىٰ عبادِه مِن العِباداتِ والشَّعائِرِ، وبماتفضَّلَ به عليهم مِن المُباحاتِ والطَّيِّباتِ التي يُظْهِرُونها ويتمتَّعون بها في هـٰذا اليومِ، فمنها الفِطْرُ بعد المنع مِنْ مُباحِ الطعامِ والشَّرابِ والنِّكاحِ، وشُكرُاللهِ ـ تعالىٰ ـ، ومنها صَدَقَةُ الفِطْرِ والتكْبيرُ والصلاةُ.

ولذٰلك أبطلَ الإسلامُ كلَّ أعيادِ الجاهليَّةِ؛ لأنَّها أعيادٌ لا تَعُودُ إلىٰ معنىٰ كريمٍ ولا إلىٰ ذِكْرَىٰ يَحْسُنُ ذِكْرُها. وهناك نوعٌ آخرُ مِن الأعيادِ المَنْهِيِّ عنها، وهي أعيادٌ وَطَنِيَّةٌ، اتَّخذَها الناسُ أعيادَ استقلالٍ.

عباد الله: إنَّ الله وملائكتَه يُصَلُّونَ على النبي. . . إلخ.

شكر الله عند نزول المطر

الحمدُ للهِ الكريمِ الفتَّاحِ، فارِجِ الكُرُباتِ، ومُحِيلِ الشَّدائِدِ والمكرُوهاتِ، والحمدُ للهِ المُتفضِّلِ علىٰ عِبادِه بأنواعِ المواهِبِ والأرزاقِ، القائِمِ بأرزاقِ جميعِ المخلوقاتِ في البَرَارِي والبِحارِ والجبالِ والفَلَوَاتِ. والحمدُ للهِ بِجميعِ مَحَامِدِه؛ عَمَّ بِرزقِه وسِتْرِه حتَّىٰ العُصَاةَ. أَحمدُه ـ سبحانه ـ ابْتعثَ بِحكمتِه في الهواءِ مُتَرَاكِمَ السَّحابِ، فأنْزلَ به الماءَ، فأرْوَىٰ به الأودِيَةَ والشِّعابَ. فسُبحانه من إلـهٍ عظيمٍ لا يُماثَلُ ولا يُضاهَىٰ ولا يُرامُ له جَنَابٌ. وأَشكرُه علىٰ نِعَمٍ تَفُوقُ العَدَّ والحِسابَ.

وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وباركَ عليه، وعلىٰ آله وصَحْبِه ـ.

أمَّا بعدُ :

أيها المسلمون: عليكم بِتقوىٰ ربِّكم ذي الجَلالِ؛ فَبِتَقْوَاهُ تُنالُ الدَّرجاتُ، وتَزْكُو الأعمالُ. وأَكْثِرُوا مِن ذِكْرِه علىٰ توابِعِ الإِنْعامِ والإِفْضالِ؛ فَبِذِكْرِه تَطْمَئِنُّ القلوبُ، فاذْكُرُوه بالغُدُوِّ والآصَالِ، واشكُرُوه شُكراً يُقَيِّدُ النِّعَمَ عن التَّحوُّلِ والانْتِقالِ.

عباد الله: مِن حكمةِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ أنَّه لا يُدِيمُ لِعبادِه حالةً واحدةً، بلْ يَبْلُوهم بالشِّدَّةِ والرَّخاءِ، وبالشَّرِّ والخيرِ؛ فِتْنَةً. وإنَّ لهم في ذٰلك لأعظمَ

فائدةٍ. فإذا شَبِعُوا شَكَرُوه، وإذا جاعُوا ذَكرُوه، فهم له حامِدُون، ولِفَضْلِه قاصِدون، قلوبُهم إليه مُتَّجِهَةٌ، ووُجُوهُهم له ساجِدَةٌ، يَتُوبون مِن كلِّ معصيةٍ صادِرةٍ منهم، ويَسألُونه ـ تعالىٰ ـ مِن كُلِّ خيرٍ ونِعمةٍ لهم.

عباد الله: رَوىٰ الإمامُ أحمدُ في مُسندِه مِن حديثِ أبي رَزِين، عِنِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**ضَحِكَ ربُّنا مِن قُنُوطِ عبادِه وقُرْبِ غِيَرِه**» فقال أبورزين: فقلتُ: يارسولَ اللهِ: أوَيَضْحَكُ الرَّبُّ ؛ عزَّ وجلَّ ـ العظيمُ؟! لَنْ نَعدمَ مِن ربٍّ يَضحكُ خيراً. قال: حسنٌ في حديثِه. فقال: «**نعمْ لَنْ نعدمَ مِن ربٍّ يضحكُ خيراً**». قوله: «**مِن قُنُوطِ عبادِه**». القُنُوطُ هو شِدَّةُ اليَأسِ، وقولُه: «**وقُرْب غِيَرِه**» أي تغييره الحالَ مِن شدَّةٍ إلىٰ حالِ رخاءٍ. وقولُه: «**أزلين**» في شدَّةٍ وضِيقٍ. ومعنىٰ ذٰلك: أنَّ اللهَ ـ تبارك وتعالىٰ ـ يضحكُ مِن قُنُوطِ عبادِه عِند احتباسِ القَطْرِ عنهم، وقُنُوطِهم ويَأْسِهم من الرَّحمةِ، وقَدِ اقتربَ وَقْتُ فَرَجِه ورحمتِه لعبادِه بإنْزالِ الغَيْثِ عليهم وتغييرِه حالَهم. وهم لا يَشعُرُون، فعند تَنَاهِي الكُرُوبِ يَكونُ الفَرَجُ. كما في حديثِ: «**وإنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وإنَّ مع العُسَرِ يُسَراً**».

معشر المسلمين: وإنَّ ممَّا يَستوجِبُ الشُّكرَ والثَّناءَ والحمدَ للهِ الواحدِ القهَّارِ الرَّحيمِ الرَّحمٰنِ، هٰذا الغَيْثُ الشَّامِلُ المِدْرَارُ الذي أغاثَ اللهُ به البلادَ والعبادَ، فَوَجَبَ علينا الشُّكرُ للمَولَىٰ العظيمِ، صاحبِ المِنَنِ والفَضْلِ العَمِيمِ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ

ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨] أي: هو المُتَصَرِّفُ ـ جلَّ وعلا ـ لِخَلْقِه بما يَنفعُهم في دُنياهم وأُخْراهم. وهو المَحمودُ العاقِبةُ في جميعِ ما يُقدِّرُه ويَفعلُه ـ جلَّ وعلا ـ. وعن أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: أصابَنا ـ ونحن مع رسولِ اللهِ ﷺ ـ مطرٌ، فحسرَ ثوبَه حتَّىٰ أصابَه مِن المطرِ وقال: «**إنَّه حديثُ عهدٍ بِرَبِّه**».

ومِن حكمةِ اللهِ البالِغةِ أنَّه يُنزلُ المطرَ بِقَدْرِ الحاجَةِ، حتَّىٰ إذا أخذتِ الأرضُ حاجتَها منه وكانَ تتابُعُه عليها بعد ذٰلك يَضُرُّها، أَقْلَعَ، وأَعْقَبَهُ بالصَّحْوِ. فهما ـ أَعْنِي الصَّحْوَ والغَيْمَ ـ يتعاقبَان على العالَمِ لِما فيه صلاحُه، ولو دامَ أحدُهما، كان فيه فسادُه، فَلَوْ توالَتِ الأمطارُ لأهلكتْ ما علىٰ الأرضِ، ولو زادتْ علىٰ الحاجَةِ أفْسَدَتِ الحُبُوبَ والثِّمارَ وعفنت الزُّرُوعَ والخُضْرَاوَاتِ، وأَرْخَتِ الأبدانَ، وحَشَرَتِ الهواءَ، فَحدثَتْ ضُرُوبٌ مِن الأمراضِ، وفسدَ أكثرُ المآكلِ وتقطَّعتِ المسالِكُ والسُّبُلُ. ولو دامَ الصَّحْوُ، لَجَفَّتِ الأبدانُ، وغِيضَ الماءُ، وانقطعَ ماءُ العُيُونِ والآبارِ والأنهارِ والأَوْدِيَةِ، وعَظُمَ الضَّرَرُ، واحْتَدَمَ الهواءُ، فَيَبُسَ ما علىٰ الأرضِ وجَفَّت الأبدَان، وغلبَ اليَبَسُ، وأَحْدثَ ذٰلك ضُرُوباً من الأمراضِ عَسِرَةَ الزَّوالُ. فاقتضَتْ حكمةُ اللهِ ـ تعالىٰ ـ اللَّطيفِ الخبيرِ أَنْ عاقبَ بين الصَّحْوِ والمطرِ علىٰ هٰذا العالَمِ، فاعتدَلَ الأمرُ وصحَّ الهواءُ، ودَفَعَ كُلٌّ واحدً منها عاديةَ الآخرِ، واستقامَ أمرُ العالَمِ وصَلُحَ. فَلِلَّهِ الحمدُ والثَّناءُ، لا نُحْصِي ثناءً عليه. اللهُمَّ لك الحمدُ

كلِّه، ولك الملكُ كلُّه، وبيدِك الخيرُ كلُّه، وإليك يَرجِعُ الأمرُ كلُّه.

عباد الله: قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢] أي بَدَلَ أَنْ تَشكُروا اللهَ ـ تعالىٰ ـ علىٰ إنْزالِه المطرَ عليكم «تُكَذِّبُون» فَتَنْسِبُون ذٰلك إلى غيرِه مِنَ الكواكِبِ والمخلُوقاتِ التي لا قُدْرَةَ لها، وفي مِثْلِ هٰذا قال زيدُ بن خالدٍ الجهنيُّ ـ رضي اللهُ عنه ـ: صَلَّىٰ بنا رسولُ اللهِ ﷺ صلاةَ الصُّبحِ بِالحُدَيْبِيَةِ على إثْرِ سماءٍ (أي نُزُول مطرٍ) كانتْ مِنَ اللَّيلِ، فلمَّا انصرفَ أقبلَ علىٰ النَّاسِ فقال: «**أَتَدْرُون ماذا قال ربُّكم؟**» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «**قال: أصبحَ مِن عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ: فأمَّا مَن قال مُطِرْنا بِفَضْلِ اللهِ ورحمتِه فذٰلك مُؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأمَّا مَن قال مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا فذٰلك كافرٌ بي مُؤمنٌ بالكوكبِ**» ومعنىٰ الحديثِ: أنَّ مَن نسبَ المطرَ إلىٰ اللهِ، واعتقدَ أنَّه أَنْزَلَه بِفضْلِه ورحمتِه، مِن غيرِ استحقاقٍ مِن العبدِ علىٰ ربِّه وأثْنَىٰ علىٰ اللهِ بذٰلك فقال: «مُطِرْنا بِفَضْلِ اللهِ ورحمتِه» فهٰذا مؤمنٌ بالله شاكرٌ لنعمتِه كافرٌ بِما سواهُ. وأمَّا مَن نسبَ نُزولَ المطرِ إلىٰ غيرِ اللهِ، مِنَ الكواكبِ أو الطَّبيعَةِ، فذٰلك كافرٌ باللهِ ـ تعالىٰ ـ مؤمنٌ بغيرِه. قال اللهُ ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ [الفرقان: ٥٠] وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ

ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ [الروم: ٤٨ـ٥٠].

اللهُمَّ أَعِنَّا علىٰ ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتِك. أقولُ قَوْلِي هٰذا، وأَستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائِرِ المسلمين من كلِّ ذَنْبٍ.

الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ الذي خشعتْ له الجبالُ الرَّاسياتُ، والصُّخورُ القاسِياتُ، وأحْيَا الأرضَ بالمطرِ بعد المماتِ فتفجَّرتْ بأمرِه عُيُوناً. أَحمدُه علىٰ جميعِ النِّعَمِ، وأَشكرُه على الآلاءِ والقسم. وأَشهدُ أن لا إلٰه إلاَّ اللهُ الذي له الخَلْقُ والأمرُ، وبيدِه النَّفْعُ والضُّرُّ. وأَشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ـ صلَّىٰ اللهُ وسلَّم وباركَ عليه، وعلىٰ آلِه وصحبِه ـ.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ حقَّ تُقَاتِه، وسارِعُوا إلىٰ طاعتِه ومَرْضَاتِه. وما أُمِرْتُم به من الطَّاعةِ، فافعلوه. وما نُهِيتُم عنه من المعاصِي، فاجتنِبُوه. ولا تَغْتَرُّوا بِما أَسْبلَ عليكم من النِّعَمِ، فَلَمْ يُعاجِلْكم علىٰ المعاصي بالنِّقَمِ. فإنَّ العاصِين لهم من اللهِ استدراجٌ وتمكينٌ، فَيُعطِيهم بلا إصلاحِ عملٍ، ثم يأخذُهم علىٰ الغِرَّةِ والمَهَلِ. وإذا أرادَ اللهُ إهلاكَ قُرىً أسبلَ عليهم نِعماً تَتْرَىٰ، فعند ذٰلك يَفْسُقُون ولا يَعملُون له شُكراً، فَيَأخذُهم وهم في غَفْلَةٍ ساهُون، وبما بسطَ عليهم من الخَيْرَاتِ لاهُون.

فالحمدُ للهِ وحدَه، والشُّكرُ له على نِعَمِه، والثَّناءُ عليه بما هو أهلُه،

وما شُكْرُه وحمدُه إلاَّ بقيامِ كُلِّ عُضْوٍ بِوظيفَتِه: فاللِّسانُ يَتكلَّمُ بالحقِّ، ومِن ذٰلك الثَّناءُ علىٰ الآمِرين بالمعروفِ والنَّاهِين عن المنكرِ، والدُّعاءِ لهم، والذَّبُّ عن أعراضِهِم، والإنكارُ علىٰ من وقعَ فيهم؛ فإنَّ السَّاكِتَ ـ ولو لم يتكلَّمْ فيهم ـ علىٰ خطرٍ عظيمٍ؛ مِن سماعِه وعدمِ إنكارِه. وأمَّا الأذنُ فتسمعُ الخيرَ، واليدُ تعملُ بطاعةِ اللهِ ـ تعالىٰ ـ، وكذا الرِّجْلُ تَسعىٰ إلىٰ الخَيْراتِ.. نَعَم، شُكْرُه وحَمْدُه أن تَكونَ لأوامرِه مُمْتَثِلاً، ولِنَواهِيهِ مُجْتَنِباً. شُكرُه وحمدُه أنْ تَسعىٰ في إصلاحِ نفسِك وأهلِك وقَوْمِك وأنْ لا تَدَعْ خيراً تستطيعُه للنَّاسِ إلاَّ قَدَّمْتَه، ولا شَرًّا تَقْدِرُ علىٰ دَفْعِهِ عنهم إلاَّ دَفَعْتَه. هٰذا هو حمدُ اللهِ الحقيقيُّ، لا أنْ تقولَ كلماتٍ بلسانِك وليسَ لها دليلٌ مِن أعمالِك.

عباد الله: : إنَّ اللهَ وملائكتَه يُصَلُّونَ علىٰ النَّبيِّ... إلخ.

الأكل مما أحل الله

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، القائِلِ في كتابِهِ المُبينِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢ـ١٧٣].

وأشهدُ أنْ لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، لا حلالَ إلاَّ ما أَحَلَّهُ، ولا حَرَامَ إلاَّ ما حرَّمَهُ، ولا دِينَ إلاَّ ما شَرَعَهُ. وأشهدُ أنَّ مُحمداً عبدُهُ ورسولُهُ حثَّ علىٰ الأكلِ مِن الحلالِ، وحذَّرَ عَن الأكلِ مِن الحرامِ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاس إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّباً، وإنَّ اللهَ أَمَرَ المؤْمنين بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِيْن فقال:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥١]. **وقال:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ **ثم ذكرَ الرجلَ يُطيلُ السفرَ، أَشْعَثَ أَغْبرَ يَمُدُّ يديه إلىٰ السماءِ ياربِّ، ومطعمُهُ حرامٌ ومشربُهُ حرامٌ وملبسُهُ حرامٌ وغُذِّيَ بالحرامِ، فأَنَّىٰ يُستجابُ لذٰلك**». رواهُ مسلمٌ. فصلَّىٰ اللهُ علىٰ هـٰذا النَّبيِّ الكريمِ الذي لم يَدَعْ خيراً إلاَّ دلَّ الأُمَّةَ عليه، ولا شرًّا إلاَّ حَذَّرها منه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعدُ:

أيها الناس: اتَّقُوا اللهَ ـ تعالىٰ ـ واعلَمُوا أنَّ لإطَابَةِ المَطْعَمِ أثراً بالغاً علىٰ الإنسانِ في سُلُوكِهِ وحياةِ قلبِهِ واستِنارَةِ بَصِيرتِهِ وقَبُولِ دُعائِهِ. وإنَّ لِخُبثِ المَطْعَمِ أثراً سيِّئاً علىٰ الإنسان، ولو لم يكُنْ مِن ذٰلك إلاَّ عدمُ قَبُولِ دُعائِه، لَكَفَىٰ ذٰلك زاجراً؛ فإنَّ العبدَ ليس له غِنًىٰ عَن دُعاءِ ربِّهِ طَرْفَةَ عَينٍ. إنَّ المُحرَّمَ إمَّا أن يكونَ تحريمُهُ لخُبْثِهِ في ذاتِهِ؛ لكَوْنِهِ يُغَذِّي تغذيَةً خبيثةً، كالمَيْتَةِ والدَّمِ ولحمِ الخِنزيرِ. وإمَّا أن يكونَ مُحرَّماً لحقِّ اللهِ أو حقِّ عبادِهِ، كالمَكاسِبِ المُحرَّمَةِ، مِن الرِّبا والقِمارِ والسَّرِقَةِ والغِشِّ في البيعِ والشِّراءِ والغِشِّ في العملِ الذي استُؤجِرَ عليه، وما أُخذَ بطرِيقِ الرشوَةِ أو الخِيانَةِ في العملِ الذي أُسند إليه. إنَّ اللهَ قد أغنَىٰ المؤمنَ بحلالِهِ عَن حرامِهِ وبفضلِهِ عمَّنْ سِواه، فما حرَّمَ عليه شيئاً مِن الخبائثِ إلاَّ وقد أباحَ له مِن الطَّيِّباتِ ما هو خيرٌ منه وأضعافُ أضعافِهِ.

إنَّ مَنهجَ الإسلامِ في الأطعِمَةِ كمنهَجِهِ في جميعِ المَجالاتِ، منهجُ السمَاحَةِ والحِفاظِ علىٰ سَلامةِ الأرواحِ والأبدانِ والعُقُولِ، فيُبيحُ الطَّيِّباتِ مِن الأطعمةِ النافِعَةِ للأبدانِ والعُقُولِ، ويُحرِّمُ الخبائِثَ الضَّارَّةَ للأبدانِ والعُقُولِ. أمَرَ اللهُ ـ سبحانه ـ عبادَهُ أَنْ يأكلوا مِن طيِّباتِ ما رَزَقَهُم، وأَنْ يَشكُرُوه علىٰ ذٰلك، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ وشُكْرُ النِّعْمَةِ يكونُ باعترافِ القلبِ أنها مِن اللهِ وحدَه، وتَحَدُّثِ اللسانِ بذٰلك، والاستعانَةِ بها علىٰ طاعةِ اللهِ، وإذا تحقَّقَ الشُّكرُ انتفىٰ الأشرُ والبَطَرُ،

وصارتْ هـٰذه النِّعمُ قِواماً للحياةِ السعيدةِ وعَوْناً علىٰ الطَّاعةِ. وإذا لم يتحقَّق الشُّكرُ، صارتْ هـٰذه النعَمُ استدراجاً للخَلْقِ حتَّىٰ يَحِيقُ بهم الهلاكُ والدمارُ، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ـ٥٦]. إن اللهَ ـ سبحانه ـ يُريدُ مِن عبادِهِ أنْ يترفَّعُوا عن التَّغَذِّي بالخبائِثِ؛ لأن الغذاءَ الخبيثَ يُغَذِّي تغذيةً خبيثةً تُؤثِّرُ علىٰ القلوبِ والطِّباعِ وتَحجبُ العبدَ عَن ربِّهِ، فلا يُرفعُ له دعاءٌ. . إن اللهَ ـ تعالىٰ ـ أنزلَ علىٰ نبيِّه الكتابَ وبيَّن فيه للأُمَّةِ ما تحتاجُ إليه مِن حلالٍ وحرامٍ، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]. ووَكَلَ ـ سُبحانه ـ بيانَ ما أَشكلَ مِن التنزيلِ إلىٰ الرسولِ، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]. وما قُبض رسولُ اللهِ ﷺ حتَّىٰ أكملَ اللهُ له ولأمَّتِهِ الدِّينَ. فعَن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إنَّ الحلالَ بيِّنٌ، وإن الحرامَ بيِّنٌ، وبينهما أُمُورٌ مُشتَبِهاتٌ لا يعلمُهُنَّ كثيرٌ مِن الناسِ، فَمَن اتَّقىٰ الشُّبهاتِ فقد استبرأ لدِينِه وعِرضِهِ، ومَن وقعَ في الشُّبهاتِ وقعَ في الحرامِ، كالرَّاعِي يرْعَىٰ حوْلَ الحِمَىٰ، يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فيه. أَلَا وإنَّ لكلِّ مَلِكٍ حِمىٰ، أَلَا وإنَّ حِمَىٰ اللهِ محارِمَهُ، أَلَا وإنَّ في الجسدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فسدَ الجسدُ كلُّه، أَلَا وهي القلبُ**» [رواه البخاري ومسلم] ومعناه أنَّ الحلالَ الخالِصَ بيِّنٌ لا اشتِباهَ فيه، مِثْلُ أكلِ

الطَّيِّباتِ، وكذٰلك الحرامُ الخالصُ، مَثْلُ الخبائِثِ مِن الأعيانِ والمكاسبِ بَيِّنٌ لا اشتِباهَ فيه، وبين الأمرَيْنِ أُمُورٌ تشتبهُ علىٰ كثيرٍ مِن الناسِ، هل هي مِن الحلالِ أَمْ مِن الحرامِ. وأمَّا الرَّاسخُون في العلمِ فلا تشتبِهُ عليهم ويعلمون مِن أيِّ القِسمَين هي. وموقفُ المُسلمِ مِن هٰذه الأقسامِ الثلاَثَةِ أنْ يأخُذَ الحلالَ ويترُكَ الحرامَ ويتوقَّفَ في المُشْتَبِهِ حتَّىٰ يَتبيَّن له حُكْمُهُ؛ احتِياطاً لدِينه وعِرضِه؛ لأنَّ تناوُلَ المشتَبِهِ يَجُرُّ إلىٰ تناوُلِ الحرامِ بالتدريجِ؛ لأنَّ ارتكابَهُ للشُّبْهَةِ ذَريعةٌ إلىٰ ارتكابِهِ الحرامَ، ومَن تهاونَ بالصغائرِ يُوشِكُ أنْ يخالِطَ الكبائرَ، وفي هٰذا الحديثِ دَلالةٌ واضحةٌ علىٰ خُطُورَةِ الحرامِ مِن ناحيتين: **الناحيةُ الأولىٰ**: طلبُهُ ﷺ تَرْكَ المشتَبِهِ خشيةَ الوقوعِ في المُحَرَّمِ. **الناحيةُ الثانية**: إخبارُهُ ﷺ أنَّ المحارِمَ هي حِمَىٰ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ، الذي لا تَجُوزُ استباحتُهُ، فاللهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ حَمَىٰ هٰذه المُحرَّمات ومَنَعَ عِبادَهُ مِن قُربانِها وسمَّاها حُدُودَه، فقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]. وعن ابنِ عباسٍ ـ رضي اللهُ عنهما ـ قال: تليت هٰذه الآية عند النبيِّ ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ فقام سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ فقال: يا رسولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أنْ يجعلني مُستجَابَ الدَّعوةِ. فقال: **«يا سعدُ: أَطِبْ مَطْعَمَك تكُنْ مُستجابَ الدَّعوَةِ. والذي نفسُ محمدٍ بِيدِهِ إنَّ الرجلَ لَيقذِفُ اللُّقمةَ الحرامَ في جوفِهِ ما يَتقبَّلُ منه أربعين يوماً، وأَيُّما عبدٌ نَبَتَ لحمُهُ مِن السُّحْتِ والرِّبا فالنَّارُ أَولىٰ به»** وروىٰ البخاريُّ في

صحيحِهِ عَن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان لأبي بكرٍ ـ رضي اللهُ عنه ـ غلامٌ يخرجُ له الخراجَ، وكان أبوبكرٍ يأكلُ مِن خراجِهِ، فجاءَهُ يوماً بشيْءٍ فأكلَ منه أبوبكر، فقال له الغُلامُ: تَدْرِي ما هـٰذا؟ فقال أبوبكر: وما هو. فقال: كُنتُ تكهَّنْتُ لإنسانٍ في الجاهِلِيَّةِ ـ وما أحسنَ الكَهانَةَ ـ إلاَّ أنِّي خدعتُهُ، فلقيني فأعطانِي لذٰلك هـٰذا الذي أكلْتَ منه. فأدخلَ أبوبكرٍ يدَهُ فقَاءَ كُلَّ شيءٍ في بطنِهِ. وروىٰ الإمامُ أحمدُ وغيرُه مِن حديثِ ابنِ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**ولا يكسبُ عبدٌ مالاً حراماً فيتصدَّقُ به فيُقبلُ منه، ولا يُنفِقُ منه فيبارِكُ له فيه، ولا يترُكُهُ خلْفَ ظهرِهِ إلَّا كان زادَهُ إلىٰ النار. إنَّ اللهَ ـ تعالىٰ ـ لا يَمحُو السَّيِّءِ بالسَّيِّءِ ولـٰكن يمحُو السيءَ بالحَسَنِ. إن الخبيثَ لا يمحُو الخبيثَ**» وعن أبي هريرةَ ـ رضي اللهُ عنه ـ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**يأتي علىٰ الناسِ زمانٌ لا يبالِي المَرْءُ ما أخذَ، أَمِنَ الحلالِ أَمْ مِن الحرامِ**» [رواه البخاري].

فاتَّقُوا اللهَ أيُّها المسلمون، وتذكَّرُوا الوُقُوفَ بين يَدَي اللهِ في يومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون إلاَّ من أتىٰ اللهَ بقلبٍ سليمٍ. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء: ٢٩ـ٣٠].

أيها المسلمون: إنَّ المكاسِبَ المُحرَّمةَ شرٌّ وفتنةٌ وتعبٌ في الدنيا، ونارٌ

وعذابٌ في الآخرةِ، وقد صحَّ في الحديثِ عَن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّ العبدَ يُسألُ يومَ القيامةِ عَن مالِهِ، مِن أين اكتسَبَهُ وفِيمَ أنفَقَهُ، وإنَّ المكاسِبَ المُحرَّمةَ قد كَثُرَتْ في هٰذا الزمانِ، وصار كثيرٌ مِن الناسِ ـ بدافع حبِّ المالِ ـ لا يُبالي مِن أينَ اكتسبَ المالَ، وبدافعِ شهوةِ نفسِهِ لا يُبالي فِيمَ أَنْفَقَ المالَ، لا يُفكِّرُ في العاقبةِ ولا يخافُ مِن المسئوليَّةِ، فهو يَأخُذُ المالَ بِطريقِ الغِشِّ والخَديعَةِ في المُعامَلاتِ. يأخذُ المالَ بطريقِ الخِيَانةِ فيما وَلِيَ مِن أعمالٍ، فالمُوظَّفُ يَخُونُ في وظيفَتِهِ ويتساهَلُ في أداءِ عملِهِ، والمُقاوِلُ يَخونُ في مقُاولَتِهِ ولا يُتمِّمُ المُواصفاتِ المطلُوبَةِ منه ولا يُتقنُ العملَ، والتاجرُ يَزيدُ في السِّعرِ مِن غيرِ مُبرِّرٍ ويَكتمُ ما في السِّلعةِ مِن عُيوبٍ ويَبخسُ الكَيْلَ والوَزنَ، أو يَبيعُ مَوادَّ مُحرمةً، كآلاتِ اللَّهْوِ والدُّخان أو يتعامل بالرِّبا، والأجيرُ يبخس العملَ الذي استُؤجرَ له ويأخذُ الأُجْرةَ كاملةً، والمُوظَّفُ يأخذُ الرِّشْوةَ أو يَغُلُّ من المالِ الذي جُعل في يدِهِ لمصالِحِ المُسلمين. إنَّها جرائمُ يندىٰ لها الجبينُ، ويتوقَّفُ القلمُ واللسانُ عن تعدادِها استحياءً.

دُعَــاء

عِبَادَ اللهِ.. إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا، وَأَكْثِرُوا عَلَيْهِ مِنَ الصَّلاَةِ يُعْظِمْ لَكُمْ رَبُّكُمْ بِهَا أَجْراً. فَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً».

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ، وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الوَجْهِ الأَنْوَرِ وَالجَبِيْنِ الأَزْهَرِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنِ التَّابِعِيْنَ وَتَابِعِيْهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِمنِّكَ وَكَرَمِكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالمُسْلِمِيْنَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالمُشْرِكِيْنَ. وَدَمِّرْ أَعْدَاءَكَ أَعْدَاءَ الدِّيْنِ، وَانْصُرْ عِبَادَكَ المُوَحِّدِيْنَ، وَاحْمِ حَوْزَةَ الدِّيْنِ. وَاجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِناً مُطْمَئِناً وَسَائِرَ بِلاَدِ المُسْلِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ وُلاَةَ أَمْرِنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاه، اللَّهُمَّ خُذْ بِنَوَاصِيْهِمْ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَهُدَى، اللَّهُمَّ وَأَصْلِحْ قُلُوبَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ يَارَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ. اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِيْنِكَ، اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَى التَّائِبِيْنَ، وَاغْفِرْ ذُنُوبَ المُذْنِبِيْنَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ المَدِيْنِيْنَ، وَاشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَى المُسْلِمِيْنَ، وَاكْتُبِ الصِّحَّةَ وَالسَّلاَمَةَ وَالعَافِيَةَ وَالهِدَايَةَ وَالتَّوْفِيْقَ لَنَا وَلِكَآفَّةِ المُسْلِمِيْنَ فِيْ بَرِّكَ وَبَحْرِكَ أَجْمَعِيْنَ.

اللَّهُمَّ ادْفَعْ عنَّا الغلاَءَ وَالوَبَاءَ وَالرِّبَا وَالزِّنَا، وَالزَّلاَزِلَ وَالمِحَنَ وَسُوءَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ عَنْ بَلَدِنَا هَذَا خَاصَّةً وَعَنْ سَائِرِ بِلاَدِ المُسْلِمِيْنَ عَامَّةً يَارَبَّ العَالَمِيْنَ.

عِبَادَ اللهِ.. إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيْدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيْلاً. إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُوْنَ فَاذْكُرُوا اللهَ العَظِيْمَ الجَلِيْلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

الفهـرس

* المقدمة ٥
* في التوحيد ٧
* في التوحيد وضده ١٢
* في الشركيات ٢٠
* في معنى بعض من صفات الله تعالى ٢٦
* في التشاؤم ٣١
* في التمائم والحروز ٣٨
* في تعظيم الأولياء والغلو فيهم ٤٢
* في النهي عن شد الرحل لزيارة القبور ٤٨
* بدعة الاحتفال بالموالد ومولد الرسول ٥٢
* في بدع رجب والإسراء والمعراج ٥٩
* الحب في الله والبغض في الله (١) ٦٧
* في الحب والبغض في الله (٢) ٧٢
* في عظم شأن الصلاة ٧٦
* في فضل الصوم ومفطراته ٨٤
* في فضل العشر الأواخر وخصائصها ٩٠
* في وجوب الزكاة وعقوبة مانعها ٩٦
* في الأموال التي تجب فيها الزكاة ١٠١
* في الصدقة ومواساة الفقراء في أيام الشتاء ١٠٦
* فضل العشر ويوم عرفة ١١٢
* في الأضحية ١١٦
* في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٢٥
* في هجرة النبي وحكم الهجرة ١٣٤
* في قصة موسى مع فرعون ١٤١
* في التحذير في مخالفة السلف الصالح ١٤٨
* في فضل العلم والعلماء ١٥٢
* في المداومة على العمل ١٥٥
* في صفات حملة القرآن ١٦١
* في تعظيم القرآن واحترامه وآداب قارىء القرآن وكفر من استهان به ١٦٨
* في مشروعية إقامة الحدود وحكمها ١٧٦
* في التحذير من الغفلة والمعاصي ١٨٤
* في التحذير من المعاصي ١٨٩
* أثر المعاصي ١٩٨

* في المخدرات ٢٠٣
* في تحريم فاحشة اللواط وأسبابه ٢٠٩
* في الربا والمزارعة ٢١٥
* في التحذير من الزنا وأسبابه ٢٢١
* بمناسبة مؤتمر القاهرة في إباحة الإجهاض واتحاد الجنسين والحرية ٢٢٩
* في الإسبال ٢٣٦
* في تشبه الرجال بالنساء ٢٤٠
* في تسويد الشعر ٢٤٤
* في الخدامين المشركين وغيرهم ٢٤٩
* في الخدم والسائقين ٢٥٣
* في الانتهاء من السواقين والتبرج ٢٦١
* في ذي الوجهين ٢٦٨
* موعظة وفيها التحذير من أخلاق المنافقين ٢٧٣
* في التواضع وذم الكبر ٢٧٨
* في التثبت وعدم قبول الأخبار ٢٨٤
* في خطر اللسان وآفاته ٢٩٠
* في الحث على الإنفاق على المصابين في زلزال اليمن ٢٩٦
* في التخويف من المعاصي بسبب زلزال اليمن ٣٠٢
* بسبب ريح عاصف ٣١٠
* في يأجوج ومأجوج ٣١٤
* القيامة والبعث ٣٢٢
* موعظة في أحوال الدنيا وفي البعث بعد الموت ٣٢٦
* موعظة في أمور الآخرة ٣٣٠
* في عدم الغفلة عن ذكر الموت ٣٣٥
* الموت وسؤال منكر ونكير ٣٤٣
* خطبة الاستسقاء (١) ٣٥٢
* خطبة الاستسقاء (٢) ٣٥٥
* في فضل صلاة العيد والتكبير وصدقة الفطر ٣٥٩
* خطبة عيد الفطر ٣٦٥
* شكر الله عند نزول المطر ٣٧٠
* الأكل مما أحل الله ٣٧٦
* دعاء ٣٨٢
* الفهرس ٣٨٣

الصف التصويري والإخراج **الفرقان** مكة المكرمة: ٩٨ شارع العزيزية العام ت: ٥٥٦٤٨٦٠

كتـــاب

المحصـــل

من مسند الإمام أحمد بن حنبل

في مجلدات طبع منها اثنىٰ عشر مجلدًا

وله بقية

لصاحب الفضيلة

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

فتح المجيد
شرح كتاب التوحيد

تأليف

المجدد الثاني الشيخ العلامة

عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب

١١٩٣ - ١٢٨٥هـ

وعليه

حاشية المستفيد
على مواضع من فتح المجيد

جمع الفقير إلى عفو ربه

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

كتـــاب

غنيمة الأبرار

في الدعوات والأذكار

من مسند الإمام أحمد فيما رواه عن المختار

صلى الله على محمد وعلى آله وسلم

لصاحب الفضيلة

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

كتـــاب

الواجـبات

المتحتمات المعرفة
على كل مسلم ومسلمة

لصاحب الفضيلة

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

كتـــاب

تيسير الباري

في فضائل وتفسير أسباب نزول كلام الباري

من مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني

لصاحب الفضيلة

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

أسئلة وأجوبة
عن أحكام الجنائز

لصاحب الفضيلة
الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

كتـــاب

شرح تعريف الإسلام

ومعنى لا إله إلاَّ الله

لصاحب الفضيلة

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

فتح المجيد
شرح كتاب التوحيد

تأليف

المجدد الثاني الشيخ العلامة

عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب

وعليه

حاشية المستفيد
على مواضع من فتح المجيد

للشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

أحكام الحج
للقـــرعـاوي

لصاحب الفضيلة
الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

كتـــاب

القول المنير

فـــي معـــنى لا إلـــه إلَّا الله
والتحذير من الشـرك والنفـاق
والسحر والسحرة والمشعوذين

لصاحب الفضيلة

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

كتـــاب

المبتدع هو من بدّع

مــن ضحــىٰ عــن أمــواتـــه
وصلى التراويح ثلاثًا وعشرين ركعة
ودعـا عـند خـتم القــرآن ربــه

لصاحب الفضيلة

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

كتـــاب

البرهان المبين

في حكم السفر إلى بلاد الكفار
وحقيقة إظهار الدين عند المشركين

لصاحب الفضيلة

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

كتـــاب

التحذير من المهلكات

الخمر والدخان والقات وتعاطي المخدرات

لصاحب الفضيلة

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

مجموع رسائل ومسائل القــرعــاوي

لصاحب الفضيلة
الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

الأقوال السلفية

في الرد على من زعم أن معية الله ذاتية

لصاحب الفضيلة

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي

نصيحــة

إلى كافة المسلمين والمسلمات

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لصاحب الفضيلة

الشيخ/ عبدالله بن إبراهيم القرعاوي